كيم إيل سونغ

المؤلفات

يا شغيلة العالم كله اتحدوا !

كيم إيل سونغ
المؤلفات

٤٨

المذكرات "فى دوامة القرن" ٤

(شباط ١٩٣٥ – ايار ١٩٣٦)

دار النشر باللغات الاجنبية
بيونغ يانغ ٠ كوريا
٩٧ زوتشيه (٢٠٠٨)

언제나 인민을 믿고
어떤 조건에서도 혁명적
신념을 버리지 않으며
자주로선을 일관하게
견지하면서 광범한 반일
력량을 하나로 묶어세운
것은 항일혁명의 승리를
담보한 주되는 요인이였다.

김일성

ترجمة الكلمة المخطوطة فى الصفحة السابقة

ان الثقة الدائمة بالشعب، وعدم التخلى عن القناعة الثورية تحت كل الظروف، وحشد اوسع القوى المعادية لليابان فى كل واحد، والتمسك الثابت بالخط المستقل، شكلت العامل الرئيسى فى ضمان انتصار الثورة المناهضة لليابان.

كيم إيل سونغ

فهرس

الفصل الثانى عشر   لتقريب الربيع الجديد لانبعاث الوطن

الفصل العاشر   مع الايمان بالاستقلالية

(شباط ١٩٣٥ – حزيران ١٩٣٥)

١ـ إعصار أهوج

انقضت أيام المحن وتلاشت كما الحلم، وخلفنا وراءنا فى البعيد سلاسل الجبال المتتالية الوعرة، والمغطاة بالثلوج، التى كانت تعرقل طريقنا، وتكللت بالنصر حملتنا التى ارقنا فيها الدماء وتحملنا العذابات النفسية. وانفتح أمام الشيوعيين الكوريين أفق جديد لتعميق الثورة استنادا الى النجاحات المكتسبة.

ما ان صعدت قمة لاويلنغ، وبدت لعينى سلاسل الجبال المحيطة بوانغتشينغ، حتى أطلقت صرخات البهجة مع رفاقى، على الرغم من أنى كنت ما أزال منهوك القوى بتأثير المرض. وفى لحظة واحدة زال التعب الذى تراكم طوال شهور وسط دخان البارود والبرد القارس، وامتلأ قلبى سعادة وأحسست كما لو اننى قد وصلت الى جبل قريب من مسقط رأسى. ولكننى ما لبثت أن عانيت مجددا فى وانغتشينغ من الحمى طوال عدة أيام. وقد أجبرتنى آثار البرداء التى أصابتنى أثناء الحملة على ملازمة الفراش من جديد. والأسوأ من ذلك أننى سمعت فى أثناء ذلك الأخبار السيئة عن "موجة التطهير" التى عاثت خرابا بمناطق حرب العصابات. وكان "ممرضى" يستنكرون بسخط جرائم اليساريين الذين قادوا مناطق حرب العصابات الى الفوضى.

فمناضلو الحزب وأعضاء اتحاد الشباب الشيوعى وجمعية النساء الذين كانوا يمارسون عملهم بحمية فى سبيل الثورة الى ما قبل شهور فى وديان وانغتشينغ، راحوا

يهجرون قاعدة حرب العصابات التى أقاموها ودافعوا عنها بدمائهم، ويتفرقون فى كل الأنحاء وهم يصبون اللعنات على واضعى ومنفذى مخطط تلك المجزرة الهستيرية.

لقد جمدت تلك الأخبار الدماء فى قلبى، وكأن قطعة من الجليد قد لامسته. أحسست بضربة يأس قاسية وبطعم الاخفاق الرهيب، وخيل الى فجأة وكأن الأرض ستتوقف عن الدوران، وان كل شىء سيهوى وينسحق تحت جبل جليدى هائل.

لقد كانت المحن التى واجهتنا فى تلال لوزوكو فظيعة جدا دون ريب، ولكننى أستطيع القول انها كانت تافهة تماما اذا ما قورنت بهذه الاوضاع. وصحيح أن المصاعب التى واجهتها عند اجتياز جبال تيانتشياولنغ وأنا فى غيبوبة، على رأس ستة عشر مقاتلا فقط، كانت قاسية جدا، ولكنها لا تستحق الذكر بالمقارنة مع ما عانيته بسبب قضية "مينساينغدان". ففى أثناء الحملة كانت العقبات التى تعترض سبيل الوحدة معروفة ومحددة، انها العدو الذى يطاردنا ومرضى الشديد. وقد استطعنا حينئذ أن نخترق الحصار بمساعدة الشيخ الطيب كيم، ونجونا من الوقوع فى براثن الموت جوعا وبردا ومرضا بفضل زو تايك زو المفضال. لقد كان الشعب هو الذى فتح لنا طريق النجاة يومئذ.

ولكن قواعد حرب العصابات فى تشينتاو كانت تعيش وضعا مأساويا حيث الثورة تصارع ضد نفسها بالذات. لم يكن من الممكن وجود تناقضات أو خلافات بين الذين يشنون الصراع وأولئك الذين يستهدفهم. ولكن الفئة الاولى كانت تنظر مع ذلك الى الآخرين على أنهم أعداء وتعمل على تصفيتهم دون رحمة. لقد كان معظم من اخضعوا لمحاكمات "التطهير" مناضلين مجربين مستعدين للتضحية بحياتهم مثل قشة على مذبح الثورة.

ما هو المعيار اذن للتمييز بين الصديق والخصم فى "معركة الابادة" العبثية القذرة؟ من هو الخصم ومن هو الذى معنا؟ وهل كانت عادلة صفة "العدو" التى ألصقها رؤوس "التطهير" بآلاف الأشخاص الذين أعدموهم؟ واذا لم تكن عادلة، فكيف نقوم أولئك الذين قادوا عملية "التطهير"؟ ومن نؤيد ومن نعارض؟

كانت تلك هى الاسئلة التى طرحها على جميع الشيوعيين الوضع فى منشوريا الشرقية التى كانت ترتعش رهبة حيال سفك دماء آلاف الثوريين.

لقد كانت الآلام الجسدية والروحية تستنزفنى تماما.

ولكن لم يكن هناك فى ياوينغكو طبيب ولا دواء يمكنه معالجتى. وكانت العناية بى تقتصر على كمادات الماء البارد التى يضعها باخلاص شديد المقاتلون الذين لديهم بعض الالمام بالعلاج الشعبى، والذين كانوا يتناوبون السهر حول فراشى.

لقد أرسل لى سكان قرية سياوبييكو الذين أقلقتهم حالتى الصحية العسل ودم الغزال. وزارنى الشيوخ الصينيون حاملين لى معهم الشاى الساخن وطلبوا من رجال جيش حرب العصابات أن يعتنوا بى جيدا قائلين انه باستعادة القائد كيم العافية فقط، سيكون بالامكان الدفاع عن منطقة حرب العصابات ومواصلة النضال المناهض لليابان.

لقد كان للعسل والشاى ودم الغزال فوائد لا ريب فيها، لكننى تنازلت عن كل تلك الاغذية والادوية لرفاقى فى السلاح الذين كانوا يعانون من الامراض بعد العودة من الحملة. اذ اصيب بعضهم ببرد حاد، وآخرون بالتجمد وبالتهاب القولون، والتهاب القصبات.

وعلى الرغم من الحمى، فقد ذهبت فى أحد الايام، بمساعدة سونغ كاب ريونغ، لزيارة الرفاق المرضى. وكان أكثر ما آلم ناظرى هو البزات العسكرية التى كان يرتديها أولئك الرجال. فقد كانت ملوثة بالسناج ومثقوبة بالرصاص، وكان كل ما فيها يحمل آثار المعارك الطاحنة.

كنت قد تقاسمت واياهم الحياة والموت وسط برد ذلك الشتاء القارس؛ فأحسست برغبة قوية فى تأمين الملابس الجيدة لهم وتكريمهم بأشهى المأكولات.

أرسلت جندى اتصال الى فريق الخياطة، وكلفته بمهمة احضار نحو عشرين بدلة عسكرية، ذلك اننى قبل الانطلاق فى الحملة الى منشوريا الشمالية فى الخريف الاخير، كنت قد كلفت زون مون زين بمهمة صنع كمية من الملابس تكفى للوحدة من اجل الصيف القادم.

كان فريق الخياطة يقيم حينئذ فى غابة، فى وادى سولباتغول، بعيدا جدا عن داهوانغواى. كان الفريق مؤلفا من زون مون زين، هان سونغ هى وبضع مغاورات اخريات. وكانت زون مون زين محاربة قديمة مجربة، تعلمت شيئا من اعمال الخياطة فى محافظة دونغنينغ قبل ان تنضم الى جيش حرب العصابات، وكانت الثانية مبتدئة فى هذه المهنة؛ وقد تولت من قبل الاشراف على رابطة الاطفال فى ياوينغكو.

عاد جندى الاتصال بالبدلات، ولكن لم تأت برفقته زون مون زين، وانما جاءت معه هان سونغ هى، قادمة من غابة فى سولباتغول، النائية كجزيرة معزولة، حيث كانت تعنى برفيقتها الحبلى، منتظرة منذ شهور عودة رجال الحملة. وحين رأتنى مريضا، اغرورقت عيناها بالدموع.

بعد أن ارتدى رفاقى البدلات الجديدة امرت هان سونغ هى بالعودة.

وفى صباح اليوم التالى، حين كنت اظن انها اصبحت فى سولباتغول، ظهرت امامى فجأة وهى تحمل مائدة صغيرة يظهر فوقها طبق من عصيدة الصنوبر.

سألتها بدهشة:

"أانت هنا ثانية يا رفيقة اوك بونغ؟ ماذا جرى لك؟"

وقد كان اوك بونغ هو اسمها فى الطفولة. كما كان لها اسم مستعار آخر هو "هان يونغ سوك ".

احنت الفتاة رأسها وكأنها ارتكبت ذنبا:

"أعذرنى ايها القائد العزيز... لم أذهب الى سولباتغول."

لم أصدق ما سمعته. لقد كانت فتاة وفية، بريئة، متواضعة، ولم تكن تتخلف يوما عن تنفيذ أوامر رؤسائها، سواء عندما كانت فى رابطة الاطفال او بعد انضمامها الى جيش حرب العصابات. ومع ذلك، ها هى تتخلف عن تنفيذ أمر اصدرته لها، وهو ما يمكن اعتباره حدثا خطيرا.

"لم أستطع الرجوع. وهل تظن ان الاخت مون زين ستكون سعيدة بعودتى اليها، بينما أنت طريح الفراش؟"

لقد أحسست بالامتنان طبعا لهذه المشاعر العميقة. ولكننى وضعت فى جعبتها لفافة من حبوب الدخن والطحالب البحرية الجافة وقلت لها موضحا:

"يوجد هنا اشخاص كثيرون يعتنون بى... فلا تقلقى بشأنى؛ عليك ان ترجعى اليوم بالذات الى سولباتغول. والا، فتصورى ما الذى سيحدث لزون مون زين. لقد قيل لى انها حبلى فى شهرها الاخير. ولن تستطيع ان تضع مولودها دون مساعدتك."

فقالت فى محاولة لاقناعى:

"اننى مستعدة لتنفيذ جميع اوامرك ايها القائد، باستثناء هذا الامر... لقد قالت مون زين انها لن تسامحنى اذا أنا لم أعتن بك. ارجوك ان تتفهم وضعى. وهل من العدل ألا تكون الى جانبك امرأة واحدة وانت فى أشد لحظات مرضك حرجا؟"

"أرجوك يا سونغ هى أن تعودى وتعتنى بالرفيقة مون زين."

وفى تلك اللحظة تدخل آمر السرية لى هيو سوك، واخرجها من المأزق:

"ايها الرفيق القائد، لا يمكن لهان سونغ هى أن تقوم بدور القابلة. وكيف يمكنها ذلك وهى ما تزال صبية صغيرة بلا خبرة فى هذا المجال؟"

فتراجعت عن أمرى الذى أصدرته بعد أن وعدنى آمر السرية بالبحث عن قابلة مجربة لمساعدة مون زين.

منذ ذلك اليوم، أصبحت هان سونغ هى تعتنى بى ليلا نهارا. وكانت تضع لى على المائدة دائما طبقا من عصيدة الصنوبر. وبناء على طلبها، كما يبدو، راح جنود السرية الرابعة يخرجون اكواز الصنوبر من تحت طبقات الثلج فى غابة ياوينغكو. وكان آمر السرية نفسه يتسلح بعصا ويخرج كل صباح للبحث عن اكواز الصنوبر المطمورة بالثلج.

بذلت هان سونغ هى كل جهدها للعناية بى؛ فكانت تقضى الليالى ساهرة وتقول انها لا تستحق ان تكون كورية اذا لم يشف القائد بسبب اهمالها فى العناية به. وذات مرة، ولا اذكر بالضبط متى حدث هذا، قصت خصلات من شعرها لكى تبطن بها حذائى، وقد جعلتنى تلك الواقعة ارى انها فضلا عن حساسيتها، اذ كانت تبكى أو تضحك متأثرة بأى شىء تملك صفات عظيمة، حتى انها لا تتردد عن اقتطاع اجزاء من لحمها وتقديمها لرفاقها اذا اقتضى الامر.

ان رابطة الدم لا يمكن ان تذهب هباء. فجميع افراد اسرة هان سونغ هى كانوا ثوريين يتحلون بالتراحم وبالمزايا الانسانية العالية. فوالدها هان تشانغ سوب، كان احد رواد الثورة المناهضة لليابان فى منطقة بييهاماتانغ جنبا الى جنب مع لى كوانغ، وكيم تشول، وكيم وون سيك وغيرهم من المقاتلين. وقد سقط صريعا فى ربيع عام ١٩٣٢ بضربة سيف من القوات "التأديبية" اليابانية، فيما كان مشغولا جدا بتأمين المواد التموينية لمفرزة لى كوانغ الخاصة بوصفه رئيسا لجمعية مناهضة اليابان فى دافانغجي. كما قضت أختها الكبرى هان اوك سون نحبها حرقا على يد الاعداء، وسقط أخوها هان سونغ وو شهيدا فى ساحة القتال.

وفى وانغتشينغ، قام ابن عمها ورفيقى فى السلاح هان هونغ كوون بتنفيذ مهمات كثيرة معى فى المناطق التى يسيطر عليها العدو، قبل حل قواعد حرب العصابات، وقد ذاع صيته فيما بعد كقائد احدى مفارز القوات الموحدة المناهضة لليابان فى منشوريا الشمالية. وقد استشهد هو واخوته الاربعة بشجاعة فى ميادين القتال.

كانت هان سونغ هى وأختها قد قررتا الالتحاق بجيش حرب العصابات كى تثأرا لابيهما. ولكنهما اختلفتا عند طرح السؤال الفاصل: أيهما ستذهب وأيهما ستبقى للعناية بالام والبيت؟ وقد وجدت هان سونغ هى نفسها فى وضع غير مؤات لان سنها أصغر من ان تكون مناسبة لحرب العصابات.

ففاجأت الصغرى اختها دون ان تفقد الامل:

"لا تستخفى بى لصغر سنى. اننى قادرة على عمل كل ما تعملينه. ثم انك تعرفين ان طول قامتى لا يقل عن طول قامتك. "

فانطلقت الكبرى الى هجومها المضاد برباطة جأش:

"على الرغم من طول قامتك، إلا انك لا تستطيعين الذهاب الى أى مكان. فما زالت رائحة الحليب تفوح منك. ويجب ان اذكرك بالمثل القائل: (الشجرة التى لا تستطيع تسلقها، غض بصرك عنها). أنت ستبقين فى البيت لتعتنى بأمنا، ويمكنك ان تشغلى وقتك فى شؤون رابطة الاطفال. "

لم تشأ أى منهما التنازل للاخرى عن شرف الانضمام الى حرب العصابات. وقد سمعت الام بالصدفة مقاطع من حوار ابنتيها وهما فى الفراش، ذلك الحوار الذى كان يتقرر به مصيراهما. شقت الام فى تلك الليلة تنورتها القطنية الوحيدة، وصنعت منها طول الليل جعبتين لهما المقاس والشكل نفسه. ثم ملأتهما بدقيق الارز المحمص. وفى الصباح، عرفت الاختان ان الجعبتين تضمان مؤونتهما للطريق، وكانتا مثل دوطة زفاف تقدمها اليهما أمهما.

قالت المرأة لابنتيها:

"لا يمكننى ان أنعم برعايتكما. وما الحاجة الى بر الوالدين حين يكون الوطن مغتصبا؟ يمكننى ان اتدبر امورى دون رعايتكما لى. فاذهبا معا الآن والتحقا بجيش حرب العصابات."

"ماما، ايتها الحبيبة!"

احتضنت الابنتان امهما باكيتين، وبكتا كذلك حين أقسمتا يمين الوفاء والاخلاص عند وداعها.

وفى ربيع عام ١٩٣٤، ارسلنا هان سونغ هى الى فريق الخياطة التابع مباشرة للقيادة العامة.

لقد كانت مغاورة واعدة. ويمكن القول ان النقيصة الوحيدة فى طباعها هى ثقتها المفرطة بالجميع. فقد كانت شديدة اللطف كامرأة ولكنها كمغاورة كانت وديعة وطيبة وعديمة الحذر الى حد مثير للدهشة. وبسبب قلة حذرها تلك وقعت اسيرة فى قبضة العدو، ولم تستطع مواصلة الثورة.

فاثناء تنفيذها امرا اصدرته اليها، اتخذت مع مجموعة من المقاتلين الطريق نحو الشمال للالتحاق بالوحدة الرئيسية، ولكن العدو حاصرهم فى غابة ايرداوهيجى بمحافظة نينغآن. كانت الفدائية الشابة تغسل شعرها وتدندن بأغنية دون ان تنتبه الى اقتراب عشرات الجنود من جيش منشوكو العميل وهم يصوبون اليها بنادقهم. وفيما كنا ننظم فرقة جديدة فى منطقة فوسونغ، كانت هان سونغ هى تمضى أياما عصيبة من التعذيب خلال استجواب العدو لها فى لوزوكو.

وكان بين الخفراء الذين يحرسون المعتقلين خفير كورى متيقظ الضمير، وقد تعاطف خفية مع هان سونغ هى. كان قد شارك فى الثورة من قبل، ولكنه وقع وثيقة تنازل عن مبادئه بعد اعتقاله، وكان يشعر بالخزى فى قرارة نفسه. وحين انتبه الى ان الجلادين ينوون قتل الفتاة، اقترح عليها ان يهربا معا. قال لها انه سيتخلى عن السلاح ويذهب معها الى كوريا او يتوغل فى جبل قصى ويبنيا فيه كوخا لهما. وافقت هان سونغ هى، وتمكنت لحسن الحظ من الفرار بمساعدته. وقد تزوجا وكونا أسرة فيما بعد.

لقد احزننا كثيرا خبر وقوع هان سونغ هى اسيرة فى قبضة العدو. بل ان بعض المغاورات امتنعن حتى عن تناول الطعام تأثرا وحزنا عليها. وقد كان ذلك مفهوما لانهن قدرنها واحببنها بعمق وكأنها اختهن. و ما زال المقاتلون الذين عاصروا مرحلة وانغتشينغ يحتفظون الى الآن بذكريات طيبة عنها.

لقد علمت ان اولاد هان سونغ هى كانوا يشعرون بحرج شديد بشأن السبيل الذى سلكته امهم. وفكروا بمدى سعادتهم وفخرهم لو ان امهم بقيت فى صفوف حرب العصابات مثل غيرها من المناضلات القديمات حتى يوم تحرير الوطن.

لا شك انه كان من الأفضل لو انها واصلت النضال ولم تقع اسيرة بيد العدو. ولكن الثورة لا تتقدم على درب مستو وممهد، وليست سباق جرى لمسافة مئة متر يمكن لاى كان ان يصل الى نهايته اذا جرى بكل طاقته فور اعطاء اشارة الانطلاق.

الثورة هى سباق متواصل نحو النصر وسط النجاحات والاخفاقات، والتقدم والتقهقر، والصعود والسقوط التى تتوالى دون انقطاع. فما هى المحن غير الواردة فى هذا السياق الطويل!

وقد قيل لى ان هان سونغ هى كانت تنصح اولادها كلما تذمروا من أبويهما قائلة لهم:

"يجب الا تقلقوا بشأن بعض الاخطاء فى ماضى والديكم. فحزب العمل الكورى لا يلقى جريرة اخطاء الابوين على الابناء. وليس الابناء بمسؤولين عن أخطاء آبائهم بمقتضى سياسة زعيمنا. كل شيء رهن بكم، فكونوا مخلصين للزعيم ولا تفكروا بأى شيء آخر. "

لقد أحسنت هان سونغ هى التصرف بتربية اولادها هكذا. لقد كانت امرأة حية الضمير ونقية الروح، وبقيت على ايمانها الراسخ بالحزب حتى اللحظة الاخيرة من حياتها.

لقد ساعدتنى عصيدة الصنوبر والدخن مع لحم الايل على مغادرة الفراش بعد ثلاثة ايام، وان كنت لم أشف تماما.

وعندئذ اطلعنى آمر السرية لى هيو سوك على تفاصيل الوضع الذى يعصف بمنطقة حرب العصابات بفعل الاعصار الاهوج الذى أثاره النضال ضد "مينساينغدان".

لقد شرح لى كيف جرى اغتيال كوادر وقادة فى هذه المحافظة أو تلك، ملصقين بهم تهمة الانتماء الى "مينساينغدان". فاذا كان كلامه صحيحا، فمن الممكن القول ان جميع الكوادر القيادية فى محافظات ودوائر تشينتاو وجميع آمرى السرايا ومن هم اعلى منهم مرتبة بين قادة وحدات حرب العصابات فيها قد ابيدوا. لقد قتلوا كل من يعرف الكتابة او الخطابة من الكوريين. كما قتلوا جميع القادة والمقاتلين فى وحدتنا ممن يمكن اعتبارهم عناصر النخبة الذين تركناهم فى وانغتشينغ عندما انطلقنا فى الحملة الى منشوريا الشمالية. اما أولئك الذين لم يتسن لهم قتلهم، فقد عزلوهم بنعومة وبساطة من مناصبهم فى امانة او رئاسة الجمعيات، وفى اللجان الحزبية المحلية، الخ...

لقد كان تأسيس "مينساينغدان" نتاج تغلغل هيمنة الامبرياليين اليابانيين الاستعمارية على الصعيد الفكرى فى كوريا. وقد اسسوها بهدف تحويل الثورة الكورية الى ارض بور مجدبة عن طريق المؤامرات والمكائد الماكرة. فبعد اخفاق سياسة الحراب والسيوف، و المزاعم القائلة ان "اليابان وكوريا جسد واحد" وان اليابانيين والكوريين ينحدرون من أصل واحد"، التى طرحوها مزينة بمنديل "السيطرة الثقافية" الحريرى، حاولوا تفادى المصاعب فى حفظ الامن وتدمير القوى الثورية عن طريق اثارة الاقتتال فيما بين الكوريين.

بعد حادثة ١٨ أيلول (١٩٣١)، ظهر القلق الشديد على الحاكم العام سايتو من

النهوض الثورى الساحق فى منشوريا، فاوعز الى القوميين الموالين لليابان، من امثال باك سوك يون، المبعوث الى منشوريا الشرقية ضمن فريق التفتيش فى تشينتاو؛ وزون سونغ هو، زعيم جمعية تشجيع الحكم الذاتى فى يانبيان؛ وباك دو يونغ، مستشار جيش منشوكو المعتمد فى آنزى، وكيم دونغ هان، عميل المخابرات اليابانية والمعادى من الطراز الاول للشيوعية، لكى يؤسسوا فى مدينة آنزى منظمة "مينساينغدان" فى شباط ١٩٣٢.

وقد طرحت هذه المنظمة، ظاهريا، شعارات براقة مثل: "ضمان الحق بالوجود كأمة"، "بناء ارض حرة وسعيدة"، "الحكم الذاتى للكوريين فى تشينتاو"، واعلنت ان هدفها الأقصى هو "حل مسألة حياة الكوريين". ولكنها كانت فى الواقع هيئة تآمرية وتجسسية ترمى الى شل الوعى المعادى لليابان لدى الامة الكورية، وتشويه سمعة الشيوعيين الكوريين وعزلهم عن الشعب، ودق اسفين بين الشعبين الكورى والصينى لتفكيك صفوف الثورة من الداخل.

وتنكشف حقيقة طبيعتها الرجعية بمجرد تصفح وثائقها، مثل " الهدف التنظيمى" و"البرنامج "، الذى يشير الى ان "السبيل الوحيد" الذى يتوجب على الأمة الكورية ان تسير عليه هو "تصنيع الحياة" فى ظل هيمنة الامبريالية اليابانية الاستعمارية. وكان الاعداء يصفون مرحلة هيمنتهم الاستعمارية على كوريا ومنشوريا بانها "المرحلة العليا" من اجل "تأمين واستكمال الحق فى الوجود"، وكانوا يصفون كوريا ومنشوريا اللتين تحولتا الى عالم ظلامى تحت نير هيمنتهم، بأنهما "ارض الحرية والادارة الذاتية"، وكانوا يلحون من جهة اخرى بأنه يتوجب على الكوريين أن " يشيدوا فردوس حريتهم" فى منطقة تشينتاو، موحين بذلك بان الكوريين يرحبون بالاحتلال والسيطرة الاستعمارية اليابانية فى منشوريا، ويبيتون مطامع اقليمية لأراضى تشينتاو فى محاولة من الامبرياليين اليابانيين لتقويض علاقات حسن الجوار والروابط الثورية بين شعبى كوريا والصين وشيوعييهما.

ان سوابق مؤسسى "مينساينغدان"، ابتداء من رئيسها، ونائب رئيسها وحتى امنائها، تثبت بالملموس انها منظمة عملاء معادين للشيوعية بالكامل.

فالمدعو زو بيونغ سانغ، مدير نادى كابزا فى كيونغسونغ؛ وباك سوك يون، نائب مدير صحيفة "مايل سينبو"؛ وزون سونغ هو، من جمعية تشجيع الحكم الذاتى فى يانبيان؛ وكيم دونغ هان وغيرهم ممن انهمكوا فى تأسيس هذه المنظمة، كانوا يقدمون انفسهم على أنهم قوميون وثوريون، متشدقين بحبهم للوطن والشعب، بينما هم جميعا، ودون استثناء خونة روضهم اليابانيون منذ زمن بعيد.

بدأ باك سوك يون الخطوة الاولى فى حياته الموالية لليابان بالذهاب الى تلك البلاد للدراسة وهو فى السادسة عشرة من عمره وقد درس ببحبوحة فى كلية الحقوق وقسم الدراسات العليا فى جامعة طوكيو الامبراطورية، ثم فى جامعة كمبريدج ببريطانيا وغيرها من الجامعات الراقية. ويقال انه كان يتلقى خلال دراسته فى بريطانيا مبلغا ضخما يزيد على ثلاثة آلاف وون سنويا من ادارة التعليم فى هيئة الحاكم العام.

وقد كانت المناصب التى شغلها بعد دراسته فى الخارج أكثر بريقا وأبهة. فقد عمل مراسلا لصحيفة "دونغآ ايلبو"، ونائبا لمدير صحيفة "مايل سينبو"، ومستشارا فى وزارة خارجية حكومة منشوكو بتفويض من وزارة الخارجية اليابانية، وقنصلا عاما لدولة منشوكو لدى بولونيا، ومناصب اخرى تولاها على التوالى بعد عودته الى البلاد، فضلا عن سابقته الشهيرة بالمشاركة فى اجتماع الجمعية العمومية لعصبة الامم المنعقد فى جنيف عام ١٩٣٢ كعضو فى الوفد اليابانى الذى ترأسه وزير خارجية اليابان حينئذ ماتسووكا يوسوكه، وهذا الوزير هو نفسه الذى سيوقع بعد بضع سنوات معاهدة الحياد السوفييتية- اليابانية بصفته رئيسا لوفد اليابان. ان تقلب باك سوك يون فى هذه المناصب هو دليل كاف على عمق ثقة الحكام اليابانيين به. ولكى يظهر بوجه قومى، جعله الامبرياليون اليابانيون يكتب افتتاحيات ضد سيطرتهم الاستعمارية، وان يواجه الحاكم العام مباشرة محتجا على استبدال كنى الكوريين بكنى يابانية، وان يقيم علاقة مع "الاتحاد لبناء الدولة" الذى يتزعمه ريو وون هيونغ، فى المرحلة الاخيرة من حرب الباسفيك. ولكن، على الرغم من ذلك كله، لم يكن ثمة كورى واحد فى تشينتاو ينظر اليه بعين الرضا، بل كان الجميع

يكنون له الحقد والعداوة بسبب قضية "مينساينغدان" وغيرها من القضايا.

وبعد تحرير البلاد، جرى اعتقاله فى يانغدوك، حيث كان متخفيا باسم "باك داى وو" وحوكم كخائن للوطن. وقد اعترف فى المحاكمة بان مبدأه السياسى هو "الحكم الذاتى القومى" للكوريين تحت سيطرة الامبريالية اليابانية؛ وانه يعتقد بأنه على كوريا ان تسير على طريق التطور السياسى الذى سارت عليه المستعمرات الانكليزية فى كندا واتحاد جنوبى أفريقيا، وانه انطلاقا من هذه الرؤية السياسية، اقام علاقة صداقة مع الحاكم العام اليابانى سايتو، وكان يقدس ايشيهارا كانزى، اليابانى المشهور بدعوته للهيمنة على العالم، والملهم الروحى لرابطة آسيا الشرقية.

كما انه انكر انكارا حاسما ان يكون الهدف من تأسيس "مينساينغدان" هو تصفية الحزب الشيوعى وجيش حرب العصابات، واوضح ان هدفها فى البداية كان "مجرد ضمان حق الوجود"، ولكنها تحولت بعد مغادرته تشينتاو، الى منظمة عملاء وجواسيس يحركهم الامبرياليون اليابانيون، وانه قد فوجئ بأخبار النتائج الفظيعة التى اسفر عنها النضال ضد "مينساينغدان"، وانه ادرك حينئذ بأنه لم يكن سوى ألعوبة بيد اليابانيين.

ان التاريخ وحده هو القادر على اظهار حقيقة اعترافات باك سوك يون. ومع ذلك، وسواء أكانت اعترافاته صادقة أم كاذبة، فانه لا يمكن لأى حجج ان تدحض كونه كلبا وخادما مخلصا للامبرياليين اليابانيين.

واذا كان باك سوك يون، الذى لعب دور القابلة فى ولادة "مينساينغدان"، مرتويا من ماء اليابانيين، فان كيم دونغ هان، المشرف على تنفيذ المؤامرات التى تحوكها هذه المنظمة، كان متخما بالمياه الروسية. لقد بدأ حياته الاجتماعية فى الحركة الشيوعية، فقد انخرط فى صفوف الحزب الشيوعى فى روسيا فور انتصار ثورة اكتوبر؛ وشغل، على التوالى، منصب عضو الشعبة العسكرية فى حزب كوريو الشيوعى، ورئيس مجموعة الضباط، واظهر دون تحفظ كفاءته كخريج مدرسة عسكرية. ولكن، لدى اعتقاله من قبل الامبرياليين اليابانيين فى بريموريه، فى أوائل العشرينيات، تحول على الفور الى عميل يتصدر صفوف العداء للشيوعية.

بعد حل "مينساينغدان"، انشأ كيم دونغ هان، بموافقة جيش كوانتونغ، منظمة خليفة لها هى "جمعية تشينتاو للتعاون "، ومن خلال ما سمى فرقة متطوعى الدفاع الذاتى التى شكلها من أكثر من مئة رجعى، سعى بعناد الى "تأديب " الجيش الثورى. لقد كان متمثلا للجنسية اليابانية تماما، حتى انه كان يتصرف احيانا وكأنه يابانى ولد فى كوريا. وكان خائنا من الطراز الأول، ومعبئا حتى النخاع بعادات العملاء المأجورين لدرجة انه كان يشيد بالدعوة الى وجوب قيام الكوريين بالتفانى فى خدمة اليابان باعتبارها وطنهم. وقد أشار خبر نشرته جريدة "مانسون ايلبو" الى أن عدد الشيوعيين الذين جعلهم يعلنون عودتهم الى "الطاعة" وصل الى ما لا يقل عن ٣٨٠٠ شخص.

وبعد موته، اقام له الامبرياليون اليابانيون تمثالا برونزيا فى حديقة آنزى الغربية، ونصبا تذكاريا على شرف مآثر "جمعية تشينتاو للتعاون".

من الضرورى القاء الضوء على الوجه الحقيقى لما سمى "استراتيجية مينساينغدان"، والتى كانت مجرد أكذوبة ايديولوجية ضمن "استراتيجية الأمن فى تشينتاو" للامبريالية اليابانية، وقد "اصابت نجاحا عندما كشفت كامل وجوه المنظمة الثورية فى هذه المقاطعة، واعتقلت نحو اربعة آلاف شخص ودمرت الارضية الاجتماعية التى كانوا يستندون اليها".

لقد كان واضحا منذ البداية ان "مينساينغدان" لم تكن منظمة لبذل جهود القوميين فى حل مسألة حياة السكان فى تشينتاو، على الرغم من ان الامبرياليين اليابانيين بذلوا كل مساعيهم لاظهارها على ذلك النحو.

فاليابانيون لم يدخروا وسعا فى كيل المديح لتزيين لافتة "مينساينغدان" ودورها فى حل المصاعب التى تواجه حياة الشعب، ولكن المنظمات الثورية فى منشوريا الشرقية لاحظت على الفور ان زعماء "مينساينغدان" يدخلون ويخرجون بكثرة من البوابة الخلفية للقنصلية اليابانية. ولم يستطع الاعداء اخفاء الوجه الحقيقى "لمينساينغدان" طويلا عن انظار الشعب الثاقبة. وقد عرينا جوهرها كما يجب فى المطبوعات الثورية والمحاضرات، وخضنا النضال ضدها عبر حملة جماهيرية

واسعة. فخرج من صفوفها على الفور أولئك الذين انضموا اليها مخدوعين بلافتتها، اما من تحولوا الى عملاء للعدو وشاركوا بمؤامراتها، فقد كشفتهم الجماهير وأعدمتهم.

وبعد فترة قصيرة من تأسيسها، وجدت "مينساينغدان" نفسها مضطرة الى ابتلاع تراب الهزيمة وحل نفسها. ولم يفلح الامبرياليون اليابانيون فى توطيدها فى أى موقع من مواقعنا.

فكيف أمكن اذن ان تستمر المعركة ضد "مينساينغدان" البائدة؟ ولماذا سادت قواعد حرب العصابات فى تشينتاو، حيث يوجد الحزب والسلطة الشعبية، أجواء المجازر التى استمرت ثلاث سنوات تحت اتهامات ملفقة بالانتساب الى "مينساينغدان"؟

ان السبب الرئيسى فى ذلك يكمن فى مؤامرات الامبرياليين اليابانيين. فمنظمة "مينساينغدان" التى رأت النور بدعم كامل من الحاكم العام سايتو، وبتدخل نشط من جانب اركان القنصلية اليابانية فى لونغجينغ، قد حلت ظاهريا مع ارسال القوات المرابطة فى كوريا الى تشينتاو فى نيسان عام ١٩٣٢، ووفقا لمشيئة الحاكم العام الجديد اوغاكى. ولكن الحملة من اجل بعثها من جديد كانت تتم سرا، ولكن بالحاح، وكان محور تلك الحملة كيم دونغ هان وباك دو يونغ وغيرهما.

ففى ربيع عام ١٩٣٤، قام كاتو هاكوزيرو، قائد الدرك فى آنزى (وقائد الحامية الخاصة فى شمال الصين الى ما قبل هزيمة اليابان)، وتاكامورى يوشى، قائد الكتيبة السابعة من مشاة الحامية المستقلة، ومعهما باك دو يونغ وموالون آخرون لليابان، بالعودة الى مناقشة مسألة الامن فى تشينتاو، واتفقوا على بعث "مينساينغدان" مجددا، وهكذا بدأ الطور الثانى من نشاطاتها التآمرية.

وبعد ان اوضحوا ان بعثها يشكل معارضة ايديولوجية للجنة الحزب فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة التابعة للجنة اقليم منشوريا، حددوا المضمون الاساسى لنشاطاتها كما يلى: أولا، "اجراء قوى لاثارة التدمير الذاتى والانقسام فى وحدات حرب العصابات الكورية"؛ ثانيا، "اجراء لقطع طرق امداد وحدات حرب العصابات الكورية بالحبوب"؛ ثالثا، "توجيه النصائح الملحة الى مقاتلى حرب

العصابات الكوريين للاستسلام والارتداد"؛ رابعا، "تدابير لحماية المستسلمين والمرتدين وحراسة اماكن اقامتهم"؛ خامسا واخيرا، "تقديم العمل للمستسلمين وتعيينهم فى مهن تتناسب مع كفاءتهم "، وقرروا ان تقوم قوة الدرك فى آنزى بتوجيه جميع هذه الاعمال التآمرية.

وفى ايلول ١٩٣٤، شكلوا "جمعية تشينتاو للتعاون"، وهى جهاز خاص يهدف الى التعامل الكامل مع المستسلمين والمرتدين الذين سيظهرون مع تكثيف نشاطات "مينساينغدان"، والتحقق من أنهم غير مرتبطين بعلاقات سرية اخرى ومن مصداقية استسلامهم، والقيام بتثقيفهم لتحويلهم فكريا. وقد دمجوا "مينساينغدان" بهذه المنظمة.

لقد حاكت "جمعية تشينتاو للتعاون" برئاسة كيم دونغ هان، عدة مؤامرات مستغلة ببراعة النضال ضد "مينساينغدان" الذى كانت تخوضه اللجنة الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة.

وكانت النقطة السياسية الاساسية التى اتخذها المتآمرون اليابانيون الخسيسون مرتكزا للحملة الفكرية ضد الحزب الشيوعى وجيش حرب العصابات المناهض لليابان، هى خصائص البنية التنظيمية لجيش حرب العصابات فى منشوريا الشرقية ونظام قيادته. فقد رأوا ان حلقة الضعف الأساسية فى الجيش الثورى الشعبى تتمثل فى كونه قوات مسلحة مشتركة لشيوعيى كوريا والصين. وقدروا بأحكامهم الذاتية ان الكوادر القياديين الصينيين لا يثقون باعضاء الحزب الكوريين ويراقبونهم باستمرار، ولذا فانهم على خلاف فيما بينهم، وانطلاقا من وجهة النظر هذه، حاولوا دق اسفين ما بين شيوعيى البلدين. كانوا يقولون: ان الدماء التى يريقها الكوريون فى منشوريا لا تساهم مطلقا فى تحقيق استقلال وطنهم او تحرر أمتهم؛ فلماذا يقاتلون اذن بتلك الضراوة؟ ولماذا يخضع الكوريون المتفوقون عددا لأوامر الصينيين، ويهدرون دمهم سدى فى المعارك؟ تنبهوا واستيقظوا بسرعة، فالطريق مفتوح الآن للاستسلام والارتداد... هذه الافكار التى حاولوا نشرها بالحاح شكلت جوهر دعاية "مينساينغدان" على صعيد التآمر الايديولوجى.

وبعد حل هذه المنظمة، اطلق الامبرياليون اليابانيون عملاءهم واعوانهم لترويج

اشاعة تزعم ان مناطق حرب العصابات مخترقة بعناصر كثيرة من "مينساينغدان"، ولتوجيه الاتهامات الى الكوادر والثوريين المخلصين فى محاولة لاثارة شكوكهم وجعلهم يرتابون ببعضهم البعض. ففى وثيقة سرية بعنوان "تجارب تدمير الحزب الشيوعى فى تشينتاو"، يؤكد الاعداء أنهم ارسلوا فى اول الأمر الى وحدات حرب العصابات مجموعات من عشرة افراد من "مينساينغدان"، ولكن بعد اكتشافهم واعدامهم جميعا، لم يعد بامكانهم مواصلة هذا الأسلوب، فانتقلوا الى تطبيق تكتيك تشجيع عدم الثقة وبذر بذور الشقاق بين الكوريين والصينيين، وبين العمال والفلاحين، وبين الرؤساء والمرؤوسين، وقد فسح ذلك المجال لاقتتال الشيوعيين فيما بينهم.

وقد كانت مذهلة حقا براعة المتآمرين اليابانيين فى تفكيك صفوف الثورة من الداخل. ولنر احد اساليبهم التى اتبعوها. ولنأخذ على سبيل المثال حالة كادر من اللجنة الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة يريد الذهاب الى منطقة معينة للتفتيش؛ حينئذ يكتبون رسالة مزيفة موجهة الى كادر على مستوى المحافظة او الدائرة كان يتردد على تلك المنطقة للتوجيه والارشاد من قبل، ويتركون الرسالة فى الطريق الذى سيسير عليه الكادر. فما الذى سيخطر بباله عندئذ بشأن من وجهت اليه الرسالة؟

وسبب آخر لاتخاذ النضال ضد "مينساينغدان" اسلوبا يساريا متطرفا يتمثل فى المطامع السياسية الدنيئة للانتهازيين اليساريين والفئويين المرتهنين للقوى العظمى من كل شاكلة، ممن كانوا يشغلون مناصب مسؤولة فى لجان الحزب فى اقليم منشوريا وفى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة وفى اجهزة المحافظات والدوائر.

واذا كان الانتهازيون اليساريون، ممن احتكروا المواقع القيادية فى الصفوف الشيوعية، يحاولون استغلال نضال الشيوعيين الكوريين الثورى الذى كان يتقدم محرزا الانتصارات، لتحقيق طموحاتهم السياسية، فان المرتهنين للقوى العظمى الذين لم يتخلصوا من عاداتهم الفئوية، حاولوا استغلال ذلك النضال، بدعم وتساهل من أولئك الانتهازيين، لتصفية كل من يعرقل اهدافهم الفئوية دون رحمة، وزيادة نفوذ جماعاتهم.

وهكذا كانت "مينساينغدان" ذريعة لانتزاع الكراسى من الآخرين. فكان يكفى القول: "أنت من (مينساينغدان)، وعليك ان تتخلى عن منصبك أو تموت". وحيال

هذا الحكم لا سبيل الى تقديم اى استئناف، وحتى اذا جرى تقديم هذا الاستئناف، فانه لن يؤخذ بعين الاعتبار.

واما تغلغل "مينساينغدان" الذى روجت له الامبريالية اليابانية، فكان مثل مادة سريعة الاشتعال، أججت مطامع الهيمنة والوصولية لدى الطامحين مع أعوانهم الى احتلال جميع المناصب فى الحزب والمنظمات الجماهيرية وقوات حرب العصابات، كما كان اتساع حملة "التطهير" التى تواصلت تحت اسم القضاء على "مينساينغدان"، فرصة مناسبة استغلها المتآمرون الساعون الى تصفية جميع القوى الثورية فى مناطق حرب العصابات.

وفى نهاية المطاف، حشد الاصدقاء والاعداء جهودهم، وانهمكوا فى مهمة سحق مناطق حرب العصابات. وهى علاقة غريبة لا يمكن العثور على مثيل لها فى تاريخ أى من الحروب الثورية فى العالم.

وكما هو واضح، فقد جرى النضال ضد "مينساينغدان" بأساليب عبثية وقاسية وخرقاء تخجل منها القوانين العسكرية فى اى دولة فاشية، بل ومحاكم التفتيش فى العصور الوسطى. وكان ذلك محصلة مؤامرات الامبريالية اليابانية الخسيسة، والجهل السياسى والفكرى لبعض اعضاء لجنة الحزب فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة الذين خدعتهم الامبريالية اليابانية او انساقوا وراء اهدافهم الدنيئة.

والصيغ التى كانت تستخدم لتوجيه تهمة "المينساينغدانية" لا حصر لها، ويمكن تصنيفها فى مئات الاصناف.

فاذا لم يطبخ احد طهاة جيش حرب العصابات الارز جيدا، يكون ذلك مبررا لاتهامه. ووجود حصاة صغيرة فى الحبوب المطبوخة او تناول الطعام ممزوجا بالماء كان يعتبر " دليلا على النية بنشر المرض بين سكان منطقة حرب العصابات"، ومبررا لالصاق بطاقة "متأثر (بمينساينغدان)" الرهيبة.

وقد كانت تهمة "مينساينغدان" قابلة للتطبيق على كل شىء وكما يقول المثل الشائع: "اذا علق شىء فى الاذن فهو قرط واذا علق بالأنف فهو حلقة". فاذا اصيب احدهم بالاسهال، اتهم "بالمينساينغدانية" لأنه يضعف القدرة القتالية، كما كانوا

يقولون؛ واذا تنهد اتهم بشل الوعى الثورى؛ واذا انطلقت رصاصة بطريق الخطأ من احدهم، اتهموه بالتهمة نفسها متذرعين بأنه يريد الوشاية بموقع قوات حرب العصابات؛ واذا اعرب عن شوقه لمسقط رأسه، قالوا انه يحاول نشر الافكار القومية؛ واذا عمل بنشاط، استنتجوا انه يحاول التستر على حقيقته. وهكذا، لم يكن هناك من يستطيع الهرب من هذه التهمة.

فمسؤول لجنة اتحاد مناهضة الامبريالية فى محافظة هيلونغ، ولقبه "كودو"، وقع بقبضة عناصر من مفرزة الدفاع الذاتى اثناء ادائه مهمة سياسية فى تشانغينجيانغ، وقد اقتيد الى منصة الاعدام مع ثلاثين وطنيا آخر.

صف عناصر مفرزة الدفاع الذاتى المعتقلين، وراحوا يقطعون رؤوسهم واحدا بعد الآخر. ولم يستطع "كودو" تفادى ضربة السيف بالطبع. ولكن الغريب ان رأسه لم يتدحرج على الارض. فقد قطع السيف جلد ولحم رقبته الذى تهدل على ظهره وغطاه بالدم. لقد كان جرحه أشد ايلاما من الموت نفسه. سقط "كودو" على الارض فاقد الوعى، وغادر الجلادون المكان. وقد استرد وعيه فى الليل؛ فنهض بمشقة واعاد اللحم والجلد الى مكانهما متحملا الألم الحاد. ثم مزق ثيابه وربط بها الجرح، وزحف بعد ذلك وتدحرج الى ان وصل الى منطقة حرب العصابات فى يولانغتشون بعد ان قطع أكثر من ٦٠ رى فى الجبال الوعرة.

وقبل ان تلتئم جراحه تماما، قبض عليه اليساريون واحالوه الى محكمة مفتوحة. اتهموه بأنه عميل معاد، وانه حسب زعمهم، جرح نفسه ليعود الى منطقة حرب العصابات ويتغلغل بعمق اكثر فى صفوف الثورة. واوردوا سلسلة طويلة من "جرائمه "، ولكن أيا من الجماهير المجتمعة فى المحكمة لم يوافق على الحكم عليه بالموت. فاصدر منظمو المحاكمة حكما آخر بحقه: ابقاء المتهم حيا لفترة تجريبية من اجل كشف حقيقته. ولكنهم ما لبثوا ان قتلوه غدرا.

وهكذا كانت محافظة هيلونغ هى الاكثر قسوة وتطرفا فى حمل النضال ضد "مينساينغدان" الى مستنقع اليسارية المتطرفة، لان قادة منظمتها الحزبية كانوا يتحكمون، على هواهم، بمصائر الناس لتحقيق مآربهم السياسية.

وكان رأس حربة "التطهير" موجها الى أناس نموذجيين فى ممارستهم الثورية ويتمتعون بثقة الجماهير، وأشخاص نزيهين لا يعرفون التملق او الخنوع، ولا المهادنة مع الجور.

وقد كان كيم سونغ دو، احد أشد الكوادر الكوريين تطرفا يساريا فى الصراع ضد "مينساينغدان"، على الرغم من انه كان يعيش حياة فساد وفجور عندما اتخذت لجنة الحزب فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة مقرا لها فى وانغتشينغ . فقد كان يكثر من التردد على حفلات القصف ولعب القمار برفقة زوجته وعدد آخر من كوادر اللجنة فى المنطقة الخاصة ولجنة المحافظة الحزبية. وحيث ان زوجته كانت تهمل واجباتها المنزلية بدعوى انها "امرأة عصرية"، فقد كان اعضاء من رابطة الاطفال يتولون جميع اعمالها المنزلية تقريبا. وكان كيم سونغ دو يبدى اعجابه بجمال نبتة الأفيون، ويعبئ الاهالى لزراعتها، ثم يطالبهم بعد ذلك باحضار عصيرها اليه. وكان مع ذلك يكثر من الحديث عن "نزاهته السياسية".

لقد كان من غير المعقول ان يقوم كيم سونغ دو بتصفية ثوريين شرفاء متهما اياهم بأنهم من "مينساينغدان"، فى الوقت الذى كان يعيش فيه حياته الخاصة بمنتهى القذارة. بل انه كان يفرض على اعضاء رابطة الاطفال كتابة محاضر الاعترافات قائلا انهم منتمون الى "مينساينغدان".

لقد انشبت العناصر اليسارية مخالبها السوداء ايضا فى كيم كون سو، المسؤول عن موقع الاتصال السرى فى قرية دونغسينغتشون بلونغجينغ، والذى اجترح مآثر كثيرة فى العمل السياسى السرى وقادوه الى منصة الاعدام.

كانت كلماته الاخيرة التى قالها قبل اعدامه:

"انا لست من (مينساينغدان). واذا كنتم ترتابون فى ذلك، ابتروا قدمى، ولكن دعونى حيا. لن أستطيع الفرار عندئذ. ويمكننى أن اخدم الثورة بجدل الحصائر بيدى على الأقل. يحزننى ان اموت قبل ان اقدم مساهمات اخرى للثورة."

ولكن القائمين على "التطهير" اجهزوا عليه بالهراوات وهم يقولون:

"انظروا اليه، ان رائحة (مينساينغدان) تفوح منه حتى وهو هنا."

وقد تجاوزت قبضة "التطهير" الحديدية اطار منظمات الحزب والمنظمات الجماهيرية، لتهوى على جيش حرب العصابات.

لقد كان يانغ تاى اوك مقاتلا نموذجيا، وكان له لقب شائع هو "المعزقة". وقد ألبسوه كذلك قبعة "مينساينغدان"، واخضعوه لمحاكمة جماهيرية.

كانت "الجريمة" الموجهة اليه، حسب لائحة الاتهام، هى التخريب المتعمد لمزلاج بندقية.

كان قد اكتسب لقب "المعزقة" بعد ان قام مع مسؤول منظمته بانتزاع سلاح افراد وحدة زيبساداى فى مطعم سانبودونغ. كان ذلك الحارس احد ثلاثة، اذ دخل زميلاه الى المطعم لتدخين الأفيون، وبقى الثالث عند الباب للحراسة. تعارك يانغ تاى اوك مع هذا الحارس، ولكنه لم يستطع التغلب عليه بالقوة. فسحب عندئذ المعزقة من حزامه وكشط بها وجه خصمه. وحين سقط هذا الاخير على الارض مغطيا وجهه بيديه، اخذ يانغ تاى اوك منه البندقية وانطلق يجرى نحو الجبل القريب من سانبودونغ. وفيما كان يتسلق السفح لاهثا، لم يستطع مقاومة اغراء تجريب البندقية باطلاق رصاصة منها. فضغط على الزناد، ولكنه للأسف الشديد لم يسمع صوت "بوم!" المنتظر. ذلك ان مسمار الامان كان فى موضعه. فضرب بمعزقته تلك البندقية. وفيما بعد، طردوه من صفوف جيش حرب العصابات ونفوه الى المنطقة التى يسيطر عليها العدو، بسبب اعطابه السلاح.

ان الاشخاص الذين اعدمهم اليساريون والفئويون المرتهنون للقوى العظمى او طردوهم من منطقة حرب العصابات، كانوا فى غالبيتهم مناضلين اشداء وبواسل مثل "المعزقة"، لا يترددون عن التضحية بحياتهم. فهل غامر أولئك المناضلون بانتزاع سلاح رجال الشرطة فى وضح النهار وهم مسلحون بمسدسات مزيفة أو معازق لكى ينضموا الى "مينساينغدان"؟ وهل غاب عن افهام منظمى المحاكمات ضد أولئك المناضلين الشجعان، حين اصدروا احكامهم، انه ليس ثمة مبرر يدعوهم للانضمام الى "مينساينغدان" او الالتحاق بالثورة المضادة؟

لا، المسألة لم تكن مسألة تعقل وتفكير. فبين المشاركين فى الثورة لم يكن يوجد اغبياء يفتقرون الى ملكة التفكير.

وحسب شهادات المقاتلين القادمين من آنتو، فان عدد من لقوا مصرعهم من الكوريين بتهمة "مينساينغدان" فى تشيتشانغتسى وحدها، بلغ عدة مئات.

وجو باو جونغ، الذى كان على علاقة وثيقة بمنظمات الحزب فى منشوريا الشرقية، ومطلعا على الوضع فى تشينتاو، اكد فى مذكراته بان ألفى شخص على الأقل لقوا مصرعهم بتهمة التعاون مع "مينساينغدان".

فمن اجل مراكمة مآثر فى "التطهير"، سبب القائمون على رأس النضال ضد "مينساينغدان" آلاما رهيبة لجميع المتورطين المزعومين بهذه المنظمة، ابتداء من أعضاء الحزب والمنظمات الجماهيرية وحتى نشطاء رابطة الاطفال. وقد مارسوا ذلك بأساليب فى منتهى القسوة لا يمكن لشيوعى حقيقى ان يتجرأ على استخدامها.

وحتى كيم سونغ دو، وسونغ ايل، وكيم كوون ايل الذين كانوا يتصدرون حملة "التطهير"، اعدموا فيما بعد رميا بالرصاص بتهمة التواطؤ مع "مينساينغدان".

لقد كان سونغ ايل وكيم كوون ايل رجلين طيبين، ولكنهما تورطا دون ارادة منهما فى الاخطاء لأنهما سارا فى اثر رؤسائهما بشكل أعمى، بدلا من ان يتصرفا حسب قناعتهما ورؤيتهما الخاصة. وقد تعجبت عندما قيل لى انهما هتفا بحياتى وهما على منصة الاعدام. فعندما كنت التقى بهما، كنا نتناقش غالبا حول مسألة الخط الهام الواجب اتباعه. ولا ريب فى انهما استعادا الوعى فى اللحظة الاخيرة من حياتيهما وندما بموضوعية على ماضيهما.

كانت باك هيون سوك احدى النساء العصريات القلائل فى وانغتشينغ. وكان الناس فى سياووانغتشينغ يسمونها "عينا نجمة الصباح" لان عينيها كانت تلمعان كالنجوم. ولأنها نالت اعدادا فنيا، فقد عملت لبعض الوقت فى وانغتشينغ كرئيسة لقسم الاطفال. وعلى الرغم من فتوتها، كانت تملك تجربة غنية فى النشاط السرى. وقد كان حموها تشاى تشانغ وون (تشاى نو تول) مسؤولا عن اتحاد مناهضة الامبريالية فى المحافظة.

وكان اعضاء رابطة الاطفال فى مودانتشوان، الذين تقودهم باك هيون سوك

نفسها، يتولون فى اغلب الاحيان نقل الرسائل بينها وبين خطيبها تشاى هيونـغ زون. وكان أولئك الاولاد يتنقلون من متجر الى آخر فى بعض الاحيان ليشتروا بالنقود التى تقدمها لهم الفتاة بعض الحاجات لارسالها الى جيش حرب العصابات. وكانت تلك المشتريات تصل عبر "عينا نجمة الصباح" الى وحدات حرب العصابات السرية والمقاتلين الذين يعملون على تشكيل مفرزة خاصة.

لكن الاعداء الذين كانوا يرصدون كل حركة تقوم بها باك هيون سوك، اصدروا الامر باعتقالها. وكانت يومئذ فى بيت صديقة لها لتهنئتها بزفافها، لكن رجال الشرطة اقتحموا البيت وطالبوا بتسليمها. وحين رأت ان اصحاب البيت قد يتضررون بسببها، نزلت الفتاة عن السطح وتقدمت بوقار من رجال الشرطة قائلة: "ها أنذا هنا". وقد تعرضت فى السجن لتعذيب همجى جعل لحم جسدها يتمزق، ولكنها صمدت بصلابة. وحين كان الجيران والرفاق يزورونها، كانت تشجعهم بان تضع، مثلا، قصاصات كتبت عليها اغنيات ثورية فى اوانى كعك الارز التى يحضرونها اليها. وبعد فترة من الزمن أطلق سراحها.

وفى يوم زفافها، جاء ثلاثة من رجال الشرطة فى بايتشاوكو لحضور الحفلة، لأنهم ارادوا ان يروا – كما قالوا – كيف تتزوج شيوعية شابة، ولكن هدفهم الحقيقى كان فى الواقع تشمم الاخبار. وقد شربوا الخمر، بل وطلبوا كذلك من العروس ان تغنى اغنية. فغنت "عينا نجمة الصباح" دون تردد اغنية ثورية. ولكن الشرطيين الذين سكروا تماما، لم ينتبهوا الى ان كلمات الاغنية تحض على الثورة وقالوا ان الفتاة الشيوعية تغنى جيدا، وطلبوا منها اغنية اخرى.

لقد كان زوجها تشاى هيونغ زون مخلصا للثورة هو الآخر. وكان يسود حياته العائلية الوئام والسعادة الى حد لا يحسد معه احدا، كما انه كان متفانيا فى النضال. ولكن رصاصة اخترقت ساقه لسوء الحظ، وجعلته أعرج. ومنذ ذلك الحين لم يعد النجاح يحالفه فى مهماته السرية كالسابق. فمن الطبيعى ألا يتمكن من احراز نتائج كالآخرين فى المسير لمسافات طويلة فى تلك الظروف، خصوصا وانه لم يكن يملك سيارة او جوادا او اى وسيلة نقل اخرى. ومع ذلك، فقد وسمته قيادة "التطهير" بأنه

"عنصر سلبى"، ولاحقته وراقبته بتهمة التعاون مع "مينساينغدان". وجرى فصل باك هيون سوك من موقعها القيادى بذريعة انها زوجة "مينساينغدانى".

وفى اثناء ذلك، وصل الى مسامعى خبر عزمها الطلاق من زوجها.

نصحتها بالقول ان قضية "مينساينغدان" هى مسألة ذات طابع آنى، وانه سيتم حلها عاجلا ام آجلا؛ وان تشاى هيونغ زون قام منذ البداية بتنفيذ المهمات السرية على اكمل وجه، كما انه ناضل بحماسة بعد انتقاله الى منطقة حرب العصابات. وهو ثورى على درجة عالية من الاعداد النظرى. فلماذا تريدين الطلاق؟ هذا تصرف غير سليم.

وقد ارسلناها فيما بعد الى الاتحاد السوفييتى. فاذا كانت ما تزال على قيد الحياة، فبأى تأثر ستتذكر مرحلة وانغتشينغ، عندما كانت الاشجار والاعشاب نفسها ترتعش من حمى النضال ضد "مينساينغدان"؟

جميع سكان منطقة حرب العصابات، رجالا ونساء، شيوخا واطفالا، كانوا مترددين. وربما كانوا يفكرون بمرارة: لقد عرفنا الثورة، فالثورة هى قتل الناس بعضهم بعضا لأى سبب تافه، والصاق الجرائم بالابرياء. لقد فلحنا نحن الكوريين اراضى شبه قاحلة فى تشينتاو، وبدأنا الثورة وهاهم الآن يقتلون ويطردون روادها، فمن اجل اى شياطين يحدث كل هذا؟ وما هو هذا ان لم يكن تطهيرا من اجل الهيمنة؟ اذا كانت الثورة تتنكر للواجب الاخلاقى وعلاقات الصداقة وتبيح قتل رجالها دون ترو من اجل السلطة، فما هى فائدة هذه الثورة؟ أنا لن اشارك فى هذا المشروع الشيطانى، ومن الافضل لى ان اعود مع زوجتى وابنائى وافراد اسرتى الى مسقط رأسى لأعمل فى الارض، او ان اتوغل فى الجبال واتحول الى راهب بوذى يجوب الآفاق ويقرع ناقوسا خشبيا. وهكذا فان اعصار النضال المنفلت من عقاله ضد "مينساينغدان" غطى بطبقة من الصدأ مفاهيم الناس عن الحياة والثورة.

وكما هو طبيعى، فان الناس الأقل وعيا هجروا الثورة وهربوا الى المناطق التى يسيطر عليها العدو او المناطق غير المأهولة. لقد جاءوا منذ البداية الى مناطق حرب العصابات للمشاركة فى صنع الثورة، ولكنهم عندما رأوا ان الثورة تنبذهم، لم يجدوا

مكانا يأوون اليه، فأين يذهبون؟ فالناس يقومون بالثورة من اجل الحياة وليس من اجل الموت، من اجل حياة افضل ككائنات بشرية. اما اذا سقط المرء وهو يقاتل بنكران للذات فى سبيل قضية عادلة، فانه سيكسب الخلود بميتته القيمة. هكذا هى الثورة.

ولكن الناس فى تلك الأيام كانوا يلعنون ذلك الخلود. فالثوريون يسقطون صرعى دون تمييز بأيدى أولئك الذين تناولوا الطعام معهم فى اليوم السابق.

ولهذا السبب، اعلنت بعد التحرير تبرئة ساحة من انتقلوا الى المنطقة المعادية و"استسلموا" ابان النضال ضد "مينساينغدان". وكيف تكون جريمة مغادرة المرء منطقة حرب العصابات كى ينجو من الموت على يد من يمنعونه من القيام بالثورة كما يشاء؟

لقد صبغت المجزرة الشرسة مياه انهار وانغتشينغ ونهر غودونغهى بلون الدم الاحمر، واصبح النحيب والعويل يتردد فى جميع وديان تشينتاو.

ولخيبة امله حيال هذا الواقع، غادر شا تشون هينغ ارض تشينتاو قائلا: "اننى راحل. لا استطيع مواصلة استنشاق رائحة الدم هنا، كيف يمكن حدوث هذه الظواهر هنا حيث يسيطر الحزب الشيوعى؟ ان قيادة منشوريا الشرقية هى عار على هذا الحزب". ثم غادر الى منشوريا الشمالية.

حين انتبهت الى الابعاد الخطيرة التى اتخذها النضال ضد "مينساينغدان"، تحدثت مع أناس كثيرين لكى أطلع على تفاصيل الوضع.

فى ذلك الحين، كان سكان ياوينغكو الهاربون من غارات العدو الهستيرية قد توغلوا فى الغابات، وسكنوا اكواخا أشبه بالكهوف، وكانت وحدة الجيش الثورى ترابط فى ثكنة قائمة عند مدخل منطقة حرب العصابات لحماية السكان. وكانت المسافة بين الثكنة والضيعة نحو ١٥ رى.

ذهبت برفقة جنود الاتصال الى القرية؛ وفيما كنت اتبادل الحديث هناك مع بعض الشيوخ، جاءت هونغ هاى سونغ وقالت انها تود التحدث معى. وحين انهيت حديثى مع الشيوخ، استمعت اليها.

" لقد تجاوز أناس القيادة الحدود. لم اعد اطيق صبرا على هذا الوضع المشين.

لقد عانيت آلاف المحن فى اراضى وانغتشينغ، وتحملتها وأنا اضغط على أسنانى؛ ولكن روحى لم تعد قادرة على تحمل هذه الآلام. لماذا علينا مواصلة الثورة هنا فى تشينتاو رغم كل العذاب الذى ينهال علينا؟ فلنذهب الى كوريا لخوض النضال السرى فيها. صحيح اننا لا نستطيع ان نقيم هناك قواعد لحرب العصابات مثلما هو الحال هنا، ولكننا نستطيع بكل تأكيد ان نخوض النضال السرى. فلنذهب الى كوريا، وسأوفر بنفسى النفقات اللازمة حتى ولو اقتضى الامر ان ابيع صيدلية والدى كلها. "

كانت عيناها مغرورقتين بالدموع وهى تنظر الى متوسلة وتعض شفتيها.

أومأت لها كى تخفض صوتها. وقلت:

"كيف تقولين هذا الكلام علانية ايتها الرفيقة هاى سونغ؟"

"اننى اقوله لانى اثق فيك ايها القائد."

"حاذرى من التحدث هكذا. ألا تعرفين المثل القائل: ما يقال نهارا يسمعه العصفور، وما يقال ليلا يسمعه الفأر؟"

لقد سبب لى اعتراف هونغ هاى سونغ كآبة عميقة. وتألمت جدا حين فكرت بمن سيبقى لمواصلة الثورة فى ارض وانغتشينغ اذا كانت هونغ هاى سونغ قد قررت الآن مغادرة منطقة حرب العصابات. فقد كانت تحب منطقة حرب العصابات اكثر من اى شخص آخر. وكانت منطقة حرب العصابات بدورها تبادلها تلك العاطفة. انها عاملة سياسية سرية جريئة؛ ومعلمة اطفال مرحة ومتحمسة، كما كانت تعمل طبيبة رغم عدم حيازتها شهادة طب جامعية، فكانت تشخص الامراض وتعالج المرضى بشكل صائب.

وقد كان هناك بين كوادر قيادة الحزب فى منشوريا الشرقية ولجنة محافظة وانغتشينغ من شفوا تماما من الجرب بفضلها بعد ان عانوا منه ثلاث سنوات. وقد اعرب جميع من عالجتهم عن امتنانهم لها. وكان القادة يطرون عليها قائلين انها عبقرية.

لقد كانت هونغ هاى سونغ تعتبر وجودها ضروريا ولا غنى عنه لمنطقة حرب العصابات، وابتعادها عنها امر لا يمكن تصوره. ولكن، ها هى ذى تتبدل فجأة، وتدعونى الى الفرار. ان تلك الكلمات التى تفوهت بها كانت كافية لاعدامها بتهمة "مينساينغدان". لقد احسست بالامتنان نحوها لانها وثقت بى وفتحت لى قلبها. ان

الاجواء التى خيمت على منطقة حرب العصابات كانت مرعبة الى حد دفع هونغ هاى سونغ، المفعمة بالحماسة والارادة النضالية، الى اتخاذ قرار الهرب. فاراضى تشينتاو المغطاة بجثث رفاقها لم تعد المكان السحرى ولا فردوس السعادة الذى طالما أحبته من قبل بكل جوارحها.

ولكننى لم استطع مع ذلك الموافقة على عرضها.

"عليك ألا تتصرفى على هذا النحو يا رفيقة هاى سونغ. فالمسألة ليست فى موتى او بقائى على قيد الحياة. اذا نحن لم نتحمل المصاعب واخترنا سلوك السبيل السهل فى هذه اللحظة التى يتقرر فيها تقدم الثورة او اخفاقها، فكيف يمكننا ان نعتبر أنفسنا شيوعيين حقيقيين؟ علينا ان نتوصل الى حل لمسألة (مينساينغدان)، ونواصل النضال هنا، حتى ولو كان ذلك مؤلما ومملا. هذا هو الطريق الوحيد الذى علينا ان نسلكه نحن الشيوعيين، وهو الطريق القادر على انقاذ الثورة."

حين اوضحت لها رأيى، مسحت الفتاة دموعها، ونظرت الى بامعان: "ارجو معذرتك. لقد كنت يائسة الى ابعد الحدود، ولهذا تفوهت بتلك الكلمات. كنت انتظر عودتك من منشوريا الشمالية لأقول لك ما قلته. لست وحدى، فحتى المعتقلون فى السجن بسبب (مينساينغدان) يفكرون بك ايضا. أو تدرى بأى جزع كانوا ينتظرونك؟ انهم يسألوننى باستمرار عن موعد عودة القائد كيم، وعما اذا كانت لدى اخبار عنه؛ واذا كانت ثمة طريقة لايصال اخبار الوضع فى منشوريا الشرقية اليه. ولكن لم تتوقف هنا الاشاعات القائلة ان جميع مقاتلى الحملة الى منشوريا الشمالية قد لقوا مصرعهم. وهذا ما قاله اليابانيون فى صحفهم ايضا."

ولم تستطع هونغ هاى سونغ كبح غيظها المتعاظم، فضمت يديها الى صدرها.

وحين رأيت الدموع تملأ عينيها، احسست بموجة من تأنيب الضمير تكاد تمزق قلبى.

لقد جعلتنى كلماته افكر بمسؤوليتى كثورى كورى. وقد توصلت الى قناعة راسخة بأنه لن يكون لى الحق بالقول اننى ابن كوريا ولا بالبقاء حيا فى هذه الدنيا ما لم اوقف مجازر "التطهير" الهوجاء التى تهدد حياة عشرات آلاف الاشخاص،

وكانت تلك هى المعضلة الصارمة: فاما التخلى عن الثورة وتركها تتردى فى حالة من الخراب، واما احياؤها وبعثها من جديد ونفخ النشاط فيها.

ولهذا السبب اقترحت على قيادة الحزب فى منشوريا الشرقية الدعوة الى اجتماع لوضع مسار صحيح للنضال ضد "مينساينغدان". وفى الوقت نفسه، تقدم مفتش لجنة الحزب فى اقليم منشوريا بمبادرة مماثلة.

وبعد ايام تلقيت اشعارا بالدعوة الى اجتماع مشترك فى داهوانغواى للكوادر السياسيين والعسكريين فى منشوريا الشرقية.

وقبل ذهابى الى الاجتماع قمت بزيارة لمعسكر الطهاة. فقد كنت أود رؤية هونغ اين سوك التى قيل لى انها تعيش حالة من الغم منذ شهور بسبب اتهامها "بالمينساينغدانية"، واهديتها قطعة قماش كنت قد حصلت عليها فى منشوريا الشمالية. وقد حذرنى رفاقى فى السلاح من زيارتها، لان قادة "التطهير" سينظرون الى بريبة. ولكننى لم أصغ لتحذيرهم. فليس من المقبول اعتبار مثل هذه اللفتة الانسانية جريمة.

٢ـ مناظرة فى داهوانغواى

ليس من الصواب الاعتقاد ان مناظراتى مع بعض عناصر قيادة المنظمة الحزبية فى منشوريا الشرقية بصدد مسائل "مينساينغدان" قد بدأت فى اجتماع داهوانغواى. اذ انها ابتدأت فى الواقع فى تشرين الاول ١٩٣٢، عندما خيمت وحدتنا لبعض الوقت فى منطقة وانغتشينغ، اثناء مسيرتها الى منشوريا الشمالية.

خلال اقامتنا فى وانغتشينغ، كان على بموجب خطة العمل الموضوعة مسبقا ان اقوم اولا بتوجيه العمل الحزبى فى الدائرة الاولى (ياوينغكو). وقد لاحظت هناك ان بعض كوادر لجنة الحزب فى المحافظة ولجنة الحزب فى الدائرة كانوا يناضلون ضد "مينساينغدان" بشكل عشوائى، منتهكين المبادئ الثورية، ومستخدمين اساليب يسارية متطرفة.

وذات صباح، اثناء تجولى فى القرية مع لى وونغ غول، رئيس قسم التنظيم فى لجنة الحزب فى الدائرة الاولى، توقفت فجأة لدى سماعى صرخات ألم آتية من مبنى لجنة الحزب فى الدائرة.

سألت: "ما هذا الصراخ؟".

بدا على لى وونغ غول القلق وقال لى:

"اعضاء لجنة الحزب فى المحافظة يستجوبون معتقلا اسمه لى زونغ زين. "

"لماذا؟ هل هو متورط فى (مينساينغدان)؟"

"هكذا يبدو. المتهم ينكر ذلك بحزم منذ ثلاثة ايام. ولكن الكوادر يضيقون عليه لكى يعترف بجرائمه. هيا بنا نبتعد، عندما اسمع هذه الصيحات لا استطيع العمل طوال اليوم."

"ولماذا يعتبرونه (مينساينغدانيا)؟"

"لانه تأخر بضعة ايام فى العودة الى منطقة حرب العصابات بعد ان نفذ مهمة فى منطقة يسيطر عليها العدو."

"كيف؟ أهذا هو السبب؟"

"ارجوك ان تنتبه لما تقوله ايها الرفيق القائد. فكلمة واحدة من هذا النوع، تكفى لتوجيه تهمة (مينساينغدان). الحياة لم تعد تطاق هنا بسبب هذه الحملة ضد (مينساينغدان)."

توجهت الى مدخل المبنى، على الرغم من محاولة لى وونغ غول الحيلولة دون ذلك.

وفى الداخل، كان الكادر القادم من لجنة الحزب فى المحافظة مع جماعة اعضاء الحرس الاحمر فى الدائرة الاولى يستجوبون لى زونغ زين بقسوة. وحين رأى ذلك الكادر شخصا غريبا يدخل اليهم، راح يضرب لى زونغ زين بهياج جنونى، وكأنه يريد ان يظهر مدى صرامتهم فى خوض النضال الطبقى فى وانغتشينغ.

كان لى زونغ زين فلاحا اجيرا؛ اشتغل اكثر من عشر سنوات كخادم فى بيت اقطاعى صينى. وفقد زوجته فى احدى عمليات "التأديب" المعادية، وقد عهد بابنيه الى أناس آخرين لكى يتفرغ للثورة. وبعد ان انتقل الى منطقة حرب العصابات، عمل امينا لاحد فروع لجنة الحزب فى الدائرة الاولى، وكسب ثقة الجماهير. ولم يكن هناك مبرر لان يلتحق مثل هذا الرجل بمنظمة معادية ويرتكب اعمالا مضادة للثورة. ولم يكن من العدل الصاق تهمة "مينساينغدان" به لمجرد اقترافه هفوة مثل تأخره فى تنفيذ مهمة اوكلت اليه. اوقفت الاستجواب، وقدمت لكادر لجنة الحزب فى المحافظة والى كوادر لجنة الحزب فى الدائرة، النصائح التى اعتبرتها ضرورية:

"ايها الرفاق، لا ارى ثمة مبررا، بعد استقصائى الامر، لمعاملة الرفيق لى زونغ زين على انه من (مينساينغدان). وليس من العدل ضرب اى شخص لمجرد ارتكابه هفوة صغيرة فى العمل. يجب خوض النضال ضد (مينساينغدان) بجدية، وبالاستناد الى أدلة متماسكة."

توقف الاستجواب. ولكن بعد ان غادرت ياوينغكو وذهبت الى ماتشون، اغتال اتباع لجنة الحزب فى المحافظة لى زونغ زين.

ومع ذلك، سرت اشاعات تقول ان القائد كيم إيل سونغ، القادم من آنتو، دخل الى مكتب لجنة الحزب فى دائرة ياوينغكو، واوقف استجواب متورط مزعوم فى "مينساينغدان"، ووجه انتقادا صارما الى كادر من لجنة الحزب فى المحافظة. وقد وصلت هذه الاشاعة الى مسامع كوادر لجنة الحزب فى محافظة وانغتشينغ وكوادر لجنة الحزب فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة. ثم تجاوزت حدود وانغتشينغ، وانتشرت فى آنزى وهيلونغ وهونتشون. وقد كان هناك، كما علمت فيما بعد، أناس قالوا بقلق: "هل فكر بالعواقب قبل اقدامه على ذلك؟ انه لا يعرف مدى المجازفة فيما اقدم عليه". وقال آخرون: "القائد كيم من آنتو، وهو لا يعرف بعد كيف هى الامور فى وانغتشينغ". وكان هناك من اثنوا، بحذر، على ما قمت به: "انه رجل شجاع على كل حال".

ان تدخلى فى مكتب لجنة الحزب فى الدائرة الاولى كان، عمليا، نقطة البداية فى مناظرتى مع اليساريين فى مسألة "مينساينغدان".

ومنذ بداية عام ١٩٣٣ اتخذت هذه المجادلات مظهرا جديا. ففى تلك السنة، اصبحت عمليات تصفية "مينساينغدان" فى مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية أكثر حدة. ولم يكن قليلا عدد الكوادر العسكريين والسياسيين وغيرهم من الثوريين الكوريين الذين اضطروا الى الهرب أو جرى اغتيالهم بتهمة الانتساب الى "مينساينغدان".

لقد كدت انا نفسى ان اقع فى المكيدة. فالشوفينيون والفئويون المرتهنون الذين دفعوا حملة "التطهير" الى مستنقع التطرف اليسارى، بذلوا قصارى الجهد لادانتى بالتورط فى "مينساينغدان".

ولم تكن "الأدلة" التى قدموها سخيفة وحسب، بل وباطلة تماما. وبين تلك "الأدلة"، كان ما يسمى بحادثة اختطاف الاقطاعى فى تومين.

فى ذلك الحين، كانت ترابط فى منطقة ليوشيوهيجى وحدة صينية معادية

لليابـان تضـم أكثـر مـن مئـة جنـدى. ولـم تسـتطع تلـك الوحـدة تـأمين بـدلات عسـكرية لجنودها، وطلبت مساعدتنا فـى ذلك الشـأن. كـان هنـاك حينئذ اقطـاعى فـر مـن جيش الانقاذ الوطنى الذى كان قد اعتقله ليستخدمه فى الحصول على اموال. ومن اجل حل مسألة الملابس العسكرية، احضـرنا ذلك الرجل واقنعنـاه بمساعدتنا. وهكذا حصلنا على كمية من الاقمشة والقطن تكفى لصنع ٥٠٠ بدلة. وقد عرفت هذه القضية باسم "حادثة اختطاف الاقطاعى فى تومين". وبفضل تلك المواد المحصلة، صنعنا ملابس جميع ضباط وجنود الوحدة الصينية المعادية لليابان فى منطقة وانغتشينغ .

وبأخذ ظروف تلك الفترة بعين الاعتبـار، فقد كـان هنـاك احتمـال كبيـر بارتداد أولئك العسكريين او استسلامهم للاعداء اذا لم تتوفر لهم حتى الملابس فى صقيع الشتاء. وقد كـان مـن الصـعب علـى الجيش الثـورى ان يحـافظ علـى منـاطق حـرب العصابات بقواه وحدها ودون مساعدة جيوش صديقة مثل جيش الانقاذ الوطنى.

وقد قام كيم كوون ايل، الذى عين امينـا للجنـة الحـزب فـى محافظـة وانغتشينغ بدلا من لى يونغ كوك، ومعه بعض كوادر لجنة الحزب فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة بانتقاد اقدام جيش حرب العصابات على الحصول على البدلات العسكرية الشتوية لقوات جيش الانقـاذ الـوطنى عن طريق احد الاقطـاعيين، واعتبـر ذلك مـن الاعمال الاستسلامية اليمينية. واعلنوا انه على كيم إيل سونغ، المسؤول عن القوات المسلحة، ان يتحمل المسؤولية عن اجازة وتشجيع عمليات "مينساينغدان".

وقد كان حديثهم عن "مسؤولية" مزعومة، وذكر اسمى فيها، جزءا من هدفهم بتصفية جميع الكوادر المنحدرين من اصول كوريـة، والـذين كـان لآرائهم ثقلهـا فـى اراضى منشوريا الشرقية. ولانهم كانوا يريدون رؤيتى امام محكمة "التطهير" بأى ثمـن، فقد راحـوا يؤكـدون دون الاسـتناد الـى اسـاس، علـى ان عناصـر كثيـرة مـن "مينساينغدان" قد تغلغلت فى وحدة وانغتشينغ لحرب العصابات، لان كيم إيـل سـونغ تهاون فى النضال ضدها.

وهكذا بدأت المواجهة بينى وبينهم. فأوضحت ان حل مسألة ألبسة جيش الانقاذ الوطنى عن طريق الاقطاعى لا يمكن اعتباره عملا يمينيا، ناهيك عن القول بأنـه عمل

"مينسـاينغدانى" فـى جـوهره، واعربـت دون تـردد عـن آرائـى بشـأن النضـال ضـد "مينسـاينغدان"، قـائلا لهـم: "يجـب ألا يـتملص احـد مـن هـذا النضـال، لأنـه نضـال ضـد الجواسيس تحديدا. وانا لا اريد لهؤلاء ان يتسربوا الـى وحدتنا. ولكننـى لا اسـتطيع مـع ذلـك ان اقـف مكتـوف الايـدى امـام واقـع احتجـاز اشـخاص ابريـاء بحجـة تصـفية (مينساينغدان). وكيف يمكننا التزام الصمت ونحن نرى اعمالا معاديـة للثورة ولا تخدم الا العدو، مثل اغتيال رجالنا عشوائيا ودون اقترافهم اى ذنـب؟ انظـروا، مـن هـم الـذين الصقتم بهم تهمة (مينساينغدان)؟ أليسوا مقاتلين بواسل شـاطرونا الافـراح والاتـراح فـى منطقة حرب العصابات؟ فما الـذى يـدعو مثـل هؤلاء المناضـلين الـرائعين لان يصـبحوا (مينساينغدانيين) ضد الثورة؟ ان الذرائع التى تقدمونها خالية من المنطق".

ولكن اليساريين الذين اثارت كلماتى حفيظتهم، سألوا صارخين:

"أنت تعارض اذن خط النضال ضد (مينساينغدان)؟"

فدحضت قولهم:

"اذا كانـــت تصـــفية رجالنـــا المخلصـــين للثـــورة هـــى خـــط النضـــال ضـــد (مينساينغدان)، فاننى لا استطيع تأييده. اذا كنتم تريدون القضاء على (مينساينغدان)، فعليكم ان تتوخـوا العدل وان تستندوا الـى أدلـة لا سـبيل الـى دحضـها. لمـاذا تقضـون تحديدا على من يخوضون الثورة معانين الجوع والمصاعب الاخرى فى هذه الاماكن الجبلية النائية؟ ألا يبدو ذلك غريبا؟"

ولـدى طرحـى المسـألة بكـل هـذه الحـدة وبعبـارات حاسـمة، قـال يسـاريو لجنـة الحـزب فـى منطقـة منشـوريا الشـرقية الخاصـة: " لا يوجـد لـدى كـيم إيـل سـونغ معلومات كافية عن (مينساينغدان)".

فأجبتهم عندئذ:

"حسن، فلنقل ان معلوماتى غير كافية. اننى اريد اللقاء مباشرة مع الاشـخاص الـذين تعتبـرونهم متـورطين فـى (مينسـاينغدان) واذا كنـتم ترغبـون فـى الاسـتماع الـى افادات المتهمين المعتقلين، فأرجوكم ان تكونوا شهودا."

كان بين المعتقلين بتهمة "مينسـاينغدان" فـى سـجن وادى ليشـوكو، آمـر السـرية

المدعو زانغ بورى (الصياد– المترجم) اسمه الاصلى زانغ ريونغ سان. وكان أبوه صيادا مشهورا فى منطقة وانغتشينغ.

وغالبا ما كان زانغ ريونغ سان يذهب الى الصيد مع والده، حيث تدرب على الرماية واتقنها. وقد كان دقيقا فى اصابته الهدف لدرجة انه اذا اراد اعداد حساء رقائق العجين مع لحم الغزال، فانه يصنع اولا عجينة من دقيق القمح، ثم يخرج الى الصيد، وقد يعود بعد قليل حاملا ثمانية غزلان. وكان عدد جنود العدو الذين اصابهم بمفرده قد تجاوز المئة جندى خلال الدفاع عن سياووانغتشينغ . وكان من احب الآمرين وأعزهم الى نفسى.

اى مشاعر احسست بها حين رأيته سجينا فى زنزانة لا تكاد تختلف عن الحظيرة، بعد اتهامه بالتواطؤ مع "مينسباينغدان" بين ليلة وضحاها؟

فور وصولى الى السجن، سألته دون اى مقدمات:

"اسمع، يا زانغ بورى، وأجب بصراحة: هل أنت (مينساينغدانى) حقا؟"

ولم يتمهل فى الرد، بل قال دون تردد تقريبا:

"اجل، انا (مينساينغدانى)."

"قل لى اذن، لماذا قتلت كل أولئك اليابانيين ما دمت من (مينساينغدان)؟"

جميع اليساريين الذين تبعونى الى السجن للاستماع الى اعتراف زانغ ريونغ سان، نظروا الى بفتور دون ان يقولوا شيئا.

اوضحت لزانغ ريونغ سان بهدوء وانا اكبح انفعالى:

"اسمعنى، يا زانغ بورى! (مينساينغدان) منظمة رجعية انشأها اليابانيون لخدمتهم. اذا كنت تنتمى اليها، لماذا قتلت اذن اكثر من مئة يابانى؟ ألا يبدو ذلك غريبا؟ عليك ان تقول الحقيقة الآن حتى ولو كانوا سيغمدون خنجرا فى عنقك. تكلم بكل صراحة!"

فى تلك اللحظة، امسك زانغ ريونغ سان بيدى وشرع يتلعثم موضحا ما يتعرض له، بينما دموع الأسى تتساقط من عينيه:

"ايها الرفيق القائد، ليس ثمة مبرر واحد لانضمامى الى (مينساينغدان)،

ولكننـي اذا قلـت ذلـك لا يصـدقوننى، ويضـربوننى دون هـوادة. لقـد وجـدت نفسـى مضطرا الى القول انى (مينساينغدانى). اعذرنى ايها القائد، لقد لوثت شرفك."

"ليست المسألة الآن تلويث الوجه بالوحل او بالحبر. المسألة الخطيرة هى انك انسان بلا ارادة، فأمام المستبدين الذين يلوون عنقك تقول انك من (مينساينغدان)، ثم تنكر ذلك امامى. لست بحاجة الى جبان يغير اقواله."

خرجت من السجن، غاضبا الى حد ان اليساريين لم يتجرأوا حتى على التحدث معى.

فى ذلك اليوم قابلت تونغ تشانغ رونغ واحتججت بحزم:

"ارى ان هناك مشاكل فى عملكم. فالصراع ضد (مينساينغدان) لا يجوز ان يـتم بهـذه الطريقـة. كيـف يمكـن اعتقـال وسـجن انـاس ابريـاء والصـاق تهمـة (مينسـاينغدان) بهـم؟ يجـب خـوض هـذا النضـال بالأسـاليب الديمقراطيـة. لا بـد مـن التمييز الصائب بين العدو والصديق من خلال التقويم الجماهيرى، وعدم الاقتصار علـى تعسـف حفنـة مـن المتنفذين. مـن غيـر المسـموح بـه اصـطناع (مينسـاينغدانيين) وهميين بالتعذيب والتهديد. ليس ثمة احد هنا، فى وانغتشينغ، يعتبر زانـغ بـورى (مينسـاينغدانيا) سـواكم انـتم. مـن الأفضـل اخـلاء سـبيله فـورا، وانـا اكفـل براءتـه بحياتى."

وبعد ان قلت لليساريين انهم لا يستطيعون ان يمسوا "المينسـاينغدانيين" بـين رجال جيش حرب العصابات على هواهم، ودون اذن من القسم السياسى، عدت الـى وحدتى وعاقبت ذلك الآمر الذى سلم زانغ ريونغ سان دون اذن الى قيادة "التطهير".

واستجابة لطلبى، اخلت لجنـة الحـزب فـى منطقـة منشوريا الشـرقية الخاصـة سبيل زانغ ريونغ سان فى ذلك اليوم بالذات.

وفيمـا بعد، تـم ارسـال زانـغ بـورى الـى جوزيـاتون فـى محافظـة نينغـآن، حيث عمل حتى اللحظة الأخيرة من حياته على تأمين المواد التموينية باخلاص.

ويمكن القول ان قضية باك تشانغ كيل التى انتشرت على نطاق واسع فـى ذلـك الحين، هى قضية مؤلمة ايضا. وقد وقعت عندما كنا نرابط فى غاياهى.

ذات مرة ذبحنا ثورا لجمعية "مين" الموالية لليابان، جاء به بعضهم من مكان قريب من تومين. وقد اكل المحاربون والسكان لحمه. ولكن الكثيرين اصيبوا بالاسهال فيما بعد.

فجاءت جماعة من الرفاق الى غرفتى وقالوا لى بصخب ان الجميع قد تسمموا بعد ان شربوا من ماء البئر الذى لا بد ان يكون اعضاء "مينساينغدان" قد القوا فيه السم، وقالوا انهم يخشون من حدوث موت جماعى. فاذا كان هذا صحيحا، فان السرية بأسرها معرضة للفناء.

وتحسبا للطوارئ، امرت السرية كلها بالتوغل فى جبل وراء القرية، وبأن يكون الجميع مستعدين تماما لمواجهة أى هجوم قد يشنه العدو.

لكن الغريب فى الامر هو اننى لم اشعر بأى ألم فى معدتى على الرغم من مضى الوقت. كما أننا لم نرصد أى تحركات معادية من تلك التى ظننا انها ستحدث بالتأكيد.

استدعيت آمر السرية، وموجهها السياسى، وامين منظمة اتحاد الشباب الشيوعى، والموجه الشبابى وغيرهم من الضباط المسؤولين الى اجتماع، وسألتهم اذا كانوا يعتقدون فعلا بان شخصا من "مينساينغدان" قد سمم ماء البئر.

فأجابوا بصوت واحد، حتى دون امعان الفكر:

"اجل، يبدو ان الأمر كذلك. "

"ولكن بطنى لا يؤلمنى البتة، مع اننى تناولت حساء لحم الثور مساء امس وصباح اليوم. اذا كان آخرون يعانون آلاما، فلا بد لى انا وآمر السرية من ان نعانيها ايضا، وهو ما لم يحدث. فكيف تفسرون هذا؟"

فأجاب آمر السرية: "ربما لان الحساء الذى يقدم للآمرين يعد بطريقة انظف ".

"هذا غير منطقى. لقد اكلنا من القدر نفسها ولا يمكن ان يكون السم قد فقد مفعوله فى حساء الآمرين. فما رأيكم؟"

بعد فترة من الوقت عاد آمر الفصيلة من دورية وقد جلب الى صبيا من القرية لا يزيد طول قامته عن طول البندقية. وقال آمر الفصيلة انه من "مينساينغدان" وانه

هو الذى سمم البئر. كان اسمه باك تشانغ كيل، وهو بطل القضية التى عرفت باسمه. وقد اكد لى آمر الفصيلة ان الصبى اعترف بجريمته امام اهل قريته.

لقد حدث هرج ومرج كبيران بين الاهالى، فانهال عليه بعضهم بالشتائم، وراح آخرون يلعنون امه ويهددونها.

كان تشانغ كيل، صبيا فقيرا، عمل كلاف خنازير لدى اقطاعى صينى. وكان احد اخوته الكبار يعمل مسؤولا عن التموين فى احدى سرايا جيش حرب العصابات، وأخ آخر يعمل فى فرع اللجنة الحزبية. ولم استطع ان اصدق اقدام شخص ترعرع وسط تلك الاسرة على اقتراف عمل من شأنه ان يودى بحياة سرية كاملة من جيش حرب العصابات.

تحدثت معه لعدة ساعات. وقد اعترف الصبى امامى "بذنبه" فى اول الامر. ولكنه انفجر بالبكاء فى النهاية وانكر التهمة. اما اقراره "بجريمته" امام القرويين فى البداية، فكان رد فعل ضد النساء اللواتى ألقين عليه مسؤولية ذلك العمل دون أى دليل.

نزلنا فى الحال مع السرية من الجبل وعقدنا اجتماعا جماهيريا اعلنا فيه براءة باك تشانغ كيل.

"هذا الصبى لم يدس السم. فمن فعل ذلك اذن؟ لا احد. لان احدا لم يتسمم. كل ما فى الامر ان بعض الاشخاص اصيبوا بالاسهال يوما او يومين. اما سبب الاسهال فهو اننا لم نأكل اللحم منذ زمن بعيد، وفجأة اكلناه بافراط. وهذا يعنى انه لم توجد ولا يمكن ان توجد أى علاقة بين هذه القضية ومسألة (مينساينغدان). واليوم اعلن هنا اننا نقبل تشانغ كيل الذى اتهمتموه بأنه من (مينساينغدان)، كجندى فى جيش حرب العصابات."

عند سماع كلمتى، راحت نساء القرية ينتحبن، بما فيهن أولئك اللواتى اتهمن الصبى.

ولكن اليساريين وحدهم طرحوا المسألة للنقاش زاعمين انها عولجت معالجة يمينية.

وقد حارب باك تشانغ كيل ببسالة فى معركة الدفاع عن سياووانغتشينغ بعد التحاقه بصفوفنا.

وهكذا، فقد جازفت بخوض "مغامرات" كبيرة وسط حصار العناصر

اليسارية. واذا كانت احدى تلك المغامرات اطلاق سراح زانغ بورى وريانغ سونغ ريونغ من سجن "المينساينغدانيين"، فقد كانت الاخرى اعلان براءة باك تشانغ كيل وقبوله فى صفوف جيش حرب العصابات.

وبكل صراحة، كان هناك فى ذلك الوقت اشخاص اغبياء وجهلة، اعماهم التعطش الى السلطة، ينظرون الى الناس من خلال منظارهم الخاص، ويتصرفون فى الوقت نفسه على انهم المدعى العام والقاضى والجلاد، مما جعل من المجازفة والمخاطرة انتهاج سياسة الثقة، سياسة الحب، التى تقتضى معاملة الانسان كانسان، ومعاملة الرفيق بما يليق بالرفيق، وخدمة الشعب كما يجب. ولكن النضال من اجل هذه السياسة كان يكلف المرء حياته ذاتها.

لقد كان عدم التدخل فى أى امر والتظاهر بعدم رؤية ما يحدث هو افضل وسيلة للنجاة من المصابيح الكشافة المترعة بعدم الثقة والتى تنظر الى كل الظواهر على انها مؤامرات من تدبير "مينساينغدان". ولكننى رفعت رغم ذلك راية المقاومة، لأننى كنت اؤمن بمبدأ ان عدم الجرأة على شجب الظلم، يجعلنى اشبه بميت فى الحياة، وغير جدير بالعيش. فاذا كان المرء لا يهتم الا بأمنه الشخصى وحماية نفسه، فانه لا يستحق صفة الثورى. وقد كنت مقتنعا بأنه مهما تمادى اعصار "التطهير"، فلن يكون اكثر من ظاهرة مؤقتة، واننا سنتمكن من التغلب عليه بكل تأكيد اذا نحن ناضلنا مجازفين بحياتنا.

ان الشوفينيين اليساريين والفئويين المرتهنين الذين تذوقوا لذة السلطة فى حملة تطهير عناصر "مينساينغدان" الوهمية، وصل بهم الامر الى حد صياغة ونشر ما زعموا انه "نظام مينساينغدان" ضمن الحزب فى منشوريا الشرقية وفى الجيش الثورى الشعبى، وهو نظام مشابه تماما للبنية التنظيمية فى الحزب والتشكيلات المسلحة العاملة فى مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية.

لقد حاولوا الايحاء لنا بان عناصر كثيرة من "مينساينغدان" قد تسربت الى صفوفنا، وسعوا الى دق اسفين ما بينى وبين الجنود الذين تحت امرتى لكى يحولوا دون قيامى بكبح النضال ضد "مينساينغدان".

ذات مرة جاء احد الكوادر الى وحدتنا وسلمنى رسالة من رئيس قسم التنظيم فى لجنة الحزب فى منشوريا الشرقية. وقد ذهلت تماما لمضمون تلك الرسالة. لا اعرف المصدر الذى تلقى منه المعلومات، ولكنه كتب يقول ان الجندى المدعو هان بونغ سون يدبر لعمليات واسعة باشراف "مينساينغدان"، وانه يفكر ايضا فى اغتيالى. ونظرا لخطورة الجريمة، كما جاء فى الرسالة، يجب اعتقاله فورا.

كان "جرم" هان بونغ سون يبدو خطيرا جدا. ولكنى لم استطع ان اثق كثيرا بما جاء فى الرسالة. فقد بدا لى أولا وقبل كل شىء انه من المبالغة المفرطة القول ان الجندى المذكور يمارس تلك الاعمال على نطاق واسع. وقد كان هان بونغ سون حتى تلك اللحظة مقاتلا باسلا لا يتورع عن المجازفة بحياته، فما الدافع الذى يدفعه للانضمام الى "مينساينغدان"؟!

اما بالنسبة لشخصيته، فلم يكن رجلا قاسيا يمكنه اقتراف اثم كالتآمر ضد رئيسه، او اغتياله. بل كان لائق المظهر وحسن السلوك وشديد التهذيب الى حد يثير معه حسد الآخرين. وكان على علاقة وثيقة بى. واظن انه من المستحيل ان يحاول شخص مثله اغتيال رئيسه الذى يعامله بمودة كبيرة.

ومع ذلك، لم اكن استطيع اهمال ما جاء فى الرسالة ورفضه على الفور. فلماذا يختلق رئيس قسم التنظيم تلك القضية؟ وهكذا بقيت مشتت الفكر لهذا التناقض.

قلت للكادر الذى جاء بالرسالة ان يذهب مطمئنا، واكدت له بأننى سأتولى القضية بنفسى.

فقال لى قبل ان ينصرف مكرها:

" قد تقع المصيبة فى أى لحظة... انك شخص غريب الاطوار."

وخطرت فى بالى افكار مختلفة. هل يريد هان بونغ سون ان يقتلنى حقا؟ ولماذا؟ ليس ثمة اى سبب. لقد احسنت صنعا بعدم السماح بأخذه الى اللجنة الحزبية فى المنطقة الخاصة. ولكن، اذا ابقيته هنا، ووقعت المصيبة فعلا، فان النتائج ستكون وخيمة جدا.

بعد بضعة ايام استدعيت هان بونغ سون الى مقر القيادة. وقد سألنى كعادته وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

" لماذا استدعيتنى أيها الرفيق القائد؟ هل هناك مهمة اخرى فى المنطقة المعادية؟"

" لقد اصبت. ان حاسة الشم قوية عندك. ستذهب اليوم بالذات الى سانتشاكو وتعتقل عميلا للعدو."

" ليست المسألة هى حاسة الشم. لقد حلمت الليلة الماضية بانى فى تومين، وقد فسر اصدقائى فى السرية الحلم بأنه اشارة الى مهمة فى المنطقة المعادية. ويبدو ان تفسيرهم كان مصيبا."

" طيب، سأعطيك سلاحا للدفاع عن نفسك."

" لن احمل سلاحا لأنه سيسبب لى الازعاج. لا تقلق. سأجعل العميل يأتى بنفسه الى هنا بالكلام وحده."

" حسن، خذ السلاح وادفنه فى الطريق، ثم التقطه ثانية عند عودتك."

تصرف هان بونغ سون مثلما نصحته: ففى منتصف الطريق دفن السلاح، وذهب الى بلدة سانتشاكو، حيث التقى بالعميل المطلوب. سأله اذا كان يريد ان يرى المنطقة الشيوعية، وتمكن من احضاره بعد ان تعهد له بضمان سلامته.

وقد توليت بنفسى استجواب ذلك العميل:

" نحن نعرف جيدا انك كلب لليابانيين. ولكننا لن نقتلك. وبالمقابل، عليك ان تقدم لنا بعض الخدمات. ستواصل اداء المهمات التى يكلفك بها اليابانيون، تماما مثلما اقسمت لهم فى مخفر الدرك. وما نطلبه منك هو ان تبلغنا فقط بموعد مجىء القوات (التأديبية). لن نجبرك على اى عمل آخر. اذا فعلت هذا باخلاص، فسنعترف بك ثوريا فيما بعد. هل انت مستعد لذلك ام لا؟"

قال العميل انه سيفعل كل ما يأمره به السيد القائد، وتوسل الى ان اوفر له الحماية لكى لا تقتله المنظمات الثورية.

وعندما هم العميل بالذهاب، عهدت الى هان بونغ سون بمرافقته حتى سانتشاكو. وقد ادى هذه المهمة بالطبع على اكمل وجه.

بعد هذه الحادثة، قلت لكوادر لجنة الحزب فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة:

" لقد سلمت هان بونغ سون سلاحا كى اختبره، ولكنه لم يهرب. امرته بالقبض على عميل لليابانيين، فنفذ المهمة. لقد اعطيته سلاحا وذخيرة. وكانت كل الامكانيات متاحة له للاعتداء على حياتى، ولكنه لم يفعل. فهل يمكن اعتبار مثل هذا الرجل (مينساينغدانيا)؟"

وكان ردهم ان "المينساينغدانيين" يتصرفون بهذه الطريقة ايضا. وانه اذا كان لم يهرب ولم يعتد على حياتى رغم حيازته السلاح، فقد فعل ذلك لكى يكسب ثقتى ويتغلغل بمزيد من العمق فى صفوفنا، ويتمكن بذلك من القيام باعمال اكبر لمصلحة "مينساينغدان". ولهذا يجب عدم الثقة به.

عندئذ كلفت هان بونغ سون بمهمة ثانية. طلبت منه ان يضع متفجرة تحت خط السكة الحديدية تومين جياموسى.

وابتسم فى هذه المرة ايضا ابتسامته العريضة نفسها، وانطلق الى موقع العملية دون تردد.

وقد حذرته قبل ان اودعه من انه مقدم على مجازفة كبيرة، وعليه الاحتراس كى لا يقع فى قبضة العدو. فقال لى انه لا يخشى الاعتقال لأنه امر تافه. ورجانى ان نثق به تماما، وانه لن يخوننا حتى ولو وقع فى قبضة العدو. واضاف ان أسوأ ما يمكن ان يحدث له هو الاعدام.

وفيما بعد، ضممت هان بونغ سون الى جماعة الاقتحام. فى ذلك الوقت قمنا بغارة على قرية اعتقال جماعى بالقرب من وانغتشينغ. وكانت معركة حامية الوطيس. كان هان بونغ سون الذى يقود جماعة الاقتحام، اول من اندفع الى موقع محصن، وفقد يومئذ لسوء الحظ، احدى ذراعيه. ولكن هذا المقاتل المتفائل المقدام، تحرر بهذا " الثمن" نهائيا من تهمة الانتماء الى " مينساينغدان."

لقد اثبت من خلال اختباره ثلاث مرات انه ليس "مينساينغدانيا"، بل ثورى مخلص. ولو انى احلت هان بونغ سون الى رئيس قسم التنظيم دون ان اختبره لكانوا اتهموه بالرجعية واعدموه. وواقع ان ارجائى تنفيذ امر اليساريين لبعض الوقت، وانقاذ حياة هان بونغ سون من خلال اختباره، كان امرا محفوفا بالمخاطر، يهدد حياتى

بالذات. ولو انه قتل بذلك السلاح احد العاملين القياديين او هرب الى معسكر الاعداء، لما تسنى لى فى اى حال من الاحوال ان اتهرب من مسؤولية الثقة به.

وكانت هذه هى مخاطرتى الثالثة، التى تبعتها مجازفات اخرى.

فى ميدان ذلك " النضال الطبقى" الفظيع، كانت مصائر عشرات ومئات الناس تتقرر بأمر شفوى، واحيانا باشارة من يد شخصية قيادية. كنت اواجه على الدوام تحديات اناس عديمى الاحساس، كأنهم الاخشاب او الحجارة، لم يفقدوا ما يلازم الثورى من عقل سليم وقدرة على التحليل والتفكير وحسب، بل فقدوا ايضا حتى ابسط الملامح الانسانية والشعور بالواجب الاخلاقى. ويمكننى ان اؤكد ان سوابقى الناصعة مثل الورقة البيضاء، ونجاحاتى القتالية التى حققتها كقائد فى حرب العصابات، ومرتكزاتى النظرية قد اتاحت لى ان اتصرف حتى النهاية بكرامة وعدل، وبما تمليه على قناعاتى الخاصة، دون ان اتراجع عن اى موقف من مواقفى.

اضف الى ذلك ان عددا غير قليل من الكوادر الصينيين ممن يشغلون مناصب قيادية فى تشينتاو كانوا قد تأثروا بنا كثيرا منذ مرحلة جيلين، ولم يكن بوسعهم حتى التفكير فى الصاق تهمة "المينساينغدانية" بى.

بينما كان اعصار النضال الهائج ضد "مينساينغدان" يعصف بمناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية، استعدت عافيتى من المرض، وقمت بالاستعدادات للذهاب الى داهوانغواى.

وحيث اننى كنت قد لازمت الفراش طوال عدة اسابيع، فان وضعى الجسدى لم يكن يمكننى من حضور الاجتماع. ولكن، كان على الذهاب مهما كلف الامر، لان الاجتماع سيعقد بناء على طلبى والحاحى. ومع ذلك، فقد عارض قرارى فى الذهاب رفاق كثيرون من جيش حرب العصابات، بمن فيهم آمر السرية الرابعة وموجهها السياسى.

وقد قال لى الموجه السياسى فى السرية الرابعة على انفراد:

"ايها الرفيق القائد، ان الاجواء هناك تثير قلقنا، فقد جاء مبعوثون من الحزب ومن لجنة اتحاد الشباب الشيوعى على مستوى اقليم منشوريا. صحيح ان الحقيقة الى جانبك، ولكنك وحدك، وهم الاغلبية."

وحتى جندى الاتصال او داى سونغ ابدى قلقه من رحلتى الى داهوانغواى. ولم يكن هناك متفائل واحد يبث فى نفسى الأمل بان ذلك الاجتماع سيستقبلنا ببشاشة ويؤدى الى نتائج مرضية.

ولم يكن فى قلقهم من مشروع سفرى اى مبالغة على الاطلاق.

كنا فى شباط ١٩٣٥، وكانت لجنة الحزب فى اقليم منشوريا قد اصدرت توجيها سريا الى منظماتها على كافة المستويات والى جميع اعضائها فى منشوريا الشرقية، طالبت فيه بأنه لا بد من اجل تحويل الحزب كله الى البولشيفية، من الدفع النشيط لعملية التطهير، والنضال على جبهتين: ضد اليسارية وضد اليمينية على السواء، بحيث تتم التصفية التامة لجميع العناصر المعادية للثورة التى تسربت الى صفوف الحزب، والقضاء على التوجهات الفئوية والقومية والاصلاحية الاجتماعية. وكانت النتيجة ان النضال ضد "مينساينغدان" اتخذ صبغة اكثر تطرفا يساريا وقسوة فى جميع منظمات الحزب فى منشوريا الشرقية.

وحتى ذلك الحين، كانت مناظرتى مع اليساريين حول قضية "مينساينغدان" تجرى فى اماكن غير رسمية وبصورة عفوية. اما اجتماع داهوانغواى الذى سيحضره جميع كبار القادة فى الحزب والجيش واتحاد الشباب الشيوعى، فانه سيتخذ طابعا رسميا وربما ستكون المناقشات فيه حادة. واذا كنت وحدى سأمثل القوى المعارضة لليسارية، فاننى قد اجد فى مواجهتى قوة من ١٠ اشخاص او ٢٠ شخصا واكثر. فقد اعتاد الجميع على التزام الصمت واغماض اعينهم عند طرح قضية "مينساينغدان" على الرغم من ان لديهم ما يقولونه. ومن هنا سيتعين على ان اخوض معركة صعبة جدا، مع الحاضرين جميعهم. وقد تتحول المناظرة الى محاكمة ضدى، وقد يتحول مقر الاجتماع الى قاعة محكمة لدفنى فيما بعد. وكان هناك احتمال ايضا بان يلجأ البعض الى ممارسات متطرفة، مثل محاولة دفنى، ليس سياسيا وحسب، بل وجسديا ايضا، بذريعة انى من " مينساينغدان."

وكان هذا التخوف هو اشد ما يقلق رفاقى فى السلاح. فقد كانوا يعرفون جيدا ان أولئك الاشخاص الذين يديرون دفة " التطهير" هم أناس متحجرو الافئدة

وعديموالاحساس والرحمة تماما. ولهذا السبب توسلوا الى بعدم الذهاب الى داهوانغواى.

ولكننى حزمت أمرى على الذهاب.

"ايها الرفاق، يتعين على ان اقطع هذا الطريق حيا او ميتا. ان عدم ذهابى الى داهوانغواى سيعنى الانتحار. والآن تتوفر لى فرصة جدية لانقاذ مصير الشيوعيين الكوريين، واخراج الثورة الكورية من الازمة. فلا مناص من المواجهة. ولا بد من التمييز بين الاسود والابيض."

لم استطع الوصول الى داهوانغواى الا فى اليوم الثانى من الاجتماع، وكنت استند الى او داى سونغ وجندى اتصال آخر.

كان الاجتماع يجرى فى مكتب اللجنة الفلاحية فى الدائرة الثامنة، تحت حراسة مشددة من مقاتلى الجيش الثورى الشعبى. وقد استقبلنى مبعوث لجنة الحزب فى اقليم منشوريا وى جين مين برفقة وانغ ريون تشينغ، وجو شو دونغ، وتشاو يا فان، ووانغ دى تاى، ووانغ جونغ شان، وكوادر آخرين من لجنة الحزب ولجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة. وفى ذلك المبنى الرحب، كان يجرى الاجتماع الذى سماه الصينيون الاجتماع المشترك للجنة الحزب ولجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة. ويسمونه فى بلادنا اجتماع داهوانغواى. وقد اطلق عليه بعض المؤرخين فى فترة ما تسميته "اجتماع الملاكات العسكرية والسياسية فى الجيش الثورى الشعبى الكورى"، وهى تسمية لا يمكن اعتبارها صحيحة.

دام اجتماع داهوانغواى نحو عشرة ايام. ولم يكن عدد الحاضرين فيه ثابتا، ففى سياق الجلسات كان بعضهم يغادرونه والبعض يدخلون. وكانت اغلبية الحاضرين من الصينيين، وكان هناك عدد قليل من ذوى الجنسية الكورية، منهم: سونغ ايل، ريم سو سان، زو دونغ ووك، وانا نفسى. وفى ايام الاجتماع قام زو دونغ ووك بدور المترجم للكوريين الذين لا يعرفون اللغة الصينية. وقد اشتركت انا فى الاجتماع بصفتى عضوا فى لجنة الحزب فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة.

ما هو سبب الدعوة الى اجتماع داهوانغواى؟ السبب هو ان لجنة الحزب فى

اقليم منشوريا تلقت تقريرا لا اساس له من الصحة، يقول ان ٧٠ بالمئة من الكوريين الذين يعيشون فى منشوريا الشرقية هم " مينساينغدانيون". وقد قدم ذلك التقرير تشونغ جى يون (الملقب سياو تشونغ)، الذى زار تشينتاو، كمفتش جوال من لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى اقليم منشوريا، للاطلاع على سير العمل فى المنطقة. ما الذى سيحل بالثورة فى منشوريا الشرقية اذا كانت تلك المعلومات صحيحة فعلا؟ وكانت من الطبيعى ان تسارع لجنة الحزب فى اقليم منشوريا الى ارسال مندوب عنها الى منشوريا الشرقية بسرعة لاتخاذ التدابير اللازمة. وقد تواصلت المناظرة نهارا وليلا.

وبدأت تحتدم بعد ان كرر تشونغ جى يون فى تقريره مزاعمه السابقة القائلة بان ٧٠ بالمئة من الكوريين، و ٨٠ – ٩٠ بالمئة من الثوريين الكوريين فى منشوريا الشرقية هم اعضاء فى "مينساينغدان" او مشتبهون بانتمائهم اليها، وان مناطق حرب العصابات تحولت الى مراكز تدريب " لمينساينغدان".

كان الجو العام يميل الى تأييد تقرير تشونغ جى يون. وقد اعلن بعض الخطباء ضرورة تعزيز لجان "التطهير"، بينما طالب آخرون بتصفية "مينساينغدان" ووصفوا العملية كما لو كانت عملية خاصة تتلخص فى قيام الثورة بتطويق وابادة الثورة المضادة الداخلية. وكان هناك من ألحوا على ضرورة استئصال البذور التى نثرتها هذه المنظمة الرجعية من جذورها دون رحمة وبشكل نهائى.

طرحت عليهم بضعة اسئلة:

"اذا كان الثوريين الكوريون العاملون فى منشوريا الشرقية (مينساينغدانيين) بأغلبيتهم، فهل يعنى هذا ان جميع الرفاق الكوريين الحاضرين فى هذا الاجتماع، بمن فيهم انا، اعضاء فى (مينساينغدان) وفى هذه الحالة، فأنتم تجلسون الآن الى طاولة واحدة مع (المينساينغدانيين)، أليس كذلك؟

فاذا كنا من (مينساينغدان)، فلماذا دعوتمونا لبحث الامور السياسية بدلا من ان تزجوا بنا فى السجن، او تقتلونا؟ وهل تشمل الارقام التى ذكرتموها، الثوريين الذين استشهدوا فى ميادين القتال؟ لنفترض ان الارقام تشملهم. فكيف تفسرون تضحيتهم

بحياتهم فى الحرب ضد الامبريالية اليابانية؟ وهذا يعنى ايضا ان اليابانيين قتلوا كثيرين من عملائهم، فما الذى يضطرهم الى قتل (المينساينغدانيين) الذين دربوهم بأنفسهم؟

وهل تعتبرون ٨٠ – ٩٠ بالمئة من رجال السرية الاولى التى تحرس مكان هذا الاجتماع (مينساينغدانيين) ايضا؟"

حينئذ، ساد قاعة الاجتماع صمت بارد بسبب اسئلتى، بعد ان كانت تضج بالصخب. وقد بدا الامر غريبا حتى بالنسبة لى شخصيا. لم يتجرأ الناس على الاجابة، واكتفى الجميع بتوجيه ابصارهم الى وى جين مين الجالس على منصة الرئاسة. واصلت الكلام:

"من المعروف ان أى مادة ستتحول الى مادة اخرى اذا دخلت فى تركيبها العضوى عناصر اخرى بنسبة ٨٠– ٩٠ بالمئة. وهذا قانون علمى.

ان اتهامكم ٧٠ بالمئة من السكان الكوريين فى منشوريا الشرقية بالتواطؤ مع (مينساينغدان) يعنى ان جميع الشبان والكهول الكوريين، باستثناء الشيوخ والنساء والاطفال هم من (مينساينغدان). فهل هؤلاء (المينساينغدانيون) هم الذين يقومون بالثورة فى منشوريا الشرقية، ويخوضون النضال الدامى ضد اسيادهم؟

هنالك من يصرحون علنا بان غالبية الشيوعيين الكوريين العاملين فى منشوريا الشرقية هم من (مينساينغدان)، وهو زعم يفتقر الى العقلانية. فاذا كانوا اعضاء فى (مينساينغدان)، فلماذا يقاتلون العدو منذ ثلاث سنوات وسط ظروف قاسية فى مناطق حرب العصابات المحاصرة على الدوام؟ ولماذا يكابدون الجوع ويعيشون هناك دون بيوت او ملابس تقيهم برد الشتاء القارس؟

لا داعى الى التحدث عن ٨٠– ٩٠ بالمئة من الثوريين الكوريين، فلو كان عشر هذا العدد، أى ٨–٩ بالمئة، من (المينساينغدانيين)، لما كان بوسعنا ان نعقد هنا هذا الاجتماع بهدوء وطمأنينة. لان مهمة حراسة هذا المبنى يتولاها جنود السرية الاولى المؤلفة من الكوريين المسلحين جيدا. ويتواجد هنا الآن جميع الثوريين المعروفين والنواة القيادية فى منشوريا الشرقية الذين يبذل العدو كل جهده منذ سنوات للقضاء عليهم. فاذا صدق الرأى القائل ان معظم افراد السرية الاولى ينتمون

الى (مينساينغدان)، ألا تجدون غرابة فى انهم لا يهاجمون المكان ويقتلوننا جميعا رغم انهم يملكون اسلحة جيدة؟"

وبقى اصحاب الرأى القائل ان الجميع "مينساينغدانيون"، محتفظين بالصمت ايضا امام هذا السؤال.

وتابعت اقول:

"الواقع ان السرية الاولى هى سرية سيئة الطالع لاتهامكم لها بانها (مينساينغدانية). ولكننى امضيت شخصيا زهاء٢٠ يوما فى هذه السرية وتأكدت من انه ليس ثمة مبرر لاعتبار كل افراد السرية (مينساينغدانيين). بل على العكس تماما. فخلال عشرين يوما من التوجيه والتقصى، تحولت الى وحدة نموذجية، بل وانبثقت منها سرية جديدة، هى السرية السابعة. ثم اذا اخذنا فى الاعتبار نتائج التجارب الميدانية فى المعارك نفسها، فان الوقائع تثبت بوضوح ان غالبية الكوريين والثوريين الكوريين المقيمين فى مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية لا يمكنهم ان يكونوا من (مينساينغدان).

يشير التقرير الى ان مناطق حرب العصابات هى بؤر لتدريب عناصر (مينساينغدان)، وان هؤلاء يتغلغلون فى منظمات الحزب واتحاد الشباب الشيوعى؛ وان لى يونغ كوك هو مسؤول عن (مينساينغدان) تغلغل الى الحزب فى محافظة وانغتشينغ، وكيم ميونغ كيون هو المسؤول التنظيمى والعسكرى عن (مينساينغدان) فى المحافظة نفسها، ولى سانغ موك هو مسؤول (مينساينغدان) للشؤون التنظيمية فى الحزب فى منشوريا الشرقية، وان زو زين هو زعيم (مينساينغدان) فى الفرقة الاولى من الجيش الثورى الشعبى، وان باك تشون هو رئيس هيئة اركان (مينساينغدان) فى الجيش المذكور. فاذا كان هذا صحيحا، فهل يمكن اعتبار لجنة الحزب فى منشوريا الشرقية، ولجنة الحزب فى محافظة وانغتشينغ، والفرقة الاولى من الجيش الثورى الشعبى تابعة بأسرها الى (مينساينغدان)؟ وهل من المسموح النظر الى كوادر الحزب فى منشوريا الشرقية على انهم قادة ومحركو (مينساينغدان)؟"

وكان رد الحاضرين على هذا السؤال هو الصمت ايضا.

ولكن وى جين مين وحده بصفته مندوب لجنة الحزب فى الاقليم، والمكلف بمهمة اجمال وتحليل وتقويم ذلك النضال بطريقة موضوعية وصحيحة، اعرب عن رأيه بتخطئة الميل الى اعتبار منظمات الحزب واتحاد الشباب الشيوعى نفسها كمنظمات موالية " لمينساينغدان"، ودعا الى ضرورة التمييز بين العام والخاص. وقد خففت مداخلته قليلا من حدة التوتر الذى ساد مكان الاجتماع.

اعلنت بلهجة حازمة ان الصاق تهمة "مينساينغدان" بغالبية سكان منشوريا الشرقية هو تصرف مشين ومهين للكوريين، وانه لا بد من تصحيح هذا المفهوم فورا فى ذلك الاجتماع بالذات.

وجاء رفض تشاو يا فان لطلبى على الفور:

"انت تصر على انه لا وجود (لمينساينغدان)، وهذا تقويم ذاتى لا يستند الى الواقع. ففى السجون يقبع الآن مئات المتورطين. وقد اعترفوا بأنفسهم انهم اعضاء فى (مينساينغدان)، وهم يدونون اعترافاتهم بأيديهم. فما معنى هذه الاعترافات الشفوية والكتابية اذن؟ هل تريد تجاهل هذه الأدلة المادية؟"

" نحن لا نعترف بصلاحية هذه الاعترافات التى تتحدث عنها. لان هذه الأدلة المادية المزعومة انتزعت، بمعظمها، بأساليب قسرية فى زنازين التعذيب. أنا ذهبت الى السجون، والتقيت بعشرات من هؤلاء (المعترفين)، ولكن أيا منهم لم يعترف بتلك الاعترافات. انى مقتنع باخلاصهم الذى اظهروه فى العمل والحياة اليومية اكثر من اقتناعى بهذه الاعترافات التى حصلتم عليها. قل لى بصراحة كيف انتزعتم هذه الاعترافات والاقرارات المكتوبة... ان معظم من اتهمتموهم بالتواطؤ مع (مينساينغدان)، ارتضوا بتلك التهمة المزيفة لانهم لم يستطيعوا تحمل التعذيب الجسدى الذى فرضه عليهم منفذو (التطهير). انكم تفبركون (مينساينغدان) بأى ثمن."

فجأة صرخ تشاو يا فان: " بودوى!" (أى: كلا!).

هذه "بودوى" الحادة وترت اعصابى الى اقصى حد. ولو ان شخصا آخر قال هذه الكلمة، لكنت تغاضيت. ولكن، كيف يتجرأ تشاو يا فان على ان يصرخ هكذا فى ذلك المكان؟

هويت بكل ما فى قبضتى من قوة على ارضية القاعة، وقلت له:

"ما هو غير الصحيح؟ عليك ان تعرف ان عيون الكوريين فى تشينتاو تترصدك. لأنك أسأت استعمال وظيفتك، وقتلت الناس الابرياء جزافا! بيد من مات كيم زونغ ريونغ، المفوض السياسى فى وحدة آنتو لحرب العصابات؟ من قتل كيم ايل هوان، امين لجنة الحزب فى محافظة هيلونغ؟ اجبنى اليوم، وهنا بصراحة. ان تشاو يا فان لم يكن فى سنوات جيلين بمثل هذه القسوة، ولم يكن لديه هذا التعطش الوصولى. لقد بكيت بحرقة عندما تلقيت خبر موت كيم ايل هوان. ألم يكن رائدك فى الثورة! لربما لم تستطع انقاذه من الموت، ولكن كيف كان بوسعك ان تقتله؟!"

وحيث اننى كنت احد رفاق كيم ايل هوان فى السلاح، وممن حزنوا من صميم قلوبهم لموته وشاركوا فى جنازته، فقد وجهت اليهم هذا الانتقاد الحاد والحازم.

كان كيم ايل هوان واحدا من الثوريين الاوائل الذين كسبناهم الى جانبنا عندما بدأنا الاستعدادات فى مناطق منشوريا الشرقية، وقد كان شخصا لا يقل موهبة عن او زونغ هوا. ولست اذكر بالضبط اين جرى لقائى الاول معه، ربما فى بيت تشاو يا فان، او فى بيت لى تشونغ سان. ولكنى مازلت اتذكر حتى الآن تفاصيل الاحاديث الصريحة والمفتوحة التى تبادلناها حتى الفجر عند انعقاد اجتماع مينغويكو. وقد تركت محادثتى الاولى معه انطباعا عميقا فى نفسى. فعلى الرغم من فارق السن الكبير بيننا، لم يكن كيم ايل هوان متكبرا ومتعجرفا، بل كان متواضعا، وعاملنى معاملة الند للند.

ان كيم زون وتشاى سو هانغ اللذين كانا يجوبان شوارع جيلين ولونغجينغ كتوأمين، هما من عرفنى على او زونغ هوا، كما ان جماعة زملائهما هى التى عرفتنى على كيم ايل هوان.

"انه لاعب كرة قدم نال ثورا كمكافأة". بهذه الكلمات كان تشاى سو هانغ يبدأ عادة تعريف الآخرين على كيم ايل هوان. وكان هذا ما قاله فى اجتماع مينغويكو لتقديمه الى المشتركين فى الاجتماع. لقد كان تشاى سو هانغ لاعبا جيدا لكرة قدم، وكان من عادته عند تقويم أى انسان ان يتخذ مهارته فى لعب كرة القدم كمعيار. وقد كان معيارا مثيرا للفضول حقا.

وعلى كل حال، اصبح كيم ايل هوان معروفا كرياضى كبير بين الثوريين فى منشوريا الشرقية بفضل هذا التعريف الذى قدمه به تشاى سو هانغ.

كان كيم ايل هوان عاملا سياسيا محنكا ومجربا. وكان، مثل او زونغ هوا، رائدا يقتدى به بين شيوعيى تشينتاو فى تثوير وسطه العائلى. فقد كان جميع افراد عائلته ثوريين معروفين، ووطنيين متحمسين، بذلوا حياتهم على مذبح الثورة.

فأمه، او اوك كيونغ، كانت عضوة قديمة فى الحزب الشيوعى كرست حياتها كلها لمساعدة الثوريين. وزوجته، لى غى سون، هى ابنة مجيدة للأمة الكورية ناضلت بشجاعة، وحافظت على نقائها الثورى حتى اللحظة الاخيرة من حياتها. واخوه الاصغر، كيم دونغ سان، مارس مهامه كعامل سرى الى ان لقى مصرعه خلال احدى عمليات "التأديب" المعادية. وكان كيم زونغ سيك من وحدة هيلونغ لحرب العصابات هو ابن عمه. كذلك كرست عائلة زوجته كل شيء للثورة فصهره، لى زى تشون، كان من اولئك الذين جاؤوا الينا فى مرحلة جيلين المبكرة لنعلمه توجهات النضال.

واستطيع القول بايجاز فى انطباعاتى عن كيم ايل هوان، انه كان مثل بذرة جيدة الانتاش، ومثقفا كفوءا تعلم ودرس بمثابرة واجتهاد.

لقد مارس كيم ايل وباك يونغ سون العمل السرى معه طوال سنوات فى هيلونغ، وكثيرا ما كانا يذكران انه يملك اسلوبا جيدا ومناهج ناضجة فى العمل، ويتمتع بشعبية واسعة بين الجماهير. وقد تربيا كعاملين حزبيين تحت اشرافه وبتأثيره. واعتقد ان هذه المزايا كانت الدافع لارساله بكثرة الى العمل بين وحدات جيش الانقاذ الوطنى الصينى. وكان جميع مقاتلى ذلك الجيش يعاملونه باحترام وتكريم.

ذات مرة، اغارت وحدة لى دو سون من جيش جينغآن على تشيتشانغتسى من اجل "تأديب" وحدات جيش الانقاذ الوطنى فى آنتو. وقد فتش جنود جيش جينغآن كل مكان فى القرية بحثا عن طرائدهم. وعثروا فى بيت كيم ايل هوان على حزم من المناشير. وكانت عبارة عن نداء هام كان على امه ان تنقله الى منظمة محلية اخرى.

احس لى دو سون بالزهو لانه وجد شيوعيين. فاعتقل جميع افراد اسرة كيم

ايل هوان وبدأ يستجوبهم. وقد خطرت لأمه فكرة جيدة لتفسير وجود المناشير، فقالت ان شخصا مجهولا تركها فى بيتها. ولكن الاعداء لم يصدقوا قولها. كانت عينا لى دو سون تطلقان شررا من الغيظ. وفى تلك اللحظة التى لم يكن احد يدرى ما سيحل بهذه الاسرة من مصائب، تدخل اقطاعى من الجوار، واقنع لى دو سون، بأعذب ما لديه من كلمات، ان تلك الاسرة ليست شيوعية، وانما هى اسرة فلاحين من رأسهم الى اخمص قدمهم. وقد كانت هذه النهاية السعيدة ايضا نتيجة عمل سابق بذله كيم ايل هوان نفسه لتثقيف ذلك الاقطاعى.

وكانت اهم سمة من مميزات كيم ايل هوان هو موقفه غير المهادن تجاه الظلم وروحه الثورية المبدئية الراسخة. وبسبب هذه الصفات، تعرض فيما بعد لتهمة المشاركة فى "مينساينغدان" ولاحقه اليساريون، ولقى مصرعه اخيرا على ايديهم. كان الشوفينيون اليساريون والفئويون المرتهنون يكنون اشد الكراهية لاولئك الاشخاص الذين لا يتزلفون الى السلطة، ولا يرقصون على انغام الآخرين، بل يعيشون وفق مبادئهم ووجهات نظرهم الخاصة. وواضح انه حيث تسود المبادئ، لا يمكن ان يسود الظلم، ولا يمكن للشياطين ان تضع اقدامها.

فى القرية التى كانت تعيش فيها عائلة كيم ايل هوان، كان يترأس المنظمة الحزبية شخص يدعى لى اوك مان، وكان عنصرا دخيلا اندس فى صفوف الثوريين، وفاسقا مدمنا على تدخين الافيون. وقد وجه اليه كيم ايل هوان انتقادات رفاقية لعلاقاته الفاجرة مع عدد كبير من النساء باستغلال منصبه، ونصحه بالاقلاع عن تدخين الافيون. ولو ان لى اوك مان كان رجلا ذا عقل، لكان عليه ان يشكره على هذا النقد. ولكنه اقدم على الانتقام منه، فحرض يساريى المراتب العليا على عزل كيم ايل هوان من امانة لجنة الحزب فى المحافظة بتهمة التواطؤ مع "مينساينغدان".

وحتى بعد عزله من منصبه، واصل كيم ايل هوان العمل باخلاص. ومن اجل اختباره، ارسله اليساريون للعمل مع العمال فى منجم للفحم يستثمره رأسمالى.

لقد كان بوسعه ان يستغل فترة اختباره ويرحل مع عائلته الى منطقة يشرف عليها العدو، ويضع بالتالى حدا للآلام التى يسببها له اليساريون. ولكن لم يشأ ان يلطخ

اسمه بعار الفرار من الصفوف الثورية، حتى ولو لم يتسن له التخلص من تهمة الانتماء الى "مينساينغدان"، وجرى اعدامه ظلما امام سكان منطقة حرب العصابات.

وحين احس ان لحظة اغتياله تقترب، قال كيم ايل هوان لأمه وزوجته:

"سيعتقلوننى ويقتلوننى. أنا لا انتمى الى (مينساينغدان)، المنظمة العميلة لليابانيين، ولم افكر يوما بالانتماء اليها. واعتقد انه من الافضل لى البقاء هنا والحفاظ حتى النهاية على ولائى الثورى، حتى ولو قتلونى بتهمة (مينساينغدان). اذا استسلمت للاعداء كى احافظ على حياتى، فاننى سألحق بالثورة ضررا اكبر. ولن يكون بالامكان عندئذ الصفح عن جريمتى بخيانة الثورة.

ان رغبتى الاخيرة هى ان تواصل اسرتنا كلها النضال دون يأس، حتى يوم تحرر بلادنا واستقلالها."

وفى تشرين الثانى عام ١٩٣٤، قاده اليساريون للمثول امام المحكمة، وكانت لائحة الاتهام التى قدمها لى اوك مان بعبارات مسمومة حافلة، من اول سطر الى آخر سطر فيها، بالكذب والاختلاق:

"هذا الشخص هو الاكثر خبثا بين الرجعيين. لقد استجوبناه مدة طويلة، ولكنه لم يبح بشىء. لا احد يعرف اية شرور يخبئ فى نفسه، ربما حية سامة او ثعبان. اذا أبقينا امثاله من الاوغاد على قيد الحياة، فان ثورتنا ستبلى مثل اسمال مهترئة قبل مضى عشرة اعوام. فما علينا أن نفعل: هل نبقيه حيا لم نقتله؟"

ولم يجب الجمهور بشىء على هذا السؤال. تهامس البعض بالطبع قائلين: اذا اعدموا امثاله كلهم فكيف يصنعون الثورة الشيوعية. ولكن لم يتقدم شخص واحد للدفاع عن العدالة واعلان براءة المتهم امام الملأ.

وعلى الرغم من ان اهالى تشيتشانغتسى كانوا يعرفون ان ممارسات اولئك المتنفذين كانت ظالمة، الا انهم لم يتجرؤوا على قول الحقيقة. لان من سيطالب ببراءة كيم ايل هوان سيتهم بأنه من "مينساينغدان".

اصدرت العناصر اليسارية حكمها باعدام كيم ايل هوان، احد مؤسسى وحدة هيلونغ لحرب العصابات.

وقد صاح بجلاديه:

"سيظهر التاريخ من هو (المينساينغدانى) ومن هو الشيوعى الحقيقى!.. وسيميز التاريخ حتما بين الابيض والاسود!"

بعد سماع صرخة المحكوم عليه بالاعدام، نهض فى اماكن عديدة جنود جيش الانقاذ الوطنى من وحدة سون تشانغ شين وهم يرفعون البنادق، وصاحوا باستياء: "لماذا تريدون قتل كيم ايل هوان؟ انه معلمنا والمحسن الينا. اذا كان هذا الثورى (مينساينغدانيا)، فمن هم الذين ليسوا (مينساينغدانيين)؟! نحن نكفله برؤوسنا. الغوا حكم الاعدام. والا فاننا لن ندعكم فى راحة البال...".

تحت ضغط مقاتلى جيش الانقاذ الوطنى، اضطر اليساريون الى الغاء حكم الاعدام واخلاء سبيل كيم ايل هوان. ولكنهم قتلوه غيلة فى الليلة ذاتها.

وواصلت كلامى فى الاجتماع وقلت بصوت محزون وانا احدق بوجه تشاو يا فان:

"اود لو اسألكم سؤالا. هل صدقتم بالفعل ان كيم ايل هوان كان عضوا فى (مينساينغدان)؟ ألم تقتلوه وانتم تعرفون انه لم يكن كذلك، لكى تتوصلوا الى هدف آخر؟ اذا كان شخص مثل كيم ايل هوان (مينساينغدانيا)، فمن هم الذين ليسوا كذلك فى تشينتاو؟"

ثم واصلت خطابى بنبرة اكثر خفوتا:

"ايها الرفاق! كفوا عن المقامرة بمصائر الناس. عاملوا الناس كبشر، والرفاق كرفاق والجماهير الشعبية كجماهير. ألسنا مقاتلين انطلقنا من اجل تغيير هذا العالم وسلاحنا هو حب الانسان والرفيق وجماهير الشعب؟ اذا لم يكن الحب هو سلاحنا، فماذا يميزنا عن البرجوازيين او عن قطاع الطرق؟ اذا واصلنا اهانة الناس بذريعة (التطهير)، فان الشعب سيعرض عنا الى الابد، ولن تغفر لنا الاجيال القادمة. ان الطريق الوحيد للتعويض عن آلاف الشهداء الذين قتلوا ظلما بتهمة التعاون مع (مينساينغدان) هو وقف هذه المجزرة الجنونية، وتوحيد كل القوى فى المقاومة المناهضة لليابان، وذلك بانتهاج سياسة الحب والثقة والتلاحم. اطرحوا جانبا طعم (مينساينغدان) الذى يرميه العدو. ولا تسمحوا للفئوية والشوفينية وروح المغامرة

بالتسرب الى صفوفنا. فهذا وحده سيبرئ الجراح التى اصبنا بها فى السنوات الاخيرة بسبب (مينساينغدان)، وهذا وحده سيفتح طريق الخلاص لجماهير الشعب والثورة، ويرفع الروابط الاممية بين الشيوعيين الكوريين والصينيين الى مستوى جديد. يجب ان يرتكز التلاحم الحقيقى بين ثوريى بلدينا على الاحترام والتفاهم المتبادلين والثقة الطبقية، وان تكون الاخوة هى اساسه. يجب علينا، اكثر ما يجب، ان نحترس فى نضالنا المشترك من مطامع الهيمنة. فاذا سعى احد الطرفين الى مصالح أنانية وضحى من اجلها بالطرف الآخر، فلا يمكن للتعاون ان يكون وطيدا. خلاصة القول، ان وفاقنا سيكون خالدا ووثيقا عندما تكون الثقة والمحبة هى قوته المحركة."

وقد شهد اجتماع داهوانغواى مناقشات حادة ايضا حول مسألة الكوادر. وكانت نقطة البداية فى هذه المناظرة هى مزاعم بعض الافراد فى قيادة لجنة الحزب الذين قالوا انه لا يمكن للكوادر ان يكونوا من الاقلية القومية، وان تكون هذه الامكانية متاحة للاغلبية القومية وحدها، وانه ليس من العدل او العقلانية ان تتولى الاقلية قيادة الاغلبية. وخلصوا الى القول ان الكوريين اقلية قومية، ولا يمكنهم بالتالى ان يقودوا اغلبية، واضافوا ان لدى الثوريين الكوريين ميولا فئوية قوية وطباعا متأرجحة، مما يجعلهم يرتدون الى مواقع الرجعيين بسهولة.

لقد كان مؤكدا ان لجنة الحزب فى اقليم منشوريا قد اصدرت توجيها سريا حول قضية اختيار وتنصيب كوادر المنظمة الحزبية فى منشوريا الشرقية ووجوب تغيير الاتجاه السابق باعطاء الافضلية للكوريين على الصينيين. وكان جوهر هذا التوجيه يتلخص فى "استبدال القاعدة الكورية فى منشوريا الشرقية بقاعدة صينية"، متعللين بان " بنيان الثورة المستندة الى اقلية قومية" لا يكون راسخا وانه "لا يمكن نجاح الحركة الاستقلالية او الشيوعية فى ظل قيادة الاقلية"، وان الكوريين الذين لم يحققوا حتى ذلك الحين أى انتصارات فى الحركة القومية او فى الحركة الشيوعية، يمكنهم ان يتذبذبوا بسهولة ويتحولوا الى رجعيين، اضافة الى اختلاف لغتهم وعاداتهم.

وبمقتضى ذلك التوجيه، لا يجرى تعيين امين لجنة الحزب فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة وسائر الكوادر القيادية الا من قبل لجنة الحزب فى اقليم منشوريا.

كذلك يوصى التوجيه بالامتناع قدر الامكان عن تعيين الكوريين، فيما عدا حالات خاصة، فى منصب قيادى اعلى من منصب آمر سرية فى الجيش الثورى الشعبى.

اننى ما ازال مقتنعا، مثلما كنت فى تلك الايام، بان هذا التوجيه لم تضعه اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى. فقد صدرت الوثيقة المذكورة بينما كانت النواة القيادية فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى تقوم بالمسيرة الكبرى لمسافة ٢٥ الف رى، بعد اختراق الحصار الذى فرضته عليها قوات تشانغ كاى تشك. وفى هذا الوضع، كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى تحمل على كاهلها كل عبء الحرب الثورية وسط دوامة المجابهات الاهلية، وكانت تمر فى لحظات بالغة الصعوبة، ولم يكن فى وسعها بالطبع ان تهتم بالاحداث الجارية فى المناطق النائية فى شمال شرقى البلاد.

فى تلك السنوات، كان وانغ مينغ وكانغ شينغ يشرفان على قسم شؤون الشرق التابع للاممية الشيوعية. وكان جزء لا يستهان به من تدابير لجنة الحزب فى اقليم منشوريا يعكس توجيهات هذا القسم او يصاغ بوحى منها. فقد كانت هاربين هى مقر لجنة الحزب فى اقليم منشوريا. وكانت الرحلة من هاربين الى اركوتسك او الى فلاديفوستوك او الى خاباروفسك، حيث مقرات الاجهزة التابعة لقسم شؤون الشرق فى الاممية الشيوعية، اقصر بكثير من الرحلة الى جينغكانغشان او الى ينآن.

ان مزاعم بعض الافراد بان ممثلى الاقلية القومية لا يستطيعون ان يقودوا الاغلبية كانت تمس كرامتنا بصورة مؤلمة. وهذه المزاعم لم تكن تتجاوب مع مبادئ الشيوعيين فى اختيار وتعيين الكوادر، كما انها لم تكن تتفق مع البنية الاثنية للكوادر فى منشوريا الشرقية آنئذ.

ووجدت نفسى مضطرا للتدخل فى هذه المناظرة ايضا.

"بما ان الشيوعيين الكوريين والصينيين يناضلون ضد العدو المشترك – الامبريالية اليابانية – وواجبهم الاسمى هو النضال معا حتى تحقيق النصر، فانه لا بد من حل مسألة الكوادر بما يعزز التلاحم القتالى بين الشعبين، وينشط نضالهما المشترك المناهض لليابان، ولا بد عند ترقية الكوادر وتعيينهم من الانطلاق من المواقع الماركسية

اللينينية، آخذين فى الاعتبار اولا وقبل كل شىء اخلاصهم للثورة وكفاءتهم العملية.

وكما تعرفون جيدا، فان الكوريين هم رواد الحركة الشيوعية فى منشوريا الشرقية. اما بشأن بنية الكوادر واعضاء الحزب فى منشوريا الشرقية، فان الاغلبية الساحقة هم من الكوريين. فلماذا تطرحون، اذن، فجأة وبعد سنوات عديدة من النضال المشترك، آراء جديدة حول قيادة الاغلبية القومية للاقلية القومية واستبدال الكوادر المنحدرين من هذه الاقلية بآخرين من تلك، دون ان تأخذوا الواقع بعين الاعتبار؟

لا نريد التحدث عن تفوق الامة الكورية، ولا عن دونية امة اخرى، انطلاقا من موقف قومى. ومع ذلك، لا بد لنا من وضع حد للميل الاعمى الى ترقية بعض الاشخاص غير الاكفاء وغير المؤهلين، لمجرد انهم من الاغلبية القومية.

يجب ألا تؤثر الجنسية او الانتماء او الاغلبية السكانية على ترقية الكوادر وألا تكون عاملا فى هذا المقام. فيمكن للمرء ان يكون كادرا او لا يكون حسب كفاءته وبغض النظر عن انتمائه الى الاغلبية او الاقلية القومية."

وارتفع من بين المجتمعين صوت يقول ان معظم الثوريين الكوريين كانوا ينتمون فيما مضى الى الحركة القومية او يرتبطون بنشاطات فئوية، وهم لا يصلحون بالتالى لان يكونوا كوادر.

وفى الحال دحضت هذا الرأى.

"ان الاغلبية الساحقة من الثوريين الكوريين فى منشوريا الشرقية هم من جيل جديد نقى، بعيد عن أى شكل من اشكال الفئوية. وانتم تعرفون جيدا ان الشيوعيين الشبان المنحدرين من الطبقات القاعدية والذين ربيناهم بحماس، يشكلون القوة الرئيسية فى الجيش الثورى الشعبى. ان ممثلى هذا الجيل الشاب يعملون ككوادر قيادية فى الهيئات الحزبية والحكومية والمنظمات الجماهيرية. هناك بالطبع من اشتركوا من قبل فى الحركة القومية او اشتركوا فى الكتل الفئوية، ولكنهم تحولوا جميعهم الآن الى النهج الثورى."

وقبل ان انهى كلمتى، نهض آخر وهاجمنى من زاوية جديدة. وقد ادخل البلبلة الى الاجتماع بحججه الغريبة القائلة ان الفئوية هى من انجب "مينساينغدان"، وان

القومية هى ابو الفئوية، والامبريالية اليابانية هى ابو القومية. فاذا فسرنا كلامه مقلوبا فان جميع من شاركوا فى الحركة القومية والنشاطات الفئوية فى الماضى هم "ابناء" الامبريالية اليابانية. لقد كانت تلك السفسطة التى لا تستند الى اساس نظرى، هى تعبير عن عدم الثقة فى صفوف الحركة الشيوعية الكورية التى استوعبت الفئويين والقوميين السابقين واعادت تثقيفهم وتكوينهم.

وقد رأيت انه لا بد لى من الرد على هذا الطرح.

"الايديولوجية ليست شيئا ثابتا. وكذلك يمكن للاشخاص ذوى الافكار القومية ان يتحولوا الى شيوعيين عن طريق عملية تحويل متواصلة. أليس من السخافة القول ان من شاركوا فى الحركة القومية هم آباء الفئوية وابناء الامبريالية اليابانية؟

يمكن القول ان الفكرة القومية تستند الى حب الوطن والامة. وهذا يعنى اننا اذا اعتبرناها رجعية، رأينا فى الوطنية تيارا رجعيا. لا تتهموا كل قومى بالخيانة دون الاستناد الى اساس. فعندما لا تكون القومية اداة بيد البورجوازيين، علينا ألا نرفضها. فالنزعة القومية لم تكن رجعية، عبر التاريخ، الا عندما مثلت مصالح البورجوازيين وحدهم وادارت ظهرها لمصالح الامة جمعاء.

اذا نعت احدهم صون يات صن، واضع (المبادئ الشعبية الثلاثة : القومية، والديمقراطية، ورفاه الشعب)، بأنه ابن الامبريالية، فهل تقبلون مثل هذه الترهة؟ ان معارضة النزعة القومية تعكس بحد ذاتها موقفا قوميا متحيزا تماما.

هناك بين الفئويين والقوميين الكوريين من انتقلوا الى معسكر العدو، ولكن يجب الا ننسى انهم اقلية.

وثمة اناس يظنون ان النزاعات الفئوية هى طبيعة فطرت عليها الامة الكورية. وهم ينظرون الى جميع الشيوعيين الكوريين، بوجه عام، من خلال لون عدسات نظاراتهم، مدعين انه لا بد ان تكون لهم ارتباطات بالفئوية، وهى ادعاءات عارية عن الصحة تماما.

ان الفئوية موجودة فى الواقع، ليس فى صفوف الشيوعيين الكوريين وحدهم. فقد وجدت وما تزال موجودة فى ألمانيا وفى الاتحاد السوفييتى، كما هى فى الصين

وفى اليابان، وحتى فى الاممية الشيوعية نفسها. فلماذا يجب اعتبار الكوريين وحدهم امة تأصلت فيها هذه العادة حتى اصبحت عزيزة؟ ولماذا تستخدم صفة (الشيوعى الكورى) كمرادف لكلمة الفئوى؟ والآن يجادل البعض بأننا، كأقلية قومية اخفقت فيما مضى فى الحركة الاستقلالية والحركة الشيوعية، لا نستطيع تحقيق النجاح فى هاتين الحركتين، واننا قد نتذبذب بسهولة فى النضال الثورى ونتحول الى رجعيين، وبالتالى لا نصلح لان نكون كوادر قيادية. وهذا كله لا يعدو ان يكون حججا لا اساس لها تستهدف استبعاد الكوادر الكوريين.

وانطلاقا من هذه المواقف الشوفينية، طردتم وقتلتم، بتهمة (مينسايانغدان)، عشرات بل ومئات الشيوعيين الكوريين، ما بين كوادر عسكريين وسياسيين فى منشوريا الشرقية، مما قاتلوا معكم باخلاص وبسالة طوال سنوات فى الخنادق ذاتها.

وبسبب الانتماء الى الاقلية القومية، طرد قياديون كثيرون من مناصبهم، فهل مازلتم تريدون ابعاد المزيد؟

اذا واصلتم نبذ الكوريين والاساءة اليهم بعناد، كما تفعلون الآن ، فاننا لن نقبل بعد الآن حياة من يعيشون فى بيت غريب."

كان لتصريحى وقع القنبلة بين الحاضرين الذين رفعوا رؤوسهم ونظروا الى مذهولين. وهيمن على قاعة الاجتماع جو من التوتر كان بالامكان معه سماع صوت الحناجر وهى تبتلع اللعاب.

ولو ان احدا تجاسر فى تلك اللحظة على الرد على كلمتى او على النطق بكلمة واحدة تمس كرامتنا، لوصلت المناظرة الى نقطة القطيعة التامة. ولحسن الحظ ان مسألة الكوادر لم تثر جدالا اكثر حدة.

ومع تعمق اعمال الاجتماع، ازدادت حدة المناظرة بينى وبين اليساريين. وكان يحضر الاجتماع عدد من الكوادر الكوريين، ولكنهم لم ينبسوا ببنت شفة، ولزموا الصمت. لكنهم كانوا فى قرارة نفوسهم يؤيدون موقفى بالطبع. حتى ان سونغ ايل، ذاك الذى قام بدور لسان حال التيار اليسارى وسبب لنا آثارا مؤلمة، جاء لرؤيتى وشجعنى بالقول اننى قمت بما يخشى الآخرون القيام به. اما فيما يتعلق بوى جين

مين ووانغ ريون تشينغ، فقد كانا فى قرارة نفسيهما يشاطراننى آرائى رغم انهما لم يصرحا بموقفهما. وتجدر الاشارة الى ان وى جين مين قدم لى مساعدة كبيرة بآرائه العقلانية وموقفه العادل.

وسرعان ما تحولت الى ما يشبه الهيكل العظمى، لأننى كنت اقضى الليل والنهار فى المناقشات، دون ان اتناول فى اليوم سوى ثلاث وجبات من ثريد فول الصويا. وبعد انتهاء العمل اليومى الطويل، كنت اعود الى غرفتى فى ساعة متأخرة من الليل واتألم كالسابق من المرض. ولكن ما ان يطلع الصباح، حتى اذهب من جديد الى ميدان المناظرة. وبما انه كان على ان اواجه وحدى عدة مناظرين، فاننى لم اكن استطيع التفكير بالتغيب عن الاجتماع يوما واحدا، ناهيك عن الامتناع عن الحضور. فمن اجل انقاذ مصير الآلاف وعشرات الآلاف من الشيوعيين والكوريين الآخرين المقيمين فى تشينتاو، كان على ان اقذف بنفسى الى ميدان المناظرة، سواء شئت ام أبيت.

وفى عداد المسائل الخلافية فى الاجتماع كانت مسألة تقويم شعار التحرر الوطنى الذى رفعه الشيوعيون الكوريون. وبتعبير آخر، قضية اذا ما كان نضال الشيوعيين الكوريين فى الاراضى الصينية تحت شعار تحرير الوطن يتناسب مع مبدأ الاممية الشيوعية القائل بحزب واحد فى بلد واحد ام لا؛ واذا ما كان هذا الشعار متطابقا فى جوهره مع شعار "مينساينغدان" الرجعى الداعى الى "الحكم الذاتى للكوريين فى تشينتاو" ام لا.

زعم بعضهم ان الشعارين متطابقان، وان شعار الشيوعيين الكوريين يتناقض مع مبدأ الاممية الشيوعية المذكور.

ولم يكن عدد الكوادر الذين يفكرون بهذا الشكل واحدا او اثنين. لقد كانت وجهة نظر خطرة، تناقض موقفنا كليا. وبموجب هذه الرؤية، كان علينا، كما يبدو، ان نكتفى بأداء وظيفة الخدم او دور مفرزة فى جيش اممى من اجل ثورة بلد آخر وليس من اجل الثورة الكورية.

لم يكن بوسعى التسليم بوجهة النظر هذه التى تعتبر ثورتنا الكورية مجرد ملحق بالثورة فى بلد كبير آخر.

" شعار (الحكم الذاتى للكوريين فى تشينتاو) وضعه الامبرياليون اليابانيون فى يد (مينساينغدان)، بهدف زرع الشقاق بين شعبى كوريا والصين وشق صفوف الشيوعيين من الداخل وتوفير الشروط الملائمة بالتالى لفرض سيطرتهم الاستعمارية. ولا حاجة للقول ان هذا الشعار لا يمت بصلة الى شعار الشيوعيين الكوريين فى تشينتاو بصدد التحرر الوطنى.

فقد رفعنا شعارنا بهدف اسقاط حكم الامبريالية اليابانية الاستعمارى وبعث الوطن؛ ورؤية شعبنا يتمتع بالحقوق والحريات الحقيقية فى مجتمع جديد مستقل ومتحرر من الاستغلال والاضطهاد.

هل على الشيوعيين الكوريين ان يتنكروا حتى لهذه المهمة المقدسة فى النضال من اجل هذه الاهداف، وان يعيشوا كتابعين فى ارض غريبة وبيوت غريبة؟ اذ كان علينا ان نقوم بثورة بلد آخر وليس بثورتنا، فلماذا نبقى فى هذه الاراضى المنشورية، حيث حشدنا الكوريين ودربناهم على مدى سنوات عديدة، دون ان نجد ما نلبسه او ما نتغذى به؟ يؤكد بعضهم انه اذا انتصرت الثورة الصينية، فان الثورة الكورية ستنتصر تلقائيا. هراء. للثورة فى كل بلد سبيلها ومسارها الخاص. فاذا لم تهيئ قواك، فان النصر لن يأتيك من تلقاء ذاته بمجرد انتصار الثورة فى البلد المجاور. ولهذا يتعين على الشيوعيين فى جميع البلدان الا ينتظروا مساعدة الآخرين، بل عليهم ان يناضلوا فى سبيل ثورتهم بقواهم الذاتية. ذلك هو الموقف الصحيح، موقف السيد، من الثورة.

يزعم البعض انه لا يصح للشيوعيين الكوريين ان يرفعوا شعار التحرر الوطنى. وهم فى هذه الحال يتذرعون بمبدأ الاممية الشيوعية القائل: (حزب واحد فى بلد واحد). وهذه الآراء لا يمكن اعتبارها عمليا الا محاولة لاجبار شيوعيى بلد آخر على التخلى عن ثورتهم.

اذا طلب الشيوعيون الفرنسيون من الشيوعيين الصينيين العاملين فى فرنسا ان يمتنعوا عن رفع شعار الثورة الصينية، فهل سيقبلون؟ ان الشيوعيين، اينما كانوا يعملون، ملزمون بان يناضلوا تحت شعار الثورة فى بلدهم، وان يساعدوا بذلك

قضية الثورة فى البلد الذى يعيشون فيه، ويساهموا ايضا فى الثورة العالمية. ونضال الشيوعيين الكوريين من اجل تحرير الوطن هو حق مستقل وواجب مقدس لا يمكن لاحد كبحه او استبداله."

ان المناقشات التى ابتدأت فى اجتماع داهوانغواى امتدت الى اجتماع ياوينغكو الذى عقد فى شهر آذار من السنة نفسها. وقد ايد كثيرون ممن اشتركوا فى الاجتماع آراءنا واعترفوا بخطأ مواقفهم السابقة. ولكن هذا الاجتماع لم يستطع التوصل الى ازالة كل الخلافات فى وجهات النظر تماما، وترك المسألة معلقة.

فقررنا ان نطرح على الاممية الشيوعية عددا من المسائل التى برزت فى بؤرة المجادلات فى الاجتماعين. وللحصول على الجواب النهائى، ارسلنا الى موسكو وى جين مين، ويون بيونغ دو احد الكوادر القياديين فى لجنة منشوريا الشرقية الخاصة لاتحاد الشباب الشيوعى.

كانت حالة الفوضى فى تشينتاو بسبب قضية "مينساينغدان" اشبه بكابوس.

لقد قوض اليساريون بحملتهم "التطهيرية" الحمقاء كل اسس الثورة تقريبا، تلك الاسس التى ارساها الشيوعيون الكوريون بجهودهم الدؤوبة ونضالهم المحفوف بالآلام. فهل كانوا جميعهم "مينساينغدانيين"؟ كلا! لقد ورد فى وثيقة للعدو ان عدد "المينساينغدانيين" كان ٧ ــ ٨ فقط. ومن اجل كشف وتصفية هؤلاء ال ٧ــ٨ ، قتلت حملة "التطهير" اكثر من ألفى شخص بتهمة التورط فى "مينساينغدان". لقد كان ذلك ذروة الجهل والحماقة، وعملا لا علاقة له بالحس السليم، وقد تحول الى مأساة نادرة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحركة الشيوعية العالمية.

فى غضون سنتين او ثلاث، اودت حملة "التطهير" بحياة رجال بواسل توافدوا الى منطقة تشينتاو من مختلف انحاء كوريا ومن خارجها لتحقيق مثلهم الاعلى. وبين اولئك الضحايا عاثرى الحظ كان يوجد رجال اكفاء لا يمكن تعويضهم. كم من المواهب كانت بينهم! لقد قضى اعصار "التطهير" الهستيرى دون رحمة على عدد كبير من ابناء الامة الحقيقيين والاكفاء الذين لم يكن من الممكن ان تربيهم وتصقلهم سوى ثورتنا المعادية لليابان.

ربما لا تستطيع اجيالنا الحالية ان تقتنع بسهولة حين اقول ان عدد من جرى اغتيالهم بتهمة "مينساينغدان" يفوق عدد من استشهدوا فى ميادين المعارك. ولكن تلك هى الحقيقة. ففى سجل الحرب المناهضة لليابان كثير من المعارك ضد العدو، ولكن ليست هناك معركة واحدة استشهد لنا فيها عشرون او ثلاثون مقاتلا. اما فى مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية بالمقابل، فكان يتم فى حالات كثيرة اغتيال عشرين او ثلاثين ثوريا فى اليوم الواحد بتهمة التورط فى "مينساينغدان". ولم يتسن لنا ان ننصب على قبورهم لوحات تذكارية. وما جدوى الدموع او الاحتفالات المهيبة لذكراهم! انهم مازالوا يلعنون القتلة حتى وهم تحت التراب.

هل كان هناك "مينساينغدانيون" فى ارض تشينتاو حيث جرى تحطيم هذه المنظمة؟

اننى لا اشعر حتى بضرورة الاجابة على هذا السؤال.

لم يكن هناك اعضاء فى "مينساينغدان" بين الذين هربوا من مناطق حرب العصابات خوفا من العقاب.

هل كان زو زين "مينساينغدانيا"؟ كلا، لم يكن كذلك على الاطلاق.

وهل كان باك كيل عضوا فى "مينساينغدان"؟ كلا ايضا. لقد انتقل باك كيل من صفوف حركة جيش الاستقلال الى الحرب المقدسة ضد الامبريالية اليابانية، من اجل انقاذ الوطن. كان قد ذهب منذ وقت مبكر الى منطقة بريموريه، حيث تمثل الافكار الشيوعية التى اصبحت مثله الاعلى الجديد، وتوجه من هناك مباشرة الى ارض تشينتاو، حيث كان النضال المقدس من اجل التحرير الوطنى محتدما. وقد شارك فى العمل السياسى السرى وفى النضال المسلح على السواء. وفى مرحلة انشاء وحدات حرب العصابات الصغيرة، وكنا نسميها آنذاك وحدات حرب العصابات السرية، اصبح موجها سياسيا يتمتع بثقة الجماهير. وبعد التأسيس الرسمى لجيش حرب العصابات الشعبى المناهض لليابان، صار مفوضا سياسيا فى كتيبة آنزى.

كان باك كيل، رائدا مهد الطريق للثورة فى منطقة آنزى، وعاملا سياسيا موهوبا ومحرضا يعرف كيف يلهب قلوب الجماهير، فضلا عن كونه قائدا عسكريا بارزا.

من عائلته الوطنية خرج خمسة او ستة شهداء فى الثورة المناهضة لليابان. فأبوه باك زونغ وون (الشهير بلقب "النمر")، كان فلاحا عظيما ضرب مثالا بارزا فى تقديم العون للجيش الثورى. فمنذ كان يزرع ارضا مستأجرة، كرس نفسه كليا لحركة الاستقلال، وساعد جيش حرب العصابات بنزاهة واخلاص، حتى انه قدم اليه ثورا كان قد غذاه ورباه بعد ان تلقاه عجلا لقاء عمله عند الآخرين.

لقد كان من غير المنطقى، بكل معنى الكلمة، توجيه تهمة "المينساينغدانية" الى باك كيل، المنحدر من هذه الاسرة. ومع ذلك، فان اليساريين جادلوا فى مسألة انضمامه سابقا الى جيش الاستقلال وفى مسألة اخته التى اجبرت على ان تكون محظية شرطى، رغم انها هربت منه فيما بعد، وقد اغتالوه اخيرا لهذه الاسباب.

هل كان كيم ميونغ كيون "مينساينغدانيا"؟ كلا! انه من مؤسسى وحدة وانغتشينغ لحرب العصابات. وما الذى كان سيجنيه من الانتماء الى تلك المنظمة فى الوقت الذى كان يشغل فيه منصب مسؤول الشؤون العسكرية للجنة الحزب فى المحافظة؟ لقد ورد فى محضر المحاكمة الذى وضعه اعداؤه، انه قتل اكثر من عشرين يابانيا قبل ايداعه السجن بتهمة الانتماء الى "مينساينغدان"، وانه اقدم على شن اكثر من عشرين هجوما على مؤسسات الادارة اليابانية والمنشورية، ونفذ ثمانى عمليات استيلاء على اسلحة. ولو كان "مينساينغدانيا"، فهل كان بوسعه ان يجترح مثل هذه المآثر؟ وهل كان بوسعه ان يصبح معلما يبث فى نفوس الصغار روح الامة بعد فراره من منطقة حرب العصابات؟ فلماذا اعدمه الاعداء اذن؟

وهل كان لى وونغ غول "مينساينغدانيا"؟ لا، لم يكن كذلك. لقد كنت اعرف هذا الرجل جيدا. ففى تشرين الاول عام ١٩٣٢، عندما وطأنا للمرة الاولى ارض وانغتشينغ، كان لى وونغ غول تحديدا هو اول من اسرع الى سياوبييكو للقائى ومعه جوادان. فى ذلك الوقت كان رئيس قسم التنظيم فى لجنة الحزب فى الدائرة الاولى؛ وقد كانوا على وشك ان يقتلوه بعد ذلك بقليل بتهمة الانتماء الى "مينساينغدان". لقد ترك فى نفسى عندما استقبلنى يومئذ اثرا عميقا بكرم ضيافته الصادق، خصوصا وان ذلك الرجل الضخم ومتين البنية جاء لاستقبال قائد شاب وقد احضر معه جوادين قويين.

لقد كان لى وونغ غول ثوريا ذا نظرة سياسية ثاقبة وتاريخ نضالى طويل، ومن حيثياته انه عمل سكرتيرا لمنظمة الشباب الشيوعى فى محافظة هيلونغ، وعرف حياة السجن فى لونغجينغ وسيؤول، وعمل مفوضا سياسيا فى مفرزة خاصة تحت امرة لى كوانغ.

ومن خلاله، كنت اقوم بتوجيه عمل لجنة الحزب فى الدائرة وفى سعيى لتعميم نموذجه بين الآخرين، انغمست بعمق فى العمل الحزبى فى منطقة وانغتشينغ.

وفى صيف سنة ١٩٣٣، اعتقله اليساريون بتهمة الاشتراك فى "مينسباينغدان". ولكنه فر من منطقة حرب العصابات وذهب الى كوريا تاركا ورقة كتب فيها: "من الظلم اتهامى (بالمينسباينغدانية)". وعندما ركز نشاطاته فى منطقة بوريونغ، اسس الاتحاد الشيوعى من شبان وكهول وطنيين فى محافظتى هامكيونغ الشمالية والجنوبية. وبينما كان ينظم ويقود عمليات ضد اليابان بما فى ذلك العمل ضد انشاء الطرق العسكرية ومعارضة التسليم الالزامى للحبوب والتعبئة القسرية للايدى العاملة، اعتقلته الشرطة اليابانية فى سيؤول، وحكمت عليه بالسجن مدة ١٢ سنة. كان القضاة اليابانيون، على ما يبدو، يعرفون قيمته وشأنه.

فهل كان من العدل محاولة اغتيال رجل كهذا بتهمة الانتماء الى "مينسباينغدان"؟

كانت اهمية المناظرة فى داهوانغواى تتلخص فى شطب تلك الاتهامات من ملفات اناس من امثال لى وونغ غول. فبفضل نتائج تلك المناقشات والاستنتاجات التى توصلت اليها الاممية الشيوعية حول الموضوع، جرت اعادة الاعتبار الى من اعدموا ظلما بعد التحقق من براءتهم. صحيح انه لم يكن بالامكان اعادتهم الى الحياة جسديا، ولكن حياتهم انبعثت على الصعيد السياسى. وكانت الاهمية الثانية للاجتماع تتلخص فى الكشف تماما فى اثنائه عن مدى شراسة وقسوة المؤامرات التى حاكها الامبرياليون اليابانيون ومدى الدناءة السياسية لاولئك الذين انقادوا للمؤامرة، مما اتاح وقف انقلاب اليساريين السياسى وتقييد ايديهم وارجلهم بشكل نهائى. ومما لا شك فيه ان يسارية "التطهير" كانت عنفا سياسيا، وفتنة قامت بها المراتب العليا ضد المراتب الدنيا، واقترفتها على المكشوف شخصيات تتمتع بمكانة رفيعة رسميا لتصفية المراتب الدنيا جسديا.

وعلى اثر اجتماع داهوانغواى، اصبح نشاطنا اوسع شهرة بين الكوريين المقيمين فى منشوريا الشرقية. واذا كنت استحضر الآن ذكريات طويلة ومملة حول الماضى المرتبط بمنظمة "مينساينغدان"، فاننى لا افعل ذلك لادانة من اقترفوا تلك المأساة امام العالم، او لتصفية الحساب معهم على جرائمهم. بل لان هذا التذكير يساعد الاجيال الصاعدة على امعان الفكر مرة اخرى بمزيد من التعمق فى ان مؤامرات ومكائد الاعداء من اجل شق وتفكيك الصفوف الثورية من الداخل ليست بنت الامس فقط وانها لا تزال قائمة الآن، وستقوم غدا، وان الشوفينية القومية والدناءة السياسية لليساريين مازالتا تحومان الآن ايضا، كالاشباح، حولنا. ولذا فان هذه الذكريات تشكل درسا ترتبط به اقامة "زوتشيه" فى الثورة الكورية واستقلالية الامة.

من خلال النضال ضد "مينساينغدان" وتقويمه فى اجتماع داهوانغواى، توصلت الى احساس عميق بان الاستقلالية هى الشرط المسبق لوجود الامة، وانه من اجل حماية هذه الاستقلالية وصيانتها لا بد لجميع ابناء الامة، وخصوصا الرواد، من خوض النضال بتفان وانكار للذات.

ان الاستقلالية هى الخاصية الاولى للانسان، وفيها يكمن كذلك المصدر الاول لضمان وجود الامة. ويمكن التأكيد ان الاستقلالية ، سواء فى حياة الفرد او فى حياة الجماعة الكبيرة التى تشكل الامة هى الشرط الاساسى للوجود وتقرير المصير. لقد وصفنا الثورة المناهضة لليابان بانها حرب مقدسة من اجل استعادة السيادة الوطنية، وذلك لأننى ادركت ان اقامة السيادة الوطنية هى الحلم الذى احتضنه الشعب الكورى حتى العبادة على امتداد عشرات السنين، والمهمة العليا التى جعلها الشيوعيون الكوريون برنامجا لهم. وكان من الممكن اعتبارها، باختصار، الهدف العام لنضال التحرر الوطنى.

وهكذا كان يجب ان يخضع كل نشاط الشيوعيين الكوريين لبلوغ هذا الهدف. وكان علينا سواء فى التفكير او فى الممارسة ان نعتبر الدفاع عن الاستقلالية هدفا فى منتهى الحيوية وان نكون من اجله نمورا وصواعق لا تعرف التردد او الوجل مهما كانت الظروف.

ان احدا لا يهب الاستقلالية جاهزة، وهى لا تأتى تلقائيا مع مرور الزمن. بل يجب الحصول عليها بالنضال. واولئك الذين لا يضنون بحياتهم ويظهرون روحا قتالية متفانية وثابتة، هم وحدهم الذين يستطيعون ان ينالوا الاستقلالية، وان يصبحوا اسيادها الدائمين. لانه يوجد فى العالم الكثير الكثير من قطاع الطرق الذين ينتهكون سيادة الامم الاخرى. وانهم لكثيرون جدا ايضا اولئك الذين يعتبرون تمتعهم بالاستقلالية امرا طبيعيا، ولكنهم يمانعون ويتشددون حين يرغب آخرون فى العيش باستقلال. وسلوكهم هذا، باعتبار الاستقلالية حكرا عليهم، هو تعبير عن غطرسة الامبرياليين والمتسلطين التى تنطوى على مفارقة تاريخية.

ان وجود القوى التى تنتهك الاستقلالية فى صفوف من يناضلون للوصول الى هدف مشترك، هو نزوة من نزوات التاريخ تناقض الفكر السليم. وقد عرض هذا النوع من النزوات الثورة الكورية لمنزلقات وانتكاسات خطيرة. ومن اجل الانتقال من النكسة الى الهجوم، ناضلنا بشراسة وجرأة، غير آبهين بالموت، ضد من تطاولوا على حق الامة الكورية والشيوعيين الكوريين فى السيادة. وقد كان اجتماع داهوانغواى معركة ايديولوجية عظيمة خاضها الشيوعيون الكوريون تحت راية الاستقلالية، من اجل التمسك بخطهم فى الثورة الكورية والدفاع عن حقهم هذا.

ولو اننا ذعرنا او تخوفنا، ولو لحظة واحدة، من الموت امام القبضة الحديدية للنزعة اليسارية المسعورة والمنفلتة من عقالها، لما تسنى لنا ان ننقذ الثورة من تحت جنازير اليسارية التى كانت تجتاح كل شىء بهياج. وما انقذ الثورة من الكارثة هو روح التضحية الفولاذية التى ابداها الشيوعيون الكوريون، الذين لم يتوانوا عن القاء انفسهم فى الماء او النار للدفاع عن العدالة ومبادئهم الشيوعية وايمانهم الثابت بعدالة قضيتهم.

واليوم، حيث يرفع الامبرياليون عقيرتهم بالصراخ عن نهاية الاشتراكية، ويشنون حملة سيكولوجية سياسية مسعورة لصرف جمهوريتنا عن مدار زوتشيه، فان مواصلة الدفاع عن الاستقلالية وصيانتها مازالت مطلبا حيويا يتوقف عليه مصير امتنا وجمهوريتنا. ان الشيوعيين الكوريين سيخرجون منتصرين ايضا فى النضال ضد الامبرياليين، دفاعا عن الاستقلالية وعن اشتراكيتنا المتمحورة على الجماهير الشعبية.

في سياق النضال ضد "مينساينغدان"، ادركت واحسست حتى النخاع بالضرر الذى تسببه المؤامرات والافتراءات سواء فى الحياة اليومية او فى النضال الثورى، واستخلصت درسا جديا بأنه لا يمكن القيام بالثورة مع الفئويين. ولفهم ضرر ورجعية المؤامرات والافتراءات والنزاعات الفئوية، حسبنا ان نلقى نظرة واحدة على تاريخ سلالة لى الاقطاعية الذى دام ٥٠٠ سنة. فمن اجل السلطة، كانت لغة الخناجر هى السائدة بين الآباء والبنين، والاخوة. تلك هى بالضبط طبيعة الرجعيين وعادة الفئويين المتأصلة.

بعد تحرير البلاد، حاول الاعداء تفكيكنا فى الداخل مستغلين اسلوب "مينساينغدان"، الذى استخدمه الامبرياليون اليابانيون. وسعوا فى وقت من الاوقات الى الحاق الضرر بكل من بايك نام وون، وكانغ يونغ تشانغ وتشاى وونغ سوك وسواهم من الكوادر المخلصين للحزب والمنحدرين من جنوبى كوريا، وذلك بارسال رسائل مزيفة اليهم. واذا كنا لم نؤخذ بمثل هذه المؤامرات، فان الفضل فى ذلك يعود الى التجربة التى تراكمت لدينا خلال النضال ضد "مينساينغدان" فى مناطق حرب العصابات. ولو لم نعش تلك التجربة، فلربما انزلقنا الى مستنقع اليسارية فى حل مسألة اعضاء "فرق الحفاظ على الامن" وغيرهم من المتورطين. وقد تمكنا من حل مسائل حياة هؤلاء الناس السياسية بتسامح وبما يستجيب لمصالح الثورة.

عند تعيين كل وزير جديد للامن العام، فاننى احذره بأنه اذا كان من غير المسموح اقتراف اخطاء يمينية، فان عليه ان يحترس فى الوقت نفسه من اليسارية، وعدم نسيان الدروس المستخلصة من قضية "مينساينغدان".

فاليسارية هى البؤرة التى يمكن للمحتالين وذوى المطامع السياسية ان يثيروا بها ضجة "مينساينغدانية" باشكال جديدة. واصحاب هذه البؤرة يتحدثون عن الحزب وعن الثورة وعن الاخلاص بصوت اقوى عشر مرات او عشرين مرة من الآخرين. فما هو الفرق بين روح التطرف الثورى هذه وممارسات اولئك "اليساريين" الذين قاموا فى الماضى فى مناطق حرب العصابات بالتلاعب بحياة الناس السياسية على هواهم؟

اذا كانت اليمينية هى ثورة مضادة سافرة فان اليسارية هى ثورة مضادة مموهة. واذا كانت الاولى سرطانا، فان الثانية فطر سام لا يقل خطرا عن الاولى. ان الانحراف اليمينى والانحراف اليسارى يتعايشان معا بصورة طفيلية على شجرة عملاقة اسمها الثورة.

وبالرغم من انهما ينامان فى السرير نفسه، ويدير كل منهما ظهره للآخر، موحيا بان له حلمه الخاص، فانهما فى الحقيقة يتصلان بحبل سرى واحد. فاذا لم نضع نصب أعيننا ان يسارية فرد واحد ستلحق الضرر بالجماعة، وانه اذا مارسها الحزب الحاكم سيفقد الشعب ويقود الثورة الى الاخفاق، فاننا لن نتمكن من حماية الاشتراكية وصيانتها. هذا هو الدرس الذى استخلصناه من النضال ضد "مينساينغدان"، وهو عبرة وتحذير الى الشيوعيين فى العالم اجمع للتجارب المريرة فى عدد من البلدان التى نزفت بخطورة بسبب الاضرار التى احدثتها اليسارية.

ان معارضة العبارات والممارسات الحزبية المتطرفة التى يتستر بها اليساريون، والاحتراس منها، وحماية حياة الناس السياسية منها يشكل موضوعا دائم الحضور فى كل لحظة فى ممارسات الشيوعيين الذين هم فى السلطة.

٣ـ أبناء أنجبهم اتحاد الشباب الشيوعى

كان العمل مع الشباب احدى المهمات بالغة الاهمية التى كرست لها نفسى جسدا وروحا طوال حياتى كلها. ومرحلة جيلين هى برهان واضح على اننى بدأت نشاطاتى الثورية بالمشاركة فى الحركة الشبابية والطلابية. ولم اقتصر على قيادة هذه الحركة قبل الزج بى فى سجن جيلين، بل عملت مع الشباب والطلاب بنشاط كذلك بعد الخروج من السجن، وفى ظروف العمل السرى. ومنذ صيف عام ١٩٣٠، اى بعد لقائى الاول مع مسؤولين من مكتب الاتصالات التابع للاممية الشيوعية، عملت امينا مسؤولا عن لجنة منطقة جيدونغ لاتحاد الشباب الشيوعى.

وقد كان العمل مع الشباب فى وانغتشينغ ايضا حلقة هامة وجزءا من الخط الرئيسى لنشاطاتى العسكرية والسياسية. وكان من الطبيعى تماما ان اوجه العمل الشبابى فى الجيش بحكم منصبى كقائد مسؤول عن العمل السياسى فى جيش حرب العصابات، حيث كان عمل اتحاد الشباب الشيوعى ضمن مسؤولياتى. ولكننى وجدت نفسى مضطرا فوق ذلك الى تخصيص وقت كبير للعمل مع منظمات اتحاد الشباب الشيوعى خارج جيش حرب العصابات، بناء على طلب القيادة الحزبية فى منشوريا الشرقية وعامليها فى محافظة وانغتشينغ.

فى ذلك الوقت كانوا يسمون الحزب واتحاد الشباب الشيوعى ورابطة الاطفال "الاتحاد الثلاثى"؛ وكان اتحاد الشباب الشيوعى يشغل المرتبة الثانية فى الاهمية بعد الحزب. وكان الناس يطلقون على اتحاد الشباب الشيوعى ايضا تسمية رديف الحزب او احتياطيه او خزانه. ورغبة فى التأكيد على رسالة اتحاد الشباب الشيوعى الكبيرة ودوره الهام، كانوا يسمونه احيانا "الحزب الثانى".

وفـى الاجتماعـات الحزبيـة التـى كـان البحـث فيهـا يتنـاول المسـائل التكتيكيـة والستراتيجية البالغة الاهمية فى تطوير الثورة وكيفية حلها، كان يشترك علـى الدوام امنـاء منظمـات اتحـاد الشباب الشيوعى. وفـى منظمـة الحزب فـى منشـوريا الشـرقية كـانوا يسـمون هـذه الاجتماعـات بالاجتماعـات المشـتركة للحـزب واتحـاد الشـباب الشيوعى. وكان امنـاء منظمـات اتحـاد الشباب الشيوعى يتمتعون فيهـا بكامل حقوق الحزبيين فى التصويت والتقرير. وحيث لم يكن ثمـة وجود للقوى الحزبيـة، او حيث كان التأثير الحزبى ضـعيفا، كـان نشطاء اتحـاد الشباب الشيوعى يضـطلعون بـالدور الرئيسى فى توجيه الحركة الجماهيرية.

بعـد عـودتى الـى تشـينتاو مـن الحملتـين الـى منشـوريا الجنوبيـة ومنشـوريا الشمالية، تعرفت من جميع النـواحى علـى تفاصـيل نشـاطات اتحـاد الشـباب الشـيوعى فى منشوريا الشرقية، وذلك من خـلال زو دونـغ ووك، امـين اتحـاد الشـباب الشـيوعى فى المفرزة الخاصة التى يقودها لى كوانغ، وكذلك من خـلال هـان زاى تشـون، امـين لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى محافظة وانغتشينغ، وكيم زونغ كوون، رئـيس القسم التنظيمى فى هذه اللجنة.

فى ذلك الوقت، كان عمل اتحاد الشباب الشيوعى فـى منشـوريا الشـرقية يعـانى من انحرافات يسارية ويمينيـة خطيـرة تعرقـل بنـاء منظمـات اتحـاد الشـباب الشـيوعى وتطور الثورة.

كان نقص الكـوادر القياديـة القديرة هو العـائق الاكبـر فـى عمـل اتحـاد الشـباب الشيوعى فـى منطقـة وانغتشـينغ. ورغـم ان الثـورة الكوريـة التـى كـان الكفـاح المسـلح محورهـا كانـت تمـر بمجملهـا فـى مرحلـة نهـوض لا نظيـر لـه، كنـا نشـعر فـى الواقـع بـالنقص الكبيـر فـى الملاكـات القـادرة علـى تنظـيم وتوجيـه اتحـاد الشـباب الشـيوعى بمهـارة وبمجـاراة الوضـع السـائد. فمعظـم اعضـاء الاتحـاد كـانوا اميين او لا يكـادون يعرفون ابجدية لغتهم الام، وعـدد ضـئيل جدا مـنهم اشـبه ببضـع حبـات غيـر مقشـورة وسط كومة من الارز المقشور، كانوا حائزين على التعليم الثانوى.

كان الفئويون يحصرون حركـة الشـباب ضـمن محيط منـاطق حـرب العصـابات

الضيق، ويقصرون العمل، اساسا، على الشباب العمال والفلاحين، مثرثرين بأنه لا يمكن ان يوجه نشاطات حركة الشباب الشيوعى سوى فريق صغير من الافراد ذوى الامتيازات المتحدرين من اصل جيد وذوى الثقافة الواسعة. وقد تسبب ذلك بالطبع فى الميل الى سياسة "الابواب المغلقة" فى بناء اتحاد الشباب الشيوعى. وتحت لافتة الحفاظ على نقاوة صفوف الاتحاد واسراره، اغلقوا ابواب الانضمام اليه باحكام، وتذرعوا بشتى الذرائع التى لا تستند الى اساس، كى يرفضوا طلبات الشباب الراغبين فى الانضمام الى الاتحاد. فكانوا يرفضون انضمام التلاميذ بحجة صغر سنهم او اصولهم الاسرية، وكانوا يديرون ظهرهم فى الوقت نفسه الى شباب متواضعين من اصول عمالية وفلاحية قائلين انهم جهلة.

فمن اجل الانضمام الى اتحاد الشباب الشيوعى كان يتوجب على الراغب ان يتمكن، على الاقل، من الحديث عن "اسس الاشتراكية"، وان يقرأ ويحلل بامعان مؤلفات كلاسيكية، مثل "البيان الشيوعى" و"العمل المأجور ورأس المال". واذا تبين عند اختبار الشاب الراغب فى الانتساب انه لم يقرأ "البيان الشيوعى"، يردون طلبه قائلين له: "كيف تتجرأ على الانضمام الى الاتحاد دون أن تقرأ حتى (البيان الشيوعى)".

وذات مرة، جرى رفض طلب شاب من داوانغتشينغ لان سوفييت المنطقة كان قد صادر له ثورا. وتذرعوا بأنه اذا كان لدى اسرته حيوانات عمل تستحق المصادرة، فهذا يعنى انه ينتمى الى طبقة المالكين، ومن كان هدفا للمصادرة من جانب السوفييت ليس جديرا بعضوية اتحاد الشباب الشيوعى.

ان اليساريين الذين كانوا يدافعون عن اغلاق "الابواب" كانوا لا يرغبون حتى فى قبول اولئك الشباب الذين عملوا بشرف من خلال جمعية الفلاحين واتحاد مناهضة الامبريالية وجمعية العون المتبادل الثورية وطليعة الاحداث. وفى المناطق التى اقامت فيها اليسارية الحواجز واغلقت الابواب باحكام، كانت توجد فى كثير من الاحيان تجمعات جماهيرية تضم اكثر من مئة شخص، بينما لا يتجاوز عدد اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى ثلاثة او اربعة اشخاص. وقد كانت منطقة وانغتشينغ متحفظة جدا فيما يتعلق بالانضمام الى صفوف اتحاد الشباب الشيوعى، ولست ادرى اذا ما

كان السبب فى ذلك هو وجود مقر قيادة لجنة الحزب لمنطقة منشوريا الشرقية الخاصة هناك. فقد كانوا يرفضون قبول حتى اولئك الشباب الذين شاركوا فى الحياة التنظيمية بنزاهة واخلاص فى مناطق اخرى، اذا ما جاؤوا الى وانغتشينغ دون ان تكون معهم وثائق نقل او ضمانات صادرة عن المنظمة المعنية.

واليكم مثالا على ذلك: كانت زون مون زين قد كرست نفسها للنشاط الثورى السرى فى حاضرة محافظة دونغنينغ، ثم انتقلت الى وانغتشينغ لتفادى موجة الاعتقالات الواسعة التى قامت بها الطغمة العسكرية المعادية. وبالرغم من انها عملت فى وانغتشينغ باخلاص فى فريق الخياطة لجيش حرب العصابات، الا انها لم تقبل فى منظمة الاتحاد هناك لأنها لا تحمل وثيقة الانتقال.

ذات مرة، ذهبت الى فريق الخياطة لأشكر زون مون زين على البدلة العسكرية التى خاطتها لى. فرأيتها محبطة ومتجهمة. ثم زرتها بعد ذلك مرات عديدة وكنت اقرأ فى وجهها علائم الحزن والاسى. لذا، قررت ذات مرة ان اتحادث معها. لقد كانت فتاة خجولة، ولكنها افضت لى بمكنون نفسها وسبب تعاستها. فعلى الرغم من انها قد انضمت الى جيش حرب العصابات بمحض ارادتها بعد مجيئها الى هذه المنطقة، الا انها تشعر بالكآبة مثل غرنوق وحيد، لأنهم يرفضون قبولها فى منظمة اتحاد الشباب الشيوعى. ومع ان تصرفى كان متأخرا، الا اننى عرفت سبب حزنها، وتشاورت مع الكوادر المعنيين لمساعدتها فى مواصلة حياتها التنظيمية فى الاتحاد.

ولكن بعض منظمات الاتحاد بالمقابل، كانت تقبل فى صفوفها ما هب ودب من العناصر الغريبة، والدخيلة، والمتذبذبة، وذوى النوايا الخبيثة، الذين كانوا يتسربون مستغلين علاقات القربى والمحاباة بين ابناء المنطقة الواحدة وعلاقات الزمالة والصداقة. وكان بعض الكوادر فى اتحاد الشباب الشيوعى يضخمون اهمية المنشأ الاسرى، لدرجة انهم كانوا يقبلون فى منظمتهم حتى الجواسيس المتسربين الى منطقة حرب العصابات، بمجرد انخداعهم بقصة انحدارهم من اسر مزارعين اجراء. وقد احدثت تلك الميول اليسارية واليمينية فجوة تسرب منها بعض اعضاء الاتحاد الذين يفتقرون الى التمرس الثورى، وانتقلوا الى المناطق التى يشرف عليها العدو.

وقد اثارت هذه الانحرافات فى عمل اتحاد الشباب الشيوعى لدى كثير من الشباب احساسا بعدم الثقة فى الشيوعية، والارتياب بالحركة الثورية التى يقودها الشيوعيون. وقد كان لذلك فى نهاية المطاف اثر سلبى فى عمل اتحاد الشباب الشيوعى ضمن وحدات جيش حرب العصابات، وفى حركة الجبهة المتحدة التى تستهدف رص صفوف الشباب والطلاب وجميع فئات السكان الوطنيين تحت راية النضال ضد اليابان.

واذا كان اتحاد الشباب الشيوعى فى مناطق حرب العصابات قد انزلق الى مثل تلك الميول اليسارية واليمينية، فان السبب هو ان قادته لم يكونوا مستندين الى خط سليم فى بناء المنظمة، يتجاوب مع واقع الثورة الكورية ومصالحها، وكانوا يطبقون بطريقة عقائدية جامدة موضوعات من مؤلفات الكلاسيكيين او يقبلون تجربة الغير بصورة آلية.

وفى آذار عام ١٩٣٣، وبينما كان قادة مناطق حرب العصابات منهمكين فى ايجاد منهج ومخرج لوضع حد لتلك الانحرافات وتجديد العمل مع الشباب، انعقد فى ماتشون بسياووانغتشينغ، اجتماع لكوادر اتحاد الشباب الشيوعى. وقد حضر الاجتماع نحو ٣٠ شخصا يشرفون على مسائل العمل مع الشباب، منهم اعضاء لجان الاتحاد ورؤساء اقسام الاطفال فى منطقة وانغتشينغ، ومندوبو الشباب من آنزى، وممثلو الطلاب من لونغجينغ (العاملون السياسيون السريون). ولا تزال اسماء بعضهم منقوشة فى ذاكرتى، مثل كيم زونغ كوون، وباك هيون سوك، وزو دونغ ووك، وباك كيل سونغ، ولى سونغ ايل، وكيم بوم سو، وتشاى بونغ سونغ.

وكلما اتذكر ذلك الاجتماع، ترد الى ذهنى على الفور صورة باك كيل سونغ الذى كان طوال الاجتماع يمعن النظر بعينيه اللامعتين فى وجهى، دون ان اعرف السبب. وانا اتذكر الآن بتأثر خاص عينيه اللامعتين، ربما لأنه فقد احداهما فيما بعد اثناء اصطدام مفاجئ مع جيش كوانتونغ. واظن انه حضر الاجتماع بصفته عضوا نموذجيا فى الاتحاد، ودون ان يكون له اى منصب خاص فى منظمته. ولكنه استشهد ببطولة فيما بعد، حين اصبح قائدا بارزا فى قوات حرب العصابات فى منشوريا الشمالية وهو فى السادسة والعشرين من عمره.

فى اليوم الاخير من الاجتماع، طلب منى كوادر اتحاد الشباب فى المحافظة ومندوبون آخرون ان القى كلمة. يبدو انهم اتفقوا على ذلك مسبقا بعد ان فكروا بان لدى كيم إيل سونغ تجربة جديرة بان تروى، خصوصا وانه عمل كثيرا بين الشباب فى جيلين، ثم فى تشينتاو بعد ذلك، حيث كان امينا مسؤولا لاتحاد الشباب الشيوعى فى منطقة جيدونغ. ونزولا عن طلبهم، القيت خطابا مطولا حول المهمات الملقاة على عاتق منظمات اتحاد الشباب الشيوعى. وقد استذكر زو دونغ ووك قسما كبيرا من تفاصيل مضمون ذلك الخطاب منذ بضعة عقود.

ان الفلاسفة، والساسة، والمربين، فى الشرق وفى الغرب، القدماء منهم والمحدثين، قد تقدموا دون استثناء بآراء كثيرة قيمة بصدد مكانة الشباب ودورهم فى النضال من اجل تحويل المجتمع وتجديده. وقد اجمع كلاسيكيو الماركسية على اعتبار الشباب جسرا واحتياطيا للثورة. وحتى الفيلسوف القديم ارسطو طاليس نبه الى ان مستقبل الدولة رهن بتربية الشباب. وعند تقييم جيل الشباب على انهم ممثلو المستقبل، اتخذ الفلاسفة الماديون والمثاليون، سواء فى الشرق او الغرب، الموقف نفسه، وكان لهم الرأى ذاته.

وانا اتفق تماما بالتأكيد مع نظرتهم تلك باعتبار الشباب عماد المستقبل، ولكنى لم اكتف البتة باعتبار الشباب مجرد جسر او احتياطى للثورة. ولم استطع الموافقة على تعريف الكلاسيكيين والنظريين السابقين للشباب بأنهم فئة اجتماعية، وقوة اضافية للثورة تعتمد على الجيل السابق الذى يقودها ويتولى تثقيفها. فهذا التحديد لم يكن صائبا على ضوء طريق وواقع ثورتنا.

لقد اعتبرت الشباب على الدوام طليعة الثورة. فالشباب هم فصيلة طليعية، والقوة الرئيسية التى تأخذ على عاتقها اصعب المهمات واقساها فى النضال الثورى وفى الحركة الاجتماعية، وهم المحور الذى يتحمل مصير المستقبل. وقد اكدت الممارسة العملية صحة هذه الرؤية بشكل كاف. والآن، وقد بلغت الثمانين من العمر، مازلت احتفظ بهذا الرأى حول مكانة ودور الشباب كطليعة للثورة. ولو اننا، فى احلك فترات الهيمنة الاستعمارية للامبريالية اليابانية، اضعنا الوقت فى تلمس

الطريق وراء الجيل القديم، واقتصرنا على تنفيذ ما يوكله الينا من مهمات واعتمدنا عليه دون ان ندفع الحركة الثورية بصورة مستقلة لما استطعنا ان نشق طريقا جديدا امام الثورة الكورية، متحدين تحت راية فكرة زوتشيه بعد ان انتزعنا انفسنا تماما من التيارات الايديولوجية القديمة، ولما استطعنا ان نشكل جيش حرب العصابات المناهض لليابان، ولما استطعنا ان نسير فى طليعة الامة لكى نطور الثورة المعادية لليابان بمجملها، ومحورها الكفاح المسلح، وفقا لمقتضيات العصر الجديد.

ان تاريخ نضال التحرر الوطنى فى بلادنا، يؤكد لنا ان الشباب كانوا على الدوام فى طليعته. وكانوا جميعهم مناضلين جسورين لا يخافون السجن او المشنقة او الموت. وعندما اندلعت انتفاضة اول آذار الشعبية (سنة ١٩١٩)، كان شباب كوريا فى مقدمتها كفصيلة فدائية. وفى مظاهرة ١٠ حزيران الاستقلالية (سنة ١٩٢٦) التى اكتسحت سيؤول، كان الشباب هم القوة الرئيسية فى الحركة، ومن اطلقوا الشعارات الوطنية فى هتافاتهم المدوية. واثناء حركة كوانغزو الطلابية فى تشرين الثانى عام ١٩٢٩، كان الطلاب الشباب ايضا هم ابطالها. فقد هبوا من تلقاء انفسهم الى النضال، ودون ان يدفعهم احد، وشكلوا الصفوف، وتدفقوا فى الشوارع فى موجات عاتية وخاضوا المقاومة غير آبهين بحراب العدو. ومنذ اواسط العشرينيات، برز الشيوعيون الشباب من الجيل الجديد كسادة نضال التحرر الوطنى وفتحوا صفحة جديدة فى تاريخ الثورة المناهضة لليابان.

لقد اوضحت بالتفصيل فى مجلدات سابقة من هذه المذكرات ان فترة فتوتى بدأت بنشاطاتى فى اتحاد الشباب الشيوعى. وقد توافق النضال الثورى المناهض لليابان بمجمله مع فترة شبابى. وفى تلك الفترة بالذات، قدت فوجا وفرقة، بل وفيلقا ايضا. وكان هناك فى احد الاوقات اناس يتصوروننى جنرالا مسنا يملأ الشيب رأسى. ولكننى مع ذلك لم اكن قد اكملت الرابعة والثلاثين من عمرى حين القيت خطابا فى الملعب العام فى بيونغ يانغ بعد العودة المظفرة الى الوطن.

ان حرب العصابات ليست معركة على الطريقة القديمة، حين كان المتحاربون يصطفون وجها لوجه، ويطلقون خيرة مقاتليهم على صهوات الجياد ليواجهوا العدو

بالرماح على ايقاع الطبول، او يطلقون السهام من اعلى الاسوار المحصنة، وهى ليست كذلك كالحرب الحديثة التى توجه عملياتها بالهاتف واجهزة الاتصال اللاسلكية وتستخدم فيها المعدات الحربية المتطورة. فمثل هذه الحروب يستطيع قيادتها بكل تأكيد جنرالات مجربون ومتقدمون فى السن، ممن تبلغ اعمارهم بين خمسين وسبعين سنة. اما حرب العصابات فتستدعى من القادة مشاطرة جنودهم جميع انواع المحن، وتحمل برد الشتاء القارس. ويتعين عليهم فى بعض الاحيان ان يأخذوا الرشاش بأيديهم حسب متطلبات الوضع، وان يندفعوا، مسددين الحراب، الى معركة بالسلاح الابيض. ولا يمكن للقادة تحمل هذا كله ما لم يكونوا اصحاء واقوياء جسديا وروحيا كالشباب.

لقد كان المناضلون المشاركون فى الثورة المناهضة لليابان فى غالبيتهم شبابا فى العشرينات من اعمارهم. فقد اصبح يانغ جينغ او، مثلا، وهو فى الثانية والثلاثين من العمر قائدا لجيش الطريق الاول فى قوات دونغبى المتحدة المناهضة لليابان. ومنذ السابعة والعشرين من عمره، تولى تشين هان جيانغ قيادة جيش الميدان الثالث. واستشهد او زونغ هوب، وهو فى زهرة التاسعة والعشرين من عمره، اثناء قيامه بوظيفته المهمة كآمر فوج.

وليس من المبالغة القول ان الشباب هم الذين حملوا على كاهلهم كامل المسؤولية فى الكفاح المسلح المناهض لليابان. فهل يمكن بعد هذا اعتبار الشباب مجرد جسر واحتياطى للثورة؟

وقد انعكست هذه النظرة وهذا الوقف فى خطابى وفى احاديثى فى ذلك اليوم.

" يشكل الشباب القوة المحورية فى جسم ثورتنا المندفعة بعنفوان. واذا القينا نظرة الى تاريخ اى بلد فى العالم فاننا نجد ان الشباب كانوا دائما على رأس العمل لتحويل المجتمع. فهم يملكون قوة عظيمة بمقدورها ان تزحزح الجبال وتسد البحار. وقد كان هدفنا من العمل بين الشباب هو وضعهم فى الصف الاول من النضال الثورى من خلال توعيتهم وتنظيمهم. ومع ذلك، فان منظمات اتحاد الشباب الشيوعى تغلق ابوابها باحكام، وتدير ظهرها لجماهير الشباب. وهذا سلوك اكثر من عبثى. ان

بعض منظمات اتحاد الشباب الشيوعى لا تقبل فى صفوفها خيرة الشباب بذريعة صغر سنهم، وهذا تعبير نموذجى عن الميل الى اغلاق الابواب. فهل كانت ليو كوان سون عجوزا مسنة يا ترى، حين دخلت تاريخ الامة كبطلة فى انتفاضة الاول من آذار؟ وقد قال الجنرال نام اى: (ان لم يسو المرء امور البلاد وهو فى العشرين، فمن سيشيد بذكره فى آتى الايام). فاذا جادل الاتحاد مسألة العمر بمماحكة، ورفض او ادار ظهره للشباب الذين تفور دماؤهم ممن لم يبلغوا العشرين من العمر بعد، فانه سيتحول الى منظمة للكهول. واذا اقتصر على قبول عضوية اولئك المجربين الذين تثقفوا على امتداد عشر سنوات او عشرين سنة، فكيف يطلق على نفسه تسمية المنظمة الشبابية؟"

الموضوع الآخر الذى استحوذ على اهتمام الحاضرين هو المتعلق بمنهج واسلوب العمل الذى يتعين على كوادر اتحاد الشباب الشيوعى اتباعه.

وقد تحدثت مطولا حول هذا الموضوع ايضا. وقلت انه من اجل جمع شمل اوسع جماهير الشباب، يجب تحسين منهج واسلوب عمل كوادر اتحاد الشباب الشيوعى. ولنفترض مثلا ان عضوا من اعضاء الاتحاد اطلق خمس رصاصات، ولكن أيا منها لم تصب العدو. انه يرتكب خطأ بذلك دون شك، لان الشعار السائد فى جيش حرب العصابات هو "كل رصاصة يجب ان تصيب عدوا". فاذا انتقدته منظمته وطبقت عليه العقوبة المناسبة، هل يمكن اعتبار تلك المعالجة سليمة؟ لا يجوز حل المسائل بهذه البساطة. فلا بد اولا وقبل كل شىء من دراسة المسألة من كافة الاتجاهات، وتقليبها من اعلى الى اسفل ومن جانب الى آخر. علينا ان نعرف اذا ما كانت آلية سلاحه فى حالة جيدة، واذا ما كانت الحدقة والشعيرة مضبوطتين، واذا ما كان الرامى قد تصرف بحذر عندما ضغط على الزناد واسند الاخمص الى كتفه بشكل صحيح، واذا ما كان قد ضبط تنفسه عند اطلاق النار. كما يجب فى الوقت نفسه الاهتمام بما اذا كانت حالته البدنية طبيعية: هل هو قصير النظر، او مصاب بالعشى او يعانى اى مرض فى البصر؟ وهل هو جبان وخال من الجرأة ايديولوجيا؟ هكذا تعالج المسألة من كافة جوانبها بدلا من معاقبة الرامى والادعاء

بأنه غير ناضج ايديولوجيا. يجب ان يكون الهدف من النقد، فى جميع الاحوال، انقاذ الرفاق. صحيح انه لا يجوز التساهل عند انتقاد الاخطاء، ولكن يجب الاستناد الى تحليل سليم كى يعرف المعنيون اخطاءهم. وليس من المسموح به تحول النقد الى قذف وشتم واهانة بطريقة التشهير.

فى اجتماع ذلك اليوم قمت بمداخلات ومحادثات حول مسائل عديدة تتعلق بنشاطات اتحاد الشباب الشيوعى، منها توطيد الاساس الفكرى والتنظيمى لصفوف الاتحاد، وتحسين الدعاية والتحريض، والنزاهة فى النقد والنقد الذاتى، واعداد اعضاء رابطة الاطفال كرديف لاتحاد الشباب الشيوعى، وكذلك مسألة الاقتداء بالنماذج الايجابية فى النضال الذى خاضه الشباب الوطنيون فى الماضى.

وكنت اؤكد كلما سنحت الفرصة انه يجب على الكوادر القياديين فى اتحاد الشباب الشيوعى ان يعيشوا دائما وسط الجماهير، وان يكونوا حملة الراية ويتقدموا صفوفها فى العمل، ويتصرفوا مثل أم حقيقية فى عملهم مع الناس.

بعد ذلك الاجتماع، طرأ تبدل على اسلوب عمل قادة الاتحاد. فمنظماته التى كانت مقيدة الى قوالب البيروقراطية القديمة والميل الى اغلاق الابواب والتقيد بالشكليات، تحولت الى منظمات حيوية ونشطة، واخذت تتغلغل فى اعماق جماهير الشباب.

وفى احد الايام، ذهبت الى لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى المحافظة لمقابلة كيم زونغ كوون. ولكن لم يكن ثمة احد عدا المراسل. سألته اين ذهب الآخرون فأجابنى بأنهم ذهبوا الى المنظمات الدنيا فى الدوائر والفروع. ولم استطع ان اخفى رضاى وارتياحى لسماع ذلك.

فحتى وقت قريب، لم يكونوا هم انفسهم يذهبون الى جماهير اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى، بل كانوا يعملون وهم يسترخون فى المكاتب، ويستدعون امناء منظمات الدوائر والفروع، ويعهدون اليهم بالمهمات ويطالبونهم بالتقارير عن النتائج. وكانت لجنة الاتحاد فى المحافظة غير مطلعة على وضع الامور فى المنظمات القاعدية الى حد لو ان احدا قال: " ان الحصان ولد مهرا فى مكان ما" لصدقت ذلك. ومع ذلك، كانت لجنة المحافظة تطلق صرخات الانتصار فى نهاية

اجتماعاتها التى تخوض فيها المعركة الايديولوجية. وكانت منظمات اتحاد الشباب الشيوعى تعتبر ان الاجتماع والنقد هما الحل النهائى لجميع القضايا.

بدأت مناهج العمل التقليدية بالاختفاء من نشاطات كوادر الاتحاد. وصار هؤلاء يذهبون الى وحدات جيش حرب العصابات وفروع منظمتهم الاخرى ويساعدونها فى عملها بكل مسؤولية. ولم يعودوا يهدرون الوقت فى الثرثرة وتحبير الاوراق فى مكاتب لجنة المحافظة، بل اخذوا يترددون على المنظمات الدنيا ويلتقون بأعضاء الاتحاد، كما يحضرون اجتماعات الفرق والفروع ويساعدون امناء منظمات الاتحاد فى وضع خطط العمل. ولم يعودوا يتواجدون فى مكتب لجنة الاتحاد فى المحافظة الا عند الدعوة لاجتماع.

وكان بين نشطاء اتحاد الشباب الشيوعى عدد كبير ممن يتقنون المواءمة بمهارة ومرونة ما بين المهمات والظروف والاوضاع المتغيرة، ويملكون اساليب عمل محكمة ومناهج مجربة فى القيادة.

فكيم بوم سو، رئيس قسم التنظيم فى لجنة الدائرة الثامنة لاتحاد الشباب الشيوعى فى محافظة آنزى، شارك فى اجتماع مينغويكو، ولكن والديه لم يعرفا مع ذلك ان ابنهما كادر كفء يتمتع بحب الشباب.

عندما انتسب الى المدرسة الابتدائية، فرحت امه كثيرا لان ابنها الوحيد سيتلقى العلم، فكانت تذهب وتعود به من المدرسة وهى تحمله على ظهرها. ووسط هذه الرعاية والحرص عليه كجوهرة، بلغ سن المراهقة، فزوجه ابواه فى سن مبكرة.

وحتى بعد ذلك، بقى الوالدان قلقين من امكانية مشاركة ابنهما فى الحركة الاجتماعية، فكانا يقيدان بصرامة خروجه من البيت.

وقد اطاعهما كيم بوم سو، ولكن ذلك جعله يحول غرفة صغيرة خلفية فى البيت الى مكان للاجتماعات، ويفتح ثغرة تحت السياج كان الشباب يمرون من خلالها بكثرة. ومع ان الوالدين كانا راضيين جدا لان ابنهما يؤدى مهماته "كاملة" كزوج دون ان يخرج فى نزهة، الا ان الابن لم يكن يجد فى الواقع متسعا من الوقت للنظر الى وجه زوجته المحبوبة، ففى كل ليلة كان يقبع فى تلك الغرفة لمزاولة عمله

مع الشباب. وقد ربى فى الغرفة نفسها عشرات المناضلين النموذجيين.

كان امين لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى المحافظة يوجه عادة نشاطات منظمات الاتحاد فى وحدات حرب العصابات، بينما كان رئيسا شعبتى التنظيم والدعاية يمارسان مهامهما من خلال منظمات الاتحاد فى مناطق حرب العصابات والمناطق التى يسيطر عليها العدو. وكان امين لجنة المحافظة يشترك بنفسه عند الضرورة فى العمليات الحربية، على رأس جموع المقاتلين.

وعند تنفيذ عملية ماتشون جرت الواقعة التالية: دعا فرع الاتحاد فى السرية المتمركزة على رابية قبالة ماتشون الى اجتماع استثنائى بحضور امين لجنة المحافظة فى اتحاد الشباب الشيوعى. واقسم اعضاء الاتحاد اليمين قبل المعركة الفاصلة المقبلة: "لندافع بقلوب اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى حتى النهاية عن ارضنا التى اكتسبناها بالدم!".

وراحت فوهات بنادقهم تصب نيرانها الصائبة على العدو، ملحقة مئات الاصابات فى صفوفه.

وعند الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ وعلى لوزوكو بالتعاون مع جيش الانقاذ الوطنى، كان امين اتحاد الشباب الشيوعى يتقدم صفوف رجال جيش حرب العصابات.

وبعد ذلك الاجتماع لكوادر اتحاد الشباب الشيوعى، اصبحت اكثر من اللقاءات والمشاورات مع كوادر الاتحاد حول المسائل المتعلقة بعملهم. وقد اكدت فى ذلك الوقت، بشكل خاص، على ضرورة تكثيف تربية الشباب على الروح الوطنية والوعى الثورى والطبقى، ومعاداة الامبريالية، وعلى الروح الشيوعية والتفاؤل، وتلقينهم العلوم العسكرية، وترسيخ النظرة الصحيحة الى الجماهير لدى كوادر منظمات اتحاد الشباب الشيوعى واعضائه، وتعليمهم مناهج واساليب العمل الشيوعية.

وقد سعينا لان تولى منظمات اتحاد الشباب الشيوعى اهتماما اوليا بالمسائل السياسية والعسكرية والاقتصادية العاجلة وتبذل قصارى جهودها لحلها. فمنظمات اتحاد الشباب الشيوعى لم تكن جمعيات علمية او تنويرية، او نواد، بل كانت منظمات تهدف الى تربية جماهير الشباب وجمع شملهم من اجل انتصار الثورة. ولهذا كان

ينبغى لنشاطها ان يخضع على الدوام لحل تلك المسائل العملية. وبذلك وحده يمكنها ان تكون منظمات حية تتحرك، وتصبح اذا جاز القول، محركا ذا قوة جبارة.

فى ذلك الحين، برزت بين الشباب والسكان فى مناطق حرب العصابات، ميول الى عدم الاهتمام بالمسائل الاقتصادية التى كانت تعنى حينئذ توفير الاغذية والملابس والمآوى، والتى يطلق عليها اليوم مسألة المأكل والملبس والمسكن. وقد كان معظم الأغذية التى يستهلكها سكان مناطق حرب العصابات يأتى من الغنائم التى يحصل عليها المقاتلون فى هجماتهم على العدو. فالحبوب التى كانت تغلها الاراضى الممحلة هناك لم تكن تكفى حتى الموسم التالى. ولذا، كان الناس يتطلعون الى الجيش كلما نفدت مؤنهم. ومع تكرر هذا الوضع، تولدت لدى عدد غير قليل من الكوادر والاهالى فكرة الاعتماد على جيش حرب العصابات. وكان هناك من يفكرون، فى اوقات ندرة المواد التموينية، بان الجيش سيشن هجمات على العدو لتأمين الاغذية، ويقفون مكتوفى الايدى، حتى دون ان يعدوا الارض للزراعة.

فى ربيع سنة ١٩٣٤، ذهبت الى داهوانغواى واحتفلت بالاول من ايار مع الرفاق من السرية الثالثة. وقد وجهت هناك نشاطات السرية، واطلعت فى الوقت نفسه على الاستعدادات لبذار الربيع. كان الوضع آنذاك مؤسفا، بل وسيئا جدا. فعلى الرغم من اقتراب موسم البذار، الا ان فلاحى المنطقة لم يهيئوا الارض، وكانوا يعيشون يومهم دون مبالاة. فتملكتنى دهشة بالغة. ما الذى جرى لهم؟ كما ان امين لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى المحافظة الذى كان يرافقنى لم يخف استياءه، وتساءل كيف وصلوا الى هذا الحد من التقاعس.

بعد بضعة ايام، عقدنا جلسة موسعة للجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى المحافظة فى موقع سرى فى ياوينغكو، وبحثنا مهمات الشباب فى حملة البذار الربيعى. وقد تقرر انشاء فصائل انتاج صدامية تتولى حملة البذار فى كل مناطق حرب العصابات فى تشينتاو، مثل تلك التى أنشئت فى خريف عام ١٩٣٢، حين جرى تنظيم فريق الحصاد الذى ضمن جنى محصول الحبوب فى حقول المنطقة المتوسطة. وقد ضمت فصائل البذار جميع نشطاء اتحاد الشباب الشيوعى وغيرهم

من الشباب الطليعيين فى مناطق حرب العصابات. ولم يقتصر عملهم على حراثة الارض وحسب، وانما تولوا ايضا اعداد البذار وادوات الحراثة. وكانوا يصلحون بانفسهم فى مشاغل الحدادة ادوات العمل المعطوبة. وفى المناطق التى تفتقر الى عدد كاف من الثيران، كانوا يحرثون الارض بالرفوش والمعاول. وقد تكللت حملة البذار الربيعى فى سنة ١٩٣٤ بالنجاح فى كل الاماكن.

وبفضل نشاطات هذه الفصائل الصدامية، تعاظمت بشكل واضح للعيان سمعة اتحاد الشباب الشيوعى فى مناطق حرب العصابات، وتوطدت المكانة الاجتماعية للشباب. وقد دعمت منظمات الحزب كل ما يقترح اتحاد الشباب الشيوعى تنفيذه وشجعت كوادره القيادية على دفع العمل بجرأة بين الشباب. كما ان الحكومة الثورية الشعبية، وجمعيتى الفلاحين والنساء وغيرهما من المنظمات الجماهيرية قدمت دعمها الكامل لنشاطات الاتحاد.

والدليل الواضح على الاهمية الكبيرة التى اولاها سكان مناطق حرب العصابات لعمل اتحاد الشباب الشيوعى، هو الاستعدادات التى اتخذوها فى ايلول ١٩٣٤ للاحتفالات بعيد الشبيبة البروليتارية العالمى.

فى سنة ١٩١٥، احتفل الشباب البروليتارى فى مختلف البلدان للمرة الاولى بهذا العيد. ومنذ السنة التالية، اصبح عيدا سنويا يحتفل به فى كل انحاء العالم بما فى ذلك الصين وكوريا.

وفى سنة ١٩٣٤، اعد اهالى وانغتشينغ لاجراء احتفالات واسعة النطاق بذلك العيد. وقد بعثنا عشية الاحتفال موفدين الى المناطق التى يسيطر عليها العدو لدعوة وفود من جميع القرى، وحصلنا على كميات من الارز وطحين القمح واللحم لتقديمها الى الضيوف فى يوم العيد. وقد جلب بعض مسؤولى التموين حتى الشاى. كما هاجم رجال جيش حرب العصابات العدو، واستولوا على غنائم يمكن استخدامها فى الاحتفال.

واقيم فى ساحة ياوينغكو قوس نصر من اغصان الصنوبر. ونصبوا فى انحاء الساحة لوحات جدارية تبين النجاحات القتالية لجيش حرب العصابات، وشعارات تحريضية. وقد كان فى السرية الخامسة يومئذ رسام موهوب عاش فترة من الزمن

فى الاتحاد السوفييتى، وكان فى الوقت نفسه خطاطا ممتازا. وقد علق قرب الساحة كذلك خريطة للعمليات الحربية تبين انتصارات الجيش الثورى الشعبى. كانت كل لوحة من رسومه تشع واقعية حتى يخيل للناظر ان الحياة تتدفق فيها.

وقد حولنا مبنى الحكومة كله الى مكان لايواء الضيوف، وعلقنا على جدرانه ايضا لوحات دعائية لتمتيع انظار الضيوف.

وعشية العيد، اختارت مناطق حرب العصابات فى جيغوانلاجى ووينغبيلاجى وتيانتشياولنغ وجوانجياولو وغيرها من القرى المجاورة مندوبين عنها وارسلتهم الى ياوينغكو. اما اهالى قرى الاعتقال، فكانوا يعرفون ان العدو يفرض رقابة صارمة على خروجهم ودخولهم من بوابات الاسوار، ولهذا لم يأتوا الى ياوينغكو فى جماعات، وانما جاؤوا متفرقين، وكان كل واحد منهم يحمل منجلا او سلة على رأسه متظاهرا بأنه ذاهب للعمل فى الحقول.

وفى يوم العيد، تجمع شبان وسكان مناطق حرب العصابات فى الساحة وهم يرتدون ملابس فاخرة صنعت من الحرير او الصوف الذى حصلنا عليه كغنائم حرب فى بييسانتشاكو. كما ظهر كوادر لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى المحافظة فى الساحة بملابس جديدة انيقة وتولوا تنظيم اجراءات الاحتفال. وكان لدخول رجال جيش حرب العصابات الى الساحة بملابسهم العسكرية المكوية جدا وصفوفهم المنتظمة، تأثير كبير فى نفوس الموفدين القادمين من المناطق التى يحتلها العدو والذين ابدوا اعجابهم وتقديرهم البالغين.

بدأ الاحتفال بدوى انفجار قنبلة "يونكيل". وكان صوت الانفجار هو اشارة البدء التى ارتفعت على اثرها فى الساحة عشرات الرايات الحمراء، ودوى الهتاف والتصفيق وقرع الطبول يهز الارض. ففتح الضيوف عيونهم على اتساعها اعجابا ودهشة.

بعد قراءة التقرير عن يوم الشبيبة العالمى، القى ممثلو عدة قطاعات اجتماعية خطابات حماسية، امتدحوا فيها مآثر اتحاد الشباب الشيوعى ودعوا الى النضال المناهض لليابان. وكانوا فى ذلك الوقت يسمون هذا النوع من الخطابات "التعبير عن الانطباعات". وكانت الفقرة الاخيرة فى برنامج الاحتفال هى جلسة رسمية على شرف الضيوف القادمين من المناطق التى يحتلها العدو. واستجابة لطلب العاملين فى

لجنة الحزب ولجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى المحافظة، ألقيت كلمة اشرت فيها الى ضرورة تقديم المساعدة المخلصة للجيش الثورى الشعبى فى نشاطه العسكرى السياسى. وردا على كلمتى، طلب احد المندوبين من المنطقة التى يحتلها العدو الكلام. ولكنه حين صعد الى المنصة انفعل الى حد انه لم يستطع ان يلفظ اية كلمة واكتفى باحناء رأسه محييا عدة مرات.

وبعد الاستماع الى كلمتى، طلب الموفدون من المناطق الخاضعة لسيطرة العدو ان نقبلهم ضمن جيش حرب العصابات. وقد الحوا فى طلبهم الى حد اضطررنا معه الى اقناعهم بالعدول عن ذلك. ولم نقبل فى صفوف الجيش الثورى سوى بعضهم، آخذين بعين الاعتبار اوضاعهم العائلية وعلاقات عملهم.

وفى العرض الفنى الذى اقيم فى ذلك اليوم، اتسم البرنامج الذى اعدته السرية الخامسة بالفرادة. فقد قدم مغاور كان ينتمى سابقا الى منظمة لاوهيشان السرية، رقصة روسية بديعة تعلمها اثناء اقامته فى منطقة بريموريه.

وحين كان الضيوف على وشك المغادرة، قدمنا اليهم غنائم الحرب التى كنا نحتفظ بها لسكان المنطقة الخاضعة للعدو.

اننى اورد تفاصيل الاحتفال بيوم الشبيبة البروليتارية العالمى فى سنة ١٩٣٤ لأنه كان الاوسع نطاقا والاشد تأثيرا بين الاحتفالات الشبابية فى مرحلة مناطق حرب العصابات.

فى ذلك الوقت، كنا نهتم كثيرا بالمناسبات ذات الطابع العالمى، وكذلك بالعلاقة مع المنظمات العالمية، مثل الاممية الشيوعية واممية الشباب الشيوعية والاممية النقابية الحمراء والاممية الفلاحية. وكما كان للاحزاب الشيوعية فى العالم مركز عالمى هو الكومنترن، كذلك كان لمنظمات اتحاد الشباب الشيوعى فى العالم مركز عالمى يسمى "قيم" وهو اختصار بالروسية لاممية الشباب الشيوعية، التى كانت تؤدى دور القسم الشبابى فى الكومنترن. والمنظمة التى كنا على اتصال بها فى هاربين، كانت تتبع بالتحديد لاممية الشباب الشيوعية، وهى نفسها التى اقترحت علينا الذهاب الى موسكو للدراسة.

وفى النضال العملى من اجل تنفيذ برنامج اتحاد الشباب الشيوعى، برز عدد

كبير من الثوريين الممتازين الذين سجلوا مآثر باهرة فى صفحات تاريخ نضال التحرر الوطنى. وكان منهم "ثلاث عشرة طلقة" (٠)، وكيم بونغ ووك "الشهير بالرفش"، وباك كيل سونغ، وهوانغ زونغ هاى، وكيم تايك مان، وكيم تشونغ زين، وزو تشون ايل، ولى سين سون، وكيم بوم سو، ولى دونغ هوا، ولى سون هى، وباك هو زون، وآخرون كثيرون. وقد كان جميع ابطال الحرب ضد اليابان هؤلاء، ممن انجبهم اتحاد الشباب الشيوعى، وتربوا وتفولذوا فى حياته التنظيمية. وكان من بينهم عدد كبير من قادة جيش حرب العصابات وعاملين سياسيين سريين ومربين.

فى الاجتماع الذى عقده اتحاد الشباب الشيوعى فى موقع ياوينغكو السرى، نوقشت مسائل تعزيز وتوسيع نشاطنا باطراد فى منطقة العدو.

فقد كان هناك احساس بافتقار تلك المناطق الى نواة قيادية للاتحاد مهيأة على الصعيدين السياسى والعملى. وكانت نشاطات الاتحاد فى تلك المناطق مهملة بسبب خطأ اليساريين السياسى، ممن كانوا يشغلون مناصب قيادية فى منظمات الحزب والاتحاد على كافة المستويات. ومراعاة لهذا الوضع، رفع الاجتماع الشعار الكفاحى: "النبن حصوننا فى قلب العدو!". وهو مماثل لشعار: "النبن حصون الثورة فى جيش العدو!". وكان ذلك الشعار يجسد فكرة تعزيز منظماتنا فى مركز العدو بالذات.

بقرار من الاجتماع، اخذت كوادر اتحاد الشباب الشيوعى العديدة تتسلل الى منشوريا الشرقية والى داخل كوريا والى مناطق شاسعة اخرى، لتنفيذ مهمات صعبة فى مؤخرة العدو. فقد ارسل الى لوزوكو، باك كيل سونغ الذى كان يرأس قسم الاطفال فى لجنة منطقة منشوريا الشرقية الخاصة، حيث عمل مع عدد من نشطاء الاتحاد الاكفاء لتوسيع شبكة المنظمات وتصليب الشباب فى خضم الممارسة العملية. وقد تغلغل موفدوه السريون عميقا فى مصنع لوزوكو لتقطير الخمور، وهو الاكبر حجما من نوعه فى تشينتاو، حيث كان

---

(٠)"ثلاث عشرة طلقة": هذا لقب سمى به احد مقاتلى حرب العصابات، لاصابته بثلاث عشرة طلقة وهو يدافع عن مخفر سوكباتغول الذى تعرض لهجمة شرسة من القوات "التأديبية" اليابانية. حدث ذلك فى اثناء المعركة التى دارت رحاها دفاعا عن منطقة سياووانغتشينغ لحرب العصابات (١٩٣٣ – ١٩٣٤) – المترجم

يعمل عدد كبير من الاحداث كعمال موسميين. كما عمل هناك، بتوصية من منظمة اتحاد الشباب الشيوعى، تشاى كوانغ الذى كان رئيسا لقسم الاطفال فى لوزوكو.

فى كل سنة، فى الفترة ما بين شهرى شباط وايار، وما بين ايلول وتشرين الاول، كان صاحب المصنع المدعو "يو"، يستأجر الاطفال وحدهم كعمال موسميين، ليحصل على فوائد اكبر مقابل اجر اقل. فقد كان يدفع لهم ٣٠ زيانا فى اليوم، اى اقل من نصف اجر العامل الراشد. ولم يكن يدفع لهم الاجر نقدا، وانما يعطيهم زجاجة خمر تساوى هذا المبلغ. فكان الاولاد يعملون للحصول على تلك الزجاجة منذ الفجر وحتى الغروب، ثم يجوبون الشوارع بعد ذلك طول الليل كى يبيعوا زجاجة الخمر التى حصلوا عليها كأجر.

وبقيادة منظمة اتحاد الشباب الشيوعى، استنهض تشاى كوانغ العمال الصغار الى النضال من اجل زيادة اجورهم. وبعد التحاقه بالعمل فى المصنع، عمل مع عشرة اطفال كان قد ضمهم الى منظمة رابطة الاطفال، على تحريض العمال على الاضراب. وقد القى هو نفسه خطبة تحريضية، بعد وضع حراس على ابواب المطعم المبنى بشكل براكة. ولم يكن من السهل عليه بالطبع ان يستنهض الى الاضراب صبيانا لم يجربوا الحياة التنظيمية من قبل. لقد حاول اقناعهم بصبر ومثابرة:

"لا يمكنكم العيش بزجاجة خمر. لنتحد جميعنا وسنحصل عندئذ على اجر نقدى يتناسب مع العمل الذى نقوم به. بامكاننا الانتصار على رب العمل اذا وحدنا قوانا."

واستجابة لدعوته، لم يذهب العمال الصغار الى العمل مدة ثلاثة ايام. وحتى اولئك الذين كانوا يخافون البطالة، انضموا بحزم الى صفوف المضربين بعد ان استمعوا الى تشاى كوانغ. وبخوض اضرابين اثنين، تمكنوا من اجبار صاحب المصنع على رفع اجرهم من ٣٠ الى ٤٠ زيانا فى اليوم.

اما باك هو زون، عضو لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى لوزوكو، فقد حقق نجاحات باهرة فى نشاطاته فى منطقة العدو بفضل كفاءته التنظيمية البارزة ومهارته فى العمل مع الجماهير. وقد كان هو نفسه من وجه اولئك الصبية للانضمام الى

المنظمة المناهضة لليابان، وقاد الاضراب الى النصر. ولكن العدو اعتقله، لسوء الحظ، اثناء تنفيذ مهمته.

وفور القاء القبض عليه، اطلق الاعداء صيحات الفرح كما لو انهم قد وضعوا يدهم على كافة المنظمات السرية فى منطقة لوزوكو. ولكن خابت آمالهم. فقد عجزت جميع وسائلهم عن تحطيم ارادته.

وفى احد الايام، عندما كان اقرب الى الموت منه الى الحياة، حاولوا استمالته:

"انت لاتزال شابا ينتظرك مستقبل مشرق. اننا آسفون من اجلك! ألا تشعر بالذنب تجاه امك الارملة التى لا تتمسك بالحياة الا من اجلك؟ اكشف لنا فقط عن منظمة اتحاد الشباب الشيوعى واسماء قادتها، وسنقدم لك مكافأة كبيرة تؤمن لك حياة رغيدة. فدعك من حلم الثورة التى لا مستقبل لها، وابحث عن طريق الحياة."

ارتسمت ابتسامة مريرة على وجه باك هو زون وهو يقول لهم:

"سأفعل ما تطلبون. اكتبوا عندكم: كنية القائد الذى يوجهنى (كونغ) واسمه (سان دانغ) (٠)."

وحين رآهم يرتبكون فجأة ويتوقفون عن كتابة ما يقوله، نهض مستندا الى الجدار وواصل التهكم بهم:

"ما الذى ستجنونه من تسجيل اسم القائد العظيم الذى ربانى؟ فالحزب الشيوعى سيثأر لى عما قريب."

لقد اختار اخيرا طريق الموت. فتصوروا ملامحه الصلبة وهو يمشى مرفوع الرأس الى مكان الاعدام بينما اذيال قميصه المفتوح ترفرف خلفه! لقد كان يمضى باعتزاز، حتى ان جنود الاعداء كانوا يتهامسون بذعر، معترفين بأن الشيوعيين هم رجال عظماء حقا.

وقد دس احد المدخنين خفية، سيجارة فى يده والقت الفتيات باقات من الزهر عند قدميه.

---

(٠) كونغ سان دانغ: تعنى بالكورية "الحزب الشيوعى" – المترجم

وهكذا، حافظ الرعيل الاول من اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى الذى ربته الثورة المناهضة لليابان على ايمانه، وعرف كيف يقاتل دفاعا عن مبادئه، وكيف يموت بشرف وكرامة.

ان الشباب الذين ربتهم وصلبتهم آنذاك منظمات اتحاد الشباب الشيوعى، كانوا يكبحون تماما مصالحهم الشخصية ويخضعونها لمصالح المنظمة والثورة.

وهكذا كان ايضا المناضل ريم تشون ايك، الذى تولى امانة الفرع الخاص للاتحاد فى نانسيان التابعة للجنة الدائرة الثامنة فى محافظة آنزى، كان مناضلا سياسيا كفوءا اسس ووجه منظمة سرية لاتحاد الشباب الشيوعى. وقد اعتقله الاعداء اثناء عمله، فصان اسرار منظمته حتى النهاية رغم وحشية التعذيب الذى تعرض له مرارا. وقد قيل لى انه القى على عاتقه خلال التحقيق، مسؤولية جميع نشاطات رفاقه السرية، واصر على انه هو وحده من قام بكل تلك النشاطات. وهكذا اطلق العدو سراح جميع رفاقه المعتقلين، فى حين مات ريم تشون ايك ببطولة فى سن مبكرة، حين كان فى الثامنة عشرة من العمر.

ويقال ان جلاديه انفسهم احنوا رؤوسهم امام روح التضحية النبيلة والجميلة التى أبداها بتعريض نفسه للموت لانقاذ المنظمة والرفاق.

كذلك كانت عضو الاتحاد لى سون هى مناضلة صلبة انجبتها الثورة المعادية لليابان. التقيت بها للمرة الاولى، كما اتذكر، فى الشتاء فى اوائل سنة ١٩٣٤. فقد رأيتها عندما ذهبت الى مدرسة رابطة الاطفال لزيارة الاولاد الذين فقدوا آباءهم فى احدى عمليات العدو "التأديبية". وكانت قد جاءت من آنزى الى وانغتشينغ قبل وقت قصير لتتولى فى هذه المحافظة الاخيرة العمل نفسه الذى كانت تقوم به هناك، كرئيسة لقسم الاطفال فى المحافظة.

كنت فى فناء المدرسة محاطا بالاولاد، عندما جاءت تركض نحوى وحيتنى. كانت لها عينان مستديرتان صافيتان، وكانت نضرة مثل زنبقة تنمو على ضفة ساقية.

كانت تهب على الفناء ريح باردة كئيبة. ومع ذلك، كان عدد كبير من الاولاد يتمسكون بى وهم يتقافزون بمرح. وكانوا يرتدون قمصانا وسراويل او تنانير صيفية

خفيفة وينتعلون صنادل قشية مهترئة. وكانت فى وجوه بعضهم آثار حروق، ربما اصيبوا بها اثناء هروبهم من نيران عمليات الاعداء "التأديبية". فمعظم الاطفال الايتام كانوا يأتون الينا باسمال بالية بعد ان فقدوا آباءهم فى المناطق الخاضعة لسيطرة العدو.

وبينما انا اداعب يد طفلة تبدو عليها آثار الحروق، تطلعت الى اعضاء رابطة الاطفال هؤلاء فاحسست بان حدقات عيونهم السوداء اللامعة تطلب منى شيئا ملحا. فبعث ذلك الاحساس الكآبة فى نفسى، وجعلنى اؤكد مجددا على قرارى بكنس اولئك اليابانيين الذين قتلوا آباءهم.

وتمالكت بمشقة انفعالات روحى الجامحة، واشرت عليهم بالقول:

"انتم براعم وطننا، وانتم عماد المستقبل. فرحكم هو فرح لنا. وترعرعكم اصحاء معافين يبعث القوة فى نفوسنا... فاكبروا بسرعة، وكونوا عمادا حقيقيا للبلاد."

اشرقت وجوه الصغار واجابوا بصوت واحد مدو: "هكذا سنفعل!" ثم ضجوا من جديد. ولكن دموعا كثيرة كانت تسيل على خدى سون هى، رئيسة قسم الاطفال. قالت:

"عفوا، ايها القائد! كلفتنى منظمة اتحاد الشباب الشيوعى بترؤس قسم الاطفال، ولكن، ان رؤية هؤلاء الاطفال بهذه الاسمال..."

كانت تتصرف امامى بارتباك وكأنها اقترفت ذنبا. وبدت على وجهها المضمخ بالدموع تعابير الاحساس بالذنب.

هل يمكن القول ان المسؤولية عن حالة البسة الاولاد الزرية تقع على عاتق لى سون هى التى لم تكن تنام الليل وهى ترقع ملابس الاطفال او تصلح احذيتهم او تصنع لهم الدفاتر؟

احدث لقائى الاول مع لى سون هى صدمة قوية فى نفسى وانا اراها تتخذ موقفا نقديا ذاتيا ثوريا، محاولة العثور فى نفسها بالذات، ودوما، على سبب كل الاخطاء والطوارئ التى تنشأ فى اطار عملها.

بعد بضعة ايام، نظمت عملية حربية خصيصا لاجل اعضاء رابطة الاطفال. وبفضل

الغنائم، اعددنا للاولاد الالحفة المبطنة والألبسة والاحذية الجديدة و الدفاتر و ارسلناها اليهم.

ولا يمكننى ان انسى منظر لى سون هى، بملامحها النضرة وهى تبكى وتبتسم فى الوقت نفسه، وتمسح بوجهها ملابس الصغار الجديدة التى حصل عليها رجال جيش حرب العصابات بدمائهم.

وقد زارتنا لى سون هى ذات مرة مع فريق من الفنانين الهواة الصغار لتشكرنا، قالت:

" ايها القائد المحترم! نود لو نرد جزءا ضئيلا من افضالكم بارسال الالحفة والالبسة الجديدة الينا. ولهذا الغرض، جئنا اليكم بفريق من الفنانين الصغار."

هزت كلماتها اوتار قلبى. فدعوت المقاتلين وسكان قاعدة حرب العصابات للاجتماع، وشاهدت معهم بسعادة عرض الاطفال الفنى.

ومن الفقرات المؤثرة التى قدمها الفنانون الصغار فى ذلك اليوم، قصة صبية صغيرة روت بنفسها كيف قتل اليابانيون ابويها، وكيف انها تنمو سليمة قوية، وترتدى ملابس جديدة وتضع حول عنقها منديلا احمر دفع الاخوة والاخوات المقاتلون ثمنه دما. ثم رفعت يدها الصغيرة التى تبدو عليها آثار الحروق، واضافت قائلة:

"لقد داعب القائد العزيز هذه اليد التى اصابتها الحروق فى احدى عمليات العدو (التأديبية)، وقال لى ان سعادتنا هى سعادته، وان ترعرعنا اصحاء معافين يبعث فيه الحماسة. فيا اخواتى ويا اخوتى المغاورين! اقول لكم اننا نكبر بسعادة، فاطمئنوا وضاعفوا حماستكم. وانا بدورى ساكبر سريعا، مثلما طلب منى القائد المحترم لكى احمل السلاح واقاتل الى جانب اخوتى واخواتى اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى ضد اليابانيين. ..."

لقد انتزعت كلماتها الدموع من اعين الجميع.

ومثلما تظهر قطرات عرق الفلاحين الشرفاء المجدين على السنابل الناضجة، رأينا فى ذلك العرض جهود لى سون هى المخلصة فى وجوه الاطفال.

ذات مرة، جاءت لى سون هى وتوسلت الى ان ارسلها الى العمل السرى فى منطقة يشرف عليها العدو.

وقد فاجأنى وادهشنى مثل ذلك الطلب من فتاة بذلت كل قواها فى العمل فى رابطة الاطفال وكانت ترى فى ذلك اسمى معانى الحياة.

وقد واصلت التماس ذلك من منظمة اتحاد الشباب الشيوعى، الى ان حققوا رغبتها اخيرا وارسلوها الى لوزوكو مع باك كيل سونغ.

ان سلاسل الجبال شديدة الانحدار والوعرة التى تحيط لوزوكو من ثلاث جهات، وسهولها الخصبة مضمخة بالروح الثورية السامية التى أبداها مناضلو اتحاد الشباب الشيوعى السريون البواسل، وبآثار الثورة الدامية المناهضة لليابان.

لا اريد التعرض الى تفاصيل نشاطات لى سون هى خلف خطوط العدو، ويكفى ان ابين منبع قوتها الروحية التى دفعتها للتضحية بشبابها الغض دون تردد.

كانت تعمل فى ذلك الحين فى كوخ لا يبعد كثيرا عن لوزوكو. وفى ذلك الكوخ الذى كان ينفذ اليه البرد ويقطر فيه ماء المطر، امضت الربيع والصيف واستقبلت الخريف. وفى اثناء ذلك، اتسعت فى لوزوكو شبكة منظمات اتحاد الشباب الشيوعى ونمت منظمة رابطة الاطفال، مما وفر حصنا متينا للثورة داخل قلعة العدو.

ومن اجل تحقيق ذلك كان عليها ان تتنكر وتجوب ليلا ونهارا، دون طعام، منطقة العدو، حيث كانت تترصدها دائما حراب الجيش والشرطة وعيون الجواسيس والعملاء.

ولسوء الحظ، وقعت المناضلة السرية فى قبضة العدو بعد ان وشى بها جاسوس وغد اسمه لى بونغ مون.

زج الاعداء بها فى زنزانة معتمة، واخضعوها لتعذيب رهيب لتكشف لهم عن المنظمات السرية فى لوزوكو التى كان مصيرها فى يديها. فاذا افضت شفتاها بالسر، تمزق الستار عن شبكة المنظمات فى لوزوكو وانهار فى لحظة واحدة حصن الثورة الذى بنى بجهود مضنية.

حاولوا التأثير على قلب الفتاة بالوعود الزائفة والكلمات المعسولة. ولكنهم عجزوا رغم ذلك كله عن الحصول على اى سر منها سوى قولها انها عضو فى اتحاد الشباب الشيوعى. ويبدو انها عرفت بشكل افضل وهى وراء قضبان السجن، معنى كونها عضوا فى اتحاد الشباب الشيوعى.

وسيطر الغضب على رئيس الدرك فى لوزوكو، الذى تولى تعذيبها، فأمر باعدامها رميا بالرصاص.

وعشية تنفيذ حكم الاعدام، وقعت الحادثة التالية:

فبعد صدور الحكم بالاعدام، حاول رئيس الدرك للمرة الاخيرة اقناع الفتاة. فذهب اليها فى الزنزانة مع جماعة من اعوانه.

كانت سون هى لحظتئذ ترتب ملابسها الممزقة والملطخة بالعرق والدم. ربما كانت تفعل ذلك لاستقبال الموت بمظهر مرتب ونظيف.

دنا منها لى بونغ مون الذى كان يتبع رئيس الدرك دائما مثل كلب، وقال لها: "هذه هى فرصتك الاخيرة للنجاة. انك ما تزالين فى عمر الزهور، وانى اشعر بالاسف عليك. اخبرينى ولو باسم شخص واحد من العاملين السريين فى لوزوكو، وتبقين على قيد الحياة".

لم تجبه بشىء. بل مسدت شعرها الملطخ بالدم، ثم دست يدها فى قميصها الممزق، واخرجت صرة صغيرة رمادية اللون.

شحب وجه بونغ مون ذعرا، وركض خارجا من الزنزانة. ولحق به الجلادون الآخرون وهم يصرخون. لقد حسبوا تلك الصرة رمانة يدوية، ولكنها كانت فى الحقيقة مملوءة بتراب قدمه اليها ابوها قبل استشهاده فى الدفاع عن قاعدة حرب العصابات.

ففاجأتهم بالقول: "لا تخافوا ايها الاوغاد! فى هذه الصرة تراب من ارض بلدى. أوتظنون ان حياتكم القذرة غالية الى هذا الحد حتى تلوذوا بالفرار؟".

وفيما بعد، صارت حياة الخائن لى بونغ مون وحياة لى سون هى التى كانت تتصور يوم التحرر وهى وراء القضبان، وتحتفظ فى صدرها بحفنة من تراب الوطن، صارت هاتان الحياتان المتناقضتان تقارنان بحياتى "الغراب والطاووس"، وهو تشبيه لا اظنه يجافى المنطق. فكيف يمكن للخائن لى بونغ مون ان يفهم قيمة تلك الصرة؟

لقد غادرت هذه الدنيا فى اليوم التالى وهى تهتف بحياة الثورة. وترنمت فى اللحظات الاخيرة من حياتها "باغنية اتحاد الشباب الشيوعى" التى اوردها فيما يلى:

الى الامام، الى لقاء فجر العالم الجديد.
ولنكن نحن الشباب البروليتاريين حملة الرايات،

ولنحطم بجسارة مجتمع الاعداء القديم.
نحن الشباب البروليتارى، الشباب البروليتارى.
نحن الطليعة الشبابية للجماهير الكادحة.

اذكر اننى شاركت لى سون هى غناء هذه الاغنية فى احدى المرات، بمرافقتها فى العزف على الارغن فى مدرسة رابطة الاطفال. وقد كان لحنا محببا، يغنيه اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى، والحزبيون الشيوعيون، واعضاء رابطة الاطفال، وكذلك عضوات جمعية النساء. فقد كانت الاغنية تعبر بامانة عن تطلعات الجماهير العاملة بأسرها الى مجتمع جديد، وحبها المتأجج للمستقبل، وارادة الشباب الراسخة فى بناء هذا العالم الجديد باسرع ما يمكن. وقد غناها شبان كثيرون وهم على منصة الاعدام مثلما فعلت لى سون هى.

هذه الاغنية لم نؤلفها نحن، وانما الشباب فى روسيا. ولكنها سرعان ما استحوذت على افئدة جميع الشباب المحبين للحرية والعدالة فى العالم للافكار والمشاعر العميقة التى تعكسها كلماتها ولحنها. ومثلما اصبح " النشيد الاممى" الذى ألفه اوجيين بوتيه نشيدا للحزب الشيوعى فى بلدان كثيرة، فقد اصبحت "اغنية اتحاد الشباب الشيوعى" معروفة على نطاق واسع كأغنية لشبيبة العالم.

ان ظهور نساء مناضلات مخلصات مثل لى سون هى، يشكل مأثرة لا ريب فيها من مآثر اتحاد الشباب الشيوعى الذى وفر لها الحياة السياسية والجناحين. فلو لم توجد هذه المنظمة التى صقلتها ومرستها فى النضال، أكان بامكان تلك الفتاة، فى سنها المبكرة، ان تبدى كل هذه الشجاعة امام جلاديها وان تزين اللحظة الاخيرة من حياتها بذلك الافتخار وتلك الكرامة؟

لهذا السبب، اقول اليوم ايضا ان المنظمة انما هى مهد الابطال والجامعة التى تربيهم. ان كل عضو من اتحاد الشباب الشيوعى او من اتحاد الشباب العامل الاشتراكى، تمرس فى الحياة التنظيمية، يملك من القوة ما يؤهله للتغلب على مئة، بل وعلى ألف من الاعداء. ولدى شعبنا وجيشنا الشعبى مثل تلك القوة، لان الاول

منهما قد تفولذ فى الحياة التنظيمية، ولان الثانى تهيأ ويتهيأ سياسيا وفكريا، عسكريا وتقنيا، فى البوتقة المسماة: المنظمة.

ان الشباب يتفولذون اليوم فى اتحاد الشباب العامل الاشتراكى كمناضلين، وكابطال وثوريين. فاذا كان اتحاد الشباب الشيوعى، فى مرحلة الحرب الثورية المناهضة لليابان، هو المدرسة التى تعد الثوريين المحترفين، فان اتحاد الشباب العامل الاشتراكى يشكل اليوم قاعدة لاعداد الفصيلة الطليعية للبناء الاشتراكى. فالشباب فى ايامنا هذه يتصدرون تنفيذ المهام الرئيسية فى كل ميادين البناء الاشتراكى، تماما مثلما تصدروا الصفوف ابان الثورة المناهضة لليابان. فقد تحول اتحاد الشباب العامل الاشتراكى الى فصيلة اساسية موثوقة تتمتع بتقدير حزبنا ومحبته دون حدود. فاينما تواجد، تتحقق المآثر وتظهر المعجزات. فقد تضمخت بعرق ودماء شباب عصر حزب العمل كل الصروح الشامخة، ثروات الوطن الثمينة التى ستتوارثها الاجيال جيلا بعد جيل، مثل هويس البحر الغربى، وخط السكة الحديدية الشمالى، وشارع كوانغبوك، وملعب الاول من ايار، وقصر التلاميذ والاطفال فى مانكيونغداى، وقصر التايكواندو. وهذا هو السبب الذى يجعل شعبنا يحب "فرقة الصدام الشبابية فى معركة السرعة".

وتتبدى بين اعضاء اتحاد الشباب العامل الاشتراكى وغيرهم من الشباب، الملامح الشيوعية الجميلة التى تثير اعجاب العالم بأسره. صحيح ان الانسان يحيا حياة واحدة فقط، ولكن شبابنا لا يترددون عن التضحية بهذه الحياة وكأنها قشة، من اجل انقاذ الآخرين. فالفتيات اللواتى قررن الزواج من الجنود الجرحى المكرمين ليكن عونا لهم، اصبحن من الكثرة بحيث لا يمكن ذكر اسمائهن جميعا. وهناك بين اعضاء اتحاد الشباب العامل الاشتراكى فتيات نبيلات تحولن الى امهات قبل ان يتزوجن، وذلك بتبنيهن اطفالا يتامى. وبينما يسعى الشباب فى البلدان الاخرى الى الانتقال للعيش فى العاصمة، فان شبابنا يغادرونها دون تردد للتطوع فى العمل فى الريف او فى مناجم الفحم او غيرها من مواقع الاستثمار الاقتصادى. واقول بكل صراحة اننى ارغب فى جعل امثال هؤلاء الشباب يجلسون على ارائك من الذهب.

كلما قرأت فى الصحيفة او سمعت من الاذاعة عن الملامح الشيوعية الجميلة

لشباب عصرنا، اتذكر جهود الشيوعيين الكوريين الهائلة المكرسة للحركة الشبابية، وافكر فى الوقت نفسه فى اتحاد الشباب العامل الاشتراكى الوريث الرائع لتقاليد هذه الحركة. فظهور هذه النماذج الجميلة التى تثير اعجاب العالم فى عصرنا باستمرار هو من مآثر اتحاد الشباب العامل الاشتراكى. فجيش الشباب العظيم الذى تمرس فى الحياة التنظيمية هو اقوى فى الواقع من قنبلة ذرية.

ليس هناك فى الدنيا عمل اجل واشرف من العمل مع الشباب. ولو قدر لى ان ابدأ حياتى من جديد، وخولت الحق فى اختيار المهنة من جديد، لانغمست دون تردد فى العمل مع الشباب كما فى سنوات جيلين.

بعد حل مناطق حرب العصابات، ارسلنا من جديد عددا كبيرا من المناضلين السياسيين السريين الى مناطق العدو. كنا قد صغنا مشروع توطيد النشاطات الشبابية السرية هناك، فارسلنا رجالنا الى آنتو وتونهوا وفوسونغ وتشانغباى وريتشيانغ وغيرها من الاماكن، بمهمة تنظيم لجنة المحافظة المركزية لاتحاد الشباب الشيوعى فى لياوجيبيان، وهى منطقة متاخمة للياونينغ وجيلين وتشينتاو. كما وضعنا، فضلا عن ذلك، مشروعا طموحا يقضى فى مرحلته الاولى بتأسيس منظمات شبابية سرية فى مناطق الحدود الشمالية الكورية، مثل موسان وكابسان وفونغسان وهويريونغ، ثم توسيعها فى مرحلة لاحقة حتى بيونغ يانغ وسيؤول وبوسان ومناطق اخرى فى وسط وجنوبى البلاد.

ولتنفيذ هذا المشروع، تسلل زو دونغ ووك، امين لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى محافظة وانغتشينغ الى منطقة العدو بوظيفة امين لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى محافظة لياوجيبيان المركزية.

كانت لدى زو دونغ ووك تجربة كبيرة فى العمل فى اتحاد الشباب الشيوعى. وبسبب اشتراكه فى انتفاضة ٣٠ ايار (١٩٣٠)، امضى اكثر من سنة فى سجن هاربين الذى كان آنذاك السجن الثالث فى مقاطعة جيلين. وقد تعلم فى السجن اللغة الصينية وانتسب الى اتحاد الشباب الشيوعى. لقد تخرج من المدرسة الثانوية فقط، ولكنه كان واسع الاطلاع ومحبا للمعرفة وتحصيل العلم. وبتكليف من لجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى محافظة نينغآن، ارسل الى وحدة من وحدات جيش الانقاذ

الوطنى، وقام بالعمل فى اتحاد الشباب الشيوعى. ثم عاد فى ايلول ١٩٣٢ الى وانغتشينغ ومعه فريق مسلح يضم اكثر من ٤٠ مقاتلا.

كان لقائى الاول معه، كما اذكر، فى خريف ذلك العام. وقد عينته موجها لاتحاد الشباب الشيوعى فى المفرزة الخاصة التى يقودها لى كوانغ، والتى استوعبت جنوده، ثم ارسلت جماعة من المقاتلين الى منشوريا الشمالية لاحضار اسرته. وكان زانغ كى سوب، والده بالتبنى، عضوا فى الحزب وشخصا شريفا يستحق عن جدارة لقب "الشيخ الشيوعى".

ولم يكن زو دونغ ووك شاهد عيان على المفاوضات بينى وبين وو وى تشينغ وحسب، بل ساعدنى فى المفاوضات بنشاط مع وانغ ريون تشينغ. وبعد المفاوضات، ارسلتهما الى المكتب المشترك للقوات المناهضة لليابان فى بلدة لوزوكو.

وقد تآخى كلاهما مع ضباط اتصال فى الوحدات الصينية المناهضة لليابان فى مناطق مختلفة، وأسسا بين الضباط من المراتب المتوسطة والدنيا، وبين الجنود فروعا للحزب الشيوعى واتحاد الشباب الشيوعى.

ومن خلال العمل فى المكتب المشترك، ارتفعت مهارة زو دونغ ووك فى مجال النشاط السياسى. وبعد انتقاله الى المنطقة التى يشرف عليها العدو، استقر اولا فى ليانغجيانغكو بمحافظة آنتو. وافتتح هناك حانوتا صغيرا، وبدأ يعمل فى "التجارة". وبأساليبه الماهرة، اقام علاقات التآخى مع خمسة عشر ضابطا من جيش منشوكو العميل، من ذوى الرتب المتوسطة والدنيا ومن الجنود الذين كانوا يترددون على الحانوت. كما تمكن من اجتذاب سرية بكاملها الى جانبه، وقد تمردت تلك السرية بناء على تعليماته وفرت الى الجبال.

وقد اراد زو دونغ ووك ربط اولئك الجنود المتمردين بجيش حرب العصابات، وذهب لهذه الغاية الى تشيتشانغتسى، حيث حاول اليساريون اعتقاله بتهمة التواطؤ مع "مينساينغدان".

وقد كتب فيما بعد كل ما جرى له:

"ما ان رآنى يساريو لجنة الحزب فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة حتى

راحوا يستجوبوننى: لقد صدر حكم باعدام سونغ ايل لأنه من (مينساينغدان) حين كان امينا للجنة الحزب فى محافظة وانغتشينغ، وانت عملت تحت قيادته، وكنت امينا للجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى تلك المحافظة. وبما ان سونغ ايل كان ينتمى الى (مينساينغدان)، فقد كنت انت مثله ايضا، فمن الخير لك ان تقول الحقيقة قبل ان نأتى بشهود. حينئذ قررت ان اهرب. وقد ايدتنى فى ذلك الرفيقة كيم جونغ سوك التى كانت تقدم لى الطعام. بل انها اعطتنى كذلك النقود للسفر. وهكذا تمكنت من العودة الى ليانغجيانغكو، تم انتقلت فيما بعد مع امى الى كوريا."

وقد واصل العمل بعد ذلك مع الشباب فى مناطق مختلفة من كوريا.

مثلما ورث لى سو بوك روح كيم زين، فقد انتقل نبضه هو ايضا الى كيم كوانغ تشول وهان يونغ تشول. ومثل ذلك حدث فى انتقال روح اتحاد الشباب الشيوعى الى اتحاد الشباب الديمقراطى، ومنه الى اتحاد الشباب العامل الاشتراكى. ففى حين يتحول الشباب فى بعض البلدان الى مصدر لوجع الرأس فى المجتمع واتباع للثورة المضادة، ويدمرون الابراج العظيمة التى انجزها اجدادهم، نجد شبابنا ينهضون كحصن ودرع ويدفعون باخلاص الى الامام القضية الثورية التى بدأها اسلافهم الشهداء.

فاتحاد الشباب العامل الاشتراكى يجمع اليوم شمل عدة ملايين من الشباب المخلصين دون حدود لقيادة الرفيق كيم جونغ إيل.

وبفضل جهودهم، سيتحول وطننا فى القرن الحادى والعشرين الى فردوس افضل للحياة.

٤ــ الرد على مجزرة سيداوكو

كنا نمضى اياما حافلة بالعمل فى حل وتصفية مناطق حرب العصابات، حين جاء الينا فى ياوينغكو مراسل من منظمة لوزوكو السرية وابلغنى تفاصيل المجزرة المأساوية فى سيداوكو. وحسب الوثيقة التى جلبها فان كتيبة الآمر وين قد حرضت وحدة جيش جينغآن المرابطة فى منطقة لاوهيشان على احراق قرية سيداوكو بأسرها وابادة سكانها عن بكرة ابيهم. لقد كان خبرا رهيبا وفظيعا.

لم تثر مصداقية الخبر اية شكوك، ولكنى لم استطع ان اتفهم الحقيقة. لم استطع ان اصدق ان آمر الكتيبة وين قد حنث بوعده ودفع جيش جينغآن الى ارتكاب مجزرة دموية. فقد كان هناك بين آمر الكتيبة وين ووحدتنا تحالف شبيه بالعمل الدفاعى والهجومى المشترك حاليا. وكنا قد صافحناه، على ما اذكر، بعد معركة لوزوكو مباشرة.

ففى احد الايام، اخبرتنا احدى المنظمات السرية العاملة فى منطقة يشرف عليها الاعداء بان قافلة عربات تجرها الثيران والخيول، تابعة لجيش منشوكو العميل قد انطلقت من بايتشاوكو باتجاه لوزوكو. فنصبنا كمينا بالقرب من جيغوانلاجى. واسرنا جميع حراس القافلة المعادية الذين لم يبدوا مقاومة تذكر. وكان بين الاسرى آمر سرية كنيته تيا، تابع لكتيبة وين. وعلى الرغم من وقوعه اسيرا، الا انه لم يبد ما يشير الى ارتباكه وقلقه، بل كان يضحك وكأن ما حدث له هو الامر السليم والمنشود.

سألت ذلك الرجل غريب الاطوار:

"انت ضابط، فلماذا استسلمت دون مقاومة؟"

"وما جدوى المقاومة فى هذه المنطقة التى يشرف عليها (جيش كوريو الاحمر)؟ من الافضل الاستسلام ما دمنا لن نستطيع تحقيق النصر فى المعركة."

ومثلما يفعل اهالى نينغآن، كان يطلق على الجيش الثورى الشعبى الكورى اسم "جيش كوريو الاحمر".

ثم اضاف قائلا:

"ان منشوريا كلها تعرف ان (جيش كوريو الاحمر) لا يقتل الاسرى."

كان آمر السرية تيا ينحدر من اسرة فلاحية فقيرة، وقد انضم الى جيش منشوكو حين سمع انهم يدفعون جيدا، وكان يأمل فى ان يجمع نقودا لكى يتزوج. وقد قال بعض الرفاق انه لا يكاد يعرف شيئا من شؤون الدنيا، ولكنه بالرغم من كونه ضابطا فى جيش منشوكو العميل، يمكنه التحول الى العيش بشرف اذا ما تلقى التثقيف المناسب.

وبعد ان تحدثنا مع الاسرى، اذنت لهم بالانصراف، ولكن تيا تقدم منى اذذاك بطلب:

"ايها السيد القائد، ألا تستطيعون ان تعيدوا الينا النقود والبنادق؟ يمكنكم ان تأخذوا كل ما هو فى العربات. اذا عدنا فارغى الايدى، فلن نستطيع ان ندفع للجنود رواتبهم... وقد يعدمنا آمر الكتيبة وين رميا بالرصاص."

سمحت للاسرى بالعودة الى لوزوكو سالمين، مع كل ممتلكاتهم. وودعهم رفاقنا وهم يمزحون:

"آه، يا اصدقاء، لم تدفعوا لنا حتى ثمن الرصاص الذى اطلقناه او مقابل سهرنا حتى هذا الوقت."

فقدم تيا الى آمر السرية لى هيو سوك صندوق رصاص وقال له:

"يا صديقى، اطلق بضع رصاصات على هذا الكيس الملىء بالسينغيرى (فجل مقطع جاف)." فقد كان متأثرا، كما يبدو، بتسامحنا وشهامتنا. وعندما رأى حراس القافلة ان لى هيو سوك لم يأخذ الصندوق بل اعاده الى العربة، اطلقوا هم انفسهم النار على الكيس. وقبل ان يبدؤوا المسير، افرغوا بنادقهم، ولفوا الرصاص بمناديل ثم القوا بها على العشب.

وبفضل هذه الحادثة، اكتسب آمر السرية تيا ثقة خاصة من جانب آمر الكتيبة وين. وكلما كان يرسل قافلة كان يعهد الى سرية تيا بحراستها. وذلك لان جميع

السرايا الاخرى كانت تعود خالية الوفاض، بينما كان آمر السرية تيا يعود دائما بسلامة ويوصل الشحنات كاملة الى المكان المحدد.

كنا نهاجم قوافل النقل الاخرى، ولكننا لم نكن نمس ابدا قافلته. وكلما كان على تيا ان ينقل مواد عسكرية، كان يرسل الينا سلفا مرؤوسيه ويبلغنا بموعد ومكان مرور عربات القافلة وعلائمها. وما لبث آمر الكتيبة وين ان انتبه الى ان تيا يعمل بحماية وعناية الجيش الثورى الشعبى.

وذات مرة، اقترح تيا على وين بشكل عرضى: "ان سريتنا تعمل فى لوزوكو بحماية الجيش الثورى الشعبى. فما رأيك بان تعقد كتيبتنا مع وحدة القائد كيم حلفا هجوميا دفاعيا وتعمل بامان تام؟". تظاهر آمر الكتيبة فى البدء بأنه فوجئ، وكأن ما يطرحه عليه امر خطير جدا، ولكنه وافق فى آخر المطاف على اقتراح تيا، وقال انه تدبير ممتاز لحماية الذات. وقد نقل الينا الخبر آمر السرية تيا، الذى حمل الى آمر الكتيبة وين موافقتنا على عقد الحلف شرط ألا تعتدى كتيبته على حياة السكان وممتلكاتهم. وكان الحلف "اتفاق جنتلمان" غير رسمى جرى التوصل اليه دون مفاوضات ودون توقيع.

وقد كان لهذا الحلف، بعيدا عن مضمونه الاصلى فى الدفاع والهجوم المشترك، معنى آخر، الا وهو تعايش الجماعتين بمودة وعدم مهاجمة احداهما للاخرى. وقد حافظ الطرفان على تعهدهما باحترام المصالح المتبادل وتعزيز التعاون، دون حوادث تذكر. وحين رأى وين اخلاصنا فى الالتزام بمبدأ عدم الاعتداء، ارسل الى جيشنا الثورى فى مناسبات عديدة كميات كبيرة من الذخائر والمواد التموينية والملابس، بل وقدم الينا كذلك معلومات عسكرية هامة عن تحركات القوات اليابانية.

وبأخذ هذه العلاقة الودية فى الاعتبار، لم استطع ان اصدق ان وين قد قاد جيش جينغآن للقيام بالحملة "التأديبية" فى سيداوكو. ارسلت جندى ارتباط الى آمر السرية تيا لكى يطلع منه على التفاصيل. فأكد تقريره حقيقة وقوع المجزرة وخيانة آمر الكتيبة وين. وابلغنا تيا ان وين ماض تحت ضغط السيد اليابانى الى الغاء الحلف المعقود معنا.

كان علينا ان نقدم الرد المناسب على خيانة آمر الكتيبة وين وعلى مجزرة سيداوكو التى تولى فيها وين دور الدليل. واخذت تصل الى مقر القيادة يوميا الدعوات والمطالبات بالانتقام. وكان القادة الآمرون يحرضون المقاتلين على الثأر للدم الذى اريق من سكان قرية سيداوكو. وكان المثل الذى يطيب لمقاتلى الجيش الثورى ترديده آنئذ: "الكلب المسعور يجب معاملته بالهراوة".

رأيت ان مطالب المقاتلين عادلة. فبقاء وحدة جيش جينغآن فى لاوهيشان ووحدة جيش منشوكو العميل فى لوزوكو على حالهما، سيجعل من غير الممكن ضمان سلامة السكان فى هاتين المنطقتين وتقديم الدعم العسكرى للمنظمات السرية فى القرى وتأمين خروج الجيش الثورى الشعبى الى منشوريا الشمالية، كما اننا سنواجه فى الوقت ذاته الفوضى فى عملية حل مناطق حرب العصابات. فقد كانت لوزوكو احدى النقاط التى سيتم اخلاء اهالى منطقتى حرب العصابات فى وانغتشينغ وهونتشون اليها.

قررنا ان نهاجم وحدة جيش جينغآن وكتيبة وين فى آن واحد. ولاستكمال قوتنا البشرية، استدعينا الى وانغتشينغ فوج آنزى الاول والفوج المستقل العامل فى تشيتشانغتسى. وبعد مسيرة سريعة استغرقت خمسة ايام، كان الجنود خلالها يتناولون كسرة من الخبز فى كل وجبة، وصل الفوج المستقل الى قرية تانغشويهيجى، ذات البيوت المتفرقة، حيث كنا نعسكر. كان معظم كوادر هذا الفوج، بمن فيهم آمره يون تشانغ بوم، قد اعدموا بتهمة الاشتراك المزعوم فى "مينساينغدان"، وكان يقود الفوج يومئذ رئيس اركانه. وقد ادى ذلك الى انهيار معنويات مقاتلى الفوج.

خضنا معركة جوانجياولو بجزء من هذا الفوج وفوج آنزى الاول وفوج وانغتشينغ الثالث، وذلك لضرب قوات جيش منشوكو العميل وفرقة الدفاع الذاتى التى احاطت نفسها بحواجز ترابية واخذت تقترف شتى المآثم، ولو لم نفعل ذلك لما كان بالامكان فتح الطريق الى لوزوكو.

وبعد هذه المعركة، وضعت القوات المسلحة الثورية خطة الهجوم على لوزوكو، وبدأت المسيرة فى وضح النهار باتجاه سيداوكو وسانداوكو وتايبينغكو

التى قررنا اتخاذها نقاط انطلاق للهجوم. وعلى الرغم من اننا سرنا اكثر من ٢٠٠ رى، كنا نتغذى خلالها بالحساء، الا ان معنويات المقاتلين كانت عالية جدا.

لقد انشئت سيداوكو "كقرية مثالية" على يد لى تاى كيونغ وغيره من قدماء محاربى جيش الاستقلال، والرواد المتحدرين من جيش المتطوعين الفاضلين. وكانوا يسمون هذه القرية سيداوهيجى او شانغفانغجى. وفيما بعد، حولنا هذه البلدة انا ولى كوانغ الى قرية ثورية. فقد انشأنا فيها، بمساعدة الشيخ لى تاى كيونغ، جمعية مناهضة اليابان وجمعية الفلاحين وجمعية العون المتبادل الثورية. ولاننا كنا نكثر فى ذلك الوقت من التردد على سيداوكو، فقد اطلق عليها سكان لوزوكو والقرى المجاورة لها اسم "مقر قيادة الحزب الشيوعى". وقد كان الاحترام والحب الذى يكنه السكان المحليون للجيش الثورى الشعبى مذهلا حقا. ولقد تولانى العجب والدهشة اكثر من مرة وانا اراهم يهرعون حفاة، كى لا يضيعوا الوقت فى انتعال احذيتهم، بمجرد سماعهم خبر قدوم الجيش الثورى.

وكانت قرية سانداوهيجى، القريبة من سيداوكو، هى قرية ثورية مشهورة ايضا، وقد اثرنا فيها تأثيرا كبيرا. وعلى سفح الجبل الى الغرب من قرية سانداوهيجى، كان يقوم مصنع لتقطير الخمور يشرف عليه بعض الصينيين.

وكثيرا ما كنت اتردد مع جو باو جونغ على هذا المصنع، لألتقى هناك مع كوادر المنظمات الثورية السرية وآخرين غيرهم.

كان حبنا لسكان سيداوكو لا حدود له مثل تيار نهر سويفينهى الذى يروى تلك الاراضى. ولكن تبين الآن لنا ان القرية كلها قد تحولت الى رماد، وان اهلها اصبحوا جثثا تحت التراب. وبيت لى تاى كيونغ القائم فيما وراء التل، والمؤلف من ٨ غرف كان محروقا ايضا ولم يعد يرى منه سوى قواعد الاساس الحجرية. فى هذا البيت بالذات، عقدت منذ سنة، عشية الهجوم على لوزوكو، اجتماعا لمناقشة العمليات مع جو باو جونغ وغيره من آمرى وحدات جيش الانقاذ الوطنى.

كان الشيخ لى تاى كيونغ قد بنى مدرسة قرب بيته المهدم، وعكف على تعليم الجيل الناشئ فيها. ولم تكن قد تلاشت بعد اصداء المجزرة، ولا اصوات الرصاص

وصرخات المفجوعين، حين قرر الشيخ تكريس نفسه للتعليم. وكان يخبئ فى مأواه ابن صديق له من ايام جيش الاستقلال، حالفه الحظ وخرج حيا من المجزرة. وقد روى لنا الفتى انه بينما كان عائدا الى البيت فى ذلك اليوم من زيارة قام بها، شاهد همجية جيش جينغآن من قمة مطلة على قرية سيداوكو.

كان السبب فيما حدث فى سيداوكو هو الاستجواب الظالم الذى تعرض له عضو اتحاد الشباب الشيوعى سو ايل نام، الذى كان يمارس نشاطه كعامل سياسى سرى فى لوزوكو. فقد اتهموه بالتواطؤ مع "مينسراينغدان" بسبب سطوه المزعوم على متجر، فجرى اعتقاله واستجوابه بطريقة مذلة على يد مسؤول المنظمة الثورية فى سيداوكو. وعندما اخفقوا فى التوصل الى ادلة تثبت اشتراكه فى "مينسراينغدان"، اطلقوا سراحه واخذوا يراقبون كل تحركاته.

بعد العودة الى البيت، اعرب سو ايل نام عن استيائه للتعذيب الذى تعرض له بسبب تلك التهمة الظالمة. وحين علم المسؤولون بذلك، حاولوا اعتقاله ثانية بنية قتله هذه المرة. فانتبه الفتى الى نواياهم، وهرب ليسلم نفسه الى العدو. ولينتقم ممن اساء اليه وعذبه، افشى للعدو باسرار المنظمة الثورية السرية فى سيداوكو.

وقد الهبت هذه الوشاية قلوب القتلة فى وحدة جيش جينغآن الذين كانوا يستعدون آنذاك للاحتفال بعيد رأس السنة القمرية فى لوزوكو. وفى فجر الخامس عشر من الشهر الاول ١٩٣٥ حسب التقويم القمرى، طوق اكثر من مائة من رجال القوات "التأديبية" سيداوكو خلسة وبدأوا يقتلون السكان دون تمييز بالرشاشات الثقيلة والخفيفة. ثم اضرموا النار فى البيوت، وبقروا بطون من حاولوا الفرار من البيوت المحترقة ورموهم فى النار، ولم يميزوا بين رجل او امرأة او شيخ مسن او طفل. وفى ساعة واحدة فقط، حولوا القرية الى كومة من رماد.

وحين هرع الى مكان الحادث عميد المائة اسرة فى سانداوهيجى، لم يجد سوى ثمانية اطفال كوريين يبكون وسط اكوام الجثث، وقد نجوا بأعجوبة من المجزرة.

بحث عميد المائة اسرة مع سكان القرى المجاورة مسألة اعالة اليتامى. وقرروا توزيعهم على العائلات. واخذ هو ايضا الى بيته احد اليتامى.

وقد انضم الى وحدتنا ثلاثة فتيان نجوا من المأساة الفظيعة.

ضغطنا على اسناننا ونحن نسمع قصة المجزرة. لا ريب فى ان الطيش اليسارى من جانب اولئك الذين عاملوا سو ايل نام بقسوة واتهموه بالاشتراك فى "مينساينغدان" كان سبب حدوث المصيبة. ولكن، دون ان نتجاهل ذلك، علينا ان ندين فى المقام الاول جلادى جيش جينغآن الذين اغرقوا قرية سيداوكو فى بحر من الدماء.

لقد كانت المجزرة الرهيبة فى تلك القرية هى ذروة الهمجية والدناءة والقسوة، ولم يكن حدوث ذلك ممكنا الا بايعاز وتحريض من الامبرياليين اليابانيين. واية مآثم لم يقترفها هؤلاء المتحدرون من القتلة المأجورين القساة الذين اقتحموا فى الماضى القصر الملكى فى بلد آخر وقتلوا الملكة بلا شفقة و احرقوا جثتها لمحو آثار جريمتهم؟

فى طفولتى، لم اكن استطيع كبح سخطى وانا اسمع احاديث والدى عن احداث "عام وولمى" (١٨٩٥). فالوصية على العرش التى قتلوها فى القصر الملكى ولم يتركوا اثرا لجثتها، هى الملكة مين، والدة سونزونغ، ملك كوريا الاخير، والتى سميت فيما بعد الملكة ميونغسونغ. حين كانت الملكة مين تقبض على زمام السلطة فى كوريا، ترأست التكتل الموالى لروسيا، واتخذت موقفا معاديا للقوى اليابانية، مما اثار حفيظة حكام اليابان، فاوعزوا الى وزيرهم فى كوريا، المدعو ميورا، لتشكيل جماعة قتلة من قوات الحامية ورجال الشرطة ومن الاشقياء والمجرمين، واطلاقهم لمهاجمة قصر كيونغبوك الملكى.

مزق اعوان ميورا جسد الملكة مين اربا بسيوف يابانية، واحرقوا جثتها ورموا بقاياها فى بحيرة لكى لا يتركوا اثرا لجريمتهم.

ولم يكن الكوريون فى الواقع يحبون الملكة مين كثيرا، لأنهم كانوا يعتبرونها المسؤولة عن دمار البلاد بسياسة الابواب المفتوحة التى انتهجتها. وكان هناك ايضا اناس لا يحبذونها، رغم انها كنة العائلة المالكة، لانها تواطأت مع القوى الخارجية لتقصى عن الحكم حماها الوصى على العرش دايواونكون. وكان هناك آخرون يقولون بسذاجة انه لو استمرت الحواجز التى اقامها دايواونكون لاغلاق ابواب البلاد عشرين او ثلاثين سنة اخرى، لما تحولت بلادنا الى مستعمرة. وبهذا لن يكون من الصعب فهم

كره الشعب لها. صحيح انها لم تكسب ثقة الشعب، ولكن السياسة هى السياسة على كل حال، والملكة هى الملكة. فهى مواطنة من شعبنا، ورأس الاسرة المالكة وممثلة السلطة التى كانت تدير سياسة البلاد باسم الملك كوزونغ. ومن هنا فان فظاظة حكام اليابان فى حادثة "وولمى" هى اعتداء همجى على سيادة شعبنا وانتهاك لكرامة الاسرة المالكة التقليدية. وكان واضحا ان الكوريين الذين يتميزون بوعى وكرامة وطنية عاليين، وبشعور من الاحترام تجاه الملك، لن يرضخوا لذلك.

اضف الى ذلك، فرض قص الشعر وتنفيذه بالقوة، مما ادى الى تأجيج المشاعر القومية وتفجرها. فكان رد شعبنا على حادثة "وولمى" وعلى قانون الشعر القصير بشن مقاومة المتطوعين الفاضلين.

وكان عام "كيونغسين" (١٩٢٠) هو عام عمليات "تأديب" ضخمة فى تشينتاو، اذ قام الجيش اليابانى فى منشوريا بقتل اعداد كبيرة من الكوريين. كان ذلك تعبيرا لا سابق له عن جنون القتل الذى اراد اليابانيون به محو هزائمهم المذلة فى فينغودونغ وفى تشينغشانلى، وذلك باقتراف المجازر ضد السكان الكوريين المدنيين فى منشوريا. فبعد ان تخلت بعض الوحدات اليابانية عن الزحف على سيبيريا واتجهت صوب الجنوب، بينما انطلقت وحدات اخرى من رانام باتجاه الشمال قاصدة منشوريا، كانت تحرق بيوت الكوريين وتمارس القتل الجماعى ضد الشبان والكهول فى كل مكان وطأته اقدامهم. وكانوا يحرقون جثث ضحاياهم بالكيروسين، مثلما فعلوا بجثة الملكة مين، لمحو آثار جرائمهم.

الكارثة الكبرى التى شهدتها كانتو فى عام ١٩٢٣، لم تتمثل فى الزلزال الذى وقع فى تلك السنة، وانما فى المصائب التى انزلها المتعصبون القوميون اليابانيون بالامة الكورية. فقد كانت فرصة مثالية استغلها اولئك الزبانية للتنكيل دون تمييز بالكوريين مستخدمين السيوف اليابانية والرماح المصنوعة من الخيزران. ولانهم كانوا لا يستطيعون احيانا تمييز الكوريين عن السكان الآخرين من خلال مظهرهم وحده، فقد كانوا يطلبون منهم بكل بساطة ان ينطقوا عبارة "غوين غوجوغوسين" وهى تعنى "خمسة ينات وخمسة وخمسين سينا".

وكل من لم يستطيعوا ان يلفظوا بطلاقة هذه العبارة كانوا يعتبرونهم كوريين، ويقتلونهم جميعا دون استثناء. وفى الايام الثمانية عشر الاولى وحدها من تلك الاحداث، قتلوا اكثر من ستة آلاف شخص من ابناء امتنا. وهذا ليس سوى جزء صغير من جرائم العسكريين اليابانيين ضد الشعب الكورى، وصفحة من تاريخ اليابان المعاصر الملطخ بالقتل والنهب. واحد فصول هذا التاريخ المشين كتب فى بلدة سيداوكو الصغيرة.

سألت الشيخ لى تاى كيونغ، باستياء وكآبة:

" لقد كانت توجد فى هذه القرية منظمة سرية. فلماذا كنتم غافلين الى هذا الحد؟"

لقد كان سؤالا لا لزوم له. فهل كان بوسعهم عمل أى شىء لو كانوا متيقظين؟ ففى القرية لم تكن اية قوات دائمة لجيش حرب العصابات، ولذا لم يكن بامكانهم اقامة حراسة منتظمة. وحتى لو كانت لديهم مثل تلك الحراسة، ما الذى كان بمقدورهم ان يفعلوه فى مواجهة اعداد كبيرة من الجنود الذين اقتحموا القرية متسترين بعتمة الفجر؟

"كنا نعيش، ايها القائد وقد تركنا الحبل على الغارب، والمذنبون فى ذلك هم نحن الشيوخ. فقد كنا نعيش مطمئنين تحت حماية الجيش الثورى، ونسينا، على ما يبدو، اننا اناس لا وطن لنا، واننا شعب يحارب من اجل استقلاله. بل ان شيخا من سيداوكو كان من انصار غاندى."

ابتسم لى تاى كيونغ ابتسامة مرتبكة وكأنه قال كلمات لا معنى لها.

وقد اذهلنى ما قاله. كيف يمكن ان يظهر فى هذه القرية الجبلية النائية انصار لغاندى؟

"وكيف توصل هذا الشيخ الى الايمان بغاندى؟"

"ذات مرة، جاء الينا سيد متأنق من كوريا. واعتقد انه تحدث باشياء عن غاندى، بل انه عرض رسالة من غاندى منشورة فى جريدة كورية. ومنذ ذلك الحين، كلما ظهر الشيخ فى جلسات ابناء القرية، كان يتكلم عن الاستقلال دون اراقة دماء، ويستخدم عبارات المقاومة واللاعنف، مثلما يردد الكهنة الاسفار البوذية."

كنت قد قرأت انا ايضا رسالة غاندى التى نشرت فى جريدة "زوسون ايلبو" اثناء اقامتى فى جيلين، وناقشت مع باك سو سيم فكرة المقاومة السلبية. وسأورد هنا نص الرسالة كما اتذكره:

صديقى العزيز!

تلقيت رسالتك. الشىء الوحيد الذى اطلبه منك هو السعى الى جعل كوريا للكوريين عبر منهج اصيل تماما ومن خلال المقاومة السلبية.

سابارماتى، ٢٦ تشرين الثانى ١٩٢٦،

م. ك. غاندى

يتبين من الرسالة ان غاندى كان ينصح الكوريين بالسعى الى نيل الاستقلال باسلوب اللاعنف. وربما كان احد انصار اللاعنف، المعجبين بافكار غاندى، قد بعث اليه رسالة.

لم يكن هناك بين الشباب الكوريين فى جيلين من آمن بفكرة غاندى. ولم يكن بينهم مثل ذلك الحالم الذى يفكر بانه يمكن دون عنف، الحصول على الاستقلال مجانا من الامبرياليين اليابانيين القساة والجشعين. ومع ذلك، فقد وجدت افكار غاندى تلك صدى وتعاطفا محدودين بين بعض المشاركين فى الحركة القومية، فتخلوا عن المقاومة المسلحة وانصرفوا عن طريق النضال من اجل الاستقلال.

لقد كان غاندى يكره سيطرة انجلترا، ولكنه اعلن انه لا ينوى المس باى انجليزى، وان اللاعنف المنظم هو القوة القادرة على كبح العنف المنظم من جانب حكومة انجلترا. ويمكن القول ان فكرة غاندى هذه لقيت صدى واسعا فى اوساط الشعب الهندى، لسمو الروح الانسانية التى تمثلها. لا اعرف الى اى حد كانت تتناسب مع واقع الوضع فى الهند.

وحتى لو كانت تناسب الواقع، فان كوريا والهند تستعمرهما دولتان كبريان مختلفتان، احداهما فى آسيا والاخرى فى اوروبا، ولا يمكن لكوريا والهند بالتالى ان تطبقا الوصفات ذاتها فى الحركة من اجل الاستقلال. فالهند هى الهند، وكوريا هى كوريا.

لم يكن بالامكان فهم وجود اناس يعلقون الآمال على نيل الاستقلال دون اراقة الدماء فى منطقة لوزوكو، حيث كان النشاط الحربى والسياسى للجيش الثورى الشعبى على اشده.

"ربما ادرك ذلك الشيخ فى لحظة موته عدم فاعلية تلك النظرية. سيكون الامر مؤسفا جدا اذا هو فارق الدنيا دون ان يدرك ذلك. انه لمن المستغرب تماما ان يجرى الحديث عن عدم سفك الدماء بينما اليابانيون يتلذذون برؤيتها... "

وارتعش الشيخ لى تاى كيونغ وهو يشد قبضتيه، ولم يكمل كلامه.

"انت على حق. فلا يمكن مقاومة قطاع الطرق دون اراقة الدماء. الكلب المسعور يجب اخضاعه بالهراوة."

"ايها القائد العزيز، ان حياة الكوريين رخيصة جدا. حتى متى ستعيش امتنا ذات الملابس البيضاء على هذا النحو؟ ارجوك ان تثأر لدم سكان سيداوكو. اذا انتقمت من الاعداء، فانى سأموت مطمئنا."

وقد كرر الشيخ طلبه بالانتقام من العدو عند وداعى ايضا.

" لن انسى رجاءك هذا. اذا عدنا دون ان نثأر لدم سكان سيداوكو، فلا تسمح حتى لظلنا بدخول فناء بيتك."

بدأنا المسير للهجوم على لوزوكو موطدين العزم على انزال الهراوة الحديدية على رؤوس القتلة.

لقد ناضلت طوال حياتى من اجل كرامة الامة. ويمكن القول ان حياتى هى تاريخ من النضال للذود عن كرامة الامة واستقلاليتها. فانا لم اتهاون يوما مع كل من حاول النيل من امتنا او انتهك سيادتها. كذلك لم اساوم من يزدرون شعبنا او يسخرون منه. لقد اقمنا علاقات حسن الجوار وارتبطنا بعلاقات طيبة مع من عاملونا بصداقة. اما من لم يعاملونا كذلك ونظروا الينا نظرة تمييز، فقد ادرنا لهم ظهورنا. اذا ضربنا احد، فاننا نرد عليه بالضرب، واذا ابتسم نرد عليه بالابتسامة. ان مبدأ المعاملة بالمثل الذى تقيدت به طول حياتى يتلخص بالقول: من يكرمنى بكعك الارز اقدم له كعك الارز، من يقابلنى بالحجر، ارد عليه بالحجر.

فـى الماضــى، كانـت الحكومـة الكوريـة الاقطاعيـة العـاجزة تعامـل اليابـانيين المتواجدين فى بلادنا وفق حصـانة تتيح لهم الخـروج علـى القوانين. تماما مثلما هم حكام جنـوبى كوريـا اليوم، الـذين يعجـزون عن تطبيق القـوانين ويتغاضـون عن كل انتهاكات القوات الامريكية. فالحكومة الاقطاعية لم تكن تعاقب المجرمين اليابـانيين بموجـب القـوانين الكوريــة، رغـم رؤيتهـا اعتـداءاتهم الغـادرة علـى حيـاة الشـعب وممتلكاتـه. وكـان بالامكـان معـاقبتهم وفـق القوانين اليابانيـة وحدها. امـا فـى المنطقـة التى كان يعمل فيها الجيش الثورى الشعبى الكورى، فلم تكن ثمـة "حصـانات". فقد كانت لنا قوانيننـا التـى لا تسـمح بـاى تطـاول علـى الامـة والارض الكوريـة. ولـم تكـن العدالة تبيح الصفح عن القتلة مرتكبى مجزرة سيداوكو.

كانت خطتنا تتمثل فى انتهاز فرصة عيد الربيع "دانـو" للاستيلاء علـى حصـن الجبل الغربى، والانقضـاض فورا علـى لوزوكـو. وقد تعززت قواتنـا بمـا يمكننـا مـن القيام بالعملية بعد وصول فوج هونتشون.

وفيما صفوف الجيش الثورى تمضـى فـى مسيرتها نحـو لوزوكـو، ظهـر امـامى مقاتلو فوج وانغتشينغ الـذين عـادوا من عمليـة استطلاع للمدينـة. وكـان يـرافقهم آمـر السرية تيا. وقد جاء معهم ليوضح لى تصرف وموقف آمر الكتيبة وين. قال تيا:

"آمـر كتيبتنـا يرتجـف هلعـا مذ تلقـى اخبـارا عن عـزم الجيش الثـورى الشـعبى على محاصرة لوزوكو والـهجوم عليهـا. وهـو يقـول الآن انـه حين امـر احد مرؤوسيه بان يكون دليلا لجنود جيش جينغـآن الـذاهبين الـى سيداوكو، والـذين طلبـوا منـه ذلك، لم يكن يعرف انهم سيرتكبون مثل تلك المجزرة. وذنبه الوحيد هو انـه قدم لهم هذا الـدليل، تحت ضغط اليابانيين، وانه لم يمنـع جنـوده مـن نهب ممتلكـات السكان؛ وهـو يتوسـل منـا الصفح والمغفرة، لانه لم يحنث متعمدا بالعهد الذى قطعه للقائد كيم."

جعلتنـى كلمـات تيـا افكـر بعمـق فـى الامـر. صـحيح ان آمـر الكتيبـة ويـن قد اخـل بالاتفاق معنا حين لم يمنع عمليات السلب والنهـب التـى قـام بهـا جنـوده، وامـر مرؤوسـه بأخـذ جيش جينغـآن الـى القريـة. ويمكـن التخفيـف مـن مسـؤولية اخلالـه بالعهد اذا نحـن اخذنا بعين الاعتبار انه ضـابط فـى الجيش العميل ولا بد لـه من ممـالأة اسياده اليابـانيين

فى كل عمل يقوم به. ولكن، ما هى النتائج التى ستتمخض عن قضائنا عليه؟ سينهار كليا حلفنا الهجومى الدفاعى. وستأتى الى لوزوكو وحدة جديدة لا سبيل الى تشبيه كتيبة وين بها من حيث قسوتها. ولا ريب فى ان الاعداء سيتصرفون على هذا النحو سواء رغبنا ام لم نرغب. وسيصبح ذلك مقدمة لمجزرة ثانية وثالثة ورابعة فى سيداوكو. كما ان المصاعب ستواجه محاولاتنا لاجلاء سكان منطقتى حرب العصابات فى وانغتشينغ وهونتشون الى لوزوكو، ولا ريب فى ان عزمنا على الاحتفاظ بمنطقة لوزوكو كنقطة ارتكاز ستراتيجية للجيش الثورى الشعبى الكورى سيصطدم بعقبات جدية.

فما العمل؟

قررت الامتناع عن معاقبة آمر الكتيبة وين ومواصلة اجتذابه الى جانبنا. ولكنى قررت بالمقابل ان اسدد ضربة الى جيش جينغآن فى لاوهيشان تكون عبرة تبين المصير الذى ينتظر كل من يسعى الى الحاق الاذى بشعبنا. وحسب افادة جنود الاستطلاع الذين كانوا فى محافظة دونغنينغ، كانت ترابط فى وانغباووان بجوار لاوهيشان سرية معززة من جيش جينغآن، وهى سرية اولئك القتلة بالذات الذين احرقوا سيداوكو. بل ان جنود الاستطلاع عرفوا ان هذه السرية تابعة لوحدة يوسيزاكى سيئة السمعة.

ابلغت آمر السرية تيا بقرارى:

"سيلغى الجيش الثورى الشعبى خطة الغارة على لوزوكو. فعلى الرغم من ان آمر الكتيبة وين قد اخل بالاتفاقية معنا وغدر ثقتنا به، فاننا لم نتخل بعد عن الآمال التى نعلقها عليه. فكيف يمكنه ان يضمن استعداده فى الاخلاص لحلفنا الهجومى الدفاعى؟ اذا كان وعده صحيحا، فاننى اشترط عليه اولا ان يضمن سلامة مناضلى الجيش الثورى الشعبى عندما يقيمون فى مدينة لوزوكو خلال المباريات الرياضية المشتركة للجيش والشعب التى ستقام فى يوم عيد (دانو). انقل قرارنا الى آمر الكتيبة وين. ونحن سننتظر هنا رده."

وبعد وصول تيا الى معسكره، ارسل الينا خبرا بموافقة آمر الكتيبة وين على جميع مطالبنا.

انتقلت افواجنا بسرعة من الوضع القتالى الى اعداد احتفالات العيد. والاستراتيجيون الماهرون الذين وضعوا خطة الهجوم على لوزوكو، شرعوا باجراءات الاحتفال الرياضى، فاختاروا العابا رياضية تتناسب مع ميول وامزجة المقاتلين والسكان المحليين، وشكلوا الفرق الرياضية بتبصر وترو بحيث تبرهن على متانة وحدة الجيش والشعب. وهكذا تم تنظيم منافسة رياضية مشتركة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحرب، وجرت بمهابة فى مدينة لوزوكو تحت حماية الجيش المعادى الذى كانت مهمته الاصلية "معاقبة" المقاتلين الثوريين.

وقد خرج الجميع فى ذلك اليوم، بما فيهم العاملون السريون، لمشاهدة المباريات الرياضية. كما شاهدها جنود كتيبة وين باعجاب. وقد ارتفعت معنويات الاهالى فى العاب عيد دانو، بعد ان كانت قد هبطت كثيرا اثر مجزرة سيداوكو. وقد بينت تلك المنافسات الرياضية المشتركة بوضوح فى الداخل والخارج استعدادنا الثابت لاقامة علاقات ودية مع الجيوش التى لم تلحق الضرر بالشعب، بصرف النظر عن انتمائها واسمها.

فى تاييينغكو، عقدنا اجتماعا للآمرين اشترك فيه الكوادر العسكريون والسياسيون ابتداء من الموجهين السياسيين فى السرايا وما فوق، لوضع خطة مفصلة للمعركة فى لاوهيشان. وبعد هذا، اقمنا اجتماعا حاشدا ومهيبا احياء لذكرى الضحايا فى سيداوكو. وقد عزز هذا الاجتماع كثيرا شعور الثأر فى نفوس آمرى ومقاتلى الجيش الثورى.

لقد لقنا "هونغسيوتو" درسا قاسيا فى لاوهيشان. وقد جرى ذلك، كما اتذكر، فى اواسط حزيران سنة ١٩٣٥. وكلمة "هونغسيوتو" هى لقب اطلقه سكان منشوريا على جيش جينغآن، وذلك، على ما يبدو، لان جنوده كانوا يختالون بوضع شرائط حمراء على اذرعهم.

وفى ذلك الوقت استدرج مناضلونا العدو بمهارة بالغة من وانغباووان. وكان جنود جيش جينغآن اولئك قد طاردونا بعناد فى ايام حملتنا الاولى الى منشوريا الشمالية، وهم انفسهم من ارتكبوا بحقد لا مثيل له المجزرة الفظيعة فى سيداوكو.

فى البدء، ارسلنا مفرزة صغيرة لتشتبك مع جنود جيش جينغآن. لكن العدو الحساس لم يرغب البتة فى القتال. ولا اعرف من اين اشتموا ان وحدتنا قد جاءت اليهم. وقد عرفت من خلال الحديث مع سكان القرية ان جيش جينغآن لا يقوم بعمليات "التأديب" ضد وحدات جيش حرب العصابات الا فى الشتاء. اما فى الصيف، فانه يتهرب، قدر الامكان، من الاصطدام بالجيش الثورى، وانه لا يهاجم الا وحدات الشغب الجبلية وقطاع الطرق المحليين.

ومن اجل ضرب جنود جيش جينغآن، كان لا بد لنا من اجبارهم على الخروج من جحرهم. فقررنا استخدام تكتيك الاستدراج بالخدعة.

امرت الوحدة بالانسحاب الى لوزوكو فى وضح النهار لكى يراها الاعداء ويعتقدوا باننا قد انسحبنا نهائيا ورحلنا الى مكان آخر. وفى تلك الليلة نفسها، رجعنا خفية الى غابة قريبة من وانغباووان ونصبنا كمينا. ثم تنكر نحو عشرة من جنودنا الذين يتقنون اللغة الصينية بملابس رجال وحدة الشغب الجبلية وارسلناهم الى وانغباووان. وراحوا يتصرفون فى القرية مثل لصوص منفلتين من عقالهم، فاستولوا على حمير الفلاحين وقلبوا الامتعة البيتية وهدموا اسيجة البساتين، ثم عادوا الى وحدتهم.

فى اليوم الاول، لم يلتقط العدو الطعم لسبب ما. وقد تناولنا عشاءنا فى ذلك اليوم جافا فى موقع الكمين، على الرغم من ان ذلك لم يكن مستطابا بالطبع. كما ان البعوض ازعجنا طوال الليل. وكنت قد سمعت من قبل ان لى كوان رين، حين كانت تزرع مع زانغ تشول هو ارضا بالقرب من جبل بايكدو، قامت بتعشيب حقول البطاطا وهى تلف على رأسها عصابة من نبات الشيح لتحمى نفسها من هجمات البعوض الضارية. ولكن البعوض فى لاوهيشان لم يكن اقل ضراوة. وكان المقاتلون يضربون براحاتهم خدودهم واكتافهم وظهورهم، وهم يدمدمون متذمرين بان البعوض فى ذلك الجبل يشبه حقا "هونغسيوتو"، فهو يلسع بابر مسمومة.

فى اليوم التالى ايضا، نزل الفريق المكلف باستدراج العدو الى قرية وانغباووان من جديد، للقيام بمضايقات كتلك التى يقوم بها رجال وحدة الشغب

الجبلية. فأخذوا بضع دجاجات من احد البيوت الميسورة وتظاهروا بأنهم لن ينسحبوا بسرعة. وآنذاك فقط اندفع جنود جيش جينغآن فى ملاحقتهم. وربما كان السكان قد اثاروا ضجة كبيرة لظهور رجال وحدة الشغب الجبلية فى القرية.

كان جيش جينغآن يعرف جيدا بالفعل اساليب رجال جيش حرب العصابات القتالية. فقد كان يعرف كيف يهاجمون القوافل والبلدات. وخداع مثل هذا الخصم كان صعبا مثل وضع رسن فى عنق عصفور. ولكن لا ريب فى ان مقاتلى فريقنا الاستدراجى قد توفقوا فى اداء دور اشقياء وحدة الشغب الجبلية.

احدى الوقائع التى مازلت اتذكرها، هى تلك التى حدثت فى اليوم الثانى من الكمين. كنت اغفو وقد انهكنى التعب. فايقظتنى زوجة كيم تايك كون. وهى التى اعتنت بى مع زوجها وقامت بدور الممرضة اثناء اصابتى بالحمى فى وادى شيليبينغ. وقد ادت، اذا جاز القول، وظيفة الياور. فى ذلك اليوم، عرضت على عشبة عريضة الاوراق وقالت انها تبدو صالحة للاكل، وانها لا تعرف اسمها. وقد كانت عشبة النجمية. فاقترحت عليها ان نسميها نجمية الدببة، لان اعدادا كبيرة من الدببة كانت تعيش فى تلك المنطقة. وبعد تحرير البلاد، أكلت هذه العشبة من جديد فى دايهونغدان.

حين دخل الاعداء المنطقة التى نصبنا فيها الكمين، اخذوا ينظرون بقلق الى ما حولهم، ويدمدمون: " سيكون وضعنا سيئا جدا اذا وقعنا فى كمين فى هذا المكان". وحين دخل آخر جنود العدو المضيق الجبلى، اطلقت من مسدسى اشارة بدء الهجوم. سددت الى مستشار يابانى وجندلته. وقد لحقت الهزيمة بالعدو فورا ودون ان يبدى اية مقاومة تقريبا. فقبل ان يتمكن جنود العدو من الاختباء وراء السواتر الطبيعية لخوض القتال، صرخ بهم محرضو جيش حرب العصابات بالصينية: " لتسقط الامبريالية اليابانية!"، " سنعفو عنكم اذا سلمتم اسلحتكم!". وحين سمع الجنود المعادون هذه النداءات، امتنعوا عن القتال وسلموا سلاحهم بخضوع. كانت المواجهة فى لاوهيشان هى اول معركة استدراج وكمين نقوم بها. ومنذ ذلك الحين، اطلق رجال الجيش والشرطة اليابانيون وقوات منشوكو العميلة على اسلوبنا هذا تسمية "الشبكة".

فى هذه المعركة، اخرجنا من القتال اكثر من مائة جندى من جيش جينغآن

الذى كان يتباهى بأنه "الجيش الذى لا يمكن لخصم تحت السماء ان يواجهه". وغنمنا رشاشات ثقيلة وخفيفة وبنادق ورمانات يدوية واحصنة عسكرية واشياء كثيرة اخرى. بل وكان بين الغنائم مدفع هاون. كان الاعداء يحملونه على صهوة جواد باعتزاز، ولكنهم لم يتمكنوا من اطلاق قذيفة واحدة منه. وذلك الحصان الذى قدمته هدية الى الشيخ زو تايك زو، كان من عداد اكثر من عشرة احصنة اصيلة استولينا عليها من العدو فى تلك المعركة.

كما استولينا على عدد لا بأس به من الكلاب البوليسية. وقد نصحنى آمرو وحداتنا باستخدام بعضها لحراستى الشخصية. ولكنى امرت بارسال جميع الكلاب الى سكان تايبينغكو وشيتووهيجى، لاننى فكرت بان تلك الكلاب لن تكون نافعة لنا.

اثناء اجتماع داهوانغواى، احضر لى رفاقى كلبا كانوا قد انتزعوه من الجيش اليابانى. وكانوا يظنون انه سيكون ذا نفع لى بسبب ذكائه وبسالته. وقد شكرتهم على هديتهم، الا اننى رفضت تلك "الهدية"، وكان رأيى ان كلبا دربه اليابانيون لن يكون مخلصا لقائد من جيش حرب العصابات. وقد تأكدت وجهة نظرى هذه فيما بعد. فاثناء معركة ضد القوات "التأديبية" المعادية، هرب الكلب الى معسكر الاعداء عندما شم رائحة اليابانيين.

اجل، لقد ساعدنى الحصان الابيض كثيرا، ولكننى لم استفد من أى كلب غنمناه من العدو.

ان مسار عملية لاوهيشان التى قدمناها كنموذج لتكتيك الاستدراج والكمين فى تاريخ حربنا ضد اليابان، يثبت انها اكثر اشكال القتال فعالية فى حرب العصابات.

وبدءا من هذه المعركة، احرزنا انتصارات باهرة متتالية. ففى ارض مينغتشيانغ قضينا على وحدة كوتو؛ وفى منطقتى تشانغباى وريتشيانغ قضينا على نخبة من القوات المعادية بأمرة يوسيزاكى نفسه. وفى مرحلة المعارك الفاصلة الاخيرة، هزمنا الفرقة الاولى، وريثة جيش جينغآن.

وللمرة الاولى اثبتت معركة لاوهيشان القوة الجبارة للجيش الثورى الشعبى العامل بشكل وحدات كبيرة. وقد كانت قواه الرئيسية موجهة من قبل الى الدفاع عن قواعد حرب

العصابات فى منطقة ثابتة محدودة. اما الآن، فقد خرج من الاطر الضيقة للمناطق المحررة ودخل رقعة شاسعة من الارض. ان طلقاتنا التى دوت فى وادى لاوهيشان كانت نشيدا لصحة التوجه الذى وضعه اجتماع ياوينغكو بشأن حل مناطق حرب العصابات والانتشار فى مناطق واسعة وشن عمليات نشطة بوحدات كبيرة، واشارة تنبئ بانتصار الحملة الثانية الى منشوريا الشمالية. فالنصر فى معركة لاوهيشان اتاح للجيش الثورى الشعبى ان يستعد بشكل افضل لضمان نجاح هذه الحملة.

وبسرعة البرق انتشر نبأ انتصار الجيش الثورى الشعبى فى جميع انحاء منشوريا، واعتمرت بالايمان قلوب جماهير العمال والفلاحين الكوريين والصينيين الرازحين تحت نير جيش جينغآن، فاستلهموا ذلك الانتصار للانضمام الى النضال. وعندما عدنا الى تايبينغكو مع الخيول المحملة بالغنائم، خرج السكان الى الشوارع ورحبوا بنا بحرارة. واسرع لى تاى كيونغ من سانداوكو الى قرية سينتونجى حيث كنا نستريح. وجاء السكان من جينتشانغ وهوشاوبو ايضا لزيارة مقاتلى الجيش الثورى الشعبى وهم يحملون الهدايا.

عشية الحملة الثانية الى منشوريا الشمالية، واستنادا الى تقرير قدمته لى وحدة هونتشون لحرب العصابات، نظمت عملية لاجتذاب سرية من جيش منشوكو العميل ترابط فى داهوانغكو الى جانبنا. وكان من احضر لى تلك المعلومات هوانغ زونغ هاى الذى عمل جندى اتصال فى وحدة هونتشون لحرب العصابات. ووالده هوانغ بيونغ كيل هو شهيد وطنى معروف شارك بنشاط فى تنظيم عملية اغتيال ايتو هيروبومى التى نفذها آن زونغ كون.

اخبرنى هوانغ زونغ هاى انه يوجد فى سرية جيش منشوكو المذكورة، رقيب متعاطف مع فكرة التعاون مع الحزب الشيوعى، وهو يمارس تأثيرا جيدا على الجنود، وينوى الانتقال الى جيش حرب العصابات، ولكن ليس مع السرية كلها، بل مع بعض جنودها، وان هناك امكانية لاجتذاب السرية كلها الى جانبنا، وطلب منى النصيحة.

وقد كنت مهتما بدورى بتلك السرية. فوجودها كان يعرقل عملنا، لانها ترابط فى الطريق الذى نمر منه، وتحد من نشاطاتنا من عدة نواح. وكنا نعرف ان آمر هذه

السرية صينى، وان المترجم الكورى فيها وغد لا سبيل الى اصلاحه.

الشخص الذى قام بالدور الرئيسى فى الاعداد للتمرد هو ذلك الرقيب الذى كان يوجهه هوانغ زونغ هاى وآخرون من عاملينا السريين. ولم يكن ذلك الرقيب عاملا سريا ارسلناه، او عضوا فى الحزب الشيوعى، بل كان شابا بسيطا، وكان عاملا فى ديرن قبل تجنيده فى الجيش، وقد خدم فى "وحدة تأديبية" كانت ترابط اول الامر فى ريهى. ثم نقلت مسرح نشاطها الى تشينتاو، فتسنى له بالطبع ان يخدم فى هونتشون. وقد سبق للشاب ان سمع فى ريهى ان تشينتاو تعج بالشيوعيين. ولهذا اخذ يتتبع باهتمام كبير بعد وصوله الى هونتشون نشاطات الشيوعيين المحليين. بل وخطرت له الفكرة الجريئة باعادة صوغ مصيره من خلال التعاون مع الحزب الشيوعى.

وذات يوم، كان يتحادث فى حانة مع زملائه، فاعرب عن استيائه: "ولماذا نحارب الشيوعيين بحق الشيطان؟ من الافضل ان نقتل واحدا من هؤلاء الانذال وننتقل الى الجانب الآخر". وقد سمعه هوانغ زونغ هاى يومئذ، واخبر رؤساءه فى الحال. وهكذا بدأ العمل لاجتذاب الرقيب الى جانبنا.

وفى ذلك الحين، اعتقلت الشرطة احد عناصر مجموعة صغيرة ارسلناها للعمل السرى فى مدينة هونتشون. ومع ان المعتقل كان كوريا، الا انه كان يتكلم الصينية بطلاقة. وقد قيده احد رجال الشرطة وراح يضربه ويرفسه وهو يصرخ مطلقا الشتائم، وعندئذ مر الرقيب المذكور، فخلص المعتقل من يدى الشرطى ووبخه قائلا: "ايها الاحمق، كيف تضرب انسانا بهذه القسوة حتى وان كان شيوعيا؟ ما انت الا ضحية للاضطهاد مثله". ثم وجه للشرطى عدة صفعات وامره بالانصراف. وقاد رفيقنا الى ثكنته.

وفى الطريق قال له:

" بوسعى الآن ان اخلى سبيلك، ولكن يتعين عليك ان تذهب معى الى ثكنتنا. فاذا كنت شجاعا، فاقض ليلة واحدة فى وحدتنا وحدث آمر السرية والآخرين عن الجيش الشيوعى. فنحن نرغب جدا فى التعرف عليه. يوجد فى وحدتنا مستشار يابانى ومترجم كورى، وكلاهما نذل. ولكن لا تقلق، ساتدبر الامر لابعادهما عن الثكنة اثناء وجودك."

ذهل مقاتلنا ولم يدرك نية الرقيب من كلماته تلك، ولكنه تبعه وقد قرر فى نفسه ان يموت بشرف اذا لم يكن من الموت مهرب.

وما ان وصلا الى الثكنة حتى قدمه الرقيب الى صديقه، آمر السرية. وبينما الثلاثة يتناولون الشاى ويتبادلون الحديث خفية، دخل المستشار اليابانى الى الغرفة، ونظر بامعان الى رفيقنا. ولتبديد شكوك المستشار، قال الرقيب لآمر السرية:

"هذا صديقى. وقد جاء الى ليأخذ منى ثمن ما شربته من الخمر. والمشكلة اننى لا املك الآن اية نقود. فهل يمكنك ان تقرضنى بعض المال؟" فرد عليه آمر السرية بدهاء: "لا تقلق، فصديق صديقى هو صديق لى ايضا؛ ساقرضك النقود؛ ولكن ليس من المناسب تركه يذهب بسرعة، يجب تكريمه جيدا. تحدثا، وخذا راحتكما وانتما تشربان الشاى."

وبعد ان خرج المستشار اليابانى الى الشارع، واصل الثلاثة حديثهم السرى.

وبناء على طلب الرقيب، بدأ رفيقنا الحديث عن الحزب الشيوعى: " وحدات جيش حرب العصابات تضم كوريين وصينيين. اى انها جيش كورى وصينى متحالف. انا شخصيا كورى. والكوريون ايضا يعارضون احتلال اليابانيين لمنشوريا. وعندكم فى جيش منشوكو العميل يوجد وطنيون، ونحن مستعدون للسير معهم يدا بيد". واوضح لآمر السرية الصينى سياستنا حيال جيش منشوكو العميل وغنى باللغة الصينية اغنيات عن هذا الجيش.

وقد اثر حديث رفيقنا فى آمر السرية الذى طلب منه ان ينقل عنه الى رؤسائه لدى عودته فى الغد بأنه غير مستعد هو وجنوده لمحاربة جيش حرب العصابات. واذا تعين عليهم الخروج فى عملية "تأديبية"، فانهم سيطلقون بضع رصاصات فى اتجاه الغابة، لتكون اشارة لنا كى ننتقل الى مكان آخر.

واكد الرقيب من جهته وهو يودع مقاتلنا بأنه يريد الحفاظ على هذه العلاقات معنا، وانها ستكون مفيدة لنا، وطلب منه ان يطلع مفوضه السياسى على ما ناقشوه فى ذلك اليوم.

وهكذا تسنى لنا اقامة هذه الشبكة والتعمق فى التهيئة للتمرد. اسندت مهمات

تفصيلية الى هوانغ زونغ هاى، وامرته بالعودة الى داهوانغكو. وهناك اتصل بالرقيب وقام بنشاطات لجعل السرية كلها تتمرد. وقد قال له الرقيب: "اننا نقوم بهذا العمل دون ارادتنا. فليس هناك خزى بالنسبة للانسان اكبر من كونه العوبة بيد الآخرين؛ اننى اكن لكم كل التقدير؛ وانا مستعد للانتقال الى جانب الجيش الشيوعى مع السرية كلها". والح فى المطالبة بان نشن هجوما عليهم.

ارسلنا الى محيط ثكنتهم سريتين او ثلاث طوقتها حين كان الجنود يقومون بالتمرينات الرياضية الصباحية، ثم اخذ رفاقنا يصيحون بنداءات تحريضية مهددين بطلقات تحذيرية. فطلب جنود جيش منشوكو التفاوض معنا عبر مندوب، وكان هذا المندوب نفسه هو الرقيب المولود فى ديرن، وقد طلب منا وقف اطلاق النار وتعهد لمندوبنا بانتقال السرية كلها الى جانبنا. وهكذا انتقل اكثر من ١٥٠ جنديا وضابطا الى منطقة حرب العصابات، بعد ان اعدموا المستشار اليابانى والمترجم الكورى، وساروا وهم يعزفون الابواق ويقودون عربات تجرها الخيول محملة بكل ما استولوا عليه من ممتلكات العدو فى البلدة.

لقد ناقش آمرو فوج هونتشون مطولا مسألة دمج هذه السرية فى الجيش الثورى الشعبى. فاقترح بعضهم حلها وتوزيع افرادها على السرايا المشكلة حديثا، ورأى آخرون ابقاءها كما هى. وقد كان الرأى الاول هو الغالب.

اجرت قيادة الفوج مفاوضات متكررة مع آمرى السرية المتمردة. ولكن هؤلاء عارضوا حل سريتهم. عندئذ، جاءنى تشاى بونغ هو المفوض السياسى لفوج هونتشون وعرض على القضية لاتخذ القرار النهائى.

تحدثت مع جنود جيش منشوكو العميل السابقين، لكى اطلع على مطلبهم بدقة. وقد وجدتهم قلقين جدا بسبب طرح فكرة حل سريتهم. وكان موقفهم ضد حل السرية متشددا. وبصراحة، كان توزيعهم على عدة سرايا رغم ارادتهم تصرفا خارجا عن العرف الاخلاقى، خصوصا وانهم ليسوا اسرى، بل انتقلوا الى جانبنا طوعا واختيارا. وقد كان الحل الامثل فى احترام مطلبهم.

تقدمت باقتراح توفيقى: قبول السرية كلها دون حلها، ولكن مع اعادة تنظيمها فى

ثلاث سرايا وفقا لاوضاع الجيش الثورى الشعبى، واختيار آمريها بطريقة ديمقراطية فى اجتماع للوحدة كلها. وطرحت هذا الاقتراح للنقاش. فوافقوا عليه بارتياح، كما لقى الاقتراح تأييد آمر الفوج هو غو تشونغ والمفوض السياسى تشاى بونغ هو.

اما الرقيب الذى لعب الدور الرئيسى فى العملية، فقد اصبح آمرا لاحدى السرايا. وقررنا ارسال آمر السرية السابق الى الاتحاد السوفييتى للدراسة.

بين الجنود الذين انتقلوا الى جانبنا، كان هناك من اعربوا عن رغبتهم فى الذهاب الى الصين الداخلية. فارسلناهم الى هناك عبر اراضى الاتحاد السوفييتى. اما الذين رغبوا فى البقاء عندنا والنضال معنا، فقد قبلتهم فى وحدة هونتشون لحرب العصابات، وفيما بعد احلتهم الى وحدة لى يان لو فى منشوريا الشمالية.

وبهدف تطويق وابادة وحدة كبيرة من قوات الجيش الثورى الشعبى كانت تقوم بعمل عسكرى وسياسى نشيط فى منطقتى لوزوكو وتايبينغكو، استنفر العدو قوات ضخمة من جيش كوانتونغ وجيش منشوكو العميل ومن الشرطة وفرقة الدفاع الذاتى وقوات حراسة السكك الحديدية وغيرها. وقد ضغطت القوة الرئيسية من هذه الوحدات "التأديبية" على تايبينغكو، انطلاقا من جهة لوزوكو؛ اما بقية القوات المعادية، فقد انتشرت فى منطقتى ياوينغكو وبايتشاوكو واعدت العدة لعمليات تطويق وابادة قواتنا فى منطقة ضيقة، فى حال تراجعنا باتجاه الجنوب الغربى.

فى ٢٠ حزيران ١٩٣٥ بدأ الاعداء، اخيرا، الهجوم على تايبينغكو، فنشرنا وحداتنا فى الجبال وراء هذه البلدة، واقمنا مقر القيادة بالقرب من سرية الهاون. والى الاسفل قليلا، كانت هناك مغارة طبيعية.

حاول العدو عبور نهر داهوشاوبو فى مراكب. ففتحت بطاريتنا من مدافع الهاون النار عليها. وقد تحطم احد المراكب فى وسط النهر، مما زرع الذعر فى قلوب المهاجمين الذين عدلوا عن عبور النهر واخذوا يتراجعون متسرعين الى مواقعهم. ما امهر رجال مدفعيتنا! لقد كان مجديا تشكيل سرية الهاون من قسم من رجال جيش منشوكو العميل الذين انتقلوا الى جانبنا. اما المرتابون الذين لم ينظروا بعين الرضا الى مشاركة هؤلاء الجنود فى المعركة فقد انتبهوا الى خطئهم.

سررت جدا وعانقت آمر سرية مدافع الهاون وهنأته على النجاح فى المعركة. كذلك اسرع الى موقع بطارية مدافع الهاون بعض آمرى جيشنا الثورى، دون اخفاء سرورهم، وهم الذين نظروا بحذر وعدم ثقة الى المنتقلين الى جانبنا. كانت قذائف الجيش الثورى الشعبى التى دوت على نهر داهوشاوبو هى الاعلان التاريخى لولادة سلاح مدفعية بلادنا. وحين سمع الاعداء دويها، دب الذعر فى قلوبهم، بينما رقص الشعب فرحا. وفى الوقت الحاضر، نحتفل بهذه المناسبة باعتبارها عيد المدفعية.

اثناء المعركة، حاول آمر الكتيبة وين ان يعبر النهر ولكنه تراجع الى لوزوكو وقد اذهلته نيران مدافعنا، وقال: "الجيش الثورى الشعبى احجية حقيقية. لقد استولوا على المدفع امس بالذات، وها هم اليوم يصيبون الهدف بقذيفتين فقط. ما الذى نستطيع عمله امام هذه البراعة الشيطانية؟ الحمقى وحدهم هم من يتجرؤون على مواجهة الجيش الثورى الشعبى. لن احارب ضد وحدة كيم إيل سونغ، حتى ولو هوى السيف اليابانى على عنقى". ولا حاجة الى القول ان من نقل الى هذه المعلومات هو آمر السرية تيا.

وهكذا راح الجيش الثورى الشعبى يحرز النصر تلو النصر فى معارك لاوهيشان وتايبينغكو، وفى كنف جبروته اصبحت منظماتنا الثورية تعمل فى كل مكان بجرأة ونشاط. وكان رئيس جمعية مناهضة اليابان فى لوزوكو يقول باعتزاز انه بعد ان اباد الجيش الثورى الشعبى جيش جينغآن فى لاوهيشان، لم يعد سكان البلدة يذهبون الى البلدية، وانما يأتون الينا لتسجيل عقود الزواج او الولادات الجديدة.

لن نغفر لمن يلحق الاذى بالشعب!

هذه هى ارادة الشيوعيين الكوريين التى اكدنا عليها مرة اخرى من خلال الممارسة العملية فى لاوهيشان وفى تايبينغكو. ولكن الاعداء الذين كانوا يضطهدون الشعب كانوا مفرطين فى القسوة والغدر. وكان شعارهم: "لن نتمكن من البقاء الا بالقضاء على الشيوعية". ولذا كان ما يزال علينا ان نقاتل طويلا ضدهم.

دم الاعداء المقتولين فى معركة تايبينغكو ظل يصبغ مياه نهر داهوشاوبو طوال اكثر من اسبوع، وربما هذا هو السبب الذى جعل سمك الشبوط الاصفر يصعد فى تلك السنة نحو اعالى النهر بشكل لم يشهد له اهالى المنطقة مثيلا من قبل.

٥ـ نثر بذور الثورة فى الاراضى الشاسعة

حين كانت منشوريا الشرقية كلها تبحث عن مخرج وطريق تسير عليه، وهى تذرف دموع الاسى لرؤية النتائج الكارثية التى اوصلها اليها اعصار "التطهير"، وضعنا خطا جديدا يقضى بتصفية قواعد حرب العصابات الثابتة على شكل مناطق محررة والخروج الى رحاب شاسعة للعمل بطريقة نشطة فى وحدات كبيرة، وتقدمنا به الى اجتماع ياوينغكو فى آذار عام ١٩٣٥. وقد وافقت عليه الاغلبية المطلقة من الملاكات العسكرية والسياسية التى اشتركت فى الاجتماع.

ولكن، لم يعرب الجميع عن تفهمهم وتعاطفهم بصدد هذا الخط الجديد. وكان هناك بعض المعارضين فى الحزب واتحاد الشباب الشيوعى. وقد انطلقوا معا يلومو ننا ويسألوننا، اى حماقة سنرتكب بحلنا قواعد حرب العصابات، ولماذا انشأناها اذا كنا سنصفيها فيما بعد، ولماذا ارقنا الدماء دفاعا عنها طوال ثلاث او اربع سنوات دون ان يكون لدينا حتى ما نأكله او نلبسه بشكل لائق. ثم وصمونا اخيرا باليمينية والاستسلام والانهزامية. وقد اصبحت اوساط علم الاجتماع فى هذه الايام تطلق على تشبثهم بذلك الموقف اسم "مذهب حماية مناطق حرب العصابات".

وقد كان لى كوانغ ريم، وهو احد مؤسسى وحدة نينغآن لحرب العصابات، من اشد المتمسكين فى المؤتمر عنادا بضرورة الحفاظ على تلك القواعد. وكان قد عمل طويلا مع الشباب فى لجنة محافظة نينغآن لاتحاد الشباب الشيوعى وفى مكتب جيدونغ. ثم ارسل فيما بعد الى منطقة وانغتشينغ، حيث قام مع تشاى شى رونغ وفو سيان مينغ وغيرهما من قادة الوحدات الصينية المعادية لليابان بالاستعدادات لانشاء القوات المتحدة المناهضة لليابان. وقد شارك فى اجتماع ياوينغكو، اذا لم تخنى الذاكرة،

كأمين مؤقت للجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة.

ولكى يواجه انصار حل مناطق حرب العصابات، طرح ما يلى: اذا تم حل المناطق، ورحل الجيش الثورى الى الرحاب الشاسعة، فكيف سيعيش السكان؟ يقال انهم بعد حل مناطق حرب العصابات سينزحون الى المناطق التى يشرف عليها العدو، ألا يعنى ذلك انكم تدفعون بهم الى الموت بعد ان كانوا جزءا منكم وشاطروكم الافراح والاتراح؟ وهل يمكن للجيش الثورى ان يشن حرب عصابات دون الاستناد الى مرتكز عسكرى سياسى كمنطقة حرب العصابات؟ ثم ان نزوح من تمرسوا ثوريا فى النضال فى مناطق حرب العصابات وانتقالهم الى المناطق التى يشرف عليها العدو، ألن ينطوى على خسارة عشرات آلاف السكان الثوريين الذين بذلنا جهدا كبيرا فى تربيتهم؟ وفى النتيجة النهائية، ألن يؤدى حل مناطق حرب العصابات الى العودة بالثورة الى نقطة الانطلاق فى سنة ١٩٣٢؟

كان يبدو فى البدء ان المناقشة ستنتهى دون عقبات، ولكن هجوم لى كوانغ ريم قاد النقاش الى اتخاذ طابع معقد. وقد ظهر حتى بين اولئك الذين ايدوا حل مناطق حرب العصابات، اشخاص راحوا يومئون اليه برؤوسهم بعد ان استمعوا اليه. وانقسم المشتركون فى الاجتماع الى مؤيدين ومعارضين لهذا الخط، ودخلوا فى مناظرة ساخنة. وعندما بلغ الجدال ذروته، بدأ بعض قليلى التهذيب بشتم خصومهم والتشهير بهم فى محاولة لاخضاعهم بالاكراه. وكان هناك ايضا من حاول دحض ما طرحه لى كوانغ ريم، باللجوء الى تقليب ماضيه الشخصى.

فقال احدهم انه عندما كان لى كوانغ ريم يتولى فى محافظة نينغآن مسؤولية منظمة اتحاد الشباب الشيوعى فى احدى الدوائر، احب احدى الفتيات حبا جنونيا، ولكنها لم تستجب له. ولم يؤد به اصراره الا الى مزيد من اللامبالاة والفتور من جانب الفتاة التى كانت تعيد اليه جميع رسائله الغرامية مغلقة. وعندما كانت تلتقى به صدفة تتطلع الى جهة اخرى متظاهرة بأنها لا تراه. وهكذا فان الحب لا يمكن الحصول عليه حسب رغبة وحماسة طرف واحد. وبسبب مرارة اخفاقه الغرامى، نفى تلك الفتاة الى محافظة مولينغ، واقام علاقات غير شرعية مع امرأة اخرى الى ما قبل مجيئه الى وانغتشينغ.

لقد حاولوا استغلال حياته الخاصة من اجل دحض حججه، ولذا لم نستطع الثقة بصحة هذه القصة.

ان من لجؤوا الى مثل هذا الاسلوب الدنىء لتوجيه ضربة قاضية اليه، كانوا يهدفون الى التأكيد على انه مستعد لاقتراف اى خديعة ماكرة من اجل تصفية خصمه فى المناظرة، ذلك ان لديه روحا انتقامية قوية جعلته يقدم على طرد فتاة احبها الى منطقة غريبة.

بل ان احدهم ابدى شراسة بالغة حين اكد انه يجب النظر الى معارضة حل مناطق حرب العصابات على انه نتيجة منطقية لعودة ظهور مرض الفئوية، وليثبت كلامه اشار الى ان لى كوانغ ريم هو من مخلفات نظام "جماعة هوايو" وانه كان تابعا مخلصا لبعض شخصيات الادارة العامة لمنشوريا فى الحزب الشيوعى الكورى القديم.

ان الاشارة الى قصة غرامية فاشلة للخصم او اتهامه بانه مخلفات الفئوية هو تصرف دنىء فى كل الاحوال. ومع ذلك، فان لى كوانغ ريم يتحمل بدوره جزءا من المسؤولية، لانه بتقديم نفسه على انه اشد المخلصين فى الدفاع عن الشعب والاكثر وفاء لارادة الشعب ومصالحه، راح يلصق بالآخرين اتهامات رهيبة لا اساس لها، مثل "انتهازى يمينى" و"خائن الشعب" و"داعية الانتحار المتهور".

ويمكننا ان نفهم تماما ما الذى يشعر به رجل مثله فى معارضته العنيدة لتصفية مناطق حرب العصابات. فقد كنا نحن بدورنا نتألم لهذا القرار. هل هناك يا ترى من هو مستعد للتخلى عن مهده طوعا وببرود اعصاب، ولهجره دون ان يعانى الكآبة والالم، خصوصا اذا كان قد شيده بيديه، ودافع عنه بثبات واعتبره افضل من "فردوس سماوى"؟ لقد اغرورقت اعيننا بالدموع حين قررنا حل وتصفية مناطق حرب العصابات، وتعذبنا لتعلقنا الشديد بها وللآمال المبهمة التى كانت تراودنا.

وربما لم يكن حب لى كوانغ ريم لمناطق حرب العصابات اقل من حبنا لها. ولكن على الرغم من ذلك، واذا تكلمنا دون احكام مسبقة، فان الحفاظ فى تلك الظروف على مناطق حرب العصابات الدائمة على شكل مناطق محررة وخوض

مواجهة طويلة المدى مع عدو قوى يملك قدرات حربية هائلة، لم يكن سوى مغامرة، وعمل انتحارى لا ريب فيه.

فى سنتى ١٩٣٣ و ١٩٣٤، عندما بلغت حيوية مناطق حرب العصابات ذروتها، ما كان من الممكن ان يخطر فى بال احد منا ان يتحدث عن تصفيتها، لاننا كنا نعتبرها حينئذ "واحة" او "جنة ارضية".

فلماذا استطعنا التحدث اذن عن تصفيتها فى عام ١٩٣٥؟ ألم يكن ذلك مجرد نزوة؟ كلا، لم يكن نزوة ولا ترددا ولا تراجعا. بل على العكس من ذلك تماما، كان تدبيرا استراتيجيا جريئا، وخطوة اخرى الى الامام. واذا كنا قد اتخذنا القرار الجرىء بحلها فى ذلك العام، فلأن الوضع الداخلى والخارجى قد اضطرنا الى ذلك.

ان مناطق حرب العصابات التى انشئت فى حوض نهر دومان قد ادت مهمتها ودورها، فقد كان هدفها الاقصى يتمثل فى الحفاظ على القوى الثورية وتعزيزها، وفى الوقت نفسه ارساء قاعدة عسكرية وسياسية، وتقنية مادية راسخة من اجل توسيع وتطوير الكفاح المسلح المناهض لليابان. ولم نكن قد حددنا الفترة الزمنية لوجودها بثلاث او اربع سنوات بالطبع، ولكننا كنا نرى انه كلما قصرت المدة، كان ذلك افضل.

ففى لهيب الكفاح المسلح، تفولذ الجيش والشعب واصبحا مثل عنقاء. وجيش حرب العصابات الذى بدأ المسيرة ببضع عشرات من المقاتلين، تحول الى الجيش الثورى الشعبى الذى صار يملك قدرات هائلة تمكنه من خوض معارك كبيرة للدفاع عن قواعد حرب العصابات او شن الهجمات على المدن الكبيرة. وتراكمت فى التراث العسكرى والسياسى للجيش الثورى الشعبى خبرات وتجارب فريدة واصيلة فى اسلوب حرب العصابات.

لقد كانت حرب العصابات بمثابة بوتقة، وجامعة عسكرية وسياسية لصقل المناضلين. ولم يخرج من هذه البوتقة سوى الفولاذ النقى. كما ان الحديد المهجور فى الحقول الحصوية او فى حظيرة اقطاعى تحول ايضا الى فولاذ صقيل بعد مروره فى هذه البوتقة. وحولت جامعة النضال العسكرى والسياسى المناهض لليابان

القرويين الجهلة والعمال المياومين الى مناضلين حقيقيين بعد ان كانوا يؤمنون بان الغنى والفقر مقرران سلفا فى خطوط راحة يد كل انسان، او فى نبؤات العرافين او تكهنات السحرة.

لقد انفجرت فى الضحك فى احدى المرات وانا استمع الى رواية كيم زا رين لما حدث له حين كان اجيرا زراعيا. فقد كانت قصته موشاة بحدث فكاهى يبعث كل من يسمعها الى الضحك.

فى فجر احد الايام، خرج الى الحقل وهو يقود احد ثيران الاقطاعى. وتوقف عند مرج وراح يحصد الاعشاب الغضة المغذية وحدها لاطعام الثور. وفجأة، ظهر عند المنعطف الجبلى قطار راح يدنو بسرعة. فتوقف عن العمل وجلس على الارض يتأمله. وظهرت امام ناظريه صدفة صورة سيد متأنق كان يدخن واقفا على سلم احدى عربات القطار. احس كيم زا رين بالكراهية نحوه دون سبب محدد. فرفع قبضته باتجاه ذلك السيد ولوح بها مهددا، وهى حركة تستثير السادة الذين يأكلون ويلبسون جيدا. فما كان من الآخر الا ان اشار له بحركة مماثلة وعيناه تقدحان شررا ولسانه يطلق صرخة غاضبة. وفجأة، طارت قبعته عن رأسه، فارتبك ذلك السيد المتأنق وحرك يديه فى الهواء لالتقاطها، ولكنه سرعان ما غاب مع القطار المسرع. وسقطت القبعة فى غدير قرب السكة الحديدية.

نزل كيم زا رين الى الماء، والتقط القبعة، ثم وضعها على رأسه وصعد الى سد التراب المركوم الذى تمضى فوقه السكة الحديدية، وهو منتعش المزاج وكأنه صار غنيا. ولحسن حظه، وجد قرب الخط الحديدى منديلا فيه قطعة نقدية فضية من فئة ٥ زيانات. كان قد سقط مع القبعة من ذلك السيد المتأنق.

لقد اعمل كيم زا رين ذهنه طوال ذلك اليوم فى التفكير بما يشتريه بتلك النقود. واخيرا، اتخذ قراره. فاعتمر القبعة، على الرغم من ان عمره كان اقل من عشرين سنة، وذهب الى محل للعب القمار يرتاده ابناء الاثرياء كل ليلة ليتباهوا بثرواتهم. فبدأ اللعب معهم، وحالفه الحظ، فانتزع منهم فى ليلة واحدة مبلغا كبيرا من المال.

سدد بجزء من تلك النقود التى كسبها الديون المترتبة عليه للاقطاعى، وقدم

جزءا منها لشيخ فقير يسكن فى بيت مجاور امضى حياته كلها وسط الفقر والدموع. وبقى معه مبلغ ضئيل، ولكنه ظن انه سيكفيه للعيش بضع سنوات بيسر.

ومع ذلك، لم تكد تمضى سنة واحدة حتى وجد نفسه يرزح من جديد تحت وطأة الديون. فأخذ يعمل مثل ثور لكى يكسب ولو زيانا واحدا. وفكر بأنه اذا اشتغل دون راحة يمكنه ان يعيش حياة مرفهة، وان يغير مصيره ويرتقى الى منصب رفيع. لقد كانت تلك هى رؤيته للعالم فى مرحلة عمله كأجير زراعى. ولكن عمله لم يؤمن له الثراء، ولم يفتح امامه السبيل لتحسين حياته. وكلما كان يجهد نفسه اكثر، كان الفقر والذل يصبحان اكبر. وعلى الرغم من ذكائه وقوته، كان عليه ان يقبل بمعاملة البهائم التى لا تليق بالبشر لمجرد انه لا يملك المال.

وبدأ يصطدم، وجها لوجه، باولئك الذين كانوا يهينونه ويعذبونه. فكان يمسك بخناق كل من لا يروق له ويوجه له اللكمات. ولكن ذلك لم ينقذه من حياة الفقر والبؤس. وفيما بعد، انتقل الى منطقة حرب العصابات فى وانغيوكو، وصار احد افضل الرماة على الرشاش الذين كانوا يعدون على اصابع اليد الواحدة فى تشينتاو.

وبطل معركة هونغتوشان، لى دو سو، المشهور فى اوساط شعبنا بالعنقاء كان هو ايضا فقيرا متسولا فى وقت ما، فكان يمضى من باب الى باب طالبا الصدقات وهو يحمل كيسا على كتفه.

لقد كانت مناطق حرب العصابات منبتا لعشرات آلاف ابطال ورواد الحرب ضد اليابان. وحتى العجائز اللواتى فقدن اسنانهن، صرن فى مناطق حرب العصابات محرضات للنضال المناهض لليابان. لقد ولد الجميع هناك من جديد كعاملين نشطاء، وجنود، ومناضلين، ومنظمين ماهرين، ودعاة، ومنفذين. وعلى سبيل المثال، فان زو دونغ ووك، وزون مون زين، واو زين وو، وباك كيل سونغ، وكيم تايك كون، كانوا ثوريين حازمين تمرسوا فى منطقة وانغتشينغ لحرب العصابات. فقد كتب ابطال النضال المناهض لليابان بعرقهم ودمهم تاريخا لحرب المقاومة اثار اعجاب العالم بأسره.

وعبر النضال الشاق ضد الانتهازية اليسارية واليمينية والفئوية، اشتد تلاحم

الصفوف الثورية وتماسكها فى عائلة واحدة كبيرة تعجز اى هراوة حديدية عن تحطيمها. كما ارسيت المرتكزات الجماهيرية الراسخة للكفاح المسلح وبناء الحزب، واصبحت الجبهة المشتركة المناهضة لليابان مع الشعب الصينى متينة يستحيل قهرها. وجميع هذه النجاحات تحققت فى غضون ثلاث او اربع سنوات بعد انشاء مناطق حرب العصابات.

فهل كان بمقدورنا، نحن الشيوعيين الكوريين والصينيين، ان نجنى كل هذه الثمار الكثيرة، لو لم نستند الى منجم سياسى – استراتيجى مثل مناطق حرب العصابات؟ وكيف كان بامكاننا ان ننجز بذلك الاخلاص والحماس المهمات الاستراتيجية فى المرحلة الاولى من الثورة المناهضة لليابان، لو لم نعتمد على تلك المناطق التى شكلت نقطة انطلاق للعمليات، وقاعدة لوجستية ومؤخرة آمنة؟

كانت كيم ميونغ هوا تنحدر من اكثر فئات المجتمع بؤسا. وكانت تقيم اودها فى سنوات شبابها من بيع قبعات كانت تحوكها بنفسها من شعر الخيل. ولكنها عرفت فى منطقة حرب العصابات المعنى الحقيقى للحياة الانسانية، وتمرست كمقاتلة فى الجيش الثورى الشعبى الكورى فى اتون الحرب الكبرى المناهضة لليابان. ولولا وجود منطقة حرب العصابات، لما احرزت مثل هذا التطور المذهل. بل ولما كان بامكانها البقاء على قيد الحياة.

وبين المناضلين الذين تمرسوا عبر الحرب المناهضة لليابان كان هناك صيادون، وجزارون، ومعلمون، وناقلو اطواف، وحدادون. وكان بينهم كذلك صيدليون من امثال ريم تشون تشو، واطباء ثوريون مثل سو تشول. واجتمع هناك ايضا شبان تأثروا بالاتحاد العام للشبيبة فى منشوريا الشرقية، او من عاشوا تحت سقف منظماته المماثلة فى منشوريا الجنوبية او فى الصين؛ وطلاب قادمون من المدن، بل واناس ريفيون مشعثو الشعر. وقد دربت مناطق حرب العصابات جميع هؤلاء الناس ذوى المنابت والاصول المتنوعة، واعدتهم كمناضلين شرفاء يتقيدون بالاوامر ويعملون بمقتضاها، وكابناء رائعين لعصرهم يناضلون حتى الموت من اجل الوطن والامة، ويتصدرون الصفوف فى النضال المناهض لليابان من اجل الخلاص الوطنى.

لقد اثبتت الممارسة العملية بجلاء صحة قرارنا بانشاء مناطق حرب العصابات المحررة فى مناطق تشينتاو الجبلية وصحة توقيتنا لذلك القرار. ومع ذلك، وفيما كانت تلك المناطق ماتزال تحتفظ بحيويتها، خرجنا فى اجتماع ياوينغكو لنتحدث عن الضرورة الملحة فى حلها. فعلى اى اساس استندنا؟ على اساس انه لم يعد من الضرورى الحفاظ على مناطق حرب العصابات التى ادت رسالتها وواجبها.

فى اواسط الثلاثينيات، تطلب الوضع الثورى فى تشينتاو من الشيوعيين الكوريين والصينيين تغيير خططهم السياسية بحيث تتفق مع تيار العصر الجديد.

لقد كنت افكر، فى النهاية، بان الاصرار على تكريس كل جهودنا للدفاع عن مناطق حرب العصابات، والانطواء فيها مرددين "نشيد المعركة حتى الموت" مثلما كنا نفعل حتى ذلك الحين، لن يكون الا حفاظا على الوضع القائم، والتخلى عن تعميق الثورة. وبتعبير مجازى، فان ذلك الاصرار ليس سوى رغبة فى تحويل تيار مياه الثورة الى بحيرة او حوض، بدلا من مواصلته مساره الى البحر.

فالثورة مثل نهر متدفق وطويل، سواء أ هاج مصطدما بالصخور ام هدر فى الاختناقات الجبلية، فانه يندفع بقوة نحو البحر، ملتقطا فى احشائه ما لا حصر له من القطرات التى تتطاير فى الهواء. وهل رأى احد يوما نهرا يصعد الجبل، مديرا ظهره للبحر؟ ان الجريان عكس التيار والسكون ليسا من طبيعة الانهار. فمياه الانهار تجرى الى الامام فقط. انها تجرى دون توقف الى البحر، مستقرها الاخير، متغلبة على العقبات ومستوعبة رفاق الطريق من الروافد التى تصادفها.

والسبب فى ان الانهار الطويلة لا تتعفن يكمن، بالتحديد، فى حركتها المتواصلة، دون توقف او استراحة. فاذا ركد النهر وتوقف لحظة واحدة، فان جزءا منه سيتعفن ويتحول الى مملكة لكل اصناف العوالق والطحالب.

واذا نبذت الثورة التجديد واكتفت بالتكريس المطلق للخط القائم، فانها ستكون اشبه بالنهر المتوقف عن الجريان. ولكى تحقق الثورة هدفها الاستراتيجى يجب عليها ان تعدل باستمرار تكتيكاتها بما يتناسب مع الظروف والاوضاع المستجدة وبدون هذا التجديد، لا يمكنها ان تتحاشى الركود والمراوحة. واذا ما فكر احد بان

ثمة منهجا يحتفظ بالقيمة نفسها بعد ٥٠ سنة، او حتى بعد ١٠٠ سنة، فهل هنالك وهم اكثر سذاجة من هذا؟ لا يمكن اعتبار هذا الرأى سوى موقف ينكر استقلالية الانسان وابداعيته ووعيه.

ان قيمة التكتيك نسبية على الدوام. فقد يكون نافعا للحظة، ليوم، لشهر، لفصل، او لعصر معين. ولتطبيق اى استراتيجية بنجاح، يمكن استخدام عشرات ومئات الاجراءات التكتيكية. اما الاكتفاء بحل واحد لتطبيق استراتيجية معينة، فانه ليس بالموقف الخلاق بالنسبة للثورة؛ بل هو جمود عقائدى يؤدى الى انتحار عبثى، ويقيد ايدى دعاته واقدامهم. وحيث يسيطر الجمود العقائدى، لا يمكن ان توجد سياسة اصيلة ونشطة، كما لا يمكن ان يتواجد نهر الثورة الطويل والمندفع والحافل بالحيوية.

ان القوة القادرة على جعل الثورة جبارة مثل تيار نهر كبير تكمن فى الابداع والتجديد، لان الابداع والتجديد يعكسان باخلاص المطالب الجوهرية للجماهير الشعبية التى تسعى الى التقدم والازدهار غير المحدودين من اجل الحياة المستقلة. وبهذا المعنى، يمكن القول ان الابداع والتجديد هما المحرك الذى يدفع الثورة. ولن يكون من المبالغة القول ان وتائر تطور تاريخ هذه الامة او تلك تتوقف على قوة احصنة هذا المحرك.

والثورة الكورية تطرق اليوم ابواب القرن الحادى والعشرين مدفوعة بهذا المحرك.

فما هو الموضوع السياسى الاهم الذى يناقشه حزبنا فى الوقت الذى اصبح فيه القرن الحادى والعشرون فى مرمى البصر؟ ان هذا الموضوع هو كيف نواصل حماية وتأليق اشتراكيتنا المتمحورة على الجماهير الشعبية، فى ظروف الحصار المتزايد من قبل التحالف الامبريالى؟

قبل مئة سنة، كان شبه جزيرة كوريا ايضا مطوقا بقوى عظمى. ففى البحر قبالة اينتشون، كانت السفن الحربية التابعة لتلك القوى تتواجد على الدوام. وكلما كانت المملكة الاقطاعية تصر على اغلاق ابواب البلاد وتتخذ مواقف معادية للغرب او اليابان، كان هؤلاء يطالبونها بفتح الابواب ويهددونها ببضع قذائف من مدافعهم.

وقد توصل الامبرياليون اليابانيون الى تأليف حكومة موالية لهم، وفرضوا من خلالها اصلاحات سياسية. واصبح يحوم حول الملك والملكة مستشارون ومبعوثون وعملاء سريون دسهم الامبرياليون اليابانيون. وكان هذا ايضا نوعا آخر من الحصار.

وعلى امتداد التاريخ كان التطويق والحصار من جانب المعتدين الاجانب والامبرياليين يشكل محنة للامة الكورية. وقد عشت حياتى كلها كفرد من امتنا فى هذا التطويق والحصار. فهل كان هذا الوضع هو قدر محتوم فرضته خصائص بلادنا الجغرافية السياسية؟ لقد كانت تلك الخصائص هى احد الاسباب بالطبع. فلو ان الارض الكورية كانت تقع فى اقاصى الاسكا الجليدية او فى القطب المتجمد الشمالى، لاختلفت شهوة الدول العظمى حيال بلدنا بكل تأكيد، ولكن لا وجود فى هذا المقام لكلمة "لو". فالقضية ليست فى المكان الذى تتواجد فيه هذه البلاد او تلك. فالبلدان التى تعيش بطريقة مستقلة، ولا تطأطئ الرأس امام البلدان الكبيرة، مهما كان موقعها على الكرة الارضية، عليها الا تنسى ابدا انها قد تصبح هدفا لذوى "القبعات الخضراء" او ضحية للكثير من "قانون توريشيللى".

ولهذا فاننى اكرر القول بأنه يتعين على الناس الذين قرروا التمسك بالاستقلالية مدى حياتهم، ان ينتبهوا على الدوام للحصار الذى قد يفرضه الامبرياليون، وان يكونوا مستعدين لكسره.

فى سنة ١٩٣٥، كانت قواعد حرب العصابات المناهضة لليابان فى تشينتاو تخضع لحصار كامل من جانب العدو. وفى تلك السنة بالذات، بلغ الحصار ذروته. وكان العدو يحاول تحقيق نصر حاسم فى القضاء على "قطاع الطرق الشيوعيين" من خلال تضييق شبكة الحصار الى الحد الاقصى، وحيث اننا كنا قد عزمنا على احراز الهدف النهائى للثورة، فقد غيرنا خطنا. كان الامبرياليون اليابانيون قد حشدوا عشرات الآلاف من نخبة قواتهم، وفرضوا حصارا من عدة اطواق على مناطق حرب العصابات، وشرعوا يقومون كل يوم بعمليات "التأديب" محاولين ان يمحوا كل ما هو حى فى تلك الارض.

لقد شكلت سياسة قرى الاعتقال الجماعى احدى المكائد الاساسية التى انتهجها العدو لقطع الصلة بين الجيش الثورى والشعب. وبمقتضى هذه السياسة، كان يتعين على سكان جميع التقسيمات الادارية المتواجدة خارج اشراف الحكومة الثورية الشعبية ان ينتقلوا، رغم ارادتهم، الى قرى محاطة باسوار ونقاط محصنة، ليعيشوا كالمناجذ تحت وطأة القوانين الجائرة والانظمة القروسطية، مثل "قانون الاتهام المشترك لخمسة بيوت" و"قانون تجريم عشر اسر عن اى جرم ترتكبه احداها".

كان الاعداء يحرقون آلاف وعشرات آلاف البيوت والقرى المتفرقة فى مختلف مناطق منشوريا وكانوا يوجهون الانذارات لسكانها لاخلاء قراهم ويسوقونهم دون رحمة الى القرى المسورة فى السهول. وكان هدفهم يتلخص فى السيطرة عليهم بسهولة وهم مستلقون باطمئنان فى "القرى الآمنة" المزعومة التى يرابط فيها على الدوام الجيش والبوليس وفرقة الدفاع الذاتى المسلحة. ولكن هدفهم الرئيسى كان يتمثل فى محاولتهم ان يحطموا والى الابد الوحدة الراسخة بين الجيش والشعب التى تشكل العقبة الكبرى امام سعيهم الى "القضاء على قطاع الطرق الشيوعيين"، وذلك من خلال اقامة الاسوار والتحصينات، و الخنادق، و السياجات، و المصابيح الكشافة، والاسلاك الشائكة وغيرها من الحواجز المصطنعة. فقد كان الاعداء يعرفون جيدا ان جيش حرب العصابات هو المدافع عن الشعب، وان الشعب هو مؤخرته ومصدر هام للمعلومات.

وبالزج بجميع السكان وراء الاسوار، استطاعوا ان يعبئوا حشودا كبيرة من الايدى العاملة لبناء الطرق والمنشآت العسكرية وغيرها من الاعمال، مع الحفاظ على السرية التامة، كما اصبح بامكانهم ان يحصلوا بسهولة، متى شاؤوا، على الايدى العاملة والموارد المالية والمواد التى يحتاجون اليها.

ومع انشاء قرى الاعتقال الجماعى، عزز الاعداء دعايتهم المعادية للشيوعية. فكانوا يصرخون قائلين: "انتم مضطرون الى مغادرة مسقط رؤوسكم العزيز عليكم والانتقال الى قرى الاعتقال الجماعى بسبب الحزب الشيوعى والجيش الثورى اللذين يخلان بالامن العام ويدفعانكم الى التواطؤ، مما اجبر السلطات على تصفية الدساكر

المتفرقة وبناء (قرى آمنة) يمكنكم ان تعيشوا فيها مطمئنين، دون ان يزعجكم (قطاع الطرق الشيوعيون) وغيرهم من اللصوص الخيالة".

لقد اقام الاعداء الاسوار من اربع جهات، وساقوا الى كل منها ١٠٠ او ٢٠٠ عائلة. وقد بنوا البيوت صفوفا، كما فى الاحياء العمالية المعاصرة، لكى يكون من السهل على العسكريين والشرطيين مراقبة حركة السكان. وعندما يصل السكان الى هناك، يفصلون بين ابناء القرية الواحدة، ولا يدعونهم يعيشون جنبا الى جنب. وحتى الاقارب والاصدقاء كانوا يمنعونهم من العيش فى جوار بعضهم بعضا، وكانوا يوزعونهم فى جهات متباعدة. وهذا التدبير كان يرمى الى الحيلولة دون اقدام الناس الذين يملكون افكارا موحدة من التآمر او تشكيل جمعيات سرية تخل "بالامن العام".

ان " قانون اتهام خمسة بيوت" هو دليل واضح على مدى دناءة مكائد الاعداء لزرع العداء والشقاق بين سكان قرى الاعتقال الجماعى. فقد كانوا يشكلون مجموعة من خمس عائلات، واذا اكتشفوا ان احداها تتصل بجيش حرب العصابات، كانوا يفرضون عقوبة على الاسر الخمس، ويصل بهم الامر فى بعض الاحيان الى اعدام افراد هذه العائلات كلهم. هذا هو مضمون " قانون اتهام خمسة بيوت" السىء السمعة.

وكان الموظفون الاداريون والعسكريون ورجال الشرطة فى قرى الاعتقال الجماعى يفرضون رقابة صارمة على المأكولات لكى لا ينتقل اى "داى" (اناء صغير لكيل الحبوب – المترجم) من الحبوب الى رجال الجيش الثورى الشعبى. كما كانوا يفحصون كمية الطعام التى يحملها كل واحد من السكان عند خروجهم للعمل خارج اسوار القرية، لكى يتأكدوا من انه لا يحمل معه مقدارا فائضا يقدمه الى "قطاع الطرق الشيوعيين". فاذا وجدوا ان احدهم يحمل من الطعام اكثر مما هو مخصص للفرد الواحد، كانوا ينتزعونه منه دون تمييز. وحتى عندما تكون لدى احد الفلاحين اعمال كثيرة ينبغى القيام بها فى الحقل ويريد بدء العمل باكرا، فانه لم يكن يستطيع الخروج قبل انبلاج الفجر، ويتوجب عليه ان يعود قبل الغروب. وهكذا فقد الجيش الثورى تقريبا كل امكانية فى تلقى المساعدات الغذائية من سكان تلك القرى.

لم تكن الحبوب التى تنتجها مناطق حرب العصابات تغطى متطلبات الجيش والسكان. والاسوأ من ذلك ان العدو كان يعرقل عمليات الزراعة. فقد اعتبر المزروعات هدفا للابادة مثلها مثل البشر. فكانوا يدوسون الاشتال الحديثة بأحذيتهم العسكرية، ويضرمون النار فى الحقول، او يجمعون الغلال الناضجة معبئين فرقا مسلحة لديها الثيران والخيول. لقد كانت عملية لئيمة لقتل جميع المقاتلين والسكان فى مناطق حرب العصابات جوعا، وهو الهدف الذى لم يتمكنوا من تحقيقه بالبنادق والمدافع، فلجؤوا الى الحصار التموينى للضغط على اعناق الناس.

على الرغم من انه كان قد جرى حل منظمة "مينساينغدان"، الا ان عمليات العدو لشق الصفوف الثورية وتفكيكها من الداخل والخارج تواصلت بشراسة اكبر.

وفى المناشير التى تعرض الاستسلام، كانت تظهر صور الحسناوات العاريات ورسوم بذيئة تمثل علاقات جنسية قذرة. وقد تسربت الى صفوفنا حسناوات يبعن اجسادهن بالمال، متقنعات بقناع روزا لوكسمبورغ او جان دارك، ومارسن الاغواء لشل روح كوادرنا العسكريين والسياسيين واستدراجهم الى شباك الشرطة أو الدرك.

وكل هذا كان مهزلة فظيعة لذبح الناس، هدفها عزل مناطق حرب العصابات فى تشينتاو بصورة تامة عن العالم، وخنقها واحراقها دون رحمة.

ولو ان الجيش الثورى غض بصره عن ذلك الوضع المتفاقم، واقتصر على حماية مناطق حرب العصابات المفتوحة، لوقع دون ريب فى موقف دفاعى على الصعيد العسكرى، او لكان استدرج الى معارك استنزاف لا نهاية لها، تنهكه ولا تمكنه من الحفاظ على القوى الثورية التى تطلب تشكيلها سنوات عديدة. ان الاكتفاء بحماية مناطق حرب العصابات المحدودة كان يشكل تجاوبا مع لعبة العدو الذى كان يبذل جهودا يائسة للقضاء على الجيش والشعب بأسرهما فى المناطق الحمراء بجرهما الى معركة شاملة فى الجو والبر والبحر.

لقد انتقد اكثر من نصف المشتركين فى الاجتماع الدعوة الى الحفاظ على مناطق حرب العصابات باعتبارها ضربا من المغامرة، وكان هذا النقد صحيحا. وما زلت استغرب حتى الآن ان معظم من الحوا بعناد فى اجتماع ياوينغكو على ابقاء

مناطق حرب العصابات كانوا أناسا متعنتين تفوح منهم على الدوام روائح الجمود العقائدى والتطرف اليسارى. وكانوا بالمقابل يتطلعون باستياء الى اولئك الذين يقفون موقفا خلاقا وتجديديا، كما انهم كانوا يزدرون المبادرين وذوى الآراء النيرة والاحلام الكبيرة والمخيلة الواسعة.

ولكننا استطعنا اخيرا فى اجتماع ياوينغكو ان نقنع هؤلاء الرجال المتطرفين والمتعنتين. وعلى العكس من مسألة النضال ضد "مينساينغدان"، التى اتفقنا على عرضها على الكومنترن، فان مسألة حل مناطق حرب العصابات جرى اتخاذ القرار بشأنها فى ذلك الاجتماع بالذات. وكان هذا نجاحا آخر احرزناه فى النضال ضد المغامرة اليسارية.

كان اجتماع ياوينغكو بالنسبة للجيش الثورى الشعبى بمثابة نقطة انعطاف للانتقال من مرحلة الدفاع الاستراتيجى عن مناطق حرب العصابات الى مرحلة الهجوم الاستراتيجى. وبفضل قرار هذا الاجتماع، دخلنا عهدا جديدا مضيئا تسنى لنا فيه تخطى الاطر الضيقة لمناطق حرب العصابات وشن حرب العصابات الفعالة بكل مهارة بواسطة وحدات كبيرة فى مناطق شاسعة من شمال شرقى الصين وداخل كوريا. ان مسرح عمليات الجيش الثورى الشعبى الحربية الذى كان محصورا ضمن خمس محافظات فى تشينتاو، قد اتسع عشرات المرات. وليس هناك ريب فى انه كلما اتسع مسرح نشاطنا، كان الوضع يزداد حرجا وضيقا عند الاعداء الذين كانوا يلجؤون فقط الى تطويق المناطق المحصورة. فقد كان تطويق خمس محافظات امرا سهلا نسبيا، ولكن الوضع تغير تماما حين اضطر الاعداء الى مواجهة مقاطعات كثيرة اخرى فى شمال شرقى الصين. فقبل ذاك، كان الاعداء يطوقون مناطق حرب العصابات ويستقرون فى اماكن ثابتة ويقضون ايامهم وهم يصفرون باطمئنان، ولكنهم اضطروا بعد ذلك الى خوض معارك لا سابق لها وغير واردة فى اللوائح العسكرية، وان يقتفوا اثر الجيش الثورى الشعبى ويطاردوه.

وصف الاعداء تدبيرنا بحل مناطق حرب العصابات بأنه "تعبير عن تردى أوضاع العصابة الشيوعية فى تشينتاو نتيجة لعمليات التأديب المشددة التى قامت بها

وحدات الجيش الامبراطورى الموزعة فى المنطقة"، ولكنهم اضطروا الى الاعتراف بأنه مبادرة ارادية وخطوة هجومية، ترتكز على تكتيك جديد هدفه نقل حركة العصابات الى رحاب اوسع. وقد اشاع هذا الاجراء الاستراتيجى الجديد الهلع والقلق فى صفوف الاعداء.

وما ان بلغهم خبر مبادرتنا لتصفية مناطق حرب العصابات، حتى سعوا بجميع الوسائل الى عرقلة ذلك. فمن جهة عززوا الحصار العسكرى لكى لا يتمكن الجيش والشعب من الخروج من مناطق حرب العصابات؛ وكثفوا من جهة اخرى، هجومهم الايديولوجى من عدة زوايا لتضليل الناس واثارة الارتباك فى نفوسهم، مؤكدين ان تصفية المناطق الحمراء تعنى نهاية الكفاح المسلح وان حل مناطق حرب العصابات من قبل الشيوعيين يعنى تخليهم عن حركة حرب العصابات. وقد شكلت مكائد العدو هذه العقبة الاولى امام حل مناطق حرب العصابات.

ولم تنحصر المصاعب فى هذا. فكان اشد ما احزننا هو ان السكان لم يظهروا رضاهم عن حل المناطق. ولم نكن نظن على الاطلاق بأنهم سيتقبلون الخط الجديد بهدوء ودون آلام نفسية، طالما ان كادرا عسكريا وسياسيا مثل لى كوانغ ريم لم يوافق عليه فى الحال. وكان هناك من توسلوا الينا الا نفعل ذلك، وراحوا يسألوننا لماذا نقدم على ذلك فجأة اذا كنا نؤكد حتى الامس بان مناطق حرب العصابات هى مثل "جنة سماوية"، وما الذى جعلنا نتغير. وارسل الينا الشيخ او تاى هى باسم سكان شيليبينغ، التماسا مكتوبا يرجو منا فيه عدم تصفية مناطق حرب العصابات.

وشاعت فى مناطق حرب العصابات شتى الآراء والتفسيرات. فكنا نستيقظ كل يوم على اشاعة او اثنتين من الاشاعات المشؤومة، دون ان نعرف من الذى يروجها، وعاش الناس فى دوامة الحيرة والارتباك. كان يقال ان جيش حرب العصابات يريد حل المناطق الحمراء ليزيح عن كاهله عبء حماية الشعب، او انه ينوى التخلى عن تشينتاو لكى يخوض حرب العصابات داخل كوريا متخذا من جبل رانغريم قاعدة له. وكان هناك ايضا من قال ان الجيش الثورى مرهق جدا وسيذهب للراحة لبعض الوقت فى مكان ما من اراضى الاتحاد السوفييتى او فى داخل الصين،

لكى يعود بعد ذلك الى تشينتاو بقوة كبيرة جدا. والى جانب هذه التكهنات، كانت هناك اشاعات كاذبة تنشرها جماعات الدعاية والاستيعاب المعادية، مما جعل مناطق حرب العصابات تعيش حالة من الفوضى لا سبيل الى علاجها.

عقدنا فى ياوينغكو اجتماعا حاشدا مشتركا للجيش والشعب واوضحنا بصبر وترو ضرورة وصحة التدبير الجديد الرامى الى تصفية مناطق حرب العصابات وارسلنا موفدين خاصين الى جميع المحافظات، والى مختلف الدوائر التى تتواجد فيها منظمات ثورية فى منشوريا الشرقية، ليعقدوا اجتماعات مماثلة. وكانت الجماهير الشعبية تتفهم بسهولة حقيقة ان مناطق حرب العصابات ستتعرض للدمار اذا نحن لم نحلها، وكانوا يتقبلون تصفيتها كاجراء استراتيجى سليم.

ومع ذلك، وعندما بدأت مرحلة التنفيذ عارض معظم السكان الانتقال الى المناطق التى يشرف عليها العدو. فكانوا يتوسلون الينا الا نرسلهم الى هناك قائلين: سنكتفى بتناول الاعشاب او شرب حساء جلود الماشية، بل ونفضل الموت جوعا على الذهاب الى مناطق العدو؛ كيف سنتحمل اهانات اليابانيين هناك؟ اذا كان علينا ان نموت، فليكن ذلك فى مناطق حرب العصابات.

"الاقناع، والاقناع، ثم الاقناع!". بهذا الشعار كنا نزور البيوت كل يوم ونعقد الاجتماعات فى كل دائرة وفى كل منظمة، حيث كنا نوضح الامور مرة بعد اخرى. ولكن كثيرين من السكان كانوا يصرون بعناد على رفض الذهاب الى مناطق العدو.

وانا اعرف بوضوح، مثل آخرين غيرى، ان الدعاية والتحريض الشيوعيين يولدان قوة هائلة، بل هناك بعض من يقولون انها قوة لا حدود لها. ولكن هذا الرأى لا ينطبق على كل الحالات. والدليل على ذلك هو ان اناسا كثيرين توغلوا فى المناطق الجبلية المهجورة بدلا من ان يذهبوا الى مناطق العدو.

وكان هناك من طلبوا الانضمام الى الجيش كى لا يذهبوا للعيش تحت مراقبة العدو. وحتى اعضاء رابطة الاطفال وطليعة الاحداث، اصروا على الذهاب معنا، على الرغم من ان سنهم لم تكن مناسبة للالتحاق بالجيش الثورى. وقد طلبت هوانغ سون هى العنيدة من المغاورين ان يقتلوها رميا بالرصاص اذا كانوا لا يريدون اخذها معهم.

فلم تستطع وحدة آنزى لحرب العصابات الا ان تضمها الى صفوفها. ربما بسبب اصرارها وعنادها ذاك، استطاعت، هى النحيلة وضعيفة البنية، ان تعيش حتى الآن حياة متألقة كمناضلة ثورية، بعد ان عانت محنا قاسية فى النضال المسلح وتخطت ما لا حصر له من خطوط الموت. وكذلك المناضلان القديمان تاى بيونغ ريول وتشاى سون سان انضما هما ايضا الى الجيش الثورى فى تلك الفترة بالذات.

وقد قبلنا فى صفوف الجيش يومئذ عددا من القاصرين والشبان. كما انضم الى صفوفنا وحمل السلاح ايضا العاملون فى الحزب وفى اتحاد الشباب الشيوعى، وفى الحكومة الثورية الشعبية، ممن شاطروا سكان مناطق حرب العصابات طوال عدة سنوات كل انواع المحن والشدائد. وكان هناك من طلب منا السماح له بالعمل فى فريق الخياطة او فى مشغل السلاح او فى المستشفى للسير فى اثر الجيش الثورى. وكانت النتيجة ان صفوف جيشنا تعاظمت بشكل ملحوظ بسبب تصفية مناطق حرب العصابات.

وبفضل تأييد الشعب ومساندته الفعالة، كرست وحدات الجيش الثورى الشعبى جهودها القصوى للاستعداد من اجل خوض عمليات حرب العصابات فى مناطق شاسعة، ولتأمين احتياطيات من المواد التموينية وتحسين التسلح والمعدات. وتبرع اعضاء جمعية النساء بكل ما فى صناديقهن من اقمشة، وفصلن منها بكل عناية بدلات جديدة وجعابا ومناديل وطماقات وأكياس تبغ لافراد الجيش الثورى الذين سيودعونهن عما قريب.

ومن جهتنا، قدمنا كل ما نستطيعه من المساعدة للسكان الراحلين الى اماكن اخرى. وكان الاجراء الاهم فى هذا الصدد هو الاسراع بالاستعدادات للانتقال وفقا لمتطلبات العائلات الراحلة والواقع الملموس. ولمعرفة مدى الدقة والعناية التى تم فيها هذا العمل، يكفى القاء نظرة على سجلات مناطق حرب العصابات فى تشينتاو عشية ذلك الرحيل. فقد دونت فى تلك السجلات كل التفاصيل، دون اغفال اى شىء مثل اسم وعمر ومهنة الراحلين، واسماء وعناوين اقربائهم واصدقائهم؛ والمهمات التى انجزوها، ومستواهم التعليمى، وكفاءتهم التقنية، والمكان الذى سيتوجهون اليه، ومقدار احتياطيهم من المؤن، الخ...

ووفقا لهذه السجلات، كان العاملون القياديون فى مناطق حرب العصابات يرسلون البعض الى المناطق الخاضعة للعدو او الى كوريا، ويرسلون آخرين الى الجبال القصية ليقوموا هناك بزراعة الارض. وكانوا يوزعون الراحلين فى جماعات، آخذين بالحسبان اولئك الذين تتوفر لهم امكانية الذهاب الى الاقارب واولئك الذين لا تتوفر لهم هذه الامكانية، بمن فيهم الاطفال اليتامى والمرضى. وكانوا يضمون الى كل جماعة زمرة مسلحة تتولى مسؤولية حمايتهم حتى وصولهم الى مستقرهم.

وقدم الى كل عائلة راحلة الى مناطق العدو او الى كوريا، او الى الجبال النائية مبلغ من المال يتراوح ما بين ٣٠ – ٥٠ يوانا كاعانة نقدية، فضلا عن تزويدها بالاقمشة والاحذية وغيرها من الضروريات الاولية وادوات المطبخ. ولاجل الحصول على هذه المواد، تعين علينا تنظيم عدة هجمات على المواقع المعادية، واكثر تلك الهجمات اثارة، والتى ما ازال اتذكرها، كان الهجوم على قرية الاعتقال الجماعى فى داوانغتشينغ المرتبطة مأسويا بالصفعة التى وجهها او بايك ريونغ الى عمه.

فقد كانت تلك الصفعة ضربا من التراجيكوميديا التى بقيت محفوظة فى تاريخنا الوطنى المليء بالعذاب.

عندما قمنا بالغارة على قرية الاعتقال الجماعى، استولينا على الكثير من الغنائم: اكثر من عشرين بندقية من طراز ٣٨، واكثر من اربعين رأسا من الثيران والخيول، وبضع عشرات من اكياس الارز وطحين القمح، وعشرات آلاف اليوانات نقدا... كانت الحمولة كبيرة جدا ولم يكن من الممكن نقلها على اكتاف المقاتلين وحدهم. فهرع الآمرون الى بلدة تقع على بعد ٥٠٠– ٦٠٠ متر من مكان المعركة وجلبوا السكان. واذا اخذنا بالاعتبار ان الغارة المفاجئة والانسحاب السريع مبدأ مهم من المبادئ التكتيكية فى عمليات حرب العصابات، فقد كان علينا ان ننقل غنائم المعركة فى الوقت المناسب، والا تأخر انسحاب الوحدة مما يتيح للعدو فرصة شن هجوم مضاد.

فى تلك اللحظات الحرجة، اظهر فلاح ذو شارب ترددا فى حمل احد الاكياس على ظهره. بل وحاول منع الآخرين من القيام بذلك قائلا لهم:

"هل تريدون التعرض للعقاب ايها الرجال، بمساعدتكم فى نقل شحنات لرجال جيش حرب العصابات؟ فكروا بالمستقبل ودعكم من هذا الطيش."

فلم يستطع او بايك ريونغ الصبر ورد عليه قائلا:

"اذا كنت لا تريد مساعدتنا، يمكنك الانصراف."

ولكن ذا الشارب لم يشأ ان يذهب الى بيته، بل ظل يقول ان نقل الحمولة سيؤدى بهم الى مصيبة كبيرة.

فقد او بايك ريونغ صبره، ووجه اليه صفعة قوية. ثم سأل واحدا من اقاربه البعيدين:

"أو ليس هذا الوغد رجعيا؟"

"ما بك، انه عمك او تشون سام."

ذهل او بايك ريونغ. فقد فاجأه عمه بتصرفه الاحمق بدلا من ان يتصرف ككورى. كما راعه انه لم يكن قد رأى وجهه مطلقا طوال عمره الذى يربو على العشرين سنة. فقد كان هذا العم قد هجر أهله حين كان او بايك ريونغ ما يزال طفلا صغيرا. وهكذا لم يكن بامكان العم ان يتعرف على ابن اخيه، والعكس بالعكس. وبينما كان ابن الاخ يترعرع كثورى، كان العم قد تحول الى رجل مهلهل ورعديد يخشى الثورة. ولم يكتف بعدم الالتحاق بالثورة، وانما لم يسمح لابنائه كذلك بالمشاركة فيها.

ندم او بايك ريونغ على صفع عمه ولكن لم يكن لديه سبيل لطلب الصفح. ولهذا كتب الى عمه ملاحظة ارسلها اليه مع ذلك القريب البعيد.

"يا عم، اريدك ان تصفح عنى؛ لقد اقترفت خطأ لأنى لم اكن اعرف انك عمى. آمل ان تلتحق بالثورة انت ايضا لكى لا يهينك الشبان بعد الآن."

وقد انتفع العم بالنصيحة فيما بعد، وساعد افراد اسرته جميعا ليكونوا ثوريين. فلم يكتف بالانضمام هو نفسه الى الثورة، بل الحق زوجته واولاده فى الحركة المعادية لليابان. وقد استشهد ابنه او كيو نام باذلا شبابه فى النضال.

ويقال انه كان يقول للاصدقاء كلما سنحت له الفرصة:

"ان لكمة قوية من ابن اخى هى التى وضعت حياتى فى مدارها الصحيح."

لقد جرى توجيه انتقاد قاس الى او بايك ريونغ، لأنه يلحق الضرر بتصرفه ذاك بالعلاقات بين الجيش والشعب. ومع ان العم هو من اقرب الاقرباء بعد الوالدين، الا انه كان مواطنا فى نظر الجيش الثورى الشعبى. وعلى الرغم من ذلك الحادث التراجيكوميدى الذى لا يمكن الضحك حياله حتى ولو رغب المرء فى ذلك، فان الغنائم الحربية التى نقلها اولئك السكان بأمر من او بايك ريونغ، كانت ثمينة جدا لأنها شكلت عونا كبيرا فى الحياة المقبلة للسكان الراحلين من مناطق حرب العصابات.

ان صحة تصفية مناطق حرب العصابات قد اقيم البرهان عليها عمليا من خلال المسار العام للتطور التاريخى لنضال التحرر الوطنى ضد اليابان، هذا النضال الذى كان يتقدم بقوة لا مرد لها نحو خاتمته تحرير الوطن، متوجا بالزهور الثورة المعادية لليابان التى كانت فى اوجها فى النصف الثانى من الثلاثينيات.

ان مبادرة تصفية مناطق حرب العصابات وتقدم وحدات الجيش الثورى الشعبى الى رحاب شاسعة احبطا كليا محاولة العدو لدفع قواتنا المناهضة لليابان الى منطقة جبلية ضيقة فى تشينتاو ولخنقها هناك. اما فى الرحاب اللامتناهية فى منشوريا الجنوبية ومنشوريا الشمالية وفى المناطق الشمالية من كوريا، فان وحدات الجيش الثورى الشعبى، الكبيرة منها والصغيرة، كانت تسحق بكل جرأة العدو المتفوق عددا وعدة. ان تقدم الجيش الثورى الشعبى الى رحاب شاسعة بعد تصفية مناطق حرب العصابات على شكل المناطق المحررة، كان حدثا ضخما جدا اشبه بالخروج من واد ضيق الى سهل فسيح.

وفى سياق النضال المسلح الفعال، بدأ الناس الذين غادروا مناطق حرب العصابات بنشر بذور الثورة فى رحاب شاسعة وبترسيخ جذورهم عميقا وتوسيع شبكة المنظمات. وباستثناء عدد قليل ممن خرجوا من ساحة النضال واستسلموا للعدو، كان الجميع يتحولون الى شرر واعواد ثقاب تؤجج اللهيب فى اراضى منشوريا. كما كان العاملون السياسيون السريون يثيرون المناطق التى يحتلها العدو.

ان عملية تصفية مناطق حرب العصابات التى بدأت فى شهر ايار عام

١٩٣٥، انتهت فى تشيتشانغتسى فى اوائل تشرين الثانى من السنة نفسها.

فقد تمت تصفية منطقة حرب العصابات فى تشيتشانغتسى بعد مرور ستة اشهر على تصفيتها فى الاماكن الاخرى؛ لان العدو حاصرها بضراوة ونشر حولها حزامين او ثلاثة احزمة تطويق، منتظرا ان يموت جميع سكانها جوعا، وكذلك لان الكوادر المكلفين بتأمين حياة الناس كانوا غير اكفاء ويفتقرون الى الشعور بالمسؤولية.

وعندما تناول البحث فى اجتماع مينغويكو مسألة المكان المناسب لانشاء مناطق حرب العصابات، اصر المتحدرون من محافظة هيلونغ على ان تشيتشانغتسى هى اصلح مكان. وقد شاطرهم الرأى مندوب محافظة آنتو، كيم زونغ ريونغ. لان تشيتشانغتسى هى ارض خصبة، تغطيها غابات كثيفة وجبال وعرة، ولذا فانها تشكل حصنا طبيعيا نموذجيا يوليها كلا الطرفين المتحاربين اهمية خاصة. وعلى الرغم من انها منطقة كئيبة ونائية لا تتميز فى شىء على الاطلاق عن الاماكن الاخرى فى تشينتاو، الا ان قيمتها تعاظمت بشكل ملحوظ بفضل الطبوغرافيين المعاصرين الذين اكتسبوا بعض المعارف العسكرية اثناء حرب العصابات.

وحتى اذا تأملنا اسم المكان فانه لا ينطوى كذلك على اية اسرار لها علاقة بالشؤون العسكرية. فالسكان الاصليون يقولون ان تشيتشانغتسى تعنى المكان الذى يصنعون فيه العربات. وللبرهنة على مزايا تشيتشانغتسى كنقطة حربية هامة، كان القادمون من هيلونغ يؤكدون انه اذا كانت وحدة هونغ بوم دو قد استدرجت وحدة من الجيش اليابانى الى ضفة نهر غودونغهى وسحقتها فى تشينغشانلى، فان السبب فى ذلك قد يكون وجود قوى سحرية خارقة فى تلك المنطقة.

ولمساعدة القوات المسلحة فى انشاء منطقة تشيتشانغتسى لحرب العصابات، ارسلنا فى ربيع سنة ١٩٣٤ فوجا مستقلا الى منطقة آنتو، اضافة الى كيم ايل هوان وكيم ايل وغيرهما من العاملين السياسيين السريين.

وقد طرد هذا الفوج المستقل دون جهد كبير سرية من جيش منشوكو العميل كانت ترابط فى جوار تشيتشانغتسى، واصبح سيد المكان. وتحت حماية هذا الفوج،

تدفق سكان منطقة يولانغتشون لحرب العصابات الى تشيتشانغتسى، وشيدوا على الضفة الاخرى لنهر غودونغهى مبنى الحكومة الثورية الشعبية فى محافظة هيلونغ. وسرعان ما انتقل الناس الى هنا جماعات من وانغيوكو وسانداوان عبر شينسياندونغ، ورفعوا عند مدخل وادى دونغنانتشا راية الحكومة الثورية الشعبية فى محافظة آنزى. كانت النتيجة ان قامت فى تشيتشانغتسى ظاهرة غريبة استمرت طوال سنة تقريبا، وتمثلت بوجود حكومتين ثوريتين شعبيتين من محافظتين مختلفتين.

كانت منطقة تشيتشانغتسى لحرب العصابات تندفع متقدمة بحماس، مثل سيارة لها محركان، او عربة يجرها حصانان رماديان. ولم يكن الوضع التموينى هناك مزعزعا فى اول الامر ايضا.

حسب قرار اجتماع ياوينغكو، كان على القيادة الحزبية المرسلة من آنتو ان تشرف على تصفية منطقة تشيتشانغتسى لحرب العصابات. ولكن اعضاء هذه القيادة لم يطلعوا الجيش والشعب على التوجه الى تصفية مناطق حرب العصابات، وبلغ بهم الامر حد انهم حاولوا اعدام المبعوث الخاص الى تشيتشانغتسى بعد اتهامه بانه من "مينساينغدان".

وقد اذهلنى هذا الخبر.

صارت تشيتشانغتسى المرتكز الاخير للجماهير الثورية فى تشينتاو وبخاصة، فى مناطق آنزى وهيلونغ وآنتو. وربما كان هذا هو السبب فى الموقف المتردد الذى اتخذه المكلفون بتصفية هذه المنطقة.

ان دفاع السكان الى جانب جيش حرب العصابات عن منطقة تشيتشانغتسى حتى تشرين الثانى عام ١٩٣٥، رغم الحصار الخانق، كان مأثرة مثيرة للاعجاب حقا.

وكما قلت قبل قليل، لم يكن الجو هادئا فى تلك الايام فى تشيتشانغتسى. فمن جراء انفلات اليسارية المتطرفة تحت ستار النضال ضد "مينساينغدان"، سادت الفوضى منطقة حرب العصابات، اضافة الى معاناة الجماهير الثورية الجوع والحرمان.

وعندما بدأنا بشن عمليات مشتركة تقوم بها وحدات كبيرة فى منطقة جبل بايكدو، كثيرا ما كان كيم بيونغ وليو كيونغ سو، واو بايك ريونغ، وباك يونغ سون

يتذكرون الجوع الذى عانوه فى تشيتشانغتسى. وحتى بعد تحرير البلاد، كانت الرفيقات كيم ميونغ هوا، وكيم جونغ سوك، وهوانغ سون هى، وكيم تشول هو، وزون هى وغيرهن، يذرفن الدموع كلما جلسن لتناول الطعام ويتذكرن تلك المرحلة فى تشيتشانغتسى. وكانت الاثنتان الاوليان منهن طاهيتين للقيادة فى ذلك الحين.

وقد انعكس بؤس الوضع فى منطقة حرب العصابات بصورة واضحة على مائدة القيادة العسكرية. فبالنسبة لطعام وانغ دى تاى والآمرين الآخرين، كان يتعين على الطاهيات ان يبحثن كل يوم، منذ الفجر، عن بطانة لحاء اشجار الصنوبر الطرية فى الجبال. وكان الطعام اليومى يتطلب تأمين حزمتين من ذلك اللحاء بحجم حزمة عادية من نباتات فول الصويا الجافة. وكانت الطاهيات يسلقن قشور الصنوبر تلك لاكثر من ثلاث ساعات فى ماء ملىء بالرماد، ثم يخرجن اطراها ويغسلنها فى النهر، ويطرقنها طرقا شديدا على الحجر بعصا خشبية ثم يغسلنها من جديد. كن يكررن هذه العملية حتى الغروب، ويضفن اخيرا الى ما حصلن عليه شيئا من نخالة الارز ليصنعن حساء او نوعا من الارغفة. وللاسف الشديد انهم فى تشيتشانغتسى كانوا يعتبرونها مآكل فاخرة ومن الدرجة الاولى.

وقد كانت تلك الارغفة تسبب لهم الامساك الشديد. وكان الاطفال اشد من يعانون من ذلك. وكانت امهاتهم يبكين وهن يساعدنهم على التبرز باستخدام عيدان صغيرة. وكان الكبار يعانون من ذلك الامساك ايضا. ومع ذلك، كانوا يضطرون الى تناول ذلك الطعام نفسه فى اليوم التالى.

لم يكن هناك ملح، فكان على الناس ان يتناولوا الطعام دون ملح. كان تناول الحساء السائل والارغفة دون ملح امرا يمكن احتماله، ولكن تناول الاعشاب والشوربة المصنوعة منها دون ملح كان امرا مختلفا تماما. وقد كان المراسلون يمرون احيانا من تشيتشانغتسى، فيقدمون للناس هناك بضع حبات من الملح الذى يحفظونه فى صرة معلقة بالحزام. فكانت حبة الملح تدور من يد الى يد ويلحسها كل واحد مرة بطرف لسانه. لقد كان الوضع بائسا حقا، حتى يخيل معه وكأن وبرا قد نما فى الحلوق.

وحين نفدت حتى قشور شجر الصنوبر، جلبوا النخالة من المطاحن واعدوا

منها ثريدا سائلا. وقد كان تناوله اسهل بكثير من ابتلاع حساء الاعشاب الجافة. فقد كانت الاعشاب الخشنة والصلبة فى الحساء تخدش الحلق. ولكن هذا الغذاء البائس نفسه كان نادرا، مما اودى بحياة عدد كبير من الناس جوعا.

كان الجميع ينتظرون الربيع بفارغ الصبر. وكانوا يظنون ان هذا الفصل المعطاء والارض الخصبة سينقذان جميع الجياع المساكين. ولكن الربيع نفسه لم يستطع ان يضع حدا للموت جوعا. فكل ما قدمه اليهم هو اعشاب بائسة وضعيفة انبثقت من تحت الثلج. ولم تكن كافية لسد رمق جميع سكان منطقة حرب العصابات.

وشرع الناس يأكلون الحيات التى لم تستيقظ بعد من سباتها الشتوى. ثم راحوا يأكلون الجرذان. فاختفت القوارض فى تشيتشانغتسى. كذلك صارت الضفادع وبيوضها طعاما للجياع. وكثيرا ما كانت كيم تشول هو تتذكر ان بيوض الضفادع المسلوقة لذيذة جدا لمذاقها الهلامى الذى يشبه طعم الذرة البيضاء المسلوقة. وكلما سمعتها كنت اشعر بقشعريرة تعترى بدنى، واحس كأن شيئا لزجا يمر فى حلقى. فعلى الرغم من اننى شاركت المقاتلين فى تناول اى نوع من المآكل، الا انه لم يكن من السهل على القول ان بيوض الضفادع المسلوقة هى شىء لذيذ.

وكانوا يرمون فى قدر الطعام ايضا "الدوروغى" (٠) التى كان الناس يحتذونها فى موسم البذار. وبعد ان يحتسى كل واحد من السكان فنجانا من منقوع الدوروغى ذى الطعم القلوى، كانوا يمضون الى البذار الربيعى، زاحفين مثل الجنود اثناء التدريب. ولكن قبل ان يمضى يوم أو يومان على البذار، كانوا يلتقطون الحبوب ثانية ويأكلونها. وكانت الحكومة الثورية الشعبية والمنظمات الجماهيرية تضع حراسا على الحقول لكى تبقى البذور فى التربة. ولكن الحراس انفسهم كانوا لا يصمدون للجوع، فيلتقطون الحبوب المبذورة ويأكلونها خفية.

---

(٠) الدوروغى: نوع من الاحذية المصنوعة من جلد الحيوان. وهى من نوعين: الاول يصل الى تحت الركبة، والآخر يربط بالقدم بالحبل بعد خرز جلد الحيوان. يستخدم الاول فى الشتاء، والثانى فى موسم الحراثة الربيعى. – المترجم

وفـى الليـل، كـان الصـغار يتسللون الـى مطـبخ القيـادة. فقد كـانوا يظنـون انهـم سيجدون هناك شيئا من بقايا الطعام، لان قائد الفيلق وغيره من الكوادر العسكريين كـانوا يـأكلون فيـه. ولكـنهم كـانوا مخطئـين؛ فلـم يكونـوا يعرفـون انهـم حـين يبقـون بلا طعام، كان وانغ دى تاى ايضـا يبقـى بـلا طعـام. ولـو ان اولئك الصـغار لـم يعزوا انفسهم بأمل العثور فـى مطعـم القيـادة ولـو علـى قليل من بقايـا الارز الملتصـق بقعر القدر، لكانوا استسلموا للموت، ووقعوا فى اليأس.

وحـين كانـت الطاهيـات يقـدمن لهـم بقايـا الطعـام الملتصـق بقـاع القـدر، كـان الاطفـال يبتلعـون اللقيمـات والـدموع تطفـر مـن اعينـهم. ثـم يـتملكهم الحيـاء بعـد ذلـك، فيقسمون انهـم لـن يعـودوا الـى هنـاك ثانيـة. ولكـن الطـاهيات يجدنـهم فـى اليـوم التـالى يحومون خـارج المطبخ، باحثين عن شىء يأكلونه.

لقد كان الجـوع رهيبـا، ولكـن سكان تشيتشانغتسـى كـانوا يعشـبون الحقـول وهـم يجرون انفسهم، متثاقلين بين الاثلام. وكـانوا يقلبـون التربـة بأيـديهم ويسـقطون ارضـا مـن الاعيـاء، ولكـنهم كـانوا ينهضـون مـن جديـد ويواصـلون قلـب التربـة حتـى تتقلـع اظفـارهم. وبعـد التعشـيب الثـانى بـدأت سـنابل الشـعير بـالظهور. فكـانوا يلتقطونهـا ويأكلونها بنهم رغم ان الحبوب لـم تكـن قد نضـجت بعـد. لـم يكـن لـديهم مـا يكفـى مـن القوة للنهوض، فكـانوا يتمـددون علـى الاثـلام، ويقتلعـون السـنابل ويمضـغون حبوبهـا بمشقة.

لقد احتفظ سكان تشيتشانغتسى بصفاتهم الانسانية رغم تعرضهم للموت جوعـا، واقول ان الفضل فى ذلك يعود الى المثل العليا الشيوعية التى سادت لزمن طويل فـى افكارهم وممارستهم، والـى الاخـلاق الشـيوعية التـى عـودتهم علـى التضـحية بأنفسـهم فـى صـالح الجماعـة، وحـولتهم الـى انـاس شـرفاء مخلصـين لمبـادئهم، كغيـرهم مـن الجمـاهير الثوريـة فـى تشـينتاو. ولـذا لـم يقـدم اهـالى تشيتشـانغتسـى علـى عمـل غيـر انسانى مثل اكل اللحم البشرى.

وعشية حصاد الشعير، بدأ الاطفال يموتون من الجوع، ثم تلاهم الرجال ايضـا. اما النساء اللواتى قدر لهن ان يكرسن جهودهن حتى للحظة الاخيرة من اجل ابنـائهن

وازواجهن، حتى ولو اقتضى الامر الا يأكلن، فقد كن اكثر من عانين. اذ وجدن انفسهن مضطرات الى تحمل مشقات هائلة: فبسبب عدم توفر التوابيت، كن يغطين جثث ازواجهن وابنائهن الميتين جوعا باوراق الشجر الجافة، ولم يكن قادرات على البكاء رغم حزنهن الممض وكربهن، اذ لم تكن لديهن دموع او قوة للبكاء.

ان مسؤولية هذه المجاعة التى عصفت بمنطقة تشيتشانغتسى تقع فى المقام الاول على عاتق جيش الامبريالية اليابانية العدوانى الذى حاصر مناطق حرب العصابات وراح يشن عليها حملات "التأديب" دون رحمة.

ولكن الكوادر المسؤولين عن هذه المنطقة بالمقابل، لم يجازفوا بحياتهم من اجل اطعام الاهالى. فكان الرجعيون وذوو النوايا الخبيثة الذين تسربوا الى المواقع القيادية يسكنون الاهالى بالعبارات الثورية الجوفاء: "يجب تحمل الجوع رغم الآلام. اصمدوا ولا تستسلموا لاى شىء. فالموت هو استسلام ايضا".

وعلى الرغم من ان سكان تشيتشانغتسى كانوا يموتون جوعا او بتهمة الانتساب الى "مينساينغدان"، الا انهم لم ينزحوا الى المناطق الخاضعة للعدو، بل ناضلوا حتى الرمق الاخير دفاعا عن منطقة حرب العصابات. ان الارادة الحديدية والروح الثورية الراسخة التى اظهروها، مازالت تبعث العزيمة فى قلوبنا حتى اليوم، رغم انقضاء نصف قرن على تلك الاحداث.

فى تشرين الاول عام ١٩٣٥، عندما طرحت على جدول الاعمال مسألة تصفية مناطق حرب العصابات، بدأ اكثر من عشرين شخصا من عائلات كيم ايل، ونام تشانغ سو، ولى غى سون، وكوون ايل سو، وغيرهم من المتهمين بالاشتراك فى "مينساينغدان"، بالعيش وفق نظام حياة مشتركة فى مكان قصى من وادى دونغنانتشا وواصلوا النضال حتى صيف عام ١٩٣٦ لكى يتخلصوا من تهمة "المينساينغدانية". والمقصود بالحياة المشتركة هو طريقة فريدة تتحد فيه عدة عائلات فى اسرة واحدة وتمارس الحياة والنضال بشكل مشترك. فيسكنون بيتا مبنيا من جذوع الاشجار، ويجمعون كل ممتلكاتهم وينتخبون مسؤولا عنهم يقود الحياة التنظيمية، ويوزعون فيما بينهم المهمات المناسبة لكل يوم، وكل اسبوع، وكل شهر،

ويقومون نتائج ما انجزوه. وقد كان هؤلاء هم آخر المدافعين عن تشيتشانغتسى.

لقد حاول الاعداء خنق هذا المكان تماما، مستبدلين تكتيكهم "التأديبى" التدميرى الجزئى السابق بأسلوب جديد فى الابادة الشاملة والحصار فى جميع الميادين: عسكريا وسياسيا واقتصاديا، وذلك بحشد آلاف الجنود ورجال الشرطة؛ ولكنهم لم يتمكنوا مع ذلك من تفادى الاخفاق المشين فى عملياتهم المتتالية.

وقد دفع الاعداء آلافا من الجنود فى عمليتهم "التأديبية" الكبرى فى شهر تشرين الاول عام ١٩٣٥.

ولكن حماة تشيتشانغتسى البواسل صدوهم بكل بطولة فى هذه المناسبة ايضا. بل انهم حققوا كذلك مأثرة قتالية حين اسقطوا بأسلحتهم الفردية طائرة كانت تغير على منطقة حرب العصابات.

وفى تشرين الثانى من السنة نفسها، هجروا منطقة حرب العصابات وانتقلوا بأغلبيتهم مع الجيش الى جبل نايدوشان.

ان بايك هاك ريم، احد المدافعين عن تشيتشانغتسى الذين شاطروا الشعب مصيره خلال زمن طويل، وتضوروا جوعا، وعانوا المرض وناضلوا فى ظل الحصار، يقول اليوم:

"من لم يعرف المعاناة التى عاشها سكان تشيتشانغتسى فى زمن الحرب ضد اليابان، لا يجوز له ان يفتح فمه بالحديث عن محن الحياة. ومن لا يعرف كيف تغلب المقاتلون والاهالى فى تشيتشانغتسى على الجوع والبرد و (تأديب) العدو فى ظل الحصار، يجب الا يتجرأ على التباهى بقدرته على تجاوز المصاعب!"

فى سياق تنظيم وتنفيذ مهمة تصفية مناطق حرب العصابات، توصلنا الى فهم عميق لما يتحلى به شعبنا من روح تنظيمية، ومن انضباط فولاذى، ومن اخلاص للثورة، ومن صلابة لا تلين، كما توصلنا الى قناعة راسخة باننا سنتمكن، مهما كانت قسوة الظروف، من احراز النصر، اذا ما عبأنا الشعب ووجهناه بشكل صائب.

حين يهب الشعب هبة رجل واحد الى النضال مجازفا بحياته للقضاء على الظلم، فما من حصار او تدمير قادر على الوقوف فى وجهه. وهذا درس ثمين يقدمه

تـاريخ الحركـة الشـيوعية العالميـة. فشـعوب العـالم تتـذكر الآن جيـدا مـا انتهـى اليـه الحصار العالمى الذى فرضه المتدخلون المسلحون من اربعة عشر بلدا ضد روسيا السوفييتية الوليدة. والمانيا الهتلرية ايضا لم تفلح فى تحطيم لينينغراد بالحصار. فرغم الظروف الشاقة، حيث كانت القذائف تتساقط كالمطر، كان المدافعون عن لينينغراد يخبزون الخبز ويصنعون الدبابات ويزيدون الانتاج. وفى سنة ١٩٤٣، حين اكدت البرجوازية فى العالم بصخب ان لينينغراد ستسقط عما قريب، اجترح شغيلة هذه المدينة معجزة، زيادة الانتاج بالمقارنة مع ما كان عليه فى سنة ١٩٤٢.

وفى الصين كانت عمليات الحصار و"التأديب" المتكررة من جانب جيش تشانغ كاى تشك ضد قواعد الارتكاز المعادية لليابان تمنى بالفشل الذريع. وها هى ذى الولايات المتحدة تواصل حصار كوبا منذ اكثر من ٣٠ سنة، دون ان تتمكن من تحقيق اهدافها. وقد بذلت جهودا هائلة واموالا طائلة فى حصار هذه الجزيرة الصغيرة، ولكن جميع جهودها لم توصلها الى اى نتيجة. وفى الآونة الاخيرة، اقرت الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة مشروع قرار تقدمت به كوبا ضد "قانون توريشيللى". وبذلك تطلع المجتمع الدولى بنظرة سخرية وازدراء الى سياسة الحصار التى ولى زمنها والتى تنتهجها الولايات المتحدة الامريكية. وقد علق فيدل كاسترو بالقول: "عندما يمر الانسان بلحظة خطرة، يفرز جسمه كمية اكبر من الادرينالين". والادرينالين هو هورمون يسرع ايقاع نبضات القلب. وهذا يرمز الى تفاؤل الشيوعيين الكوبيين.

واليوم، تسعى الامبريالية المعاصرة، بما فيها الامبريالية الامريكية واليابانية، الى حصار بلادنا على الصعيد السياسى والاقتصادى والعسكرى. ولكن الشيوعيين الكوريين يملكون فى اجسادهم ما يكفى من المنشطات من طراز "زوتشيه"، والتى تتيح لهم كسر الحصار بكل كبرياء. واذا كان الامبرياليون يتصورون انهم قادرون على الحاق هزيمة عسكرية بحزب العمل الكورى وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية والشعب الكورى او خنقهم وسحقهم على الصعيدين السياسى والاقتصادى، فان هذا لا يعدو ان يكون وهما واشبه بمن يحلم بتحطيم صخرة ببيضة.

مع تصفية مناطق حرب العصابات، تعاظم نشاط المفارز الصغيرة والعاملين السياسيين السريين وتقدمهم الى داخل كوريا. ونثر بذار الثورة دون توقف فى الاراضى الشاسعة فى منشوريا وكوريا.

وحتى بعد تصفية مناطق حرب العصابات، لم انس يوما وانغتشينغ، ولم يتضاءل اهتمامى بتشينتاو.

فرغم تصفية مناطق حرب العصابات، ظلت خمس محافظات فى تشينتاو المسرح الرئيسى لعملياتنا الحربية ضد اليابان والذى كنا نوليه اهتماما كبيرا. وفى منطقة وانغتشينغ وحدها، شنت وحدات الجيش الثورى الشعبى، الكبيرة منها والصغيرة، بما فيها وحدة تشاى هيون، معارك عديدة، مثل الغارة على قرية شانغتشون للاعتقال الجماعى فى بييهاماتانغ، والغارات على سيداوهيجى وجونغبينغتشون فى بايتشاوكو، وعلى داليشوكو، وشانغبارينكو، وتايانغتشون، وداهوانغواى، ويونغكيوتشون فى سياوبايتشاوكو، وعلى مركز قطع الاخشاب فى شيليبينغ، وعلى شانغلاوموجوهى فى لوزوكو، والكمائن فى جانغجياديان وجيافيكو، ومعركة شيتووهيجى فى تشونفانغتشون. وقد كانت كلها ضربات موجعة للعدو.

لقد بذل الاعداء قصارى جهدهم لصد هجمات وحدات جيش حرب العصابات المناهض لليابان التى كانت تستخدم تكتيك الظهور والاختفاء السريع. فكانت عربات مصفحة مجهزة بأسلحة ثقيلة تذرع الخطوط الحديدية الرئيسية فى منطقة تشينتاو، لتأمين سلامة القوافل العسكرية وقطارات الركاب. وعندما كانت القطارات تمر ليلا فى المناطق الجبلية، كانوا يطالبون باغلاق النوافذ كليا بستائر تحجب النور، وكان رجال الدرك، ورجال البوليس السرى ذوو الالبسة المدنية، وحراس القطارات يحاصرون كل عربة ويراقبون كل حركة من حركات الركاب. فاذا ما رفع احدهم الستارة ونظر عبر النافذة، كانوا يصفعونه زاعمين انه عميل على صلة بالاشقياء.

وكان الاعداء يعززون الحراسة على قرى الاعتقال الجماعى، ويجندون اهلها بالقوة للقيام بهذا العمل. وبلغ بهم الامر فى بعض تلك القرى المنشأة حديثا، حد توزيع البنادق الخشبية والمتفجرات ذات الكبسولات على السكان لمواجهة غارات

محتملة يشنها الجيش الثورى. اما باى قدر كان عظيما الخوف من النشاط الحربى الفعال الذى يقوم به الجيش الثورى الشعبى، فيبينه جيدا واقع ان رجال الشرطة اليابانيين عهدوا الى الحراس الصينيين والكوريين بالحراسة الليلية فى قرى الاعتقال الجماعى، وكانوا يستبدلون اماكن نومهم فى كل ليلة.

وبدأ يظهر بين رجال الشرطة اليابانيين واعضاء فرقة الدفاع الذاتى لدولة منشوكو اعداد متزايدة من مدمنى الافيون الذين تشربوا فكرة كره الحرب والجيش.

و"حادثة ماتسمورا" التى وقعت فى منطقة شيسيان، تتيح لنا تصور المدى الذى بلغته الانهزامية فى نفوس اليابانيين فى اواسط الثلاثينيات. كان ماتسمورا مثقفا عمل معلما لبعض الوقت فى اليابان، ثم هاجر الى منشوريا بعد ملاحقته لانضمامه الى نقابة المعلمين الحمراء. قبض ٢٠٠٠ ين مقدما واخذ يشتغل ناظرا على العمال فى مؤسسة لقطع الاخشاب فى جبل بايكدو يملكها احد اليابانيين. وبعد مرور بضعة اشهر فقط على بداية عمله كناظر للعمال، شنت وحدتنا غارة على المؤسسة، وقد حمل ماتسمورا غنائم الجيش الثورى على ظهره، وسار وراءنا. وقد التقى بى وشاهد عرضا فنيا، وقال انه تمكن من معرفة قوة الجيش الثورى الجبارة. وعند عودته الى المؤسسة التى كان يشتغل فيها، قدم استقالته وعاد الى مسقط رأسه. لأنه ادرك ان هزيمة اليابان فى الحرب اصبحت مؤكدة ولا تحتاج الا لبعض الوقت.

وفى وانغتشينغ وضواحيها كان الحطابون المتأثرون باجواء مناطق حرب العصابات، يخرجون كل يوم القطارات عن القضبان. لقد صفيت مناطق حرب العصابات، ولكن روحها بقيت حية فى ارض تشينتاو تملأ العدو رعبا وهلعا.

الفصل الحادى عشر   نقطة التحول فى الثورة
(حزيران ١٩٣٥ ـ آذار ١٩٣٦)

١ـ بحثا عن رفاق السلاح فى منشوريا الشمالية

انتهى اعداد الجيش الثورى الشعبى للحملة الثانية الى منشوريا الشمالية بمعركتى لاوهيشان وتايبينغكو. وقد تشكلت وحدة الحملة من بضع سرايا من فوجى وانغتشينغ وهونتشون ومن المتطوعين الشباب. وفى النصف الثانى من شهر حزيران ١٩٣٥، غادرت الوحدة تايبينغكو بعد وداع مهيب من جانب السكان. وصلت الوحدة الى بارينكو عبر شيتووهيجى وسيداوهيجى، وبدأت من هناك مسيرة جبلية شاقة لاجتياز جبال لاويلنغ. فى صفوف المسيرة الطويلة كان هناك بعض المقاتلين القادمين من فوج آنتو المستقل. وربما كان او زين وو، الذى كان مقاتلا فى سرية وانغتشينغ الرابعة، هو الشخص الوحيد الذى مازال على قيد الحياة حتى الآن ويحتفظ بذكريات عن تلك الحملة. وقد كان بين من شاركوا فيها ايضا كل من هان هونغ كوون، وزون مان سونغ، وباك تاى هوا، وكيم تاى زون، وكيم ريو زونغ، وزى بيونغ هاك، وهوانغ زونغ هاى، وهيون تشول، ولى دو تشان، واو زون اوك، وزون تشول سان. ولكنهم جميعا فارقونا منذ زمن بعيد.

فى الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية، كان جبل لاويلنغ مغطى بطبقة ثلجية سميكة، اما فى الحملة الثانية، فكان الصيف قد حل، وامتلأ الجبل بالنباتات الخضراء الكثيفة. فى تشرين الاول ١٩٣٤، اجتزنا هذا الجبل وسط العواصف الثلجية، اما فى

حزيران ١٩٣٥ فكان علينا ان نجتازه تحت اشعة الشمس المحرقة ووسط هجمات اسراب البعوض. واذا كان البرد القارس والثلج الكثيف قد شكلا عقبتين يصعب تذليلهما، فان الحر الخانق والعرق لم يكونا اقل من ذلك.

كانت قوى الخيول المحملة بمدافع هاون ورشاشات ثقيلة تخور في الدروب شديدة الانحدار المكسوة بأحراش كثيفة من الشجيرات. وكانت تتوقف بين الحين والآخر عاجزة عن التقدم، فنضطر الى قطع الاعشاب المتشابكة امامها بالسكاكين والى قطع الاشجار الساقطة على الطريق بالمناشير.

وبينما كنا نجتاز جبال لاويلنغ، كان جيش العمال والفلاحين الاحمر الصيني، بقيادة ماو تسى تونغ وتشو ده، يخترق في الصين الداخلية الطوق الثنائي او الثلاثي الذى ضربته حوله قوات تشانغ كاى تشك، وينجز بنجاح المسيرة العظيمة التاريخية على طول ٢٥ الف رى. وفي ٣٠ ايار ١٩٣٥ بلغ الجيش الاحمر نهر دادوهي، واستولى بعد قتال ضار على جسر ليودينغتشياو المعلق القديم، وفتح الطريق امام عشرات الآلاف من جنود المسيرة البواسل. وفي يوم ٣٠ ايار بالذات كان شي دا كاي، قائد حركة " تايبينغتيانغو" (جنة السلام – المترجم) قد حاول ان يعبر نهر دادوهي، كما وقعت في مثل هذا اليوم، قبل عشر سنوات، مجزرة شنغهاي. لقد كان امرا عظيم المغزى ان تتمكن فصيلة فدائية جريئة من الجيش الاحمر من عبور جسر ليودينغتشياو في ذلك اليوم الذى يحفل بذكريات مشؤومة.

ان خبر عبور نهر دادوهي الذى وصل الى تشينتاو بعد خبر العمليات الحربية في غويجو كان مصدر الهام وتشجيع كبيرين بالنسبة لنا. فبعد معركة ليودينغتشياو، عبر الجيش الاحمر على التوالي جبل داسويشان، احد اكبر العقبات في طريق المسيرة العظيمة، ثم جبل جياجينشان، ووصل الى سهل كانسو.

في ذلك الحين، كنا نولي اهتماما اكبر الى الاخبار المتفائلة، مثل خبر افتتاح المعرض العالمي في بروكسل، وتدشين مترو موسكو، وتقدم الجيش الاحمر الصيني في مسيرته الكبرى لمسافة ٢٥ الف رى، واجتيازه موقعا معينا او احتلاله لمنطقة ما، بينما لم نكن نهتم كثيرا بالاخبار الحزينة والفاجعة، مثل موت مئات الآلاف في

فيضان تشانغجيانغ او دمار آلاف البيوت فى زلزال وقع فى احدى مناطق فورموزا.

كان اجتيازنا جبل لاويلنغ حدثا يضاهى فى اهميته عبور الجيش الاحمر لجبل داسويشان. وكلما كان يصدر امر بالراحة كان معظم مقاتلى الحملة يستلقون فى اى مكان ليستعيدوا قواهم. وعندئذ كان يتعالى الشخير الصاخب من كل الجهات. ان القدرة على تحمل النعاس لا تقل صعوبة عن تحمل الجوع. ولكن ايا من المقاتلين لم يكن يتذمر من ايقاع المسيرة السريع او يطالب بتخفيفه. وبموجب اوامر القادة، كان جميع المقاتلين يتقدمون بايقاع واحد منتظم كما لو انهم ملتحمون ببعضهم بعضا بمسننات وتروس. وحيث اننا كنا قد قمنا مسبقا بعمل سياسى واسع، فقد كان الجميع يعرفون جيدا هدف المسيرة الى منشوريا الشمالية وكانوا مستعدين روحيا لتذليل كل المصاعب.

لقد كان بوسع الجيش الثورى الشعبى ان يمارس نشاطاته فى منشوريا الشرقية والجنوبية، الى الجنوب من جبال لاويلنغ. فما هو السبب الذى دفعه، بعد حل مناطق حرب العصابات، الى مغادرة منشوريا الشرقية، مهده وعشه، وتسلق هذه الجبال لاهثا للوصول الى منشوريا الشمالية، هدف حملته الأولى؟ ما هى العوامل السياسية والعسكرية التى حملتنا الى اتخاذ قرار القيام بالحملة الى اراضى منشوريا الشمالية حيث كانت تتركز القوات اليابانية وجيش منشوكو؟

كان الهدف الاهم يكمن فى ضرورة تعزيز التضامن مع الشيوعيين الكوريين العاملين هناك وتمهيد السبيل الى التعاون معهم فى جميع الميادين.

ومثلما هو الحال فى منشوريا الشرقية حيث كان معظم رواد الحركة الشيوعية وموجهيها ومؤسسيها من الكوريين، فان الوضع كان كذلك فى منشوريا الشمالية. وقد كان لهم فى هذه المنطقة ايضا دور محورى وطليعى فى الاعداد لحركة حرب العصابات.

وقد كان جو باو جونغ يمتدح، كلما سنحت له الفرصة، جهود الكوريين الكبيرة ومآثرهم فى سبيل الثورة فى مناطق شمال شرقى الصين.

عندما كانت الثورة المناهضة لليابان تقترب من مرحلتها النهائية، خرجت للتنزه معه فى يوم ربيعى، على درب رملى قرب المعسكر الشمالى فى ضواحى

خاباروفسك. ومن هناك كان يظهر نهر آمور. تذكر جو باو جونغ بانفعال ايام النضال المشترك فى مرحلة القوات المتحدة المعادية لليابان، وقال:

"فى نحو عام ١٩٣٠ كان معظم امناء لجان الحزب فى جميع محافظات ودوائر مناطق شمال شرقى الصين رفاقا كوريين. فامناء واعضاء اللجان الحزبية فى محافظات نينغآن وبولى وتانغيوان وراوهى وباوتشينغ وهولين ويلان وكثير من محافظات منشوريا الشمالية، هذا دون الحديث عن محافظات يانبيان، كانوا فى غالبيتهم كوادر كوريين. ولا يمكن التحدث عن تاريخ تطور القوات المتحدة المعادية لليابان دون ذكر مآثر هؤلاء الرفاق. والعالم بأسره يعرف ان الكوريين كانوا يشكلون اكثر من تسعين بالمئة من جنود الفيلق الثانى... وعند تنظيم الفيلق الاول والثالث والرابع والسادس والسابع، كان الرفاق الكوريون هم المبادرون ايضا، ومنهم لى هونغ كوانغ، لى دونغ كوانغ، تشاى يونغ كون، كيم تشايك، هو هيونغ سيك ولى هاك مان. وبعد موت لاو وى ويانغ جينغ او، وقفت انت، ايها القائد كيم إيل سونغ، ومنذ سنوات، ليس على رأس الفيلق الثانى وحسب، بل والفيلق الاول ايضا لتقود الحرب ضد اليابان... وكم من المرات وجدنا انفسنا نحن، اصحاب الثورة فى شمال شرقى الصين، مدفوعين الى تقديم فروض الاحترام والتقدير امامك. وقد قررنا ان نقيم بعد انتهاء الحرب نصبا لذكرى الشهداء الكوريين الذين سقطوا فى اراضى شمال شرقى الصين."

وبالفعل، سعى جو باو جونغ، بعد انتهاء الحرب ضد اليابان، لدى لجنة الحزب فى مقاطعة جيلين لاقرار اقامة نصب تذكارى فى مدينة جيلين وآخر فى منطقة يانبيان تخليدا لذكرى المقاتلين الكوريين الذين سقطوا فى ساحة الوغى.

لقد كان الموظفون اليابانيون والمنشوكويون والاقطاعيون الصينيون يفرضون على الكوريين فى منشوريا الشمالية ايضا العيش كالبهائم. ان سهوب منشوريا الجنوبية والشمالية الشاسعة التى تضم سهول سونغلياو وسهولا فسيحة واراضى بور، مشهورة عالميا بانها مستودع حبوب تنتج سنويا عشرات ملايين الأطنان من الحبوب. الا ان مواطنينا الكوريين وغيرهم من السكان الفقراء الذين استصلحوا تلك الاراضى كانوا محكومين بالعيش فى قلق بشأن المأكل والملبس والمسكن على امتداد فصول السنة.

وفور انتهاء الحرب الكورية، رأيت فى مأدبة متواضعة عينى لى يونغ هو تتخضلان بالدموع وهو يتذكر الجوع الذى عاناه فى طفولته فى منشوريا الشمالية. وقد قال ان ذلك حدث عندما كانت عائلته تعيش فى وورينبان او فى سانتشاكو او فى راوهى. وهذا يعنى ان ذلك حدث، كما اعتقد، حوالى سنة ١٩١٥. كانت مؤنتهم من الحبوب قد نفدت، فاضطرت الاسرة الى سد رمقها ببقايا الملفوف طوال الخريف كله. لقد وجد هذا الحساء البائس لذيذا فى اول الأمر، ولكنه بدأ يشمئز منه بعد تناوله ثلاثة ايام متتالية. وكان الطفل لى يونغ هو يبصق قطع الملفوف الكريهة جانبا، متحاشيا نظرات والديه، ويكتفى باحتساء المرق وحده. وروى ان امه حين انتبهت الى ما يفعله، غطت وجهها بطرف تنورتها، وبكت بحرقة.

فى تلك الايام كان الفقير لى يونغ هو يلبس بنطلونا مصنوعا من كيس أرز. وكانت مطبوعة عليه رموز صينية كبيرة تقول " بايمى" (أى أرز ابيض)؛ ويبدو انهم لم ينتبهوا الى ذلك عندما فصلوا البنطال، فبقيت الكلمة تزين ساقه اليمنى. لم يتذمر الطفل من ذلك؛ ولم يكن يعرف ما تعنيه تلك الرموز، ولكنها انطبعت فى ذاكرته كعلامة سرية للحب الامومى. ومع انه كان يرتدى يوميا ذلك البنطال الوحيد ذا العلامة الغريبة، الا ان ذلك المسكين أمضى طفولته دون ان يتذوق ولو مرة واحدة ذلك الأرز الابيض.

هذه شهادة على البؤس الذى عاناه مواطنونا فى منشوريا الشمالية.

لقد نشر لى دون هوا، منذ وقت مبكر، مقالة فى مجلة "كايبيوك" تحت عنوان "رحلة فى منشوريا الجنوبية"، قال فيها ان قطاع الطرق الخيالة يجوبون انحاء منشوريا ويقترفون جرائم رهيبة. ولكن اعمالهم كانت اشد فظاعة فى المناطق الشمالية من منشوريا. وهم يشكلون مصدر قلق للسكان لا يقل عن قلقهم من الحملات "التأديبية" التى كثيرا ما يقوم بها الجيش اليابانى وجيش منشوكو العميل. فقتل الناس بالنسبة لأولئك الاشقياء اسهل من شرب كأس ماء. وهم مسلحون بالخناجر والبواريد، وينقضون بالمئات كأسراب الغربان، على القرى ليقتلوا وينهبوا ويحرقوا. ولهذا كان مواطنونا، ضحايا القلق والخوف، يستبدلون اماكن اقامتهم بين

حين وآخر. وكان الاشقياء يأخذون السكان الابرياء كرهائن للحصول على فدية نقدية مقابل اخلاء سبيلهم. وكانوا يقودون رهائنهم الى اماكن جبلية قصية، حيث يصلمون آذانهم او يبترون اصبعا من ايديهم او اقدامهم ويرفقون ما قطعوه برسالة ابتزاز يبعثونها الى بيوت الرهائن يقولون فيها: هذه اذن ابنكم؛ فاذا لم ترسلوا مبلغ كذا من المال قبل يوم كذا، فاننا سنقتله. فكانت العائلات التى تتلقى مثل هذه الرسائل تضطر الى بيع كل ما تملكه لانقاذ ابنها المحبوب. واذا لم تدفع الفدية المطلوبة، كان المخطوفون يعودون الى بيوتهم، فى معظم الاحوال، جثثا هامدة.

لم تكن منشوريا الشمالية باى حال من الأحوال "أرض السعادة" ولا عالم "التوافق المنسجم لخمس قوميات"، فقد كانت تسود هناك الشرور الاجتماعية الجهنمية وقانون الغلبة للأقوى فقط. وكان الكوريون يعملون كخدم ودواب حراثة لدى كبار الموظفين والعسكريين والمتمولين والمصرفيين والتجار اليابانيين. وقد دفعهم هذا الواقع اللعين للانضمام منذ وقت مبكر الى جبهة الانقاذ الوطنى المعادية لليابان، وبدء النضال من اجل حرية الوطن واستقلاله.

وفى منشوريا الشمالية، كما فى تشينتاو، كان الكوريون الطليعيون هم الذين بادروا الى تنشيط الحركة الشيوعية منذ سنوات طويلة. ولم يقف خارج هذه الحركة تقريبا أى من الكوريين الذين لديهم قدر من العلم او ممن يتمتعون بالذكاء والحساسية. لقد جعلوا الشيوعية معتقدهم الوحيد، وكرسوا أنفسهم للقضية الثورية صارخين: "تسقط الامبريالية اليابانية، ويسقط الاقطاعيون والرأسماليون!".

ان من اسسوا الحركة الشيوعية فى منشوريا الشمالية، قد هيأوا، منذ بداية الثلاثينيات، للمقاومة المسلحة من اجل الحاق الهزيمة بالامبرياليين اليابانيين. ففى محافظة باوتشينغ، جرى، باشراف تشاى يونغ كون، تشكيل تنظيم يدعى جماعة التدريب يضم اكثر من مائتى شاب كورى. وهكذا بدأ العمل لارساء اسس انشاء قوة حرب عصابات معادية لليابان. ان هذه الجماعة التدريبية، كما يبين اسمها، كانت مدرسة عسكرية لتدريب الشباب سياسيا وعسكريا، ليكونوا فيما بعد ركائز الجيش الثورى. وكما فى مدرسة هواسونغ التى تعلمت فيها، كان الشبان يدرسون التاريخ

والتكتيك العسكرى ويتدربون على الرماية. وكانت جماعة التدريب مؤلفة من ١٠ سرايا. وكان تشاى يونغ كون هو قائدها ورئيس هيئة اركانها العامة، وكان باك زين وو (واسمه الاصلى كيم زين وو) هو مفوضها السياسى.

لقد كان مؤلف كتاب "مسيرة الألف رى"، كيم ريونغ هوا، الشهير بلقب "الشارب المأذون به" هو آمر احدى سرايا جماعة التدريب. وقد اكتسب لقبه ذاك، على ما اذكر، فى اواسط الخمسينيات، بعيد انتهاء الحرب العظمى ضد الامبريالية الامريكية فى بلادنا. فمع بداية بناء اسس الاشتراكية، طرأت جملة من التغيرات على نمط حياة شعبنا، وكان من ابرزها اختفاء اللحى والشعور الطويلة والرؤوس الحليقة والسراويل القصيرة من الشوارع.

ومع ان الدولة لم تسن قانونا بشأن السراويل او الشعر او اللحى، الا ان تبدلات تلقائية مفاجئة طرأت على حياة الناس.

ومع ذلك فان المقاتل القديم ضد اليابان، اللواء كيم ريونغ هوا، مسؤول التصنيع الحربى فى الجيش الشعبى، بقى وحده يحتفظ، كالسابق، بشارب مثل شارب آن تشانغ هو. وقد نصحه بعض رفاقه فى السلاح بحلقه. وانضمت زوجته واولاده وحتى بعض كبار المسؤولين الى "مناشدته" بحماس، ولكن ذلك كله لم يجد معه، وبدا كما لو انهم يتكلمون الى حصان فى اذنه. بل بالعكس، ففى كل صباح كان يهذب شاربه بمزيد من العناية امام المرآة.

وذات مرة، سألنى:

"ايها الرفيق رئيس الوزراء المحترم، ما رأيك فى شاربى؟"

"انه رائع، وتحفة بديعة. وبدونه لن تكون كيم ريونغ هوا مهما ازددت جمالا. وانا لم أتخيل كيم ريونغ هوا يوما دون شارب."

"هذا يعنى انك تأذن بشاربى؟"

"ولم الاستئذان؟ اذا كان الشعب قد خولنى صلاحيات كبيرة بوصفى رئيسا للوزراء، الا انه لم يخولنى بعد حق التصرف بشوارب الآخرين. هذه صلاحيتك انت وحدك، يا رفيق ريونغ هوا. اذا كان هذا يعجبك فحافظ عليه، والا، فاحلقه..."

" لا حاجة لقول المزيد يا رئيس الوزراء المحترم. الحقيقة اننى تعرضت لمضايقات كثيرة بسبب هذا الشارب. ولكن أحدا لن يتجرأ على مضايقتى بعد اليوم."

وخرج كيم ريونغ هوا من مكتبى وهو راض تماما.

وبعد بضعة اشهر، جاء مرة اخرى الى مبنى رئاسة الوزراء لمقابلتى. ولكن ضابط الحرس لم يسمح له بالدخول بسبب ذلك الشارب تحديدا. فقد كان ضباط الحرس فى ذلك الحين شديدى الحساسية حيال الاشخاص الذين لا يهتمون بمظهرهم او لا يراعون النظافة الشخصية جيدا. وحين سمعت الجدال الصاخب عند البوابة، فتحت النافذة لاستوضح السبب.

" ما الحكاية، ايها الرفيق الضابط؟"

" لم أسمح للرفيق اللواء بالدخول بسبب شاربه. لكنه يصر على ان شاربه مأذون به. فهل صحيح انك قد اذنت بشاربه ايها الرفيق القائد الاعلى؟"

ونظر ضابط الحرس الى كيم ريونغ هوا بارتياب.

" هكذا هى المسألة اذن؟ من الآن وصاعدا لا تزعلوا الرفيق اللواء. فلشاربه حصانة."

بعد هذه الحادثة، اصبح كيم ريونغ هوا معروفا فى الجيش بلقب "الشارب المأذون به".

تزوج كيم ريونغ هوا حين كان فى التاسعة من عمره، ومنذ بلوغه الحادية عشرة امسك المحراث وتولى مسؤولية العائلة. وفى الثالثة عشرة من عمره صار جندى ارتباط لدى هونغ بوم دو، واصبح مقاتلا محنكا شارك فى معركة مدينة ايمان المصيرية الشهيرة التى سقط فيها عشرات آلاف القتلى والجرحى.

كانت جماعة التدريب فى باوتشينغ مؤلفة فى البدء من شبان كوريين فقط، ومن المنطقى ان يكون التبرير الشائع فى ذلك الحين هو انه من اجل تحقيق استقلال كوريا، لا بد من تشكيل الوحدة من الكوريين وحدهم، وانه اذا انضم اليها اجانب، فانها ستتحول الى شىء آخر. ولكن مع التنامى التدريجى للصوت القائل بان اقتصار عضويتها على الكوريين وحدهم قد يؤدى الى خلق صعوبات فى التحالف مع الوحدات

الصينية المناهضة لليابان، ويعزل الوحدة عن الشعب الصينى، قبل منظمو جماعة التدريب شابين صينيين. ولكنهما خانا الجماعة وكشفا اسرارها للعدو دون اى وازع.

ولتجنب موجة الاعتقالات، انتقلت الجماعة الى مكان آخر على بعد حوالى ٣٠٠ رى عن باوتشينغ، حيث اقامت مدرسة اخرى، ولكنها لم تصمد هناك ايضا لعمليات العدو "التأديبية"، وتم حلها.

نقل تشاى يونغ كون قاعدة نشاطه الى راوهى. وقام مع زملائه فى السلاح باك زين وو، وهوانغ كى هونغ، وكيم ريونغ هوا، وكيم زى ميونغ وغيرهم بتنظيم الجماعة التدريبية مجددا فى مدرسة سانويتون الابتدائية، وقد انضم اليها نحو سبعين شابا. وبانتقاء النخبة من بينهم، المهيئين جيدا عسكريا وسياسيا، انشأ فصيلة خاصة حمراء (سميت ايضا بفرقة الارهاب الاحمر)، وكان من مهماتها الاساسية القضاء على عملاء العدو، وحراسة الملاكات العسكرية والسياسية، والقيام بعمليات مسلحة. وفيما بعد، انشأ تشاى يونغ كون على اساسها وحدة راوهى العمالية الفلاحية لحرب العصابات.

قبل وبعد تنظيم وحدات حرب العصابات فى تانغيوان وراوهى، اخذت الصفوف المسلحة تظهر بصورة متتالية بقيادة كيم تشايك، وهو هيونغ سيك، ولى هاك مان، وكيم هاى سان وغيرهم، لتبدأ السير على طريق النضال المناهض لليابان الطويل والشاق فى نينغآن وميشان وبولى وجوهى وويهى.

وقد ارسى كيم هاى سان ولى كوانغ ريم مع جو باو جونغ اسس الفيلق الخامس، وشكل القائدان العسكريان المحنكان كيم تشايك وهو هيونغ سيك، بمساعدة جانغ شو جيان وجاو شانغ جى، الفيلق الثالث. اما تشاى يونغ كون ولى هاك مان ولى يونغ هو وآن يونغ وتشاى ايل، فقد اجترحوا مآثر كبيرة ولعبوا دورا طليعيا مع لى يان لو فى تنظيم الفيلقين الرابع والسابع.

كانت اصداء اناشيد الشيوعيين الكوريين الحربية تتردد فى مناطق منشوريا الشمالية الشاسعة التى تبلغ مساحتها مئات آلاف الكيلومترات المربعة من سلسلة جبال لاويلنغ فى الجنوب الى نهر آمور فى الشمال، ومن نهر اوسورى فى الشرق الى سلسلة جبال داسينغآنلنغ فى الغرب.

وبينما كان كيم تشايك يقود عمليات حرب العصابات، متخذا كمسرح لنشاطاته منطقة بينجيانغ التى تضم الجزء الشرقى والشمالى الشرقى من هاربين، كان تشاى يونغ كون ولى هاك مان يشنان الغارات المتواصلة على قرى الاعتقال الجماعى وقواعد مؤخرة العدو، باتخاذ سلسلة جبال وانداشان كقاعدة انطلاق.

فى النصف الثانى من الثلاثينيات، أسس هو هيونغ سيك بالتحالف مع كيم تشايك وما دوك سان وحدة الحملة الى الشمال الغربى، وتقدم الى هايلون ومحافظات اخرى بهدف اقامة الصلات مع وحدات حرب العصابات العاملة فى الجوار، وقام بتثوير هذه المناطق بنشاط. وكان كانغ كون، الذى اتخذ من سلسلة جبال لاولنغ قاعدة له، يوجه ضربات بارعة الى العدو، ويتمدد على طول وعرض جبال وسهول ضفاف نهر موتانكيانغ. صحيح انه كان آمرا شابا، ولكنه كان يملك ذكاء خارقا وحماسة متدفقة، مما جعله يتطور بسرعة كقائد عسكرى واعد.

ويمكن التأكيد أنه كان للمناضلين القادمين من تشينتاو تأثير كبير جدا فى تعميق وتطوير حركة حرب العصابات فى منشوريا الشمالية. فكيم تشايك، وهان هونغ كوون، وباك كيل سونغ، وآن يونغ، وتشاى ايل، وزون تشانغ تشول وغيرهم من المناضلين المجربين والمتمرسين فى النضال فى منشوريا الشرقية، اصبحوا فى منشوريا الشمالية منظمين ومحرضين وقادة نشطاء مهدوا السبيل الى الهجوم الشاق فى الحرب ضد اليابان.

كان الشيوعيون الكوريون فى منشوريا الشمالية يتتبعون دائما باهتمام كبير مجمل مسار تطور الثورة فى منشوريا الشرقية ويبذلون الجهود بلا كلل لاقامة الصلات مع الشيوعيين العاملين هناك. وكانوا يتلقون اخبارهم بانتظام وعبر قنوات متعددة.

وكان جو باو جونغ هو من ينقل اليهم اوفر قسط من المعلومات عن تشينتاو. كما كان المراسلون من الفيلق الخامس الذى يعمل تحت أمرة جو باو جونغ، يتنقلون بكثرة من قاعدتهم فى نينغآن الى وانغتشينغ، وينقلون معلومات واسعة عن الامور فى منشوريا الشرقية، وهو ما كان يقوم به ايضا مقاتلون مرسلون من الفيلق الثانى

الى الفيلق الخامس والثالث والرابع والسابع والسادس والثامن والتاسع والى وحدات اخرى فى منشوريا الشمالية.

كما قامت قيادة مكتب جيدونغ (لجنة الحزب فى مقاطعة جيدونغ) بدور مركز دعائى هام حول الوضع فى منشوريا الشرقية. ومن خلال مكتب جيدونغ تحديدا، كان رفاق السلاح فى منشوريا الشمالية يتلقون مطبوعات ذات مضمون احمر تصدر فى منطقة منشوريا الشرقية ووثائق سرية من نوع " برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن".

وقد لعب مكتب جيدونغ فى ذلك الوقت ايضا دور "لوحة مفاتيح التحويل" التى تربط منشوريا الشرقية والجنوبية بمنشوريا الشمالية.

ويروى لى يونغ هو انه عندما كان يعمل رئيسا لقسم الدعاية فى لجنة الحزب فى محافظة راوهى، ذهب مرة الى مكتب جيدونغ حيث تلقى رسميا "برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن". وعندما عاد الى مقره، اطلع رفاقه بالسلاح على المواد المتعلقة بمنشوريا الشرقية التى قدمها اليه ذلك المكتب. وقد تأسف كثيرا فيما بعد لضياع النسخ الاصلية من تلك المواد ابان الحرب ضد اليابان.

وكان كيم تشايك وتشاى يونغ كون من انشط رفاق السلاح فى منشوريا الشمالية فى نشر اخبارنا. فقد كانا يشرحان لمقاتلى الجيش الثورى الشعبى وللعمال والفلاحين بحماسة فحوى الخط العام والاستراتيجية والتكتيك والمهمات العاجلة التى نسعى لتحقيقها من اجل انتصار الثورة الكورية، ويطالبان دائما بضرورة التعلم من مآثرنا القتالية وشيمنا الاخلاقية.

لقد قال تشاى يونغ كون لمقاتليه عند انشاء وحدة راوهى لحرب العصابات: "تؤكد المعلومات ان النضال الثورى فى منشوريا الشرقية يتقدم الآن وفقا لاستراتيجية وذكاء القائد كيم إيل سونغ. فعلى الرغم من انه قائد شاب، فانه يتمتع بحب الجماهير. وهذا من حسن حظ امتنا ذات الملابس البيضاء التى تفتقر الى قائدها. اننى ارغب فى ان يتاح لى الوقت كى اذهب للقاء به، ولكننى، للأسف الشديد، لا استطيع تدبير امورى لتحقيق هذا الحلم".

لقد كتب الى اربع رسائل. ولكن جميع مراسليه الذين حملوا تلك الرسائل لقوا

مصرعهم فى الطريق. وقد استطاع احدهم، بعد قطع الطريق متسربلا بالدماء، الوصول بأعجوبة الى مكان قريب من تونهوا، فى محيط نشاط وحدتنا. ولكنه وقع اسيرا ولقى مصرعه قبل ان يفلح فى اداء مهمته. ولو انه صمد ليوم او اثنين ولم يقع فى قبضة العدو، لكنا التقينا به، ولكان لقائى مع تشاى يونغ كون قد تم فى اواسط الثلاثينيات وليس فى سنة ١٩٤١، فى مكان ما فى منطقة تشينتاو – مسرح عملياتنا، او فى مكان من منشوريا الجنوبية او الشمالية.

فى سنة ١٩٤١ التقيت مع كيم تشايك وتشاى يونغ كون فى خاباروفسك، وقد فوجئت تماما، لانهما كانا يعرفان بالتفصيل سير حياتى وتاريخ عائلتى. بل وكانا يعرفان ان الغمازتين على خدى والسن الناتئة هى علامات فارقة بالنسبة لعملاء اليابان السريين الذين يفتشون عنى منذ اكثر من عشر سنوات، وان اليابانيين قد وعدوا بدفع عشرات آلاف اليوانات ثمنا لرأسى.

كانوا يعرفوننا جيدا، وكنا نحن ايضا نعرفهم كفاية من خلال هذه القنوات او تلك. ولئن كان كيم تشايك يعرف تفاصيل المساعدة الكريمة التى قدمها الى القس سون زونغ دو عندما كنت فى السجن فى جيلين، فانى كنت اعرف جيدا ان كيم تشايك كان يحظى بمساعدة كبيرة من جانب هو هون عندما كان معتقلا فى سجن سودايمون. وحيث اننا كنا ثوريين خبرنا ما لا حصر له من المحن والمصاعب، فقد كان مسار حياتنا مليئا بأحداث مثيرة ونوادر مذهلة لا يمكن تصورها. وقد كان تنوع تلك الاحداث وغناها يتزايد من خلال تراكم اعمال ومآثر ابطالها. وهل لدى الكسالى والمتقاعسين امور تستحق الحديث عنها؟

ذات مرة، عاد احد المراسلين فى وحدتنا من منشوريا الشمالية بخبر لا يمكن تصديقه يقول ان آمر الفيلق السابع لى هاك مان قد بقى يرضع حتى بلوغه الحادية عشرة من عمره. وقد جعلنا ذلك الخبر نضحك مقهقهين. وقد استنكر المقاتلون كلام المراسل: دعك من هذا الهراء، انه خبر مختلق وكذبة واضحة. هنالك من يتزوجون فى هذه السن، وتأتى انت الآن لتقول انه رضع حتى بلوغه الحادية عشرة. وانا نفسى ظننت بالطبع ان فى ذلك الخبر مبالغة كبيرة.

وفيما بعد، عندما التقيت للمرة الاولى مع لى يونغ هو، ابن اخى لى هاك مان فى المعسكر السرى الشمالى فى خاباروفسك، سألته عما اذا كان عمه قد تغذى حقا حتى الحادية عشرة من عمره بحليب زوجة أخيه الاكبر، فأجابنى بنعم.

"هذا يعنى انه كان يرضع الحليب من أمك، وبكلمة اخرى فانك كنت ضحية استغلال هذا الطفل الكبير، أليس كذلك؟"

فسارع لى يونغ هو للدفاع عن عمه.

"كلا، لم يكن فى الامر اى (استغلال) وما كنت لأسمح به. فقد كان يرضع من ثدى واحد، وكنت انا ارضع من الثانى."

"ألا ترى؟ لقد انتزع ٥٠ بالمئة من غذائك. لم يتبع نظام الاستيلاء على جزئين او ثلاثة اجزاء من العشرة، بل استولى على النصف، فهل مازلت مصرا على الدفاع عن عمك رغم استغلاله القاسى؟"

اطلق لى يونغ هو ضحكة مجلجلة لهذا المزاح، وقال:

" لقد كان يكفينى ثدى واحد. يبدو ان ثديى امى كانا يدران كثيرا من الحليب. وكانت تعصر بيدها ما يتبقى فيهما بعد ارضاعى. ولأن ذلك كان يسبب لها ألما، ولا تستطيع اخراج كل الحليب من ثديها، فقد امرت جدتى ذات مرة عمى هاك مان بمص ثدى امى قليلا. فى البدء كان يبصق كل الحليب، ولكنه ابتلعه مرة فأعجبه، وقال ان حليب العمة لذيذ مثل حليب أمه وصار بعدئذ يرضع الحليب من أمى كل يوم."

"يا له من شره."

"اجل، كان له طبع خاص. وكانت جدتى تقول بقلق وهى تراه يرضع انه لن يبقى أى شيء للمسكين سوك سونغ، فكان يرد عليها: ألا ترين انى لا أرضع الا من ثدى واحد؟ وسوك سونغ هو الاسم الذى كانوا يطلقونه على فى طفولتى. وعندما كنت فى الثانية او الثالثة من العمر، منعوا عمى عن الرضاعة، ولكننى حين كنت ارضع، كان لعابه يسيل من فمه وهو جالس بالقرب من أمى."

وقد قص على لى يونغ هو قصصا اخرى عن عمه.

كنت مفتونا تماما بصفات لى هاك مان الانسانية. ولكنه، للأسف الشديد، غادر

هذا العالم الى الابد. فى الاربعينيات، عندما التقيت مع لى يونغ هو للمرة الاولى، كانت عظام كثيرين من المناضلين من الوحدات المناهضة لليابان ترقد فى ارض منشوريا الشمالية.

كان آن يونغ الذى خدم سابقا فى عدة وحدات من القوات المتحدة المناهضة لليابان فى منشوريا الشمالية يذرف الدموع حين يذكر اسماء رفاقه فى السلاح الذين استشهدوا فى جبال منشوريا الشمالية وسهولها.

ولكن عندما اجتزنا جبال لاويلنغ بعد معركة تايبينغكو، كانوا فى غالبيتهم ما يزالون على قيد الحياة، وكانوا يسحقون الاعداء باندفاع نمور تبعث على الرهبة، متنقلين على طول وعرض سهول منشوريا الشمالية وجبالها. وقد كانوا هم أنفسهم تحديدا من يتحرقون رغبة للقاء معنا. ففضلا عن رغبتهم فى التعاون معنا، كانوا يواجهون مصاعب كبيرة ومشاكل كثيرة لا بد من حلها فى علاقتهم مع الكومنترن ومع الشيوعيين الصينيين والشعب الصينى والوحدات الصينية المناهضة لليابان. ولم تكن المسائل التى نشكو منها بدورنا ونريد عرضها عليهم قليلة أيضا. ولئن كنا نحن فى منشوريا الشرقية نعانى من قضية "مينساينغدان"، فانهم فى منشوريا الشمالية كانوا يعانون من مشاكل داخلية اخرى تستوجب الحل.

وقد دفعنا هذا الوضع الى التعجيل بالمسيرة الثانية الى منشوريا الشمالية. وما كنا ننتظره من رفاق السلاح هناك هو حبهم كمواطنين من ابناء أمتنا فقط. فقد كانت الحملة ضد "مينساينغدان" قد حولت مناطق حرب العصابات فى تشينتاو حيث كانت تسود من قبل علاقات المحبة والثقة، الى مكان خال من الدفء الانسانى. ولاننا كنا نتعطش هناك منذ سنوات الى المحبة الانسانية، فان شوقنا اليهم كان كشوق السائر فى الصحراء الى الواحة. فمهما بلغت وعورة وارتفاع جبال لاويلنغ، فانه لم يكن بامكانها أن تشكل عقبة أمام مشاعر المحبة التى كانت تطفو من قلوبنا مثل السحب لتصل الى الاصدقاء فى منشوريا الشمالية.

وكان ثمة هدف آخر من تنظيمنا للحملة الثانية الى منشوريا الشمالية، يتمثل فى توطيد التحالف النضالى مع الشيوعيين الصينيين الذى بدأناه فى الحملة الاولى الى

منشوريا الشمالية، وتوسيع النضال المشترك معهم بصورة افضل وفقا لمقتضيات المرحلة الجديدة. ففى اواسط الثلاثينيات، أصاب الذعر الامبرياليين من تقدم الشعوب التقدمية والقوى الاشتراكية المناهضة للامبريالية والحرب، فأخذوا يعززون ائتلافهم الدولى ضد قوى الاستقلالية فى العالم. فكانت المانيا الهتلرية، وايطاليا موسولينى، واليابان تستعد للزج بالبشرية فى كارثة الحرب العالمية وتسرع فى تشكيل حلفها المناهض للشيوعية والمعادى للسلام.

وفى مواجهة هذا الوضع، ومن اجل تطوير الثورة المناهضة لليابان وفق متطلبات المرحلة الجديدة، لم يكن بامكاننا تجنب القضية الملحة المتمثلة بتعزيز التضامن الدولى مع شيوعيى مختلف البلدان، وخصوصا مع الشيوعيين الصينيين. وكانت الاممية الشيوعية تطالب على الدوام بتعميق العلاقات بين وحدات القوات المتحدة المناهضة لليابان فى مختلف مناطق منشوريا، وحشد قواها فى القتال، والتخلى عن الانطواء على النفس والعزلة.

لم يكن هناك توازن وتكافؤ بين الفيالق التى انشئت فى شمال شرقى الصين فى ذلك الوقت. فقد كانت ثمة فروق فيما بينها من حيث القدرة القتالية والاعداد، وذلك حسب كفاءة الآمرين ومستواهم. وعموما، كان كل فيلق يرابط فى منطقة معينة، ويعمل بمفرده دون الاتصال مع الفيالق المجاورة. وكان هذا التشتت يحول دون استخدام قوى وحدات حرب العصابات العاملة بصورة جماعية بما يتفق مع الظروف المتبدلة والوضع السياسى والعسكرى. وكانت هذه نقطة الضعف التى يمكن للعدو، على المدى البعيد، الحاق الهزيمة من خلالها بوحدات حرب العصابات وسحقها الواحدة تلو الاخرى.

وهذا الوضع كان يفرض على وحدات حرب العصابات فى منشوريا الشرقية والجنوبية والشمالية ان تسعى الى اقامة الصلات فيما بينها. وقد واجهتها مهمة التنفيذ الجرىء لأعمال عسكرية وسياسية فى مناطق شاسعة بالتعاون والمساعدة المتبادلة فيما بينها، والتخلص من الاسلوب القديم، حيث كانت تعزل نفسها فى قواعد حرب العصابات التى لها شكل المناطق المحررة الثابتة، وتقتصر على الدفاع عن

منطقة محدودة، والقيام ببعض النشاطات وهى معزولة. وبدون تنفيذ هذه المهمة الاستراتيجية، لم يكن من الممكن نقل حركة حرب العصابات فى منشوريا الى مرحلة ارقى وتطويرها وتعميقها بطريقة موحدة.

فى سياق النضال ضد"مينساينغدان"، نشأت الخلافات وعدم الثقة بين شيوعيى كوريا والصين، وكان من شأن ذلك ان يكبح نضالهما المشترك. وكان من الممكن ازالة تلك الاجواء الحرجة كليا من خلال التعاون الجيد مع الشيوعيين الصينيين فى منشوريا الشمالية.

فاذا كنا سنبقى فى منشوريا الشمالية نحارب العدو لبضعة اشهر، فان وى جين مين ويون بيونغ دو سيعودان من موسكو بجواب الكومنترن النهائى. وكان اللقاء معهما هدفا مهما آخر وضعناه نصب أعيننا عند تنظيم الحملة الثانية الى منشوريا الشمالية.

ولدى عبور جبال لاويلنغ، واجهت المصاعب الكبيرة مقاتلى السرايا التابعة لفوج هونتشون المشكلة من جنود جيش منشوكو العميل الذين انتقلوا الى جانبنا بعد التمرد. فلأنهم لم يكونوا معتادين على المسيرات الجبلية، فقد كان الاعياء يضنيهم بعد ساعتين من المسير. وبأمر منى، تولى زانغ ريونغ سان من فوج وانغتشينغ أمر هذه السرايا الثلاث وساعد مقاتليها فى المسيرة. وقد كان قوى البنية، عمل لسنوات عديدة معوما للاخشاب بين جوانجياولو وسانتشاكو. كانت الشجيرات تتساقط بضربة واحدة من سكينه وكأنها خيوط القنب. وكان يتسلق بكل خفة ورشاقة الممرات شديدة الانحدار، حاملا على كتفيه بنادق واكياس مقاتلين اثنين او ثلاثة.

وكان يشجع المقاتلين مازحا:

"ايها الرفاق، من لا يستطيع اجتياز هذا الجبل، عليه ان يغير جنسه، وعليه ان يقطع فى الحال(اداته) التى بين ساقيه."

تمكنا من اجتياز جبال لاويلنغ بمشقة بالغة. وفى شهر تموز، وبعد معاناة طويلة عثرنا على المكان الذى كان يتواجد فيه جو باو جونغ بالقرب من شانتونغتون. لقد كان فى السابق مسؤولا عن الشؤون العسكرية فى لجنة الحزب فى محافظة شوينينغ المركزية، أما الآن، فقد القيت على كاهله مسؤولية جديدة هى

وظيفة آمر الفيلق الخامس من القوات المتحدة المناهضة لليابان. وكان منذ بضعة اشهر قد استقبلنا بمظهر يثير الاسى، مستندا الى عكازين. ولكنه هذه المرة خرج الى لاوتشوانكو التى تبعد ١٠ رى عن المعسكر السرى لاستقبالى ومعانقتى. قال:

"لقد شفيت جراحى تماما. وبعد رحيل حملة منشوريا الشرقية، نظمنا فيلقا جديدا. وتعمل الآن فى ارض نينغآن بنشاط وجرأة المنظمات الحزبية والمنظمات الجماهيرية. وهذا كله هو نتيجة المساعدة التى قدمتها لنا وحدتكم فى حملة السنة الماضية، أيها القائد كيم."

وهكذا، وقبل ان يتسنى لنا طرح الاسئلة عليه، شرح لنا بانفعال ودون توقف الوضع فى نينغآن. قلت له:

"اننى مطمئن الآن لانك استعدت عافيتك. يبدو ان الاشهر الاخيرة عملت فى صالحك جيدا. فقد تم تعيينك آمرا للفيلق الخامس. فما اكثر الاسباب التى تستدعى تهنئتك!"

وبعد أن هنأته، سألته عن بينغ نان يانغ. فما ان وطأت قدمى ارض منشوريا الشمالية حتى وردت الى خاطرى عواطفى نحوه التى ترسخت فى خضم المعارك. وقد ادهشنى ان تحتل صورة ذاك العسكرى الجموح مكانة راسخة فى ذاكرتى وكأنه صديق طفولة حميم، مع انى لم اقض معه سوى نحو شهرين.

وفور وصولنا الى معسكر الفيلق الخامس، تبادلت مع جو باو جونغ الآراء حول العمليات المشتركة. وقد ظهرت آنذاك بعض الخلافات الطفيفة. فقد حاول ان يفرض على هو غو تشونغ، آمر فوج هونتشون، وبطريقة الأمر، وجهة عمليات وحدة الحملة. وقد ادى ذلك الى دخول المحادثات الى طريق مسدود لبعض الوقت. آنذاك، كان هو اين، المفوض السياسى للفيلق الخامس يعمل مع وحدته فى منطقة مولينغ، وقد طلب جو باو جونغ من وحدة الحملة ان تتجه الى مولينغ وتحارب هناك لمساعدة هو اين، وتدخل فيما بعد الى منطقة اوهيلين وتحتلها.

لم تكن ثمة مصاعب فى تحقيق هذا الطلب، ولكن هو غو تشونغ، شديد الاعتداد بنفسه، رفضه رفضا قاطعا. وقد يكون اعتقد ان ذلك الطلب هو بمثابة أمر عسكرى،

ووافقه على رأيه آن كيل وكيم ريو زونغ ايضا. وكانوا يجادلون بانفعال قائلين ان لديهم هدف وخط سير محددين للحملة؛ وانه ليس من المسموح اصدار الأوامر اليهم بعمل هذا الشيء او ذاك؛ وان الفيلق الخامس هو الخامس والفيلق الثانى هو الثانى. ولم يكن غضبهم مستهجنا. فقد ذهبنا الى منشوريا الشمالية كممثلين للفيلق الثانى، ولذا لم يكن بوسعنا العمل دون ترو باشارة من عصا مايسترو آخر، بذريعة النضال المشترك.

واعرب جو باو جونغ عن رأيه بان المدفع والرشاش الثقيل ليست بالاسلحة المناسبة لطبيعة حرب العصابات، وأكد ان حملها يعتبر مغامرة.

أجبته بان هذا رأى مقبول، ولكننى فكرت فى نفسى بان الزمن سيثبت اذا ما كان السلاح الثقيل مناسبا لحرب العصابات ام لا. فعندما بدأنا الحرب ضد اليابان، اكدنا على مبدأ ان يكون سلاح جيش حرب العصابات من النوع الخفيف اساسا. ولكننى بعد ان عرفت قدرة مدفع الهاون فى معركة تايبينغكو، ارتأيت انه ليس هناك من مبرر لرفض استخدام السلاح الثقيل دون تمحيص فى حرب العصابات، وانه يمكن لهذه الاسلحة ان تكون فعالة اذا استخدمت بالشكل المناسب وبما يتفق مع الظروف والأوضاع. وقد استعمل الانصار السوفييتيون بالفعل المدافع والرشاشات الثقيلة من طراز "مكسيم" ابان الحرب الاهلية. كما كان بعض المغاورين الصينيين فى ذلك الحين يستخدمون المدافع، وان كان ذلك فى حالات قليلة.

يمكن القول ان جو باو جونغ قد بالغ، حين أطلق صفة المغامرة على اقدام وحدة الحملة من منشوريا الشرقية على حمل مدفع ورشاش ثقيل. ولتلطيف الجو المتوتر، اقترحت على الجميع ان يعودوا للاجتماع بعد ان يصقل كل منهم مشروعه بشأن العمل المشترك، لاتخاذ اجراءات مقبولة من الطرفين. وقد وافق جو باو جونغ على اقتراحى بطيبة خاطر. وهكذا اتيح لنا الوقت لتوفير قسط من الراحة لرجال الحملة الذين أرهقهم المسير، وان نبحث فى الوقت نفسه الاجراءات الملموسة للعمليات المشتركة مع وحدات منشوريا الشمالية.

كانت قرية شانتونغتون تضم اكثر من مئة اسرة فلاحية صينية. وقد سميت بهذا الاسم لان سكانها ينحدرون من شانتونغ. ولكى يبقى العدو هذه القرية تحت الحصار،

نشر على بعد ١٥ رى منها، وبشكل دائم، ما بين ٢٠٠ و٣٠٠ جندى من القوات "التأديبية". واثناء زيارتى لتلك القرية، أجريت اتصالات بمنظمتها الحزبية وبأمين لجنة الحزب فى محافظة نينغآن.

وقد التقيت فى شانتونغتون مع آمر الفيلق لى يان لو. وقد نزلنا آنذاك فى بيت اقطاعى، وكان رب البيت انسانا طيبا رغم وضعه الاجتماعى. ولهذا حاول الضيوف ان يساعدوه فى اعماله بكل طاقتهم.

وذات مرة، فاجأنا المطر عندما كنا نساعده فى حصاد القمح. وبعد ان كدسنا حزم القمح بعناية وبشكل لا تبتل معه بماء المطر، عدنا الى البيت. وقد اقترح ليو هان سينغ ان نخلد الى الراحة بعد تناول الغداء. واعد بنفسه مآكل متنوعة، ومائدة غنية. منذ كانت وحدة لى يان لو فى وانغتشينغ، كنت اعرف ان ليو هان سينغ يحب الطبخ وانه اشبه بطاه.

لقد كان من المدهش حقا ان يملك انسان تخرج فى المدرسة الثانوية مثل هذه المهارة فى الطبخ التى يحسده عليها حتى الطهاة المحترفون. ولم يكن طباخا ماهرا وحسب، بل كان ايضا محبا كبيرا لشرب الخمور. فقد كان يشرب ثلاث كؤوس فى الوقت الذى نشرب فيه كأسا واحدة. وقد شربنا الخمر ايضا اثناء تناولنا الأطباق التى اعدها؛ وتناولنا كذلك حساء شرائح العجين. وفى ذلك اليوم، شربت بضع كؤوس من الخمر، ربما لان الأطعمة كانت لذيذة.

وبينما كنا نأكل الحساء بشهية، دوى فجأة فى الخارج صوت انفجار قنبلة يدوية. هرعنا من البيت الى الخارج فرأينا عشرات الثعابين الميتة قرب كومة من تبن القمح. لقد كان رب البيت يربيها لاعتقاده بانها تجلب الحظ الجيد، ولكن القنبلة اليدوية قتلتها جميعا. ولم يكن صاحب البيت يمس الثعابين حتى حين تزحف فى الغرفة تحت مائدة الطعام. وكانت شائعة فى تلك المنطقة عادة خرافية تقدس الثعابين باعتبارها ضربا من "الارواح الحامية".

فى ذلك اليوم كان مقاتلون من المتطوعين الشبان الذين التحقوا بوحدتنا وساروا وراءنا حتى منشوريا الشمالية يقومون بمهمة الحراسة فى فناء البيت. وبينما

كانوا يؤدون مهمتهم بالتناوب، صحت السماء بعد توقف المطر وظهرت الشمس ساطعة. وعندئذ، أطلت الثعابين المختبئة فى كومة التبن برؤوسها. فملأ الذعر حارسنا الذى سارع الى رمى القنبلة عليها وهو لا يعرف ان السكان المحليين يعتبرون الثعابين حيوانا مقدسا.

حزن رب البيت وزوجته حزنا شديدا وهما ينظران الى الثعابين المقتولة. وشحب وجهاهما شحوب الموت كأن ما حدث هو نذير مصيبة كبيرة. حاول جو باو جونغ وليو هان سينغ مواساتهما بكلمات طيبة، ولكنهما لم يتمكنا من تبديد مخاوفهما. وقد اضطررنا الى مغادرة البيت قبل ان ننتهى من تناول الغداء.

فى النصف الثانى من شهر تموز ١٩٣٥، اخذت تقترب من شانتونغتون، مثل سحابة سوداء، وحدات خيالة كبيرة من جنود جيش منشوكو العميل ورجال الشرطة، بعد ان عرف الاعداء ان "جيش كوريو الاحمر" وصل من منشوريا الشرقية. وللوهلة الأولى، كان بالامكان تقدير قوات العدو ببضع مئات.

وآنذاك كانت القوة الرئيسية فى الفيلق الخامس تعمل فى مولينغ وشمال غربى محافظة نينغآن. وكان عدد المقاتلين العاملين تحت امرة قيادة الفيلق الرابع قليلا أيضا. فكان لدى العدو، من حيث عدد القوات، ضعف عدد قواتنا.

أنقبل المعركة ام نتحاشاها؟

طلب منى جو باو جونغ وليو هان سينغ رأيى.

فقررت خوض المعركة.

وهكذا حلت بسهولة ودون عقبات مسألة العملية المشتركة التى كان من المقرر ان يقوم بها الفيلقان الرابع والخامس مع وحدتنا. لم يجر حسمها من وراء الطاولة، وانما امام التشكيل القتالى لخيالة الاعداء المنطلقين نحونا بسرعة، مثيرين سحابة كثيفة من الغبار. اذا كان الحكماء القدماء يقولون فى تعاليمهم انه يجب تجنب العدو القوى ومهاجمة العدو الضعيف، وكانت تلك قاعدة فى عمليات حرب العصابات ايضا، الا ان ذلك لا يعنى انه يجب تطبق تلك القاعدة حتما وبشكل آلى. وبطريقة ما، كان لا بد لنا من اثبات قوتنا القتالية فى منشوريا الشمالية لكى نبلغ الهدف الذى

ابتغيناه عند تنظيم هذه الحملة. وقد كانت الظروف وتضاريس المنطقة مناسبة لنا.

ولهذا، بعد اجتماع قصير، قررنا خوض القتال فى الحال، وبدأنا العمل.

ورغبة منا فى عدم الحاق الضرر بالسكان المحليين، أقمنا مواقعنا فى اماكن نستطيع منها مواجهة العدو قبل ان يصل الى القرية، ووزعنا المهمات القتالية على كل وحدة. اما مقاتلو سرية الهاون الذين اجترحوا مآثر قتالية فى معركة تايبينغكو والرماة الماهرون من سرية الرشاشات الثقيلة، فقد اجروا حساباتهم، وحددوا احداثيات رماياتهم، وبقوا على اهبة الاستعداد فى انتظار اوامرى.

أما الاعداء الذين كانوا يتقدمون بسرعة كبيرة عبر درب جبلى محاذ لنهر ليانغشويلينغجيتشونهى، فقد بدؤوا يتسلقون الجبل لكى يشغلوا القطاع الشمالى الغربى من شانتونغتون. تركنا العدو يقترب الى مسافة ١٥٠ ــ ٢٠٠ متر من مواقعنا، ثم بدأنا الرماية عليه فى وقت واحد. تراجع من بقى حيا من الاعداء، ولكنهم حين عبروا النهر، حاولوا ان يهاجمونا ثانية من احدى قمم الجبل الجنوبى. ولكن مقاتلينا كانوا ينتظرونهم هناك، وكان من الممتع رؤيتهم وهم يوجهون الضربات للعدو. ثم توالت بعد ذلك الهجمات والهجمات المضادة.

اعاد آمرو الاعداء تنظيم قواتهم سعيا منهم الى تغيير الوضع غير الملائم لهم. وعندما احتشدت تلك القوات قرب مركز القيادة، اصدر آمر سرية الهاون الأمر باطلاق النار. فانطلقت القذائف بصفيرها المعدنى، وتساقطت الواحدة تلو الاخرى على تجمعات العدو. فاندفع من بقى حيا منهم الى التراجع فى اتجاه نينغآن. ووجه مدفع الهاون نيرانه نحوهم. فأصبحوا مثل فئران محبوسة فى خابية. وكانوا يركضون من جهة الى اخرى وسط دخان البارود وهم يصرخون: "لم يخطر لنا فى البال ان الجيش الشيوعى يملك مدفعا ايضا؟"؛ وقد فر كل واحد منهم بطريقته مستغلا عتمة الغروب.

وقد كان لاستخدامنا مدفع هاون فى هذه المعركة صدى كبير. فقد اخذ العدو يلغط بان الاتحاد السوفييتى قد زودنا بمدافع هاون، وصار مجرد ذكر اسم "جيش كوريو الاحمر" يجعل جنود العدو يرتجفون هلعا. لقد استفدنا فى شانتونغتون كل

قذائف الهاون التى غنمناها فى معركة لاوهيشان، مما اضطررنا الى التخلى عن المدفع ودفنه فى التراب.

استولى على اليابانيين فى هذه المعركة رعب شديد بحيث انهم لم يتجرؤوا بعدها على مهاجمتنا. فقد اغلقوا ابواب البلدة باحكام ولم يعودوا الى الخروج منها. وبعد تلقى رسائلنا، كان الاعداء يرسلون الينا، بكل استكانة، الحبوب والزيت والاحذية وغيرها من المؤن.

ان معركة شانتونغتون التى عدنا فيها الى قرع طبول الانتصار فى اراضى منشوريا الشمالية، ومعها حادثة مجزرة الثعابين برمانة يدوية، ستبقى فى ذاكرتى كواحدة من أكثر العمليات تأثيرا.

لقد ارتعش العدو من طلقات مدفعنا، ولكن الشعب تدفق حماسة وكأنه حمم بركان. وهكذا، اسفر النضال المشترك مع الشيوعيين الصينيين فى منشوريا الشمالية عن نتيجة باهرة منذ بداياته. وقد كان ذلك الانتصار بمثابة قاعدة متينة لتوطيد التحالف القتالى بين شيوعيى البلدين. ومنذ ذلك الحين كف جو باو جونغ عن التحدث عن عدم ملاءمة السلاح الثقيل.

بعد مغادرة شانتونغتون، ذهبنا الى بلدة دوغوجى، حيث نزلنا فى بيت رجل كنيته فانغ، وشرعنا فى مناقشة مسألة النضال المشترك ضد اليابان مع شيوعيى منشوريا الشمالية. وبمبادرتنا، وبالاتفاق مع جو باو جونغ، قررنا تقسيم قوات حملتنا الى عدة مجموعات لكى ندخل منطقة نشاط الفيلق الخامس ونقوم بعمليات مشتركة هناك. فاتجهت قوة من الحملة الى مولينغ حيث كان يعمل المفوض السياسى للفيلق الخامس هو اين، بينما اتجه تشكيل آخر غير كبير الى المنطقة التى يحارب فيها بينغ نان يانغ.

الحق جو باو جونغ بعض مقاتلى الفيلق الخامس بجماعاتنا المنطلقة الى ماتشانغ وتوانشانجى ووليانغهى وشيتووهيجى وغيرها. وكانت هذه اماكن ثورية "خصبة" اغنيناها بجهودنا اثناء الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية. وبالاعتماد الوطيد على المنظمات الثورية فى هذه المناطق، قمنا بنشاط سياسى وعسكرى كبير.

ولم تكن المنظمة السرية فى ووليانغهى قد اقتصرت على مد شبكتها فى

الضواحى وحسب، بل وصلت بعيدا جدا، الى دونغكينغتشنغ، وقد قدمت لنا مساعدة كبيرة. وعندما اتذكر وليانغهى، تنتصب امام عينى صورة عجوز صينية. فأثناء الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية، كانت هذه العجوز تشارك بنشاط فى عمل جمعية النساء. وعندما كنا نراها تسهر الليل كى تخيط ملابس الجنود وتعتنى بمقاتلى الحملة، رغم سنوات عمرها الستين، كنا نتذكر امهاتنا او جداتنا اللواتى بقين فى مسقط رؤوسنا. وحين كنت اتغيب ولو يوما واحدا، تسأل جنود الاتصال:

" لماذا لا ارى جينسولينغ (أى القائد كيم)؟". ولم تكن تنام الا بعد أن تطمأن على اننى سليم معافى.

وحين سمعت هذه الجدة نفسها بنبأ وصول "جيش كوريو الاحمر" من تشينتاو، ذهبت الى دوغوجى وهى تحمل طير تدرج وقدر شعيرية، ووصلت اليها حين كانت وحدتنا تستعد للرحيل.

قالت العجوز لرفاقنا:

" لقد تألمت كثيرا لانى لم استطع تكريم القائد كيم بشكل لائق فى الخريف الماضى، لهذا احضرت اليوم شعيرية، فاقبلوها كعربون وفاء واخلاص، وسأكون شاكرة لكم."

وقد تبين انها سألت جنود الاتصال العاملين عندى لتعرف طعامى المفضل.

فى ذلك اليوم، أكلنا، انا وجو باو جونغ، بشهية الطعام المضمخ باخلاص العجوز. وكانت الشعيرية مع مرق التدرج ولحمه وسلطة الخضار شهية جدا. وبعد ان تناول جو باو جونغ طبقين من تلك الشعيرية قال لى خالطا المزاح بالجد:

"كيف تسنى لك، ايها القائد كيم، ان تكسب الى جانبك خلال وقت قصير فى منشوريا الشمالية هذه العجوز؟ اننى معجب على الدوام بمهارتك فى اكتساب الجماهير؛ وارجو منك فى هذه المناسبة ان تعلم سرايانا الملحقة بوحدتك منهج العمل السياسى."

فى ايلول من تلك السنة، عندما كانت وحدتنا تعمل فى منطقة ايمو، اقترح علينا المفوض السياسى للفيلق الخامس هو اين رسميا ان نقوم بعملية مشتركة اخرى. ولكن تعين علينا آنذاك ان نرجئ اقتراحه لبعض الوقت، لاننا كنا قد اعددنا من قبل

للقاء مع وحدة كيم تشايك التى كانت تتجه نحو الجنوب، فى منطقة ويهى. ولم نستطع ان نلبى اقتراح هو اين فيما بعد بسبب ظروف طارئة. ولكنى كنت فى كل فترة الحرب ضد اليابان اتذكر بالامتنان ثقته فينا.

ان المكان الذى يلى نينغآن بالأهمية عند تأهيل منشوريا الشمالية ثوريا هو منطقة ايمو. لم نكن نعرف تلك المنطقة تقريبا. وحتى الوحدات الصينية كانت قد أخفقت فى نقل رياح الثورة الى تلك المنطقة، ولم يكن هنالك من يتجرأ على الاقتراب منها.

ولكن خوض النضال المشترك مع الفيلق الثالث الذى كان كيم تشايك يعمل فيه، كان يستدعى ان " نعمل محراثنا" فى أرض ايمو. ولم نكن نحن وحدنا نهتم بها، بل كان العدو كذلك يطمع بهذه الأرض المجهولة التى تتاخم فى الشمال الغربى ويهى وجوهى، منطقتى عمل الفيلق الثالث، وفى الغرب مناطق عمل الفيلق الاول والفيلق الثانى.

واذا كانت عدة وحدات مسلحة من منشوريا الشمالية قد أخفقت فى حراثة ايمو، فان السبب فى ذلك هو تعمق تيار العداء للشيوعية المتأصل بين السكان المحليين. لقد كان العداء للشيوعية قويا فى نينغآن، ولكنه يبدو تافها مع ذلك اذا قورن بما هو عليه فى هذه المنطقة. وتقع مسؤولية تلوثها بالعداء للشيوعية الى هذا الحد على عاتق الفئويين من جماعة م.ل الذين اتخذوا من المنطقة قاعدة لهم واقترفوا اعمالا يسارية طائشة كانتفاضة اول آب التى شكلت اساءة الى سمعة الشيوعية. فمن جراء هذه الانتفاضة، الحق الامبرياليون اليابانيون والعسكريون الرجعيون الصينيون اضرارا فادحة بالسكان. ومنذ ذلك الحين، أدار الأهالى ظهورهم للشيوعيين.

وقد ارسل الامبرياليون اليابانيون جماعات للدعاية والاستيعاب فى مسعى منهم لدق اسفين بين السكان والشيوعيين.

اما الى اى حد كان السكان المحليون مصابين بحمى العداء للشيوعية، فتدل عليه تجربة شاب كان يعمل قبل انضمامه الى جيش حرب العصابات فى صنع الفحم فى غابات تشينغكوجى بمحافظة ايمو. وكان قد فقد والديه واخوته منذ زمن طويل فى جائحة وبائية، وعاش بطريقة أقرب الى الموت منها للحياة، متسولا من بيت الى بيت،

حتى وصل الى ارض ايمو، حيث اقتيد لأعمال السخرة فى شق طريق. وهناك تعلم من احد العمال اغنية ثورية. وكانت تلك اول اغنية يتعلمها منذ فتح عينيه على الدنيا.

فيما بعد، قام بعمل موسمى عند اسرة فلاحية بالقرب من قرية رينجياكو. وذات مرة، أقيمت حفلة زفاف فى أحد البيوت، فذهب الفتى مع رب عمله لتهنئة العروسين. وبناء على طلب منظم العرس، غنى تلك الاغنية الثورية التى تعلمها اثناء عمله فى شق الطريق. واذا بالاغنية تتسبب فى هرج ومرج فى العرس. وقد اتهم احد الوجهاء المتعلمين الفتى بالشيوعية. ثم صوب اصبعه الى الفلاح الثرى الذى استأجر الفتى وقال له مؤنبا: "لماذا لم تستأجر شغيلا آخر سليم العقل بدلا من هذا الشيوعى الماكر الذى ينادى بمشاعية الممتلكات والنساء؟". فى ذلك اليوم بالذات، طرد الفتى من عمله. والمأساة فى هذه الحادثة هى ان الفتى كان يغنى تلك الأغنية الثورية التى ألفها الشيوعيون دون أن يعرف على الاطلاق انه يروج للشيوعية. وقد قال البعض ان السبب فيما حدث هو الجهل، ولكننى اقول لا، انها حصيلة تيار العداء للشيوعية.

لقد كان الامبرياليون اليابانيون ينسبون الى الشيوعيين جميع الآثام التى يقترفها قطاع الطرق واللصوص الخيالة.

وفى ظل هذا الوضع، يمكن التأكيد بان قرار وحدتنا فى "حراثة" ايمو، لم يكن سوى مجازفة. وبالفعل، فما ان وطأنا هذه الأرض بعد عبور بحيرة جينغبوهو، حتى وجدنا انفسنا فى مواجهة معاملة بالغة الفتور. ففى تلك القرية الهادئة التى يمكن اعتبارها البوابة الشرقية لمنطقة ايمو، كان يعيش صينيون فقط. وقد فر معظمهم مع اولادهم وهم يصرخون قائلين ان "الهونهوزى" (قطاع الطرق الحمر – المترجم) قد وصلوا. ولم يبق سوى الشيوخ والمرضى، ولكنهم اعتصموا فى البيوت ولم يخرجوا منها.

أمرت المقاتلين بنصب الخيام فى غابة قريبة والاستراحة هناك. ثم قمت بعد ذلك بجولة فى القرية. دخلت الى المدرسة الابتدائية. فلم أجد هناك معلمين أو موظفين او تلاميذ. لقد اختبأ الجميع. لقد كانت معاملة شديدة النفور تجاه زائرين من منشوريا الشرقية قاموا بمسيرة طويلة جدا من اجل رفع مشعل الثورة فى هذه الاراضى.

حملت ارغنا الى باحة المدرسة، وبدأت جماعة من شبان سرية المتطوعين الغناء، ورافقتهم بالعزف على الارغن، أدينا اغنية "سوو" واغنية اخرى عن يانغ كوى فوى. وكان الشبان يتقنون جيدا اداء اغنيات شعبية من اغانى قومية هان. وكانت الاغنيتان معروفتين، وتحظيان بحب خاص بين شغيلة الصين.

فاغنية "سوو" تعكس المشاعر الوطنية، وقد تعلمتها عندما كنت فى جيلين. وعنوانها الكامل "سوو يرعى الغنم".

كان "سوو" شخصية شهيرة بفضل اخلاصه لسلالة هان فى القرن الثانى قبل الميلاد. وقد ذهب كمبعوث للملك فى زيارة الى قبيلة سيونغنو فى الشمال، ولكن هؤلاء اعتقلوه كرهينة واعلنوا انهم لن يطلقوا سراحه اذا لم يستسلم لهم، وانه سيبقى محتجزا حتى يلد التيس جديا. وهكذا بقى سوو سجينا مدة تسع عشرة سنة، ولكنه لم يخضع ولم يتراجع عن اخلاصه.

خلاصة القول، كانت اغنية "سوو" تعبر بوضوح عن افكار الشعب الصينى ومشاعره الوطنية. وعندما غنينا هذه الاغنية وأغنية يانغ كوى فوى مع العزف على الارغن وسمعنا الناس، كان أول من خرج من المخابئ هم تلاميذ الصفوف العليا، واقتربوا منا بفضول ودهشة. ثم راحوا يغنون معنا على أنغام الأرغن. وبعد ذلك، بدأ المعلمون وسكان القرية الكبار يقتربون ويتجمعون حولنا. لقد ادهشهم سماع جنود "جيش كوريو الأحمر" يغنون اغنيات صينية بطلاقة تامة، وربما شعروا، ولو بشكل مبهم، ان هناك نقاطا مشتركة بينهم وبين الجنود.

وهكذا فان اولئك الناس الذين قابلوا وحدتنا فى البدء بفتور بالغ، شرعوا ينظرون الينا نظرات مليئة بالمودة والاعجاب.

وعندما تجمع كل سكان القرية، القيت خطابا معاديا لليابان باللغة الصينية. وبعد سماع هذا الخطاب، اخذوا يفتحون قلوبهم شيئا فشيئا، ووجهوا الينا عبارات المديح والاطراء قائلين ان "جيش كوريو الاحمر" ليس قطاع طرق او من اللصوص الخيالة، وانما هو جيش ثورى وطنى حقيقى وجيش سادة اشراف.

يمكن القول اننا اثرنا فى صينيى منشوريا الشمالية بأغنية "سوو".

لقد خبرت يومئذ بنفسى التأثير الهائل للادب والموسيقى فى توعية الناس. وقد كانت تلك التجربة احدى المرتكزات التى استندنا اليها حين أولينا الأدب والفن الاهمية اللازمة باعتبارهما سلاحا فى الثورة.

فى تلك القرية الصينية، على ضفة بحيرة جينغبوهو، واثناء الحملة الثانية الى منشوريا الشمالية انتابتنى مشاعر جياشة، حتى انى بذلت بعد تحرير البلاد جهودا كبيرة للحصول على كلمات اغنية "سوو". وقد استطعت مؤخرا، بمساعدة موظفينا، الحصول على نص هذه الاغنية باللغة الصينية.

ولفرط سعادتى، نسيت اننى قد تجاوزت الثمانين من العمر، ورحت أغنيها. وهل يمكن لمن بلغ الثمانين ان يغنى جيدا؟ ولكن، مع ان حنجرتى لم تعد قادرة على اداء اللحن بشكل صحيح، الا ان حماسة الشباب التى ابتعدت مثل سحابة فى السماء، عادت تجيش فى قلبى من جديد، وتفجر فى اعماقى مثل ماء النبع، الحنين المفرح الى ارض منشوريا الشمالية التى "حرثناها"، رغم المصاعب.

وكلما تذكرت الايام التى مهدنا فيها الطريق الشاق للنضال المشترك مع الشيوعيين الصينيين، اعزف هذه الاغنية على الارغن. واحيانا اصفر لحنها، ولكن الصفير لم يعد يخرج صافيا كما كان الحال حين كنت شابا فى العشرين او الثلاثين من عمرى.

وأود ان اورد هنا نص اغنية " سوو":

سوو يرعى الغنم

١– سوو محبوس فى ارض البرابرة،
ولكنه لم يخضع.
فى ارض سيونغنو المغطاة بالثلج والجليد
أمضى تسعة عشر عاما
يرعى الأغنام
فى مكان شمالى ناء،

يطفئ العطش بالثلج،
ويخدع الجوع بقطعة صوف من اللحاف.
كان بالروح دائما فى بلده هان،
ولكنه لم يستطع حتى الشيخوخة الرجوع اليه.
المحن والمصائب فى الغربة
لم تستطع ان تحطم ارادته الحديدية.
ولكن قلبه كان يتألم
كلما سمع انغام مزمار شجية
فى هدأة الليل البارد.

٢– سوو محبوس فى ارض البرابرة
ولكنه لم يخضع.
تهب الريح الشمالية الباردة،
ويطير الاوز البرى الى بلاد هان،
والام الشائبة تنتظر عودة ابنها الغائب،
والزوجة الشابة وحدها فى البيت المقفر.
وفى عتمة الليل الحالك،
تحلم مثلما يحلم هو، وبماذا يحلمان؟
لتجف المياه فى البحار،
ولتتفتت الصخور الى التراب.
لكن اخلاصه العظيم ثابت لا يتزعزع،
ويذهل حتى سجانوه من قبيلة سيونغنو.

ومن بين الاحداث التى وقعت فى تلك الايام فى ايمو، لا يزال حيا فى الذاكرة اللقاء فى سانكيسونغ مع شيخ كنيته كيم، اصله من زونجو. واذا كانت كلمة

ليوكيسونغ تعنى ست شجرات صنوبر فان كلمة سانكيسونغ تعنى ثلاث شجرات صنوبر. وفى بلدة سانكيسونغ اقمنا مقر القيادة فى دار اقطاعى غير بعيدة عن مركز المحافظة. وعلى بعد خمسمئة متر من هذه الدار، كان يعيش ذلك الشيخ قصير القامة، ويعمل فى زراعة قطعة أرض صغيرة بالأرز. وكان الشيخ، على حد قول جندى الاتصال، كوريا على ما يبدو، ولكنه كان لا يتكلم بالكورية، ويتظاهر بانه صينى رغم انه يتكلم بلغة صينية ركيكة.

فى احدى الليالى زرته فى بيته. تعارفنا وتبين انه كورى، وان كنيته كيم تعود فى اصولها الى زونجو وهو الموطن الاصلى لكنيتى كذلك. روى لنا انه اشترك فيما مضى فى معركة تشينغشانلى تحت امرة هونغ بوم دو، ولكنه استقر فى ايمو بعد حل الوحدة وتشتت مقاتليها، وتزوج من امرأة عجوز، وهو يعيش فى عزلة مثل ناسك. وحين عرف ان أصل كنيتى ينحدر كذلك من زونجو، فرح كثيرا، وقال انه سعيد ومتأثر جدا بهذا اللقاء مع شخص يحمل الكنية ذاتها فى الغربة. وطلب من زوجته ان تقشر الارز بهاون يعمل بالقدم، وان تطبخه. وهكذا تذوقت الأرز المقشور لأول مرة منذ وصولى الى منشوريا الشمالية.

قال لى الشيخ وهو يطلق تنهيدات عميقة:

"لقد كانت لنا اهداف طموحة أيضا. وعندما حققنا الانتصار فى معركة فينغويكو بقيادة هونغ بوم دو، خيل الينا ان استقلال كوريا سيتحقق بين لحظة واخرى. بل اننى حلمت باننا ندخل مظفرين الى سيؤول عبر بوابة الاستقلال. اما الآن، فلم أعد شيئا يذكر، اننى مثل حبة رمل فى السهول او حصوة على حافة الطريق. كم هو مؤسف ان تمضى الايام هكذا دون عمل اى شىء، بينما التجاعيد تزداد عمقا فى وجهى! ان سعادتى الوحيدة فى هذه الأرض النائية من منشوريا الشمالية، حيث يسود بنى هان، هى لقائى مع ابناء امتى من الكوريين، وهو أمر نادر الحدوث مثل ندرة النجوم فى فصل الامطار. حبذا لو تستقر وحدتك ايها القائد كيم فى ارض ايمو ولا تعود الى تشينتاو."

وشعرت بالمرارة حين فكرت بانه مع تعمق التجاعيد فى وجهه، يتلاشى حلمه

النبيل باستعادة البلاد، ذلك الحلم الذى داعبه فى شبابه وحمل من اجله البندقية ذات الفتيل. ولكننى رغم الكآبة، أكدت عزمى على مواصلة طريق الظفر وعدم التوقف عن النضال مهما كانت العوائق، لكى نحقق نحن الشباب على الأقل الحلم الذى سعى اليه هذا الشيخ.

لاحظت ان احدى اذنى الشيخ غير موجودة. وبعد الانتهاء من تناول العشاء، تحادثنا فى مواضيع مختلفة، ثم سألته اخيرا عما جرى لاذنه، فاجاب وهو يبتسم ابتسامة حزينة انه فقدها اثناء صيد السمك فى نهر موتانكيانغ. وقال انه فتح فى احد الايام ثغرة فى الجليد الذى يغطى النهر، لكى يصطاد بالخطاف. فامسك سمكة شبوط كبيرة، ولكنها راحت تتملص وتتلوى بشدة، وفى احدى طفراتها أصابت اذنه المتجمدة من البرد واطاحت بها. أحسست بالاسى الشديد لأجله. وواظبت على زيارته كل ليلة خلال الاسبوع الذى امضيناه فى القرية، لاستمع الى احاديثه عن هونغ بوم دو.

عندما فتح الناس لنا قلوبهم، تأكد لى ان سكان ايمو، مثلهم مثل سكان تشينتاو، يكنون عداء شديدا لليابان. والسبب فى عدائهم للشيوعية هو عدم وجود منظمة تقودهم وتوجههم. وفى سياق عملنا مع الجماهير، اقمنا علاقات ودية مع ليو يونغ شينغ، عميد المئة اسرة فى القرية رقم ٤ فى تشينغكوجى، وقد نقلنا مقر القيادة الى بيته فى الفترة الاخيرة.

كان ليو يونغ شينغ يرى ان وحدتنا هى جيش غريب جدا. فجنودها يجتمعون فى الليل حول النار، دون ان يزعجوا الاهالى، فيدرسون أو يمرحون راقصين ومغنين دون تمييز بين المقاتلين والمقاتلات. فالجماعات المسلحة التى رآها حتى ذلك الحين، وبغض النظر عن اسمائها، كانت تصدر الأوامر التعسفية الى السكان وعيون افرادها تطلق الشرر وتكاد تقفز من محاجرها. اما "جيش كوريو الاحمر" الذى جاء من تشينتاو، فجميع اهل القرية يقولون انه جيش غريب الاطوار، فهو ينقل اليهم الماء وينظف فناء بيوتهم ويقص شعور اولادهم ويتعامل رؤساؤه ومرؤوسوه فيما بينهم باحترام ودون أى فروق، كما لو انهم اخوة حقيقيون.

فى مساء أحد الأيام، تلقينا من ليو يونغ شينغ خبرا غير سار يقول ان وحدة من

الحامية اليابانية المرابطة فى القرية رقم ٦، واخرى من جيش منشوكو العميل تستعدان للهجوم على القرية رقم ٤. وعلى الفور امرت الوحدة كلها بالنوم. وقد اضطر المقاتلون الى النوم باكرا، على الرغم من ان موعد النوم لم يكن قد حان.

ابدى عميد المئة اسرة الدهشة. وأخذ يفكر: لو كان الموجود هنا جيشا آخر لسارع الى الهرب لتجنب الاعداء، اما مقاتلو "جيش كوريو الاحمر" هذا، فلم يستبعدوا فكرة الفرار وحسب، بل انهم يستعدون للبقاء والنوم أيضا، يا للغرابة!

ولم يستطع النوم طوال الليل لانه بقى يخرج ويدخل قلقا من أن يهاجمنا العدو فجأة.

دعوته وقلت له:

"ايها السيد العميد، لا تقلق ونم مطمئنا. فجيشنا سيدافع عن القرية مثل صخرة."

بقى العميد قلقا لا يجد الى الاطمئنان سبيلا، وقال:

"كيف سيدافع عن القرية مثل صخرة هذا الجيش الذى ينام فى ساعة مبكرة؟"

"ألا ترى الحراس؟ (جيش كوريو الاحمر) لا يمارس التبجح الباطل. هذه الليلة لن يحدث أى شىء، ويمكنك أن تنام مطمئن البال. ولكن غدا صباحا، بعد رحيلنا، اذهب الى الاعداء وابلغهم ان (جيش كوريو الاحمر) كان هنا. احك عن كل ما رأيته بعينيك."

"كيف افعل هذا؟ لا انوى الوشاية بجيش ممتاز مثل (جيش كوريو الاحمر)."

"لا، ايها السيد العميد، لا ترفض، أرجوك ان تفعل ذلك لأن فيه نجاتنا ونجاتك ونجاة القرية كلها. وستعرف السبب عما قريب."

كنا نريد بتلك الاستراتيجية اجبار العدو المتمركز فى قرية الاعتقال الجماعى على الخروج. وفى صباح اليوم التالى، غادرنا القرية رقم ٤ وسرنا فى الطريق الى ايمو. وفى الطريق ابقينا سرية فى كمين على مرتفع الى الجنوب الغربى. وحين تلقى الاعداء اخبارية العميد ليو يونغ شينغ، اندفعت قوة "تأديبية" من بضع مئات من الجنود لمطاردة قواتنا الرئيسية بجنون.

وهكذا قامت الحملة الى منشوريا الشمالية بأول عملية استدراج وكمين منذ وصولها الى ايمو. وقد ابدنا كليا الحامية اليابانية (وكانوا يسمونها ايضا الدرك) التى اشتركت فى هذه المعركة. وقد نجا جندى واحد منهم والتقطته طائرة يابانية، ولكن الطائرة نفسها اصيبت بحادث عند الهبوط وتحطمت حين كان ذلك الجندى على متنها. وقد قيل لى أن "النصب التذكارى لأرواح المخلصين" الذى اقامه الامبرياليون اليابانيون فى القرية رقم ٦ فى تشينغكوجى كان لا يزال قائما حين ذهب فريق استقصاء بلادنا الى هناك فى سنة ١٩٥٩.

لقد خضنا معركة اخرى بالقرب من غواندى فى شهر كانون الأول ١٩٣٥. وقد اطلق على هذه المعركة ايضا اسم معركة ليوتشايكو، وفيها ابدنا تقريبا جميع الجنود الذين واجهونا، وكان عددهم نحو مئتى جندى. وفى هذه المعركة بالذات، شاعت نادرة عن ذلك الضابط المعادى الذى سيطر عليه الذعر، فاختبأ فى تابوت كما لو كان جثة.

من الصعب تعداد جميع المعارك التى خضنا غمارها فى ارض منشوريا الشمالية. وفى خريف سنة ١٩٣٥، عندما كنا "نحرث" منطقة ايمو بحماسة واجتهاد، ابلغتنا الاممية الشيوعية بواسطة جو باو جونغ انه تم تشكيل قيادة عامة للعمليات المشتركة للفيلقين الثانى والخامس، وانه تم تعيينى مفوضا سياسيا لهذه القيادة وقائدا لوحدة ويهى فى الوقت نفسه. ويبدو انهم حين اتخذوا ذلك القرار، وضعوا فى اعتبارهم نشاطاتى السابقة، حيث كنت قد عملت مفوضا سياسيا لكتيبة وفوج وفرقة على التوالى.

لم اكن ارغب فى هذا التعيين. ولم اكن ارغب فى شغل وظيفة قيادية، بل كنت اتحرق شوقا الى اللقاء مع نواة الشيوعيين الكوريين العاملين فى منشوريا الشمالية. ولكن هذه الوظيفة غير المتوقعة جعلتنى اترك اشواقى جانبا. فقد صار على ان اقوم بالعمل السياسى فى فيلق آخر، فضلا عن العبء الكبير فى عمليات وحدة الحملة. وهكذا وجدت نفسى مضطرا الى الاسراع فى الذهاب الى نينغآن وغيرها من المحافظات المجاورة لتوجيه النشاطات السياسية للفيلقين، وتأجيل اللقاء مع رفاق

السلاح فى منشوريا الشمالية الى ما قبل او بعد اجتماع نانهوتو.

فى سياق هذا العمل، عززنا علاقتنا بالشيوعيين الصينيين على اسس اكثر رسوخا. وكان ما جنيناه اكبر بكثير مما توخيناه عند بدء الحملة.

الشىء الوحيد الذى احزننا هو اننا اضطررنا أن نرجئ الى مستقبل بعيد الاتصال المباشر مع كيم تشايك وتشاى يونغ كون، بعد ان كان ذلك اللقاء فى عداد أهم اهداف حملتنا. ففى تلك الأيام التى حافظنا فيها على علاقاتنا مع الشيوعيين الصينيين، لم ننس يوما الشيوعيين والوطنيين الكوريين الذين كانوا يخوضون معارك دامية فى ارجاء منشوريا الشمالية الفسيحة، متغلبين على شتى المصاعب. وكلما كان يتأجل موعد اللقاء، كانت تشتد وتتعمق مشاعر الشوق الى الرفاق فى قلبنا.

لم يتلق الشيوعيون الكوريون العاملون فى منشوريا الشرقية والجنوبية والشمالية للمرة الأولى ولم يتعارفوا ويتعانقوا بانفعال وحب متدفقين الا فى اوائل سنة ١٩٤١. ومنذ ذلك الحين، اعددنا معا للمعركة الحاسمة من أجل تحرير الوطن، حيث كنا نعيش فى المعسكر نفسه ونأكل طعاما طهى فى القدر نفسها، ولدى عودتنا الى الوطن المستعاد، دخلنا معا فى بوتقة بناء البلاد.

لقد كانوا مناضلين مخلصين، خاضوا معى فى أحرج سنوات القرن العشرين الحرب المناهضة لليابان والحرب ضد المعتدين الامريكيين، ومضوا يقتحمون دون كلل قمم الاصلاحات الديمقراطية والبناء الاشتراكى الوعرة.

وحتى الوقت الحاضر، مازال المناضلون الذين حاربوا فى منشوريا الشمالية يشاطروننى الاتراح والافراح فى الجهود الرامية الى تأليق الاشتراكية على نمطنا. وانى اتمنى الا يكون لهؤلاء الرفاق المخلصين الذين ساروا معى طوال اكثر من خمسين سنة على طريق واحد فى سبيل قضيتنا العظيمة، غير الغد المشرق والسعيد والذكريات الطيبة النقية.

٢ــ علاقات فريدة

كانت لنا علاقات بمنطقة ايمو فى منشوريا الشمالية منذ ايام جيلين. وفى ذلك الزمان كانت تشياوهى وسينجان وشانسونغ تابعة لتلك المحافظة، حيث انشأنا بالتعاون مع كانغ ميونغ كون منظمة ثورية باسم "رابطة ريوسين للشباب"، وعملنا مع اعضائها الشبان والشابات. وقد غيرت المحافظة اسمها فى اواخر الثلاثينات واصبحت تسمى محافظة تشياوهى.

وخلال الحملة الثانية الى منشوريا الشمالية مشينا فى ايمو عدة آلاف رى. وقد نثرنا بذور الثورة حينئذ فى قرى تشينغكوجى وبيبادينغجى ونانتيانمين وسانداوكو ومالوكو وسينسينغتون وغواندى وليوتشايكو وسانكيسونغ وموتانكيانغتشون وهييشيسيانغ وتوياوجى، وهى فى الوقت نفسه مواقع عمليات تاريخية توقظ ذكريات عميقة، وفيها خلفنا آثارا من مآثر وحدة الحملة الى منشوريا الشمالية.

وفى اثناء ذلك شهدنا كثيرا من الاحداث المهمة، والتقينا بكثير من الناس الذين بقيت لدينا منهم انطباعات لا تمحى.

فى الوقت الذى قمنا فيه بالحملة الثانية الى منشوريا الشمالية كانت هنالك اماكن كثيرة لم تصلها رياح الثورة، ولهذا لم يكن قلق جو باو جونغ غريبا على الاطلاق عندما قال لنا ونحن نبحث موضوع الحملة الى ايمو:

"انت أيها القائد كيم، الذى استطعت يوما ان تكسب الى جانبك شيخا عنيدا وفظا مثل وو وى تشينغ، لن تكون فى الأمر أى مشكلة بالنسبة اليك هناك. ولكن لا تنس اننا كنا فى الربيع الماضى فى ايمو، واينما توجهنا كانوا يقابلوننا بالصدود صارخين فى وجوهنا (هونهوزى)."

هذه الكلمة الصينية، تعنى قطاع الطرق الحمر، فالمقطع الأول من مقاطعها الثلاثة يعنى "أحمر"، والمقطع الثانى يعنى "خارج على القانون"، والمقطع الثالث هو اضافة لاحقة تشير الى "المهنة".

ويقال ان وو وى تشينغ الذى كان ينظر فى زمن سابق باستخفاف الى الشيوعيين، استخدم تلك العبارة يوما فى شتم جو باو جونغ، وفيما بعد، اصبح هذا التعبير صفة ملاصقة لجيش الشيوعيين، دون أن يعرف احد كيف شاع وانتشر.

وفعلا، مثلما قال جو باو جونغ، قوبلت قوات حملتنا بمعاملة "هونهوزى" منذ اللحظة الأولى لوصولها الى ايمو. فقد اختبأ سكانها عند رؤية وحدتنا وأخلوا شوارع القرية وهم يقولون: "جيش كوريو الاحمر"، وهذا يعنى انهم كانوا يخافوننا مثل خوفهم من "هونهوزى". ومما لا ريب فيه ان كلمة "هون" الاحمر كانت مرادفة فى عرفهم للفساد والقسوة.

ونظرا لهذا الوضع، كنا فى الحملة نخصص وقتا طويلا للعمل مع الجماهير. وليس وقت العمل مع الجماهير وقتا ضائعا. فبفضله صار الناس الذين تحاشوا من قبل الجيش الثورى الشعبى، يتحولون الى اصدقاء مخلصين ومتعاونين معنا، وسار الذين كانوا يعادوننا على طريق التحالف والتعاون مع الشيوعيين. وقد غمرنا عندئذ شعور بارتياح لا مثيل له وغبطة اكبر من فرحة من يحصل فجأة على مبلغ طائل من المال.

فبينما كانت ماتزال حية امام اعيننا الوجوه الباكية للسكان الذين غادروا قواعد حرب العصابات بعد اجتماع ياوينغكو، وكنا مستنفدين جسديا وذهنيا، تثقل علينا مخاوف لا حصر لها على مصير الثورة، جاءت النجاحات التى توصلنا اليها فى ايمو لتبعث فينا فرحا لا سبيل الى وصفه. فأعظم فرحة بالنسبة للثورى هى كسب الرفاق والاصدقاء واعظم مصيبة عنده هى فقدانهم.

قبل ان ندخل حدود محافظة ايمو، كنا قد تعرفنا فى سياوشانجويجى، على ضفاف بحيرة جينغبوهو، على صياد سمك صينى اسمه تشاى هى واستطعنا بمساعدته ان نعبر البحيرة دون مصاعب. وكان تشاى هى حتى التقائه بنا، يتجنب الجيش الثورى. فهذا الصياد البسيط مارس عمله طوال ثلاثين سنة تقريبا، مذ كان

فى التاسعة عشرة، وكان الصيد هو مهنته الوحيدة لكسب قوته. وكان مقتنعا تماما بدعاية اليابانيين التى تصور "جيش كوريو الاحمر" "بعصابة من اللصوص". ولكنه عندما رأى مظهر وحدتنا العسكرى وانضباطها وسلوك مقاتليها البسيط والمتواضع، أعجب بالوحدة وغير موقفه من الجيش الثورى وعاملنا بصدق واخلاص.

يقال ان نهرا يعترض الطريق يعنى مسير الف رى، وهكذا فان النهر الذى يعترض طريق الحملة يعنى طريقا طوله الف رى. ولذا لا يمكننا ان ننسى مدى الحياة مساعدة تشاى هى الذى غافل حراسة العدو وساعدنا بكل حماس لعبور البحيرة.

فى سنة ١٩٥٩ قام فريق استقصاء ميدانى بزيارة للصين وقد جاءنى اعضاء الفريق بصورة له. رأيت فى الصورة شيخا مجعد الوجه يقارب السبعين من العمر، وقد تأثرت لذلك كثيرا، خصوصا واننى احتفظت فى ذاكرتى بصورة قامته الفارعة ورقبته الطويلة.

لقد كسبنا فى ارض ايمو بالفعل كثيرا من الاصدقاء الاوفياء واستملنا الجماهير لجانبنا. ومنهم عميد المائة اسرة ليو يونغ شينغ الذى وفر لنا التموين خلال معركة تشينغكوجى معرضا حياته للخطر، والشيخ ليو تشون فا الذى جند ابنه فى جيش حرب العصابات قرب هييشيسيانغ.

ومع تغلغلنا فى اعماق الشعب وعملنا مع شرائح وفئات مختلفة من السكان، توصلنا الى اقامة علاقات ودية وثيقة حتى مع قائد فوج من جيش منشوكو العميل.

حدث ذلك على ما اذكر فى بداية سنة ١٩٣٦، لأن وحدتنا كانت تقوم حينئذ بمسيرة شاقة، طوال ليلة كاملة، للهجوم على محطة قطع الاشجار فى الطريق الى محافظة تونهوا. وعندما بزغ الفجر توقفنا للاستراحة فى بيت احد الاقطاعيين على جانب الطريق الرئيسى. وكان البيت مهيبا ومحاطا بسور ترابى كبير، بل وكان فيه حصن كذلك. ولكن لم يكن فى بيته مسلحون خاصون، لان جيش منشوكو العميل كان قد تم تنظيمه فى ذلك الوقت، ولم يكن اليابانيون يسمحون لأحد بامتلاك تشكيلات مسلحة خاصة.

كان بيت الاقطاعى يتألف من مبنيين. نزل المقاتلون فى احدهما، ونزل فى

الآخر اعضاء القيادة ومسؤولو الامداد والتموين. ونظمنا نوبات لحراسة الباب الرئيسى يتولاها ثلاثة مقاتلين متنكرين بملابس الخدام لمراقبة المكان، وتركنا المقاتلين يستريحون.

وفى حوالى الساعة الرابعة عصرا، جاءنا من مركز الحراسة خبر يقول ان هناك عربة تقترب. وبعد قليل توقفت العربة أمام باب البيت وخرجت منها سيدة يسندها جندى وتوجهت مباشرة الى فناء البيت طالبة السماح لها بالدخول لكى تتدفأ قليلا.

القيت نظرة الى الخارج، فرأيت فى وسط الفناء الذى تعصف فيه رياح ثلجية، امرأة شابة حسناء متلفعة بمعطفين من فرو الثعلب. وتجمع مقاتلونا المأخوذون بلباس السيدة المترف وانهالوا على المرأة المجهولة بالاسئلة.

حين سألت من تكون هذه المرأة، أجابنى حارس شاب بخيلاء كما لو انه قبض على جاسوس مهم: "ايها الرفيق القائد، انها امرأة تثير الشبهات". وبينما كان الحارس يتكلم، لم يتوقف عن التحديق فيها بارتياب.

اما الشابة الصينية الخائفة جدا، فكانت ترتجف دون ان تتمكن من النطق بكلمة واحدة.

أنبت الجندى الذى كان يريد تفتيشها وأمرته قائلا:

"ايها الرفيق الحارس، دع المرأة تدخل لتتدفأ."

وحتى بعد دخولها بقيت ترتجف قليلا دون ان تتجرأ على رفع رأسها. فقلت لها بالصينية لكى أهدئ من روعها:

"لا تخافى ايتها السيدة. تدفأى كما تشاءين. واذا كان الحارس قد اساء الاحترام، فارجو المعذرة. فهو مايزال فتى."

سكبت لها فنجان شاى وقربت منها المنقل.

"لا ادرى كيف تنظرين الينا. نحن من الجيش الثورى الشعبى الذى يسميه السكان هنا (جيش كوريو الاحمر). هل سمعت (بجيش كوريو الاحمر)؟"

فاجابت المرأة بصوت يكاد لا يسمع، دون ان ترفع رأسها:

" نعم، قليلا."

" لحسن الحظ انك تعرفين شيئا عنا. ان جيشنا، (جيش كوريو الأحمر) ليس عصابة لصوص تعتدى على حياة الشعب أو ممتلكاته كما يشيع اليابانيون. نحن قوات مسلحة شعبية وهدفنا مقاومة اليابانيين وانقاذ الوطن. اننا نحارب ضد الامبرياليين اليابانيين الذين اعتدوا على كوريا والصين، وضد اتباعهم، ولكننا لا نلحق ادنى ضرر بحياة الشعب وممتلكاته. ولهذا يمكنك الاطمئنان تماما."

ضمت المرأة راحتيها علامة على الشكر، ولكن دون ان يفارق وجهها خليط من مشاعر القلق والخوف وعدم الثقة.

واصلت حديثى لاطمئنها:

"اننا لا نريد مساءلتك او معاقبتك لكونك تسافرين بمرافقة جندى من جيش منشوكو العميل. ولن نسأل لماذا يحرسك. ولماذا نهين المسافرين او نسىء اليهم اذا كانوا لا يسببون الضرر للشعب او للجيش الثورى؟ نحن مسافرون ايضا، وقد نزلنا هنا لاستراحة قصيرة باذن من رب البيت. وهكذا بوسعك ان تتدفأى ثم تتابعى طريقك دون أية مخاوف."

عندئذ فقط، تنفست المرأة الصعداء ورفعت رأسها بحذر. وفى اللحظة التى نظرت فيها الى، بدت فى عينيها علائم الاستغراب والدهشة. فضمت يديها الى صدرها وعضت شفتيها بلهفة.

"ما المسألة؟ أما زلت لا تصدقين كلامى؟"

"كلا، ليس كذلك... ولكن مظهرك ايها السيد القائد... لقد كنت موقنة من انك رجل طيب..."

وبينما هى تدمدم بتلك الكلمات غير المترابطة، بصوت يكاد يكون همسا، كانت تنظر الى بتمعن.

فى تلك اللحظة بالذات، ظهر عند الباب او بايك ريونغ بعد ان استجوب الحارس الذى يرافق المرأة. وكان مظهره كمظهر صياد امسك بنمر عندما قال لى باللغة الكورية التى لا تفهمها السيدة الصينية:

"ايها القائد، لقد اعترف الحارس ان هذه المرأة هى زوجة قائد الفوج الثانى

عشر من جيش منشوكو العميل. وهذا يعنى ان سمكة كبيرة قد اوقعت نفسها فى الشبكة."

"ايها الرفيق بايك ريونغ، لا تتبجح هكذا. سنعرف فيما بعد اذا ما كانت سمكة كبيرة ام لا."

قلت هذا، ولكنى فوجئت فى الواقع كثيرا حين عرفت من تكون. فرتبة آمر الفوج ليست منصبا بسيطا بأى حال. فهى حسب تسلسل الرتب فى جيش منشوكو العميل، الرتبة الرابعة الأعلى، ولكن الوصول اليها يتطلب ارتقاء ثلاث عشرة رتبة فى سلم المراتب العسكرية. وفى أحيان كثيرة، كانت قيادة احد الافواج تتولى الاشراف على عدة محافظات. ولا حاجة للحديث عن مدى الصلاحيات التى يتمتع بها قائد يشرف على مساحة واسعة كهذه. وكان يعسكر آنذاك فى محافظة ايمو فوج المشاة الثانى عشر من اللواء المختلط التاسع لجيش منشوكو العميل الذى كان مقر قيادته فى تشياوهى.

ولم تفتنى أهمية اللقاء بزوجة قائد فوج من جيش منشوكو العميل فى تلك الظروف، خصوصا واننا كنا نطرح مسألة تفكيك الجيش المعادى كمهمة استراتيجية بالغة الأهمية. ولكن لم يبد على بالطبع أى تبدل حتى بعد معرفتى حقيقتها.

"هل كنت تظنين أيتها السيدة اننا سنعاقبك لانك زوجة قائد فوج فى جيش منشوكو العميل؟"

فركت المرأة يديها مرتبكة:

"ألا تظن... اذا لم اكن مخطئة... ايها السيد القائد، فاننى استميحك العذر وأود ان أسألك اذا ما كان اسمك كيم سونغ جو..."

كان سؤالا مفاجئا تماما، وجاء دورى لاخفاء دهشتى. فاذا كانت زوجة قائد فوج من جيش منشوكو العميل التقيت بها صدفة فى منشوريا الشمالية البعيدة بضع مئات رى عن تشينتاو تعرف اسمى الطفولى، فهذا حدث خارق للعادة لا يمكن المرور به دون اهتمام. من اين عرفت اسمى هذه السيدة الثرية التى لم ارها مطلقا من قبل؟ والى جانب الدهشة، تملكنى الفضول فى حل هذه الاحجية.

" يبدو لى غريبا فى الواقع أن اسمع اسمى الطفولى فى ارض ايمو. كان اسمى كيم سونغ جو، وانا الآن كيم إيل سونغ. ولكن من اين تعرفين اسمى ايتها السيدة ؟"

احمر وجه زوجة قائد الفوج مثل جمرة. واستطعت ان أقرأ فى وجهها رغبة فى ان تقول ما لا يهون عليها قوله.

"عندما كان السيد سونغ جو يقود الحركة الشبابية والطلابية فى جيلين، كنت تلميذة فى مدرسة ثانوية للاناث. ومنذ ذلك الحين اعرفك."

"آه! هكذا اذن. تسعدنى رؤيتك."

وعندئذ فقط ادركت معنى البريق الذى بدا فى عينيها عندما رفعت رأسها ونظرت الى لاول مرة. فيا لغرابة المصادفات التى جعلتنى ألتقى فى ارض ايمو المجدبة بتلميذة سابقة من مدرسة ثانوية فى جيلين! ان كلمة "جيلين" وحدها ايقظت فى صدرى شعورا عابقا بالحنين. فقد كنت آنذاك ولا ازال حتى الآن اكن حبا عميقا لهذه المدينة التى آوتنى بحنان عدة سنوات.

وحين قرأت المرأة فى وجهى الحنين الصادق للايام الماضية، قالت بصوت أكثر اطمئنانا:

"هل تتذكر خريف ١٩٢٨، عندما قامت حملة ضد مد خط حديد جيلين- هويريونغ؟ كم كانت جيلين تغلى وتفور فى تلك الأيام! قد لا تصدقنى اذا قلت لك اننى اشتركت أيضا فى مظاهرات طلابية آنذاك. ولا يزال ماثلا فى ذاكرتى حتى الآن الخطاب الذى سمعته من السيد سونغ جو فى فناء مبنى البرلمان الاقليمى..."

وانحدرت دموع صامتة من عينى من كانت فيما مضى تلميذة فى مدرسة ثانوية للاناث فى جيلين تهتف بالشعارات فى المظاهرات، وتحولت الآن الى زوجة قائد فوج، الى امرأة تتلفع بمعطف من فرو الثعلب وتمضى دون أى اهتمامات بمرافقة حارس لزيارة بيت والديها.

عدت الى امعان النظر فيها وأنا مذهول لهذا التبدل الكبير. لقد كانت لها حتى الامس القريب مشاعر مناهضة لليابان، ولكنها اليوم تركب القطار الموالى لليابان. ورحت افكر بعمق بالسبب الذى دفعها الى هذا التبدل الكبير. أيكون ذلك بسبب يأسها

من مصير الأمة؟ ولكنى لدى رؤية المرأة التى تستعيد بهذا الانفعال الشديد ذكرى سنوات جيلين، ادركت انها مازالت تحتفظ فى اعماق روحها بآثار من نضالها ضد اليابان. ان بكاءها امامنا هو تعبير عن ندمها على حياتها، وعلى الرغم من خجلها، فانها تذكرت أيام دراستها. لماذا ذعرت هذه المرأة جدا حين رأتنى وبدت كما لو انها اصيبت بصعقة كهربائية؟ من المؤكد انها معاناة الضمير.

"لماذا لا تتكلم يا سيد سونغ جو؟ اعذرنى. تلك الفتاة التى لوحت بقبضتها تأييدا لخطابك، أصبحت الآن... لدى رؤيتك باللباس العسكرى وانت تجتاز الصعاب... أشعر بالتأثر ... وبالعار."

وانحدرت الدموع على وجنتيها ثانية.

"هدئى من روعك يا سيدة. يجب ألا تستهترى بنفسك الى هذا الحد. ان الوضع قاس جدا ولا يسمح بالاستسلام لليأس والخذلان. ان الوضع الداخلى والخارجى يدعو كل ابناء وبنات الصين وكل مثقفيها الذين يحبون الوطن والشعب الى ساحة النضال ضد اليابان من اجل الخلاص الوطنى. فهل هناك قانون يمنعك من المشاركة فى النضال ضد اليابان لمجرد كونك زوجة قائد فوج؟"

حين سمعتنى المرأة أقول ذلك، مسحت دموعها ورفعت رأسها.

"أتعنى انه مازال بامكانى الانضمام الى هؤلاء الناس على الرغم من الوضع الذى وصلت اليه؟"

"نعم. اذا أنت مارست تأثيرا جيدا على زوجك، بحيث يتخلى على الأقل عن شن عمليات (تأديب) ضد الجيش الثورى، فان ذلك سيشكل مساهمة فى النضال ضد اليابان. ان قيادة فوج فى جيش منشوكو العميل ليست رتبة صغيرة. ولكنى اعتقد ان المسألة ليست فى الرتبة. المسألة هى ألا ينسى زوجك انه صينى."

"صحيح ان زوجى قائد فوج، ولكنه يخدم هناك دون رغبة منه. انه يحتفظ فى اعماقه بضمير وطنى. ولسوف افعل كما نصحتنى يا سيد سونغ جو، وساقنع زوجى بألا يدفع مرؤوسيه الى عمليات (التأديب) ضد جيش حرب العصابات. يمكنك الثقة بما اقوله."

" ما اجمل ان يتحقق ذلك! ان انتقال قائد فوج من موقع الموالاة لليابان الى المقاومة المناهضة لليابان يعنى ان مرؤوسيه ايضا سيسيرون على طريق الوطنية. وفى هذا بالذات طريق البعث لك ولزوجك."

ولأبث فيها الحماس، حدثتها عن ضباط من جيش منشوكو العميل فى تشينتاو كانوا موالين لليابانيين، ثم انتقلوا الى النضال ضدهم.

وقالت المرأة ان ذلك اللقاء هو بركة وهبة من السماء؛ وان كلماتى تجعلها تفكر باشياء كثيرة؛ واننى احييت فيها روح فترة الحياة فى جيلين، وهديتها مع زوجها الى طريق الانبعاث. وأكدت لى انها لن تنسى جميلى طوال حياتها، وعاهدتنى بان تعيش كابنة جديرة للشعب الصينى.

وأريتها منشورات دعائية بينها برنامج النقاط الست للمقاومة المناهضة لليابان والخلاص الوطنى الذى نشرته سونغ تشينغ لينغ وتشانغ ناى تشى وغيرهما فى شنغهاى. وهو ذلك البرنامج نفسه الذى أطلعنى عليه وو بينغ فى كوخ جو باو جونغ الجبلى فى نينغآن، اثناء حملتنا الاولى الى منشوريا الشمالية.

نظرت زوجة قائد الفوج الى الساعة، ثم اخرجت من عبها شيئا ملفوفا بورق ابيض ووضعته امامى. كانت حزمة اوراق نقدية صينية. وقالت انها حصلت على هذا المال من بيع الافيون وتوسلت الى ان اقبله للنفقات العسكرية.

شكرناها على ما قدمته، ولكننا لم نستطع قبوله.

"احتفظى بهذا المال. لقد استعدت اليوم زميلة سابقة فى المقاومة المعادية لليابان كنت قد فقدتها، وهذا يكفينى. أشعر كما لو اننى حصلت على ثروة كبيرة."

فعادت تبكى من جديد.

وقبل ان نفترق، كرمناها بعشاء عامر وشهى. وعند مغادرتها بيت الاقطاعى اخبرتنى باسمها. ولكن لم يبق اليوم فى ذاكرتى سوى كنيتها " تشى"، أما اسمها فقد نسيته للأسف.

بعد فترة من الوقت تلقينا رسالة من آمر الفوج، وقد قال فى رسالته الطويلة اننا انبل من فى العالم. واعلن التزامه الثابت. وكتب يقول انه مستعد لمد يد المساعدة

مهما كان الثمن لمن صانوا حياة زوجته وانقذوه من مستنقع الجرائم وقادوه الى طريق الوطنية. وكانت كنيته "تشانغ"، أما اسمه فلم اعد اتذكره كذلك.

وفيما بعد، ارسلنا مسؤول التموين الى ضواحى حاضرة محافظة ايمو من اجل الاستعدادات للاحتفال برأس السنة القمرية. ولانه أراد شراء لحم خنزير مجمد ومواد اخرى ضرورية للحفلة، فقد توغل الى داخل البلدة، ولكن الشرطة اعتقلته قبل أن ينفذ مهمته. ولسنا ندرى عبر اى سبيل وصل النبأ الى مسامع قائد الفوج نفسه. فطلب من الشرطة ان تسلمه المعتقل متعللا بان قضايا الجيش الثورى الشعبى هى من اختصاص السلطات العسكرية.

ظن مسئول التموين فى البداية ان قائد الفوج يريد اعدامه؛ ولكن هذا الأخير عامله كضيف مهم، وكرمه بمائدة عامرة أعدتها زوجته بناء على طلبه. واعرب له عن امتنانه لوحدة القائد كيم للمساعدة الكريمة التى قدمتها لزوجته، وانه لن يقوم بأية عملية "تأديبية" ضدها مهما كانت الظروف، وسيلتزم بذلك حتى لو كلفه حياته، ودعاه الى الثقة بوعوده. وقال انه عندما تلتقى وحدته بجيش حرب العصابات، سيطلق ثلاث رصاصات فى الفضاء لكى نعرف ان وحدته موجودة فى المكان، ونمر بأمان متظاهرين باننا لم نر شيئا؛ وانه لن ينسى حتى الموت جميل القائد كيم، ورجا رفيقنا فى النهاية ان ينقل الى تحياته المخلصة.

وقد حافظ فعلا على وعوده التى قطعها على نفسه امام مسؤول تموينا.

ففى ذلك الوقت، حين أقمنا فى قرية سانكيسونغ، كانت توجد فى جهة غواندى وحدة يابانية، وبالقرب من محافظة ايمو كان يرابط فوج جيش منشوكو العميل. وكان الطرفان كلاهما يقومان بعمليات "التأديب"، ولكن الفوج الذى يترأسه ذلك الضابط كان يتفادى القتال لدى كل مواجهة مع وحدتنا. وكنا نحن بدورنا لا نوجه رصاصنا الا للقوات اليابانية.

كانت الخوذة فى ذلك الوقت من العلائم المهمة لتمييز القوات اليابانية عن جيش منشوكو العميل. وكانت المعادلة الشائعة فى جميع وحدات حرب العصابات هى ان من يضعون الخوذ هم اليابانيون ومن لا يستخدمون الخوذ هم من جيش منشوكو

العميل. ولكن جنود هذا الاخير بدؤوا يظهرون فى ساحة القتال فيما بعد وهم يضعون الخوذ. ولهذا حذرناهم من اننا سنطلق النار دون تمييز على الجنود الذين يضعون الخوذ باعتبارهم جنودا يابانيين، اما من لا يريد ان يحارب جيش حرب العصابات فعليه ان ينزع الخوذة. وبعد ذلك التحذير كان جنود جيش منشوكو العميل ينزعون الخوذ عند الاقتراب منا لنتعرف عليهم.

كان المغاورون يهاجمون عادة مقدمة الوحدة المعادية او مؤخرتها، وذلك حسب المكان الذى يتواجد فيه ذوو الخوذ. فكان الجنود اليابانيون يقولون بمرارة : "يا للعجب! فهؤلاء المغاورون لا يوجهون ضرباتهم الا لنا". وكنا نطلب من جيش منشوكو العميل ان ينبهنا باطلاق رصاصات طائشة عندما يشترك فى عملية "التأديب". وكان يلتزم بذلك تماما. وعندما لم تكن تتوفر الفرصة لاطلاق تلك الطلقات الطائشة، كان جنود جيش منشوكو العميل يخبروننا بمكان وجودهم باثارة ضجة كبيرة يشارك فيها عشرات او مئات من الجنود الصاخبين.

وقد ارسل الينا قائد الفوج تشانغ كميات كبيرة من المؤن. فقد كان يأمر بين الحين والآخر بملء العربات بلحم الخنزير والشوشبرك الصينى المجمد بحجة القيام بعملية "تأديبية"، ثم يأمر مرؤوسيه بايصال المواد الغذائية الى اماكن الاتصال مع وحدتنا. وكان فى اثناء ذلك يخرج مع بعض قواته الى اماكن لا وجود فيها لاى مغاورين ويقضى عدة ساعات متنقلا فى تلك الاماكن قبل أن يعود الى ثكنته.

عندما كانت وحدتنا تعسكر فى قرية قرب غواندى، حدث فى احد الأيام ان جاءنى عدد من الآمرين ليبلغونى بحالة المقاتلين المعنوية قبيل عيد رأس السنة القمرية، وطلبوا الاذن بالخروج للحصول على بعض المؤن، مثل دقيق الحنطة السوداء او البطاطا من القرية لتحضير شيء من الشعيرية على الأقل للعيد.

قدرت ان ذلك سيكون عبئا على السكان، فرفضت الاقتراح، بل وأصدرت الأمر الى الوحدة بالمسير. لقد كان السكان المبتهجون لانهم سيحتفلون بالعيد مع وحدة القائد كيم، يعدون للاحتفال بشكل باذخ جدا. حتى انهم كانوا على وشك انفاق احتياطيهم من المؤن لعدة اشهر فى تحضير مأكولات خاصة بالعيد. وكان هذا هو

السبب الذى جعلنى أصدر الأمر للوحدة بمغادرة القرية على عجل. وقد غادرنا المكان بالفعل عملا بشعارنا الداعى الى عدم الحاق الضرر بالسكان. ولكن الجنود جميعهم كانوا منزعجين فى الواقع.

انتقلنا الى مكان ناء من وادى هوانغنيهيجى، واصلحنا هناك كوخا كان يستخدمه عمال احدى محطات قطع الاخشاب واحتفلنا فيه بعيد رأس السنة القمرية. ولم يكن نصيب كل واحد من الطعام يزيد على صحن من الدخن. وعلى اثر تناول الطعام الذى احس المقاتلون بعده بأنهم لم يأكلوا شيئا، وصل الينا لحم خنزير والشوشبرك الصينى الذى ارسله الينا آمر الفوج تشانغ، مما أسعد الجميع.

وعندما توطدت علاقاتنا الودية معه، كان قائد الفوج يزود وحدتنا حتى بالاسلحة والمعلومات. وهكذا فان المعاملة الطيبة المخلصة التى احطنا بها امرأة، كان لها صدى بعيد المدى من الشكر والامتنان. ومع ان قائد الفوج تشانغ واصل القيام بوظيفته فى خدمة حكومة منشوكو العميلة، فانه قام بأعمال جريئة متعاونا مع الشيوعيين، وهى مأثرة تبرئه أمام التاريخ والشعب.

ويمكن القول ان خطتنا فى تفكيك قوات العدو اعطت نتيجة كبيرة فى العمل مع هذا الآمر. فقد كان مضمون الخطة هو التركيز بشكل رئيسى على كسب جماهير الجنود الذين يشكلون الاكثرية المطلقة فى صفوف جيش منشوكو العميل، والعمل فى الوقت ذاته على كسب الضباط من الرتب المتوسطة والدنيا، وحتى قسم من كبار الضباط الشرفاء، وعزل وضرب الضباط الرجعيين المتعنتين الذين يشكلون اقلية ضئيلة.

كان ذلك نجاحا مذهلا فاق توقعاتنا. فقائد الفوج الذى لم يكن له اى اتصال بنا، تحول بتأثير زوجته من خادم لاعداء الثورة الى وطنى متحالف مع الشيوعيين. وهذا يعنى ان زوجته التى درست فى مدرسة ثانوية للاناث فى جيلين، خاضت معركة ايديولوجية ضخمة لتحويل زوجها. لقد كانت امرأة رائعة حقا.

بعد بعض الوقت، نقل آمر الفوج تشانغ مع وحدته الى منطقة هواتين. فأقمت اتصالا بينه وبين وى جين مين. ولم اعد اعرف عنه شيئا لفترة طويلة. وفى

سنة ١٩٤١، وصلنا نبأ وجيز عنه بواسطة كواك زى سان الذى ساعد وى جين مين فى عمله فى هواتين.

قال لى كواك زى سان ان الفوجين الثانى عشر والثالث عشر من جيش منشوكو العميل، المرابطين فى هواتين، سينقلان قريبا نحو ريهى، وان قائدى هذين الفوجين ابديا نيتهما بالانضمام الى الجيش الثورى المناهض لليابان قبل نقلهما الى ريهى. ولكن لم تكن فى هواتين فى ذلك الوقت وحدة يمكنها ان تستوعب فوجين فى وقت واحد، كما انه لم يكن هناك قادة يمكنهم اتخاذ القرار المناسب بشأن موقف قائدى الفوجين الجرىء. وجاء كواك زى سان الينا لنبت فى هذا الأمر. فبعد استشهاد وى جين مين صار كوادر الفيلق الثانى، العسكريون منهم والسياسيون، يتلقون منا التوجيهات بشأن جميع قضاياهم الصغيرة والكبيرة.

اعدت كواك زى سان الى هواتين بمهمة مستعجلة للاسراع بانتقال الفوجين المذكورين الى جانبنا فى أسرع وقت وقبل نقلهما الى ريهى. ولكن هذه العملية لم تتحقق للأسف الشديد، لانه وصل متأخرا. وعرفنا فيما بعد ان قائد الفوج الثانى عشر قد سلم القيادة وهو فى هواتين الى قائد جديد كنيته يانغ. واوصاه بان يتبع طريق النضال ضد اليابان، وهى الوصية نفسها التى وجهها الى قائد الفوج الثالث عشر المجاور الذى كانت تربطه به علاقات طيبة.

بعد هذا، لم استطع ان اجد فى اى مكان معلومات عن مصير هذين الفوجين اللذين نقلا الى ريهى. وفى الآونة الاخيرة فقط، عرفت وانا أقرأ مواد تتعلق بتفكك جيش منشوكو العميل خلال الحرب ضد اليابان، ان هذين الفوجين قد تمردا فى اللحظة الحاسمة ضد الامبرياليين اليابانيين.

ان صديقا شريفا واحدا موجودا بين قوات العدو، يمكنه ان يساعد فى كسب الألوف وعشرات الألوف من الاصدقاء. ولهذا فاننا منذ بداية النضال المسلح ضد اليابان رفعنا شعار "النبن فى القوات المعادية قلعة للثورة!". وهذا يعنى تثبيت مواقعنا فى صفوف جيش العدو. وبعبارة اكثر دقة، تهيئة قوات ثورية فى صفوف جيش العدو من اجل تفكيكه فيما بعد.

وكنا نسمى هذه العمليات آنئذ "العمل السياسى مع العدو". فمواجهة الخصم بالسلاح وتفكيكه بالعمل السياسى هما الخطان الاستراتيجيان للنضال المناهض لليابان. وفى كل عصر وكل حرب، ولكل طرف محارب دون استثناء، يجرى النضال ضد الخصم دوما على هاتين الجبهتين: احداهما صراع القوات المسلحة، والاخرى المواجهة السيكولوجية والدعاية الايديولوجية.

وما سمى "خطة تصفية المتمردين لضمان الأمن العام" التى وضعها الامبرياليون اليابانيون، كانت تتضمن ثلاثة توجهات: العمل على المدى القريب، والعمل الايديولوجى، والعمل الجذرى. وهو ما يمكن تلخيصه فى مظهرين: "عملية تصفية قطاع الطرق بالقوة " أى باستخدام القوات المسلحة، و"العملية الايديولوجية" المستندة اساسا الى الدعاية واستيعاب المرتدين. وكان العدو ايضا يحاول تفكيك صفوفنا الثورية نفسيا.

ولكن، عندما طرحنا لاول مرة مسألة انشاء منظمات ثورية ضمن جيش العدو للقيام بالعمل السياسى مع الخصم، لم يكن الذين امتنعوا عن تأييد هذا التوجه قليلين.

طبعا، لم يكن هناك من عارض لانه جبان يخشى الموت. بل كان السبب فى عدم تأييدهم المطلق لهذا التوجه هو انهم اعتبروه انحرافا عن الخط الطبقى.

لقد كانوا يقولون وهم يهزون رؤوسهم ان جيشنا هو جيش العمال والفلاحين، اما العدو فهو جيش برجوازى فى جوهره، ولذا فانهما قطبان متناقضان مثل الماء والنار. وان هذه حقيقة يعرفها الطفل الساذج، فالماء والنار لا يمكن لهما التحالف، ومن المستحيل انشاء تنظيم ثورى فى قوات العدو.

ومن كانوا يحملون على ظهورهم جعبا مترعة بالكلاسيكيات الماركسية عارضوا هذا التوجه ووصفوه بانه انحراف يمينى اشبه بنوع من التعاون الطبقى مع العدو. وكانوا يقولون ان هذا يستهدف التعاون مع الاعداء الطبقيين الذين تقوم بيننا وبينهم علاقات التناقض التى لا حل لها. واضافوا انهم لم يجدوا فى اعمال الكلاسيكيين احكاما تتعلق بتفكيك جيش العدو. ولو سمع شبان هذه الايام هذا لضحكوا بالتأكيد مشبهين امثال هؤلاء "المنظرين" بالناس الذين يسدون انوفهم

ويصرخون: "اننا نختنق". ولكن فى تلك الايام التى ما كان يمكن فيها خطو خطوة بدون الاستشهاد بنص للكلاسيكيين، كانت تسود الى حد كبير مثل هذه المواقف احادية الجانب.

وحيث ان الصراع الطبقى كان يدور عنيفا، وكانت مشاعر العداء للاعداء الطبقيين قوية جدا، فان احدا لم يكن ينظر الى من يتخذون تلك المواقف على انهم يرتكبون انحرافا خطرا. فهناك اناس كثيرون بدؤوا الثورة وتحملوا كل الصعوبات مدفوعين بمشاعر الكراهية للاعداء الطبقيين، وبالتالى لم يكونوا يريدون التنازل قيد انملة عن "الصراع الطبقى". وبالاضافة الى ذلك، كان التفسير الجامد لنظرية الصراع الطبقى التى قال بها مؤسسو الماركسية يثير عند الكثيرين من الشيوعيين مشاعر الكراهية وعدم المهاودة والرغبة فى الادانة والمعاقبة اكثر من مشاعر الحب والتسامح. وكان ادعياء الماركسية، الذين يعتبرون المبالغة فى التشدد وعدم التسامح هى الصفة المميزة للثوريين، يحولون الشباب الذين لم ينضجوا روحيا وفكريا الى "هونهوزى" قساة وضيقى الافق. وبسبب هذه العيوب، عانت الثورة الماركسية عمليا الآلام، وتلوثت سمعة الشيوعيين. فاليساريون واصحاب الجمود العقائدى الذين كانوا يعملون بنظرة احادية الجانب من اجل المصالح الطبقية تحت شعار مساندة الطبقة وعدم التهاون الطبقى، وقفوا عاجزين عن منع اناس كثيرين من الابتعاد عن الثورة الشيوعية والانتقال الى الجانب المعادى.

لم تكن المسألة هى وجود او عدم وجود نص حول تفكيك الجيش المعادى فى ادبيات الكلاسيكيين، بل فى واقع ان بعض الناس لم يريدوا وضع الخطط والتوجهات انطلاقا من المصالح الاساسية للثورة.

ونحن الذين رأينا ان الدافع للبدء بالثورة هو حبنا للشعب، كنا عند دراسة الكلاسيكيات الماركسية نسعى الى العثور اولا على فكرة الحب والتلاحم، وليس عدم التساهل.

كنا نعتقد ان بالامكان انشاء قوات ثورية فى صفوف جيش العدو، لاننا كنا نؤمن بوجود اناس شرفاء يتعطفون مع ثورتنا وينظرون باشفاق الى ضحايا مجتمع

الاستغلال، بين الجنود الذين يشكلون الاغلبية المطلقة فى ذلك الجيش المعادى، وهم من ابناء العمال والفلاحين؛ وكذلك بين الضباط من المراتب المتوسطة والدنيا، وحتى بين بعض كبار الضباط ايضا. فاذا كسبناهم جميعا الى جانب الثورة وحولناهم الى جيش صديق لنا، فان صفوف المعادين ستتفكك بينما ستتضاعف قوانا الثورية. وسيشكل ذلك هجوما ضخما يؤدى الى تصفية الاعداء الطبقيين دون اطلاق الرصاص، ودعاية مدوية لافهام الناس بان للشيوعيين مثلا عليا نبيلة تتمثل فى الوصول بالبشرية الى السعادة والتآلف.

لقد رفعنا بهذا المثل الاعلى وهذا الهدف على الاقل شعار "لنبن فى قوات العدو قلعة للثورة!" كشعار رئيسى للعمل السياسى فى صفوف العدو.

وكانت رؤيتنا فى امكانية تحقيق ذلك تستند الى موقفنا الزوتشى من طبيعة الكائن البشرى. فالانسان كائن عظيم تكمن فيه الاستقلالية والقدرة المبدعة والوعى، وهو فى الوقت نفسه كائن جميل يدافع عن العدالة ويتطلع اليها. ان الانسان بطبيعته يميل الى ما هو خير ونبيل ويحتقر ما هو دنىء وخبيث. وهذه الطبيعة التى يتصف بها هى الانسانية.

وباستثناء حفنة من الشريحة العليا الرجعية، فان غالبية الناس من الشرائح المتوسطة والدنيا، وجزءا من الشريحة العليا، يمكن تحويلهم الى مؤيدين للثورة ومتعاطفين ومساعدين لها، اذا استطعنا ان نؤثر فيهم بهمة وشهامة. وحتى اذا كان بعض الناس يخدمون طبقات الاقطاعيين والرأسماليين، ولكنهم يتمتعون فى الوقت نفسه بمشاعر انسانية وبحب الوطن والامة، فان هذه الصفات تشكل ركيزة تتيح لنا كسبهم الى جانبنا.

ومن هذا الموقف، انطلقنا فى سياستنا الرامية الى جمع شمل صفوف كل افراد الامة باستثناء حفنة من الرجعيين والاشرار، تحت راية الوحدة الوطنية الكبرى.

كان الناس بعد تحرير كوريا يصفون كيم غو بزعيم الارهابيين وبانه رجعى فى مرتبة واحدة مع سينغمان رى. صحيح انه كان طول حياته ينقم على الشيوعيين ويعاديهم. وقد كان الحقد عليهما شديدا لدرجة انه شاع رسم كاريكاتورى

يصور كيم غو وسينغمان رى يدخلان حظيرة خنازير وقد غطى كل منهما رأسه بثمرة يقطين. وقد نقش عمال مصنع كانغسون للفولاذ على مدخنة المصنع شعار "ليسقط كيم غو!". ولم يكن احد من شعبنا فى ذلك الحين يرى امكانية تحول كيم غو. ولكن كيم غو نفسه تأثر بنا فى اثناء اجتماع نيسان المشترك للشمال والجنوب، وتحول من معاد للشيوعية الى صديق وحليف للشيوعيين. ويمكن القول انه استطاع ان يمر بعملية اعادة التربية هذه بفضل تأثيرنا طبعا، ولكن ذلك حدث ايضا لانه رأى بأم عينيه واقع الشطر الشمالى من الجمهورية، فتفتحت فى اعماق روحه مشاعر حب الوطن والأمة التى كرس لها كل حياته وخصائصه الانسانية.

ولو اننا لم نأخذ هذه المشاعر النبيلة فى الاعتبار، لما كنا صافحنا يد تشاى دوك سين الذى هاجمنا من الخط الامامى لمعاداة الشيوعية، ولما اقمنا حوارا مع حكام جنوبى كوريا الحاليين. فاذا كنا نجلس الى مائدة واحدة مع حكام جنوبى كوريا من اجل توحيد الوطن، فلأننا نعقد الأمل على ضميرهم الوطنى وخصائصهم الانسانية، رغم محدوديتها، ولأننا نعتقد بأن هذه المشاعر ستزهر يوما فى حديقة الوحدة الوطنية الكبرى.

اجرينا مناقشات حامية من أجل تحديد أهداف واساليب عملية التغلغل فى جيش العدو. وكان من شبه المستحيل الوصول الى اتفاق فى الرأى، وخصوصا فيما يتعلق بالعمل السياسى ضمن الجيش اليابانى. فمع ان معظم الرفاق كانوا يرون انه يمكننا ان نكسب الى جانبنا الفئة المتوسطة والدنيا من جيش منشوكو العميل، الا انهم كانوا ينظرون الى العسكريين اليابانيين على انهم اعداء فقط، ولا يمكن المهادنة معهم، لانهم نشأوا منذ نعومة اظفارهم على روح "يامادو داماسى" (أى روح الامة اليابانية – المترجم) وتربوا على الولاء الاعمى "للامبراطور" فى ظل الانضباط القسرى. وكان رفاقنا يهزون رؤوسهم ويقولون: اذا كان من الصعب استئصال افكار العداء للشيوعية من ذهن قائد جيش الاستقلال الذى تدرب فى مدرسة ضباط القوات البرية اليابانية، فما بالك بالحديث عن العسكريين اليابانيين أنفسهم. ولكن حادثة غير منتظرة جاءت لتدحض هذا الرأى بكل بساطة.

في احدى السنوات، انتشر فى قرى تشينتاو نوع من الحمى. وارتكبت القوات اليابانية مجزرة فظيعة باحراق البيوت مع ساكنيها المرضى. وقد دخلت وحدة "تأديبية" أيضا الى القرية التى يقيم فيها تونغ تشانغ رونغ مريضا.

وحين رآه الضابط اليابانى مستلقيا، امر مرؤوسه باغلاق الابواب واحراق البيت. فاستعد الجندى لتنفيذ امر رئيسه. وعندما احس تونغ تشانغ رونغ بان اجله قد حان، قرر ان يموت بكرامة، فراح يضرب الارض بقبضته وقال صارخا باليابانية التى يجيدها لانه تلقى تعليما جامعيا فى اليابان:

"لا بد انك ايها الجندى ابن عامل او فلاح. فلماذا جئت الى هنا لتقتل الناس الفقراء دون وازع من ضمير؟ ما الذى تكسبه من هذا القتل؟ هل انت همجى وفاقد الاحساس الى حد الاقدام على قتل المرضى؟"

ويبدو ان هذه الصرخات الملتهبة الموجهة الى الضمير قد اثرت بالجندى اليابانى، اذ انه حطم الباب الخلفى برفسة قوية قبل ان يحرق البيت، واخرج تونغ تشانغ رونغ دون ان يراه رئيسه.

وقد نجا تونغ تشانغ رونغ من موت محقق باعجوبة، باختبائه بين اثلام حقل مزروع.

هذه الواقعة اجبرت من كان يصر على انه لا يمكن كسب العسكريين اليابانيين الى جانبنا على الصمت.

ومنذ ذلك الحين، اصبحنا نعمل بثقة تامة على اختيار رفاق حازمين وشجعان، يتمتعون بالذكاء والمهارة، ونرسلهم للعمل فى الوحدات المعادية.

وكان على اولئك المناضلين ان يعملوا منفردين ومعزولين وسط الخصم، ولكنهم حافظوا على معتقداتهم وانجزوا عملهم السياسى على أكمل وجه. وبفضل جهود عاملينا السريين المعروفين منهم والمجهولين، كانت القلاقل تنشب كل يوم تقريبا فى جيش منشوكو العميل وقوات الدفاع الذاتى.

وكنا نعد جميع المقاتلين دون استثناء لكى يتمكن اى واحد منهم من المشاركة بنشاط فى العمل السياسى مع العدو، باستخدام النداءات التحريضية وتوزيع النشرات

وابداء الرأى ونشر الاغانى وغير ذلك من اشكال واساليب التحريض.

وبتأثير هجومنا الدعائى المتحمس والدؤوب داخل وخارج جيش العدو، وبشكل فردى وجماعى، توقف قسم كبير من وحدات جيش منشوكو العميل عن محاربة جيش حرب العصابات، وأصبحوا "موردين للسلاح" امناء.

فاذا ارسلنا لهم رسالة واحدة، كانوا يأتوننا بالاسلحة والذخائر والمواد الغذائية، واذا اطلقنا قذيفة "لفظية" فى ساحة القتال قائلين: "ياوتسان بوياومين!"("نريد السلاح وليس حياتكم") كانوا يرمون أسلحتهم ويستسلمون.

كانت القوات "التأديبية" المعادية تقتل اناسنا دون تمييز، ولكننا كنا نعامل الاسرى معاملة انسانية، سواء أكانوا من جيش منشوكو العميل او من الجيش اليابانى، وكنا نثقفهم بمودة ولطف، ونتركهم يذهبون، بل وكنا نقدم لهم نفقات السفر أيضا.

وقد حدث ان احد جنود جيش منشوكو العميل وقع اسيرا فى يد وحدتنا سبع مرات. فكنا نقول له مازحين: "أهذا أنت ثانية يا صاح!" فيقول مبتسما "جئت اسلم بندقية اخرى للجيش الثورى".

واثناء قيامنا بالنشاط فى منشوريا الشرقية، استطعنا أن نجتذب الى جانبنا قادة سرايا فى كتيبة وين التى كانت ترابط فى لوزوكو بمحافظة وانغتشينغ، وعددا كبيرا من الضباط الذين هم اعلى من رتبة قائد سرية.

وفى سنة ١٩٣٤، استطاع "قائد السرية تشيان" ان يفكك بنجاح وحدة ما غوى لينغ فى نانهاماتانغ، وكان من قبل قائد سرية فى جيش منشوكو العميل، وقد اصبح شيوعيا بفضل تأثيرنا.

وكان بين الجنود اليابانيين كذلك اصدقاء لا يمكن نسيانهم قدموا لنا مساعدة ثمينة.

ففى احدى المرات، اثناء معركة الدفاع عن سياووانغتشينغ، وبينما كان او بايك ريونغ يفتش ساحة القتال، وجد فى جيب جثة سائق من الجيش المعتدى اليابانى رسالة موجهة الى جيش حرب العصابات. وتبين ان هذا السائق كان من منشأ عمالى وعضوا فى الحزب الشيوعى اليابانى. وكان يحمل الينا فى شاحنته مئة الف رصاصة، ولكن العدو اكتشفه عند سفح جبل قرب منطقة حرب العصابات، فكتب

تلك الرسالة الوصية وخبأها فى جيبه قبل أن يطلق الرصاص على نفسه.

وقد كان لروحه الثورية الأممية البروليتارية السامية اعمق الاثر فى نفوس الجميع. ومازلنا حتى الآن نشعر بالتأثر ونحن نتذكر ذلك المناضل الشيوعى اليابانى، الذى ترك ذويه الاحباء فى بلاده وعبر البحر واجتاز الجبال الوعرة ليصل الى ارض غريبة، حيث قضى نحبه مجهولا عند سفح جبل بينما كان يحاول مساعدتنا. وقد قيل لى انهم قد اطلقوا فى سياووانغتشينغ اسم هذا المقاتل الاممى على مدرسة ابتدائية فى منطقتهم، ولكننى لا اعرف اذا كانت لا تزال تحمل هذا الاسم حتى اليوم.

وعلى اساس تجربة كسب قائد فوج جيش منشوكو العميل فى ايمو، قمنا بمهارة فيما بعد بعمل مماثل فى بلدة تدعى دابوتشايهى على الحدود بين محافظتى آنتو وتونهوا.

ففى دابوتشايهى كانت تعسكر كتيبة من جيش منشوكو العميل اشتهرت بسمعة سيئة فى عمليات "التأديب" ضد جيش حرب العصابات. كانت وحدة فظيعة القسوة، لديها خبرة قتالية كبيرة ونظام فعال فى القيادة والادارة. ولم يستطع مناضلونا السريون التغلغل فى هذه الكتيبة على الرغم من رغبتنا فى ارسالهم اليها. وبدأنا ندرس هذه الوحدة من كل النواحى لكى نجد نقطة ضعف فيها. وعرفنا اخيرا ان قائد الكتيبة مستاء من رؤسائه بسبب ضآلة اجره، ولانه كان بحاجة لمزيد من النقود، فقد راح يتاجر بالافيون بواسطة مساعده. فكان ذلك الوضع عاملا قويا لكى نباشر عملية تفكيك تلك الوحدة.

وفى احد الايام، نصبت مجموعة من عاملينا السريين كمينا فى نقطة من الطريق، وفاجأت مساعد قائد الكتيبة وهو يحمل كمية كبيرة من الافيون. فاضطرب وخاف ان ينتزع منه مقاتلو الجيش الثورى افيون قائده. وقد كانت قيمة الافيون فى التداول حينئذ كقيمة النقود المصرفية. ولكن رفاقنا لم يلمسوا الافيون، واكتفوا بالقيام بعمل تربوى جيد وتركوه يتابع طريقه، مما اثار استغرابه. وحين عاد الى وحدته ابلغ قائده بتفاصيل ما حدث: كان يصدق فعلا دعاية اليابانيين القائلة ان الجيش

الشيوعى هو "عصابة من اللصوص"، ولكنه حين التقى وجها لوجه بمقاتلى هذا الجيش تبين له انهم اناس محترمون ومتحضرون. وقد تركت تلك الحادثة اثرا عميقا فى نفس قائد الكتيبة.

وفيما بعد، ارسلنا الى قائد الكتيبة بواسطة مساعده ذاك، بطاقة تعارف ورسالة قلنا فيها... ان جيش حرب العصابات لا يريد محاربتهم، بل وليس فى نيته محاسبتهم على الرغم من ملاحقتهم له واقترافهم الجرائم بحقه؛ وان الشىء الوحيد الذى نطالبهم به هو عدم الحاق الاضرار بالشعب والجيش الثورى الشعبى؛ فاذا كانوا مستعدين للتكفير عن اخطائهم السابقة واقامة علاقات ودية مع الجيش الثورى، فليرسلوا لنا قدر ما يستطيعون من المطبوعات، مثل نشرة " تشولكون" (الجيش الحديدى– المترجم). ...

وردا على هذه الرسالة، جاء المساعد الينا ومعه المجلة المذكورة واتفقنا معه على مكان يمكنه ترك المطبوعات فيه. ومنذ ذلك الحين اصبحا يستعملان شجرة منخورة كصندوق بريد، يرسلان الينا عبره بانتظام جرائد ومجلات مختلفة تصدر داخل الجيش وخارجه، اضافة الى معلومات هامة. وحين كنا نسلمهما نقودا لكى يشتريا لنا السلع الاستهلاكية والمواد الحربية الضرورية لوحدتنا، كانا يلبيان طلباتنا بدقة.

بل ان قائد الكتيبة الذى تأثر جدا بمعاملتنا الودية، أخذ على نفسه طوعا معالجة جرحانا. فكان يدخلهم سرا الى ثكنته ويقدم لهم الرعاية الطبية والعناية الجيدة الى ان يشفوا.

وبعد ان اقتنع تماما بان الجيش الثورى الشعبى هو جيش ينتمى الى الشعب حقا، وتعمقت علاقاته الودية معنا، ارسل الينا رسالة مؤثرة بدأها بالقول: "الى رفاق الكفاح فى الجبال".

ان الاعتراف بالحق وامتداح الحب هما صفة مميزة للكائن البشرى.

وكنا نؤكد دائما فى احاديثنا مع الرفاق على انه اذا كان الاعداء يحاولون تقويض صفوفنا بالخداع والتزييف، والتهديد والابتزاز، فعلى الشيوعيين ان يهزوا قلوب الاعداء بالحق والحب.

وقد نفذ المناضلون السريون عملهم السياسى بنكران للذات، واضعين نصب أعينهم على الدوام توجيهاتنا تلك. وكانت منهم مغاورة شابة اسمها ايم وون ها.

ان مسرحية "عباد الشمس" المعروفة على نطاق واسع، هى تصوير فنى لنضالها الواقعى.

لقد رأيتها لاول مرة فى ربيع سنة ١٩٣٦ فى معسكر ميهونجين السرى.

فى ذلك الحين كنا ندرس عدة مسائل هامة تتعلق بتنظيم فرقة جديدة من الجيش الثورى الشعبى الكورى والاستعدادات لانشاء جمعية استعادة الوطن. وكانت هذه الفتاة مضطربة تفكر اذا ما كانت ستتمكن من الذهاب معنا الى منطقة جبل بايكدو.

كانت فتاة جميلة هادئة، ولكنها قوية الارادة. ولم تكن قد بلغت من العمر آنذاك ٢٠ سنة، وكانت ضئيلة الجسم كطفلة.

"ايها القائد العزيز! هذه المرة ستأخذنى معك بالتأكيد، أليس كذلك؟"، كانت تلح على بذلك كلما التقت بى لكى أضمها الى الوحدة الرئيسية من الجيش الثورى الشعبى الكورى، التى كنت اقودها.

ولكننا تركناها لتعتنى بشؤون وى جين مين الذى كان مريضا.

وعندما انهار أملها بالذهاب الى الوطن معنا، اغرورقت عيناها بالدموع.

فحاولت ان أواسيها قائلا: "لا تكتئبى هكذا. عندما تستقر قاعدتنا فى جبل بايكدو سنأخذ الى هناك الرفيق وى جين مين للمعالجة وعندها ستأتين معه أيضا".

"أفهم ذلك ايها القائد العزيز. فلا تقلق من اجلى."

لقد أرادت ان تطمئننا، ولكنها صوبت نظراتها الحزينة الى سماء الجنوب.

وبعد عدة ايام، غادرنا ميهونجين وتوقفنا فى مكان قريب من سياوبويرهى، حيث كانت توجد اربعة او خمسة بيوت فقط. ولكن، بينما كنا فى هذه الدسكرة النائية، حدثت مصيبة غير منتظرة. فقد هاجمنا عند الفجر اعداء قدموا من دابوتشايهى.

اتخذنا على عجل مواقع قتالية مؤاتية، وفتحنا منها النار على العدو. ولكن رفاقنا الذين عسكروا فى الجانب الآخر من الوادى، لم يتمكنوا من الانسحاب. وكان

هناك وى جين مين والقائد لى، المندوب الجديد المعتمد فى وحدتنا، والذى كان قد درس فى جامعة صون يات صن فى موسكو، وزوجة تشاو يا فان وايم وون ها.

وبعد ان تمكنا من صد العدو، تفحصنا ساحة القتال، فوجدنا وى جين مين مختبئا فى سقيفة أحد البيوت. وكان الدم ينزف من فخذه التى اصابتها رصاصة.

وقد أخبرنا ان حالته ازدادت سوءا فى ذلك اليوم حتى انه اصبح عاجزا عن الحركة بمفرده. فخبأته ايم وون ها بصعوبة فى السقيفة، بينما وقعت هى فى يد العدو بعد اصابتها برصاصة فى ساقها اثناء انسحابها نحو الجبل. أما القائد لى وزوجة تشاو يا فان فقد لقيا مصرعهما.

اقتاد الاعداء ايم وون ها الى ثكنة احدى سرايا جيش منشوكو العميل بالقرب من دابوتشايهى، واجبروها على العمل هناك فى غسل الثياب وتحضير الطعام. وقد اخضعها مستشار يابانى لتعذيب قاس كى تبوح بالاسرار. وعندما تبين له انه لن يصل الى نتيجة بهذا الاسلوب، غير تكتيكه واجبرها على القيام باعمال حقيرة لدفعها الى الكلام.

وحتى عندما وجدت نفسها وحيدة بين الاعداء، كانت تفكر دائما بما يمكنها عمله لمساعدة الثورة. وتوصلت اخيرا الى وضع خطة جريئة تستميل بمقتضاها السرية كلها الى جانبنا.

وكخطوة اولى، قررت الفتاة ان تحرك بأغنياتها الجميلة افئدة الجنود الذين يعانون من الحياة العسكرية الشاقة. ولكى تستطيع الاقتراب من الجنود مدت حبل الغسيل فى فناء الثكنة، وأصبحت تكثر من الدوران حوله وهى تترنم بأغنيات حزينة تستثير الحنين.

كان لدينا فى ذلك الحين اغنية جيدة للعمل السياسى فى صفوف العدو. وكنا قد نظمنا كلماتها ذات المضمون الثورى على لحن اغنية قديمة حزينة كانت تغنيها الزوجات على قبور ازواجهن الذين قضوا نحبهم وهم يعملون فى بناء سور الصين العظيم.

وكانت ايم وون ها تغنى تلك الاغنية حيث يتواجد الجنود، أما للضباط، فكانت تختار اغنيات اخرى عادية.

وكان جنود تلك السرية ينتمون سابقا الى جيش الانقاذ الوطنى، ولكنهم نتيجة خيانة كبار قادتهم، انتقلوا الى جيش منشوكو العميل، ولهذا فان مشاعر العداء لليابان كانت قوية لديهم.

سبت اغنيات الفتاة الجميلة والحزينة افئدة الجنود. وكان الضباط عندما يسمعون اغنياتها الحزينة يستغرقون فى تفكير عميق وتتيه نظراتهم فى السماء اللامتناهية.

وحين شاع ان الاسيرة مغنية جيدة، صار بعض الجنود يأتون خصيصا لسماع غنائها ويرجونها قائلين:

"ايتها الآنسة المغاورة، غنى لنا شيئا."

فكانت تجيب مبتسمة: "بوسعى ان اغنى لكم مئة مرة، فهذا لا يكلفنى أى شىء"، وتنطلق من شفتيها النغمات الكئيبة التى تصور آلام الصينيين المقهورين حتى النزف والموت تحت نير اليابانيين.

فى الزمن الغابر
كانت اعمال السخرة فى السور العظيم
تملأ جنبات الأرض بأجداث الصينيين،
لكن حراب اليابانيين اليوم
هى التى تحفر لنا القبور
فلننهض، ولنتقدم
للثأر...

ولم تكن الفتاة تستطيع كبح دموعها وهى تغنى، وكان الجنود الاقوياء انفسهم ينخرطون فى البكاء.

لم تكن ايم وون ها تغنى للجنود فحسب، بل كانت تخيط لهم ملابسهم وتحتفظ لهم بأطعمتهم المفضلة. فنشأت بينها وبين الجنود علاقة صداقة حميمة. وكان بين

الجنود الشبان من يحبونها كما لو كانت أختهم الكبيرة. فقد تيتموا منذ طفولتهم المبكرة وعاشوا كمتسولين. ثم التحقوا بالجيش لتفادى الموت جوعا.

وكانت ايم وون ها تولى الشبان الوحيدين الفقراء عناية خاصة، فأصبحت بالنسبة لهؤلاء المتعطشين الى الحنان والدفء الانسانى محبوبة مثل أخت كبرى او ام حقيقية.

وفى احد الأيام، جاءها ثلاثة من أولئك الجنود الشبان وعرضوا عليها التآخى معهم.

واقسموا بمهابة وحرارة: "ستكونين يا وون ها، اختنا الكبرى. وسنكون اخوتك الصغار، ونحن مستعدون حتى لبذل حياتنا من اجلك".

وقبلت ايم وون ها اقتراحهم بالطبع وصافحتهم بحرارة قائلة:

"ولن تبخل اختكم الكبرى ايضا بحياتها من اجل اخوتها الصغار."

جعلت الفتاة منهم نواة، وراحت توسع صفوف المتآخين، وتضمهم شيئا فشيئا الى جمعية مناهضة اليابان. واقتربت فى الوقت نفسه من قائد السرية فى جيش منشوكو العميل لتحقيق فكرتها. وكان قائد السرية ينحدر ايضا من جيش الانقاذ الوطنى، وكان دائما يشعر بالاستياء من عسف المستشار اليابانى.

وفى احد الايام، ذهبت ايم وون ها لمقابلة قائد السرية بعد أن راقبت مزاجه وحالته المعنوية، وتحدثت اليه باسهاب عن عدد من العسكريين السابقين فى جيش منشوكو العميل الذين انتقلوا الى جانب جيش حرب العصابات وعن الحياة الكريمة التى صاروا يعيشونها. ثم اقترحت عليه بجرأة:

"وانت ايضا ايها السيد قائد السرية يمكنك ان تختار هذا الطريق مع مرؤوسيك."

صعق قائد السرية للوهلة الأولى من اقتراح الفتاة المفاجئ.

"الى متى ستعيش فى مهانة كالحيوان؟ بالامس ضرب المستشار اليابانى الجندى وانغ الذى تفضله على الجميع، ولم يتوقف عن ضربه الى ان أوشك على الموت، ولكنك لم تتجرأ على قول كلمة واحدة امامه."

كان قائد السرية يرتعش من الغيظ وهو يستمع الى الفتاة التى واصلت كلامها قائلة:

"انتقل الى جيش حرب العصابات. أنا سأساعدك. ان كل مرؤوسيك متآخون معى واعضاء فى جمعية مناهضة اليابان."

نظر قائد السرية باعجاب الى عينى الفتاة اللامعتين. يا للعمل الباهر الذى انجزته هذه المغاورة الفتية! وأحس بالتأثر الشديد ازاء قلبها الكبير جدا بالمقارنة مع جسدها الضئيل والضعيف.

" من العار أن أدعى رجلا." قال ذلك وذهب مستعجلا وكأنه يهرب.

وفى اليوم التالى، احتج الجنود جماعيا، بتأثير ايم وون ها، مطالبين بالرواتب التى لم تدفع لهم منذ ستة اشهر. وقد عاود المستشار اليابانى ضرب مندوب الجنود المتمردين وتوجيه الشتائم القبيحة اليه.

ورأت الفتاة ان اللحظة الحاسمة قد ازفت، فوقفت بجرأة امام الجنود وحرضتهم على التمرد:

" يا اخوتى، يا اعزائى الاشقاء:

اعدموا هذا المستشار اليابانى الوقح!

تخلوا عن هذه الحياة المشينة فى الجيش العميل وتعالوا معى الى جيش حرب العصابات المناهض لليابان."

اعدم الجنود المتمردون المستشار اليابانى، واصطفوا بسرعة وبدؤوا مسيرتهم للالتحاق بجيش حرب العصابات. وقد حملوا معهم ثلاثة رشاشات تشيكية، وتسع عشرة بندقية، ومسدسا واحدا واكثر من ٧٠٠ر٤ رصاصة.

ان فى التاريخ نماذج نادرة مثل هذه الفتاة التى تمكنت وهى دون العشرين من عمرها من استمالة سرية كاملة من الاعداء الى جانب جيش حرب العصابات. بل ان بعض وثائق الامبرياليين اليابانيين السرية اعتبرت ما فعلته هذه الفتاة عملا مذهلا لا نظير له بدفعها سرية كاملة الى التمرد.

كانت ايم وون ها زهرة فى جيش حرب العصابات، وابنة لكوريا ذات قلب جرىء، قادت جنود جيش منشوكو العميل، حسب غايتنا، الى الطريق الصحيح بفضل معاملتها لهم باخلاص ومحبة وشهامة شيوعية.

ومنذ النصف الثانى من الثلاثينات، تكثف نشاطنا السياسى مع العدو. وكانت النتيجة ان شبكة منظماتنا الثورية انتشرت حتى فى وحدات جيش جينغآن التى كانت تعتبر مغرقة فى الرجعية. اما فرقة الدفاع الذاتى وجيش منشوكو العميل وشرطتها فقد كانت تحت اشراف منظماتنا فى اماكن كثيرة. وهذا هو السبب الذى دفع جميع وحدات جيش منشوكو العميل تقريبا الى القتال ضد قوات الامبرياليين اليابانيين او التفكك فى المرحلة الاخيرة من الحرب المناهضة لليابان من اجل استعادة الوطن.

وكانت النهاية المخزية للجيشين الظالمين – جيش الامبريالية اليابانية المعتدى وجيش منشوكو العميل – نتيجة منطقية لحركة التاريخ.

ان الانسان عادة ينحاز الى جانب العدل والحق، بطريقة مباشرة حينا وبطريقة ملتوية فى حين آخر، ولكن لا بد له من ان يفعل ذلك، ان لم يكن اليوم فغدا.

لا اعرف حتى الآن ما حل بقائد فوج جيش منشوكو العميل الذى تعرفت عليه فى ايمو. ولكنى واثق بانه هو وزوجته وذريته، اذا كانوا احياء فى مكان ما، يناضلون بتفان من اجل وطنهم والامة الصينية.

٣ـ على ضفاف بحيرة جينغبوهو

على الضفة الجنوبية لبحيرة جينغبوهو، أشهر وأجمل مكان فى منشوريا، توجد قرية صغيرة تدعى نانهوتو، ومعناها بالضبط "قرية جنوبى البحيرة". أما القرية الواقعة على الضفة الشمالية فتدعى بييهوتو. فاذا صعدت بضع عشرات رى بعكس تيار نهر سياوجياتشيهى الذى يصب فى البحيرة، تجد واد عميقا وكوخين قديمين عند احد السفوح. وقد كان أحد هذين الكوخين هو مقر الاجتماع الذى عقدناه فى شهر شباط ١٩٣٦.

لقد قيل لى ان المكان مغطى الآن بالاشجار والاعشاب، وان التعرف عليه يكاد يكون غير ممكن. أما قبل خمسين او ستين سنة، فكان يوجد امام الكوخ شجرتان كبيرتان فقط: احداهما شجرة مران والاخرى شجرة صنوبر، وقد شكلتا نقطة علام للقادمين للمشاركة فى الاجتماع. فى ذلك الكوخ بالذات، الذى اطلق عليه مؤرخونا اسم "كوخ سياوجياتشيهى"، بدأت المرحلة الثانية من تاريخنا فى عقد الثلاثينيات.

بعد انتهاء الحملة الثانية الى منشوريا الشمالية، اتجهنا الى هذا المكان فى شباط ١٩٣٦. كان "ريبتشون"(٠) قد مضى، وبدأ "ووسو"(٠) يقترب. وهذا يعنى أن الربيع كان قد بدأ حسب ترتيب الفصول فى التقويم، لكن حدة البرد لم تخف فى منشوريا الشمالية، بل على العكس تماما، فقد كانت الريح القارية الهائجة تلسعنا دون انقطاع. لذا، وبينما كانت اشجار البتولا والسنديان تصر وهى تتشقق من شدة البرد، كانت جلبة

---

(٠) ريبتشون ووسو: يومان من الايام الاربعة والعشرين التى تحدد تبدلات المناخ حسب التقويم القمرى، وهى ايام تتوالى بفارق ١٥ او ١٦ يوما فيما بين كل اثنين منها ـ المترجم

قوية تصدر من بحيرة جينغبوهو لدى تشقق طبقات الجليد فيها. لقد كان البرد شديدا لدرجة ان الطهاة المحنكين ما كانوا قادرين على طهو الحبوب فى العراء كما يجب فى معظم الأحيان. فقد كانت الحبوب فى قاع القدر تشيط، اما تلك التى عند السطح فلا تكاد تصلها الحرارة وتبقى نيئة بسبب انخفاض حرارة الجو الى اربعين درجة تحت الصفر. وهكذا انطبعت منشوريا الشمالية فى ذاكرتى على انها المكان الذى تناولت فيه اكبر قدر من الأطعمة غير الناضجة فى حياتى.

كانت قد انقضت اربع سنوات على اطلاق الرصاصة الاولى فى الحرب المناهضة لليابان. وفى اثناء ذلك تعاظمت قوانا الثورية الذاتية كثيرا، سواء على الصعيد العسكرى او السياسى، وكان مستقبل النضال يبدو مشرقا. فالثورة المناهضة لليابان التى اجتازت المحن والتقلبات، كانت تتقدم دون ريب، مندفعة الى مرحلة جديدة من التحول.

ودون ان نستريح حتى من التعب الذى تراكم خلال مسيرة الحملة، رحنا نغذ الخطى باتجاه نانهوتو، المكان الذى اتفقت على اللقاء فيه مع وى جين مين. وكان ذهنى مترعا بأفكار كثيرة متشابكة ومختلطة حول مستقبل الثورة.

وطوال فترة الحملة الى منشوريا الشمالية واقامتى فى سياوجياتشيهى بعد انتهاء الحملة، كنت انتظر بفارغ الصبر عودة البعثة التى ذهبت الى موسكو منذ ستة اشهر.

المسألة الاساسية التى كان على وى جين مين، ان يطرحها على الكومنترن بموجب قرار اجتماع ياوينغكو، هى مسألة "مينساينغدان" التى اودت بحياة آلاف الشيوعيين الكوريين فى منشوريا الشرقية، ولكن يمكن التأكيد بان المسألة تتعلق فى جوهرها باستقلالية الثورة الكورية. وبتعبير آخر، تحديد اذا ما كان نضالنا تحت شعار الثورة الكورية عادلا ام لا، ومشروعا ام غير مشروع، وهل يتناقض ام لا مع مبدأ الكومنترن "حزب واحد فى بلد واحد". لو نظرنا الى الأمر وفق المفاهيم الحالية، فان كل شىء يبدو واضحا وضوح النهار، اما فى ذلك الوقت، حين كانت الأممية الشيوعية قائمة، فان مبدأ "حزب واحد فى بلد واحد" كان مبدأ ثابتا لا سبيل الى خرقه، وكان يمثل مشكلة جدية ومعقدة لا يمكن معها التمييز الدقيق بين الصواب

والخطأ. وقد كانت المسألة بالنسبة لنا قضية مصيرية يتوقف عليها بقاؤنا على قيد الحياة او اندثارنا.

لقد كانت رهيبة وخطيرة الحجج التى ساقها من أشهروا مبدأ "حزب واحد فى بلد واحد": فقد اعتبروا اصرارنا على رفع شعار الثورة الكورية بانه عمل خيانى، وغير لائق بالشيوعيين، وموقف فئوى وغريب عن الحزب.

كانوا يقولون: الشيوعى هو أممى، فكيف يمكنكم، وانتم منقادون للمثل القومية الضيقة، أن تسمحوا بان يسيطر عليكم التفكير بأمتكم التى لا حزب لديها، بدلا من التفكير بتفان فى ثورة البلد الذى تنضون فى حزبه؟ ان موقفكم مماثل لموقف التحريفيين الذين رفعوا شعار "الدفاع عن الوطن" فى عهد الأممية الثانية؛ وقد شجب لينين منذ وقت مبكر انصار "الدفاع عن الوطن" ووصمهم بانهم خونة وأعداء للاشتراكية والشيوعية؛ فاذا لم تتوقفوا يا معشر الشيوعيين الكوريين، عن الدعوة الى الثورة الكورية، فانكم ستصنفون ضمن خونة واعداء الاشتراكية، ولهذا عليكم ألا تتصرفوا بتهور وطيش.

لم تكن هذه المسألة تقلقنى كثيرا بكل تأكيد، وكان بامكانى ان استنتج الى حد ما الخطط العريضة للاجابة التى سيأتى بها وى جين مين. ذلك ان القضية التى طرحناها كانت عادلة، ناهيك عن أنه كان لدى وى جين مين اطلاع وفهم وافيان للموضوع. ولم يخامرنى الشك فى ان العاملين فى الكومنترن سيردون بالايجاب على طلبنا بشأن المسألة الاساسية للثورة الكورية.

كنت مقتنعا بان الأممية الشيوعية ستقف الى جانب الحقيقة وتتوصل الى حل عادل للقضايا التى تقلقنا، مستندا الى ثقتى الراسخة بان الشؤون التى طرحناها على موسكو من خلال وى جين مين تتطابق تماما مع مبادئ الثورة ومصالحها، ولكن قناعتى كانت تعتمد كذلك، الى حد كبير، على الوضع القائم آنذاك، حيث كانت الأممية الشيوعية تتلمس انتهاج خط جديد.

ففى عام ١٩١٩، عندما اسس لينين الأممية الشيوعية، كان الحزب الشيوعى فى روسيا هو حزب الطبقة العاملة الوحيد فى السلطة. وبدأ اليسار الثورى الذى

انفصل عن الحزب الاشتراكى الديمقراطى التحريفى التابع للأممية الثانية، بتأسيس أحزاب شيوعية، لكن هذه الاحزاب كانت ضعيفة جدا تنظيميا وايديولوجيا، ولم تكن لديها القدرة للقيام بالثورة فى بلادها بالاعتماد على قواها الذاتية.

واذا كان النضال من أجل تحطيم أغلال رأس المال واقامة جمهوريات سوفييتية، بعد انتصار الثورة الاشتراكية فى روسيا، قد انتشر باندفاع كبير على مستوى العالم كله باعتباره تيار العصر، الا ان ذلك النضال توقف دون ان يصل الى نتائجه المنشودة. وعلى الرغم من الوضع المؤاتى الذى وفره ظهور أول دولة اشتراكية فى التاريخ، فان القوى الثورية الداخلية فى بلدان اخرى لم تكن مهيأة تماما للتغلب على الاعداء وتحقيق الانتصار النهائى.

وقد طرح هذا الوضع على الشيوعيين فى العالم بأسره المهمة الملحة باعادة تنظيم ورص صفوف حركتهم العالمية باتخاذ روسيا الفتية وحزبها الشيوعى كمحور، واستدعى ذلك فرض مبدأ الديمقراطية المركزية فى البنية التنظيمية ومنهج عمل الأممية الشيوعية، واخضاع الاحزاب والمنظمات الثورية فى كل البلدان لهذا المركز اخضاعا صارما.

وقد ادى تقبل هذه المتطلبات بطريقة دوغمائية الى ظهور ميول ارتهانية لدى بعض الشيوعيين الذين اصبحوا يتبعون اتجاه رياح موسكو دون تبصر، وبما يلحق الاذى باهداف الثورة فى بلدانهم ومصالحها، مما سبب اضرارا جسيمة للحركات الثورية.

ومع ذلك، فقد شهدت هذه الحركات الثورية تقدما تحت القيادة الموحدة للأممية الشيوعية، وتنامت القوى الثورية فى كل بلد، حيث ظهر الشيوعيون كقوة قادرة على انجاز ثورتهم بصورة مستقلة.

منذ اوائل العشرينيات اخذت الاحزاب الشيوعية تتأسس ايضا، الواحد تلو الآخر، فى البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة فى آسيا، وبقيادتها تطور نضال التحرر الوطنى ايضا بوتائر سريعة. وفى هذا السياق اكتسبت الاحزاب فى كثير من البلدان صوتها الخاص والمتميز، وطالبت بالحاح بتحديد خطها بصورة مستقلة. وقد كان من الصعب عمليا على الكومنترن التى تسير دفة الثورة العالمية من موسكو ان

تعطى فى الوقت المناسب الوصفات الملائمة للظروف الملموسة فى البلدان المنتشرة فى مختلف القارات، وان تقود وتنسق النضال الثورى فى تلك البلدان وفقا للظروف والاوضاع المتغيرة باستمرار. ولأن الاممية الشيوعية تأسست كتحالف بين أناس من بلدان مختلفة، فقد واجهت محدودية معينة فى رسم وايصال سياستها وخططها.

وبدأت الحركة الشيوعية العالمية تدرك ان حشد القوى الثورية وتطوير نضالها على الصعيد العالمى يستدعى تغييرا تدريجيا فى بنيتها التنظيمية واساليب قيادتها. وحيث ان تصدير الثورة واستيرادها كان ضربا من المستحيل، وكانت الضرورة تتطلب حشد القوى الثورية فى كل بلد، فقد ادرك الشيوعيون الحاجة الملحة الى اقرار توجهاتهم الخاصة فى صياغة وتنفيذ الخطط والحفاظ على استقلالية كل حزب. وقد شكل هذا التبدل فى الوضع ضمانة مهمة لكى تعترف الأممية الشيوعية بالطابع الاستقلالى للثورة الكورية.

فى صيف سنة ١٩٣٥، ذهب وى جين مين الى الاتحاد السوفييتى عبر هونتشون، لكنه وعدنى بالعودة عبر هاربين او مولينغ، واللقاء معى فى نينغآن. ولهذا السبب توجهت الى هناك بعد الحملة الى ايمو.

قبل وبعد تلك الفترة التى مضينا فيها مسرعين الى نانهوتو، كان خطر الفاشية فى العالم يتفاقم يوما بعد يوم.

وتحولت الحرب الاهلية فى اسبانيا الى حرب دولية الطابع من جراء تدخل الفاشيين المسلح السافر.

وفى الشرق تحول ارخبيل اليابان الى بؤرة جديدة للحرب. وراحت العسكرية اليابانية تندفع بايقاع متسارع. فاثر "حادث ١٥ ايار" ١٩٣٢، تشكلت فى تلك الجزر حكومة سايتو التى وضعت حدا لمرحلة حكومات الاحزاب السياسية وبدأت مرحلة حكومات العسكريين. وشرعت هذه الحكومات تطلق فى العالم بأسره دون حياء مفاهيم محمومة، مثل: "الحرب هى ابو الابداع وأم الثقافة".

وبلغ الميل الى اشاعة الفاشية فى اليابان ذروته بعد "حادث ٢٦ شباط"١٩٣٦، قبيل اجتماعنا فى نانهوتو. ونشأ وضع فى منتهى الخطورة، حين بدأ تطبيق

مقترحات تقدم بها الضباط الشباب تدعو الى التوسع فى الخارج.

فقد قام فريق من الضباط الشباب واكثر من الف ضابط صف وجندى بفتنة، واقتحموا مقرات رئيس الوزراء وعدد كبير من الوزراء، وقتلوا او اصابوا بجراح خطيرة وزيرى الداخلية والمالية، والمفتش العام لشؤون التدريب فى الجيش، ورئيس تشريفات البلاط الامبراطورى وشخصيات هامة اخرى، واحتلوا ادارة الشرطة فى العاصمة ووزارة القوات البرية ومقر الاركان العامة ومنزل وزير القوات البرية، وامسكوا بين أيديهم بذلك" قلب السياسة اليابانية".

ومع ان حركة التمرد رفعت شعار "احترام الامبراطور وتصفية الخونة"، فقد تم سحقها بعد اربعة أيام واستقر الوضع باعدام مثيريها. ولكن هذه الواقعة كانت اشارة الى خطر انفلات العسكرية اليابانية من عقالها.

وقد اعتبر "حادث ٢٦ شباط" ثمرة الخلاف داخل الاوساط العسكرية اليابانية، وتبدى فى المواجهة بين من يقدسون الامبراطور من جهة، وانصار الهيمنة العسكرية من جهة اخرى، ولكنه اظهر بالملموس النقطة الخطرة التى وصلتها اشاعة الفاشية، واقامة النظام العسكرى ذى الطبيعة الدكتاتورية. وكانت حركة القوى العسكرية داخل اليابان تحمل فى طياتها خطر التحول الى حرب جديدة او عملية عسكرية واسعة الابعاد.

وقد تتبعنا تطور الاحداث فى اليابان بحذر ويقظة بالغين، واعدنا النظر فى ستراتيجية نضالنا، مستشفين ما قد تسفر عنه هذه الاحداث. وعلى الرغم من اخفاق حركة التمرد، الا انها بينت بوضوح مدى الشراسة التى تتدخل بها العسكرية اليابانية فى حياة البلد السياسية، ومدى هستيريتها فى تمهيد السبيل الى العدوان الخارجى. وبالفعل، اشعلت اليابان نيران الحرب ضد الصين قبل مرور اقل من سنة ونصف على ذلك، وبدأت تنطلق على طريق عدوان اكبر حجما.

كما عجلت الفاشية فى اليابان عملية خنق كوريا المستعمرة. فقد نشبت فى شبه الجزيرة الكورية معركة كبيرة محمومة ترمى الى القضاء على كل ما هو كورى، وتصفية جميع الحركات والعناصر المعادية لليابان.

فالتحدث باللغة الكورية بدلا من اللغة اليابانية، وارتداء الملابس البيضاء بدل الملابس الملونة، وعدم رفع علم "هينومارو"، وعدم الصلاة فى معبد سينتو، وعدم تلاوة "يمين رعايا الامبراطورية"، والامتناع عن احتذاء "كيتا"(٠)، كل هذا كان يعتبر معاديا لليابان، وخيانة وجريمة ضد الدولة تعرض مرتكبها للعقاب والغرامة والاعتقال والسجن.

اما الوطنيون القدماء الذين فقدوا آخر ذرة من الضمير وسط الدوامة الرهيبة للقضاء على الامة، فقد سلكوا طريق الخيانة من اجل انقاذ جلودهم، وراحوا يصرخون بان "اليابانيين والكوريين ينحدرون من اصل واحد" وان "اليابان وكوريا جسد واحد".

وحل زمن تلاشت فيه الوطنية وازدهرت الخيانة. واخذت كوريا بأسرها تهوى وتحتضر.

وكان هذا الواقع الرهيب بالذات هو السبب الملح الذى دفعنا للانتقال الى جبل بايكدو والاثبات عمليا ان كوريا ماتزال حية تناضل، وانها ستنبعث حتما!

وكما هو واضح، فقد شهدت المرحلة السابقة والتالية لاجتماع نانهوتو تغيرات لها وقع الصدمة داخل حدود بلادنا وخارجها. والحقيقة ان هذه الاحداث الدولية كانت تثقل علينا كثيرا، ولكننا لم نستسلم للقنوط. وقد كنت على يقين بانه من الممكن تماما احراز النصر على الامبريالية اليابانية اذا وسعنا النضال المسلح الى داخل كوريا.

كانت المسيرة صعبة، وبلغ التعب والاعياء حدا لا يمكن وصفه، ولكن المقاتلين كانوا متحمسين لان التقدم الى منطقة بايكدو أصبح وشيكا. واثناء المسيرة الى نانهوتو، على ما اذكر، روى احدهم اسطورة قرية تشينتشومين القائمة على ضفاف بحيرة جينغبوهو، ثم تناقشنا فى مغزاها والعبرة التى تنطوى عليها. وهى اسطورة ذات مضمون مهم وشيق.

كان يعيش فى قرية تشينتشومين شيخ فقير مع ابنته التى لم تبلغ العشرين من العمر، وكانت ذات جمال خارق، فكان جميع فتيان القرية والقرى المجاورة يحلمون بالزواج منها.

---

(٠) كيتا: نوع من الاحذية اليابانية التقليدية، يصنع من الخشب – المترجم

وكانت لوالدها قدرة عجيبة تمكنه من رؤية ما هو موجود على عمق آلاف الامتار تحت الماء. وذات مرة قال الشيخ لابنته:

"حين كنت أصطاد بالصنارة قبل أيام، لمحت فى قاع البحيرة مرآة ذهبية على عمق سحيق. ومن اجل اخراجها من القاع لا بد من قتل غول ثلاثى الرؤوس يعيش فى الماء. ولهذا الغرض لا بد لى من معاون شجاع جدا لا يعرف الخوف. وقد انفلق رأسى وأنا افكر منذ ايام اين يمكننى العثور على مثل هذا الشخص."

فاقترحت الفتاة المخلصة على ابيها:

" سأتزوج من الفتى الذى يستطيع مساعدتك فى الحصول على المرآة الذهبية."

وافق الوالد على قرار ابنته، وراح ينشره فى القرية وفى القرى المجاورة. وسرعان ما توافد شبان كثيرون الى قرية تشينتشومين. ولكن احدا منهم لم يتجرأ على ان يكون معاونا لوالد الفتاة بعد سماعهم تفاصيل خطته للحصول على المرآة الذهبية.

واخيرا تقدم شاب كنيته يانغ. وفى الحال وافق الوالد وابنته عليه بسعادة. ووعداه بان يصبح صهرا للشيخ وزوجا للابنة اذا هو ساعد الشيخ فى الحصول على المرآة الذهبية.

فى يوم صحو لا تعكر سماءه غيمة واحدة، خرج الأب مع الفتى يانغ الى البحيرة. وفى الزورق، قدم الشيخ للشاب ثلاثة سيوف، واحد طويل، وآخر متوسط والثالث قصير، وقال له:

"حين أصعد الى سطح الماء اول مرة، ناولنى السيف القصير. وحين أصعد فى المرة الثانية، ناولنى السيف المتوسط، وفى المرة الثالثة، اعطنى السيف الكبير. ولا تنس، ايها الشاب انه عليك ان تفعل ذلك بسرعة خاطفة كالبرق. ويجب الا يستولى عليك الخوف. واذا هربت خائفا قبل ان نحصل على المرآة الذهبية، فاننا كلانا سنهلك لا محالة."

فقال الشاب للشيخ:

"لا تقلق يا أبت."

وفى الحال غطس الشيخ فى الماء.

اخذ الشاب يحدق الى الماء من الزورق، بينما كانت الفتاة تراقبه من الضفة. وبعد وقت قصير، ظهر الشيخ بوجهه الشاحب على سطح الماء. فاعطاه الشاب بسرعة السيف القصير حسبما اتفقا. اخذ الشيخ السلاح وغطس فى الماء. وعندئذ بدأت البحيرة تفور من اعماقها.

ثم ظهر الشيخ على سطح الماء وفى يده أحد رؤوس الغول بحجم رأس الانسان والدم يقطر منه، وعاد يغطس فى الماء من جديد ومعه السيف الثانى. وما لبثت البحيرة ان ماجت، وأخذ الزورق يتأرجح واوشك ان ينقلب.

ولكن الشيخ ظهر على سطح الماء وهو مغطى بالدم ومعه رأس آخر من رؤوس الغول بحجم رأس الحصان؛ واخذ من الشاب السيف الثالث، وغطس من جديد فى مياه البحيرة التى كانت تفور وتغور. أرعدت السماء وعصفت الامواج العاتية فى البحيرة. واخذ الزورق يتأرجح بشدة، وبدا كأنه سيغرق. وامام هذا المشهد الرهيب، أحست الفتاة الواقفة على الضفة ان كبدها سيجف وان قلبها سيتوقف عن الخفقان. وظلت قلقة وقد بلل العرق قبضتيها.

اضطرب الشاب وفقد رباطة جأشه، فشرع يجدف بكل قواه صوب الضفة، حانثا بعهده للشيخ ومتخليا عن حلمه بالزواج من الفتاة التى كانت تراقبه من الضفة. اخذت الفتاة الغاضبة تضرب الارض بقدميها وتوجه اللعنات الى الشاب؛ ثم صعدت الزورق وتمكنت من اقناعه بتغيير وجهة الزورق والتجديف الى وسط البحيرة، ليبحثا معا عن والدها. هدأت الريح، واستقرت الامواج، ولكن الوالد لم يظهر على السطح. نادت الفتاة والشاب على الشيخ بقلق ولهفة، وجمعا صوتيهما معا، ولكنهما لم يتلقيا جوابا، فقد تحول الأب الى روح محزونة تهيم فى البحيرة.

اخذت الفتاة المنتحبة تؤنب الشاب الذى لم يف بوعده. وفيما هما فى جدالهما الطويل، تلاشيا وسط الضباب.

هذه هى الخطوط العريضة للاسطورة، ولكنها تروى بصيغ مختلفة الى حد ما فى ايمو وفى نينغآن ومناطق اخرى. يبدو ان اسم البحيرة "جينغبوهو" مشتق هو ايضا من اسطورة قرية تشينتشومين. وقد حملتنا الاسطورة على امعان الفكر فى

أمرين: الواجب الاخلاقى، وروح التضحية. وقد اتهم رفاقنا آنذاك الشاب بانه جبان ويفتقر الى الشعور بالواجب الاخلاقى. وكان صدى هذه الاسطورة قويا جدا. فكلما ظهر فى صفوفنا جبان، كان المقاتلون يشجبون سلوكه ويصفونه بانه "الشاب يانغ من بحيرة جينغبوهو".

قبل الانطلاق الى جبل بايكدو، قررت ان اعقد فى سياوجياتشيهى اجتماعا للملاكات العسكرية والسياسية فى الجيش الثورى الشعبى الكورى لمناقشة واقرار كيفية حل المهمات التاريخية الملحة التى يطرحها علينا مصير الوطن ومصير الأمة، اللذان أصبحا على مفترق الحياة او الموت. وفى احد ايام اواسط شهر شباط، وعند الغروب، كنت منهمكا فى وضع اللمسات الأخيرة على مشروع التقرير للاجتماع، بينما كنت أنتظر المبعوثين الذين ذهبوا الى موسكو، فتح الباب فجأة دون ان اسمع الطرقات المعهودة، وظهر امامى وى جين مين.

ابدى اسفه الشديد فى الاعتذار لانه تأخر عن المجىء فى الموعد المتفق عليه، وقال انه ادخل المستشفى لبضعة اشهر من اجل العلاج. ولكن عودته الى منشوريا سليما معافى كانت تستدعى التهنئة. وفكرت بانه ربما استرد عافيته بتأثير الجو فى موسكو. وحتى قبل تبادل الحديث حول شؤون العمل، كان مظهره وتعابير وجهه الهادئة تدفع الى الاعتقاد بان رحلته أسفرت عن نتائج طيبة.

لم يكن طريق عودته سهلا. فقد سافر الى نينغآن بالقطار عبر هاربين، وتقابل هناك مع الرفاق من فيلق جو باو جونغ الخامس، ثم اتجه الى نانهوتو. وفى الطريق، وقع قرب بلدة وانكو فى قبضة دورية من رجال الشرطة. وبعد استجواب قصير، اعتبروه مشبوها وارادوا اقتياده الى قسم الشرطة وكان مع وى جين مين صرة فيها وثائق هامة احضرها من الكومنترن. فكان الذهاب الى القسم يعنى ضياع كل شىء. دس٥٠ يوانا فى يد احد رجال الشرطة، فاطلقوا سراحه.

وقد قال وى جين مين مازحا ان حياته لا تساوى عشرات آلاف اليوانات، كما كان يظن، وانما ٥٠ يوانا فقط.

وقد فوجئت عندما طلب منى ان نتصافح من جديد قائلا:

" فلنصافح ثانية ايها الرفيق كيم إيل سونغ."

" لقد تصافحنا منذ لحظات، فلم المصافحة من جديد؟"

" لتهنئتك. فهذه المصافحة ذات دلالة كبيرة. بوسعك ان تفرح، يا رفيق كيم إيل سونغ. فقد درست الاممية الشيوعية اقتراحك بجد، وخلصت الى انك على حق فى جميع المسائل المطروحة، وأقرت جملة من التوجيهات المهمة تأييدا لمقترحاتك. لقد تم حل كل الامور كما كان يرغب الشيوعيون الكوريون!"

أحسست بعينى تتخضلان رغما عنى، وعانقت المبعوث بشدة وانا أقول:

"أهذا صحيح؟!"

"اجل. فقد اعتبر الكومنترن ان لجنة الحزب فى منشوريا الشرقية قد ارتكبت اخطاء يسارية خطيرة فى بعض نشاطاتها، وخصوصا فى النضال ضد (مينساينغدان). ويتفق فى هذا الرأى مسؤولو الأممية الشيوعية وممثلو الحزب الشيوعى الصينى فيها على السواء.

والاهم من ذلك ان الكومنترن اعترف بان القيام بالثورة الكورية تحت مسؤولية الشيوعيين الكوريين هو حقهم المقدس الذى لا يمكن لأحد التصرف فيه، ودعم هذا الموقف. وقرر الكومنترن بجلاء المسؤولية المنفصلة لكل من الشيوعيين الصينيين والشيوعيين الكوريين: فالصينيون يتولون مسؤولية الثورة الصينية والكوريون مسؤولية الثورة الكورية."

وتوقف وى جين مين عندئذ، ولم يستطع مواصلة الكلام.

فأدركت انه يتذكر الماضى بمرارة، وبوخز حاد فى الضمير. أتراه تذكر مناظرتنا الحادة حين كان وجه كل منا يتقد وصوته يهدر للتدليل على صحة رأيه؟ واية مشاكل جدية ناقشناها فى اجتماعى داهوانغواى وياوينغكو! بينما خارج قاعة الاجتماع ...

ولكن بفضل رحلته الى موسكو، حلت هذه القضايا بالغة التعقيد بما يتفق مع رغبتنا ومشيئتنا.

هناك معطيات تشير الى ان وى جين مين قد انطلق من هونتشون مع عشرة

كوادر محليين فى الحزب واتحاد الشباب الشيوعى، ليس للمشاركة فى المؤتمر السابع للكومنترن، وانما لاجراء دراسات، وكانت مهمته الرئيسية هى اطلاع ممثلى الحزب الصينى المعتمدين فى الاممية على قضية "مينساينغدان". وهناك معلومات اخرى، ولكنها لا تتوافق مع الواقع ايضا. ومازالت توجد فى محفوظات الكومنترن معلومات موثقة عن حضوره مؤتمر الكومنترن السابع.

روى وى جين مين انه قدم فى موسكو تقريرا مفصلا عن نضال جيش حرب العصابات فى منشوريا. ويعرف هذا التقرير باسم "تقرير فينغ كانغ". وكان قد عمل فى موسكو بهذا الاسم المستعار فضلا عن اسمه الحقيقى.

المواد حول العملية اليسارية المتطرفة فى النضال ضد "مينساينغدان" تنطوى على آراء متناقضة. بعضها يؤكد على ان المسؤولية الرئيسية تقع على عاتق وى جين مين، بينما يؤكد بعضها الآخر على ان ذلك الانحراف بدأ تصحيحه منذ تعيين وى جين مين امينا للجنة الحزبية فى منطقة منشوريا الشرقية الخاصة.

وانا شخصيا لم اكن ارى أن مسؤولية العواقب الوخيمة للنضال ضد "مينساينغدان" تقع كلها على عاتق وى جين مين.

واقول صراحة ان وى جين مين قد ارتبك بالفعل كثيرا فى بادئ الأمر ولم يستطع ان يتفهم الوضع المعقد الذى نشأ بسبب قضية "مينساينغدان" عندما كان امينا للجنة الحزب فى مدينة هاربين، وجاء فى شتاء سنة ١٩٣٤ الى منشوريا الشرقية مفتشا فى لجنة الحزب للاقليم. وكانت تسيطر على تفكيره الى حد بعيد الفكرة القائلة ان "مينساينغدان" قد تغلغلت كثيرا فى المنظمات الثورية ووحدات جيش حرب العصابات، وانه لا بد من تصفيتها. وقد اعترف فيما بعد، بانه كان يعتقد فى البدء ان معظم الكوريين قد يكونون "مينساينغدانيين".

ويبدو انه كان صادقا فى كلامه، فالتقرير الذى قدمه عنى الى الكومنترن يؤكد ذلك. فقد قال فيه:" كيم إيل سونغ كورى جرىء ونشيط. يتكلم الصينية بطلاقة. وهو رجل حرب عصابات. الكثيرون يتهمونه بانه من (مينساينغدان). يحب التحدث مع المقاتلين، وهو يتمتع بثقتهم واحترامهم. كما انه يتمتع بثقة واحترام جيش الانقاذ الوطنى الصينى."

ومهما يكن من أمر، وعلى الرغم من هذه الأخطاء أو تلك التى اقترفها فى البداية، الى انه من العدل الاشارة الى مساهماته الكبيرة لتصحيح الانحراف اليسارى المتطرف فى حملة "التطهير"، كما كان له تأثيره فى موسكو بشأن اتخاذ الكومنترن لقراراته فيما يتعلق بمسألة "مينساينغدان". وقد ابدى تفهما لموقفى ايضا من هذه المسألة فى اجتماع داهوانغواى.

ونبقى شاكرين له ايضا لانه تسامى فوق الاعتبارات القومية، وعرض على الكومنترن صورة صحيحة للوضع فى منشوريا الشرقية وحل القضية بنجاح لصالحنا.

وقد عبرت له بصدق عن امتنانى:

"شكرا. اننا شاكرون للكومنترن، ولكننا نخصك بالشكر الجزيل، ايها الرفيق وى جين مين لانك ذهبت الى موسكو رغم المرض وبذلت الجهود من اجلنا. لن انسى هذا الجميل."

واعلن وى جين مين بارتباك انه لا يستحق هذا الاطراء، وقال:

"نحن، الشيوعيين الصينيين فى اللجنة الحزبية لمنطقة منشوريا الشرقية الخاصة والهيئات التابعة لها، تعاملنا بضيق أفق مع مسألة النضال ضد (مينساينغدان) واقترفنا اخطاء خطيرة عندما قررنا مصير اناس من موقف متطرف. والواقع ان كثيرين من الشيوعيين والثوريين الكوريين الابرياء قد تعرضوا لضرر كبير. اننى اشعر بمسؤولية كبيرة لانى لم اخض النضال ضد (مينساينغدان) بطريقة عادلة. وقد كان هذا الأمر موضع انتقاد جدى فى الكومنترن."

اعتبرت هذه الكلمات بمثابة نقد ذاتى صادق. وقلت له:

"انظر يا لاو وى، الشيوعيون ايضا هم بشر، وليسوا معصومين عن الاخطاء. وأنا أرى ان السبب الرئيسى فى تعقيد قضية (مينساينغدان) هو مكائد اليابانيين لزرع الشقاق بين الامم."

" صحيح. وقد كنا لبعض الوقت ضحية مكائد العدو، واقتتلنا فيما بيننا..."

ثم اضاف قائلا وهو يحاول الابتسام:

" فى الأيام الاولى لوصولى الى منشوريا الشرقية، المح لى أحدهم بان

الكوريين يصرون على ان ارض تشينتاو هى ارضهم، وانهم يخططون لاعادة احتلالها. وانه لا بد من اليقظة والحذر لانهم سيحاولون الاستيلاء على المنطقة تحت حماية اليابانيين. وقد صدقت الى حد ما هذه الكلمات يومئذ."

لقد اثارت ملامح وجهه حينئذ مشاعر العطف فى نفسى، فقلت له:

" يا لاو وى، بعد ان تمت تسوية كل شىء على ما يرام، يجب ان ننسى الماضى. عندما ودعتك وأنت ذاهب الى الكومنترن كان رأسى مشحونا بأفكار كثيرة، ولكننى كنت واثقا من صدقك لانك قبلت اقتراحنا بطيبة خاطر وأكدت انك ستنقله بكل مسؤولية الى الكومنترن."

" شكرا. كنت على يقين بانك تفكر هكذا."

لقد اوضحت الاممية الشيوعية ان رفع الشيوعيين الكوريين شعار الثورة الكورية ليس بالأمر الخاطئ، بل هى مهمتهم المقدسة التى كان على الاممية الشيوعية ان تعهد بها اليهم. وهذا حقهم غير القابل للتصرف الذى لا يجوز انتزاعه منهم، حتى ولا من خلال مبدأ "حزب واحد فى بلد واحد".

احسسنا وكأننا نلنا الحرية التامة، مثل طائر فتح له باب القفص! وبدا وكأن أجنحة قد نمت لنا. وفتح امام الثورة الكورية مستقبل التقدم السريع.

تحدث وى جين مين ايضا عن تفاصيل سير عمل مؤتمر الكومنترن السابع.

فقد كانت تواجه المنظمة حينئذ مهمة ملحة تقضى بالتطوير النشط للنضال المناهض للفاشية على الصعيد العالمى.

فالفاشية التى نشأت بعد الحرب العالمية الاولى وتحولت الى نظام يتخذ من ايطاليا والمانيا مركزا له، احدثت تبدلات سياسية مريعة ومثيرة للقلق فى عدد كبير من بلدان اوروبا، ولبدت السماء فوق رأس البشرية بسحب حرب جديدة. لقد بدأت الفاشية بظهور "الحزب الفاشى القومى"، الذى أسسه موسولينى فى ايطاليا، وبلغت ذروتها مع هتلر وحزبه النازى فى المانيا.

وقد شجعت الفاشية التوجهات القومية الشوفينية المتطرفة التى ستكون السبب فى نشوب حرب عالمية جديدة شنتها المانيا. واصبح جنون تطرفها فى العداء

للشيوعية، اضافة الى عدائها للسامية هو اشد التيارات الفكرية الرجعية وبالا وخبثا فى كل الازمنة وفى الشرق والغرب على السواء. واصبح الفاشيون فى المانيا وبلدان اخرى قوة يحسب حسابها فى الحياة السياسية.

كان كبار البرجوازيين الألمان يرون انه لا يمكن الا لقبضة دكتاتور فاشى قوية مثل هتلر ان تتغلب على كل الازمات التى تعانيها بلادهم، وتسحق الشيوعية وتتوصل الى ازدهار الرايخ.

وبعد استيلاء نازيى هتلر على السلطة، كانت المهمة الأولى التى باشروا بها هى تدبير المكائد ضد الحزب الشيوعى فى المانيا. وكان حريق الريخستاغ السيئ الشهرة، الذى هيج العالم كله مهزلة ملفقة حسب سيناريو تلك المكائد.

الا ان الهدف السياسى الذى ابتغاه هتلر وغورنغ من حريق الريخستاغ لم يتحقق؛ وكان ذلك الحادث وصمة عار لكليهما. فعلى الرغم من انهما تمكنا من وضع الحزب الشيوعى خارج القانون، وشل البرلمان، الا ان طبيعة الفاشية تعرت امام العالم بأسره باعتبارها اشد الانظمة السياسية البرجوازية اغراقا فى الرجعية السافرة.

ووسمت الفاشية الألمانية بانها استفزازية، دكتاتورية ومشعلة للحرب.

وكان لترسيخ الفاشية فى المانيا مفعول المنبه للبشرية التقدمية.

وأمام ظهور هذا التيار السياسى وبروز خطر نشوب حرب جديدة، صاغت الاممية الشيوعية استراتيجية هامة تهدف الى تفادى انقسام الاحزاب الشيوعية والاشتراكية، ومواجهة الفاشية بقوة موحدة. وبدأت تتسع وتتعزز على الصعيد العالمى حركة الجبهة الشعبية المعادية للفاشية.

وقد اتخذت تلك الحركة لدى الامم المضطهدة فى الشرق والمستعمرات شكل جبهة وطنية متحدة معادية للامبريالية ترمى الى حشد القوى الوطنية فى مواجهة العدوان الامبريالى.

وانطلاقا من هذا الهدف الاستراتيجى، طلب مؤتمر الكومنترن السابع من الاحزاب الشيوعية فى مختلف البلدان ان تجمع شمل القوى المعادية للفاشية والامبريالية.

وقال وى جين مين ان التقرير الذى قدمه ديميتروف حول تشديد النضال العالمى ضد الامبريالية والفاشية قد ترك لديه انطباعا عميقا، وعبر عن احترامه الكبير له.

وقد نظرنا الى ديميتروف، بطل محاكمة لايبزغ، كأحد عمالقة العصر، وكان اهتمام العالم ومثقفيه التقدميين موجها اليه. فدعوته للنضال بصلابة ضد الفاشية استولت بقوة عظيمة على قلوب البشرية التقدمية.

وقد كان وجود البلغارى ديميتروف على رأس الأممية الشيوعية مكان القادة السوفييت زينوفييف وبوخارين ومانويلسكى، مؤشرا صادقا لوضع الحركة الشيوعية العالمية التى دخلت مرحلة جديدة من تطورها، ومثالا واضحا على انها بدأت عهدا جديدا تتحقق فيه مهماتها على قاعدة نشاطات الاحزاب الشيوعية المستقلة. ويمكننا القول ان قرار مؤتمر الكومنترن السابع قد منح هامشا كبيرا للاحزاب كى تعمل باستقلالية، وكان ذلك انعكاسا لمطلب العصر.

وقد كان مدعاة للسعادة حقا ان يعترف المؤتمر تماما بحق شيوعيى كوريا فى القيام بالثورة الكورية وبمسؤوليتهم عنها.

وقد زادت شروحات وى جين مين من قناعتى بعدالة قضيتنا وسلامة خطنا. وقد اعطانى نسخة من مجلة "الاممية الشيوعية"، لسان حال الكومنترن، وفيها مقالة يانغ سونغ "بصدد الجبهة المتحدة المعادية للامبريالية فى منشوريا" وكذلك رسالة الكومنترن الى المسؤولين فى منطقة جيدونغ، وكانت تحمل توقيع وانغ مينغ وكانغ شينغ، العضوين فى قسم شؤون الشرق التابع للكومنترن. وقال لى وى جين مين ان المقالة والرسالة تفسران كل ما هو جوهرى فى قرار الكومنترن بصدد كوريا.

كان يانغ سونغ يقترح فى مقالته تصحيح الاخطاء الانتهازية اليسارية، وتشكيل جبهة متحدة معادية لليابان فى اسرع وقت، واكد انه يجب على الحزب الشيوعى الصينى الآن ان يرفع شعار الجبهة المتحدة للامم المظلومة: الصينية والكورية والمنغولية والمنشورية. وشدد كذلك على انه يجب على الشعبين الصينى والكورى ان يعمدا، باتحادهما الوثيق، الى الاطاحة بالسيطرة اليابانية على دولة منشوكو

العميلة واقرار الحكم الذاتى للكوريين فى تشينتاو، وانه يتعين على وحدات الجيش الثورى الشعبى الكورى ان تمارس نشاطاتها ضمن الجيش الصينى الكورى المتحالف ضد اليابان وان تكافح من اجل استقلال الامة الكورية. ان يانغ سونغ هو رسول الكومنترن وو بينغ، الذى تقابلت معه فى كوخ جو باو جونغ الجبلى اثناء الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية.

لم تكتف الاممية الشيوعية بمجرد التأييد المعنوى او بمجرد التأييد لخطنا، بل ايدت ايضا اعمالنا بتوجيهها بعض التدابير التى من شأنها ان تدفع الثورة الكورية الى الامام بحزم وعزم.

ومن هذه التدابير التوجيه الى اعادة تشكيل وحدات حرب العصابات المناهضة لليابان، التى كانت تعمل آنذاك بصورة مشتركة، لتصبح وحدتين منفصلتين، كورية وصينية.

وحيث ان هذه القضية كانت لب المسألة المتعلقة بمسؤولية الشيوعيين الكوريين وحقهم فى القيام بالثورة الكورية، فقد كانت بالغة الأهمية فى الحفاظ على الروح الزوتشية، روح الاستقلالية.

واذا عملنا بموجب توجيه الكومنترن، وشكلنا وحدات من الكوريين وحدهم بعد سحبهم من كل وحدات حرب العصابات فى منشوريا، فانه سيكون بامكاننا مواجهة الفرقتين اليابانيتين المرابطتين فى كوريا. واذا خضنا معارك الدم والنار بروح "واحد ضد عشرة"، فان الشباب الكورى لن يقف مكتوف الايدى. وهذا يعنى تبدلا فى الموقف والتوصل الى استعادة الوطن فى وقت اسرع.

ولكننا، كشيوعيين، لم نكن قادرين على التنكر للواجب الاخلاقى، والاخوى والرفاقى بعد عدة سنوات من النضال المشترك فى الخنادق ذاتها ضد العدو المشترك. ولو عملنا لما فيه مصلحتنا وحدنا، وسحبنا المقاتلين الكوريين، فان ذلك سيعنى حل الفيلق الثانى لأن المقاتلين الكوريين يشكلون تسعين بالمئة من قوامه.

لقد كان الصينيون يشكلون الاغلبية فى تشكيلات اخرى، الا ان معظمهم كانوا من المتحدرين من الجيش الصينى المناهض لليابان، وكان عدد الشيوعيين بينهم

قليلا، ناهيك عن ان الكوريين كانوا يشكلون اغلبية القيادة ونواة جميع الوحدات العسكرية. فاذا ما فصلنا الكوريين عن الصينيين فى ظل هذا الوضع، فانه سيكون من الصعب، لبعض الوقت، الحفاظ على تشكيلات القوات المتحدة المناهضة لليابان.

منذ اواسط الثلاثينيات، اخذ الشيوعيون الكوريون يشنون بنجاح مع الشيوعيين الصينيين الكفاح المسلح المناهض لليابان، بتنظيمهم وخوضهم المعارك المشتركة تحت راية مقاومة منشوكو واليابان، بعد ان شكلوا القوات المتحدة المناهضة لليابان. وبالرغم من ان وحدات الجيش الثورى الشعبى الكورى قد بدأت، فى المرحلة الجديدة، بالتقدم نحو المنطقة الحدودية وبالاهتمام بالثورة الكورية اساسا، الا انه لم يكن من الجائز اضعاف النضال المشترك مع وحدات الشعب الصينى المسلحة المعادية لليابان.

كما انه لم يكن يتناسب مع توجهات تلك المرحلة ولا مع الاخلاق فى شىء شق صف الوحدات الى كورية وصينية فى الوقت الذى كانت فيه القوى التقدمية فى اسبانيا وبلدان اخرى تناضل مجتمعة لدعم الجبهة الشعبية ضد تحالف الفاشية.

ثم ان سلوكنا طريق الانفصال سيؤدى الى اضعاف الدعم والمساعدة التى يقدمها لنا السكان الصينيون الذين نخوض النضال على ارضهم.

لم يكن مطلبنا هو الانقسام، وانما الاستقلالية. فقد طالبنا بالاعتراف واحترام حقنا فى القيام بالثورة الكورية دون حدود او قيود او عوائق، ولم نطالب بتقسيم القوى.

وبالطبع كان وى جين مين والرفاق الصينيون الآخرون يعرفون هذا الأمر جيدا. ولكن وى جين مين كان يعتقد، على ما يبدو، ان هذا التقسيم هو اكبر هدية يحملها الى من موسكو. وقد سألنى مرارا عن رأيى فى وضع خطة لفصل الوحدات عملا بمشيئة الكومنترن. فقلت له:

"ايها الرفيق وى جين مين، اننى افهم تماما ما يدور فى خلدك. ولكنى اعتقد بانه لا يصح النظر الى المسألة من جانب واحد فقط. نحن شيوعيون، ولذا يجب علينا معالجة جميع القضايا من وجهة نظر مبادئ الثورة والمصالح الطبقية. وعندما

يتحدث الشيوعيون الكوريون عن الثورة فى بلدهم لا يبتغون من ذلك الحصول على مصالح وطنية ضيقة. فنحن نعتقد بانه يجب ان تتفق المصالح الوطنية للثورة دائما مع المصالح الاممية، وألا تتناقض معها. وانطلاقا من هذه الرؤية، لا يمكننى الا التروى وامعان النظر للتوصل الى ما هو انفع للثورة: الحفاظ على الوحدات الكورية والصينية المناهضة لليابان، التى تحارب منذ بضع سنوات فى خندق واحد، ام تقسيمها حسب الانتماء القومى. ويبدو لى ان هذا الرأى الأخير ينطلق من الاحترام للشيوعيين الكوريين، ولكننا لا ننظر الى المسألة نظرة شكلية. والواقع اننا، اذ كنا نقاتل جنبا الى جنب مع الشيوعيين الصينيين، فاننا نتصرف داخليا بوصفنا الجيش الثورى الشعبى الكورى. وفى ظل هذه الظروف، لا ارى ضرورة لفرض الانقسام الشكلى."

لم يستطع وى جين مين اخفاء سعادته، ولكنه سألنى بقلق:

"ألا يعنى هذا مخالفة توجيهات الكومنترن؟ كما انه لا يحق لنا، من الوجهة الأخلاقية، ان نبقى الرفاق الكوريين فى وحدات القوات المتحدة المناهضة لليابان."

"يمكنك الاطمئنان من هذه الناحية. ما رأيك ان نحافظ على تحالفنا، فنعمل باسم الجيش الثورى الشعبى الكورى داخل اراضى كوريا وفى القرى والبلدات التى يسكنها الكوريون فى شمال شرقى الصين، ونعمل باسم القوات المتحدة المناهضة لليابان فى القرى الصينية؟ ألا يعنى العمل بهذه الطريقة تنفيذا لتوجيهات الكومنترن، دون التخلى عن كوننا جزءا من نظام التحالف؟ ما رأيك؟"

"شكرا، لم يخطر ببالى انك ستتفهمنى بمثل هذه الروح الكبيرة. اذا عالج الشيوعيون الكوريون القضية بهذه الطريقة، فان ذلك سيكون دعما كبيرا للثورة الصينية."

فأمسكت يده مبتسما، وقلت:

"وهل قاتلنا معا لسنة واحدة او لسنتين يا لاى وى؟ هل سنقاتل سنة او سنتين ثم نفترق؟ ستبقى صداقتنا ما دامت الصين مجاورة لنا ومسرحا لانتصار المثل العليا للشيوعية."

"اشكرك، ايها الرفيق كيم. ان النضال فى صف واحد مع رفاق كوريين مثلك هو

شرف لى. اريد ان اصبح فى المستقبل مفوضا سياسيا لوحدة القائد كيم إيل سونغ. اود لو اساعد الثورة الكورية بالارتباط بكم بشكل اوثق."

تعانقنا وضحكنا بسعادة.

والحقيقة اننى غيرت وجهة نظرى فيه بعد لقائى معه فى نانهوتو. اما وى جين مين نفسه، فلم يتخلص من الشعور بالذنب لاخطائه الماضية. وبعد مؤتمر الكومنترن السابع، قام بتعديل الجهاز التنظيمى للحزب فى منطقة منشوريا، وشغل منصب امين لجنة الحزب فى اقليم منشوريا الجنوبية، اضافة الى عمله كمفوض سياسى لجيش الطريق الاول فى جيش دونغبى المتحد المناهض لليابان. ولكنه كان مع ذلك يقضى وقتا طويلا فى وحدتى، وليس فى الوحدات التى كان يقودها رفاق صينيون. وبدا كما لو أنه صار بالفعل مفوضا سياسيا للجيش الثورى الشعبى الكورى، مثلما قال مازحا من قبل. ولسبب ما كان يحب ان يكون دائما الى جانبى. وليس من قبيل الصدفة ان جاء فى وثائق رسمية للامبريالية اليابانية ان وى جين مين (وى مين شينغ) هو المفوض السياسى لوحدتى. فقد أمضى معى بالفعل وقتا طويلا فى منطقة تشانغباى، كما قام بعدة زيارات الى معسكر جبل بايكدو السرى.

وبعد اجتماع نانهوتو، لم يعترض وى جين مين تقريبا على الخطوط والمقترحات التى كنا نتقدم بها.

وقبيل الاجتماع وبعده، دخل تحالف الشيوعيين الكوريين والشيوعيين الصينيين مرحلة جديدة بعد أن كان يعانى محنا مؤقتة بسبب النضال ضد "مينساينغدان".

وقد واصلنا منذ ذلك الحين، وعلى امتداد عشر سنوات تقريبا الكفاح المسلح ضد الامبرياليين اليابانيين، بالتحالف مع الشيوعيين الصينيين والقوات المعادية لليابان فى الصين، فدفعنا الثورة الكورية الى الامام من جهة، وساعدنا الثورة الصينية بهمة وفعالية من جهة اخرى. وهكذا بدأ تاريخ الدعم المتبادل والتضامن بين الشيوعيين الكوريين والشيوعيين الصينيين منذ اوائل الثلاثينيات.

وتقييما لهذه الصداقة والدعم الاخويين بين الشعبين الكورى والصينى، قال احد قادة الصين: ان دعم الشعب الكورى للصين رفيع ولكنه طويل، بينما دعم الشعب الصينى

لكوريا قصير ولكنه ثخين. واظن ان هذه الكلمات تعبر صراحة عن افضال شعبنا الذى قدم المساعدة للشعب الصينى الشقيق على امتداد زمن طويل رغم كونه بلدا صغيرا.

كان اللقاء مع وى جين مين احد الاحداث البالغة التأثير التى بقيت راسخة فى ذاكرتى. ولا ازال احتفظ حتى اليوم نحوه بمشاعر الامتنان لأن رحلته الى موسكو لعبت دورا كبيرا فى ازالة العقبات من طريق الثورة الكورية.

وثمة واقعة اخرى جعلت لقائى مع وى جين مين حدثا لا ينسى.

عندما كنا نعد العدة لاجتماع الكوادر العسكريين والسياسيين، جاءنا فى احد الايام جندى الاتصال فى موعد الغداء وهو يلهث، وابلغنا ان نمرا ضخما يهدد مخفر المراقبة على احد المرتفعات، وطلب ان نأذن له باطلاق النار. وقال ان المخفر يقع فى أعلى جرف تتوفر فيه ظروف جيدة للمراقبة، وانه يوجد تحته مغارة فيها نمرة ضخمة مع نمرين صغيرين. وقد خاف الحراس وارادوا نقل المخفر. ولكنهم لم يجدوا مكانا آخر مناسبا، ناهيك عن ان النمرة لم تحاول الضرر بهم، فواصلوا مهمتهم فى المكان نفسه على مضض. ولكن النمرة بدأت تتصرف منذ يوم أمس بشراسة.

وفكرت بانه لا بد من سبب اثار هياج ذلك الوحش، فصعدت الى المكان الذى يقع فيه مخفر المراقبة. ومن أعلى الجرف كانت تظهر النمرة الضخمة رابضة عند مدخل مغارتها. وقد تبين ان مقاتلينا الحراس هم الذين هيجوها. فقد داعبوا جرويها الصغيرين عند خروجهما للتعرض للشمس، وقد أصيبت يد أحد الجنود بخدوش اثناء مداعبة الجروين، وكان يداعبهما بصفعهما بخفة على شدقيهما. وقد رأته النمرة التى كانت قد خرجت للبحث عن طعام، فبدأت تقفز حتى منتصف الجرف باتجاه المخفر وهى تطلق زئيرا مرعبا. وصارت تكرر ذلك عدة مرات فى اليوم.

قلت لهم:

"لا تقلقوا كثيرا. اظن انها تقوم بهذه القفزات لتظهر لكم قوتها حتى لا تلحقوا الاذى بصغيريها. وهذا اشبه بتحذيركم بأنها لن تغفر لكم اذا اسأتم الى الصغيرين ثانية. انها لا ترغب فى دخول معركة مع اناس مسلحين. ولهذا يمكنكم ان تكونوا مطمئنين."

عدل مقاتلو مخفر المراقبة عن نيتهم فى قتل النمرة، وقرروا التعايش مع ملكة الجبل تلك. وكان اول ما فعلوه هو انهم رموا الى اسفل الجرف فخذ غزال كانوا قد اصطادوه. وتواصل هذا التزويد بالغذاء لعدة أيام. وقد كف الحيوان بالطبع عن استعراض قوته، وتحول الى جار ودود. وقد علمت فيما بعد انه بعد مغادرتنا الى منطقة جبل بايكدو، حافظ آمرو ومقاتلو الجيش الشعبى الثورى العاملون فى هذه المنطقة على "علاقات حسن الجوار" مع النمرة.

ويقول ريم تشون تشو ان سرية تشاى اين زون قد اكتشفت المغارة عندما كانت تعسكر فى وادى داجياتشيهى. وكان يوجد هناك مستشفى ومشغل للسلاح ومركز للاتصالات، كما كان هناك مسؤولو التموين ايضا.

وفى اواخر سنة ١٩٣٥، انطلق ريم تشون تشو من وانغتشينغ الى نانهوتو للالتحاق بالحملة بناء على دعوتنا؛ وقد اقام مستشفاه فى كوخ مهجور فى سياوكو، حيث كان يعالج الجرحى، وبقى هناك الى ان اكتشف مكانا افضل من اجل معسكر سرى فى احدى هضاب داجياتشيهى، فانتقل اليه. وكان يبنى تلك الاكواخ فى ذلك الزمن بعض النساك الذين يتوغلون فى الجبال وهم شبان ويعيشون متوحدين ومعزولين عن العالم حتى بلوغهم السبعين او الثمانين من العمر، ويعيشون على الصيد وجمع الأعشاب الطبية وزراعة الخشخاش. وكان أصحاب تلك الاكواخ يعيشون فى الغالب عمرا مديدا، ولكن حياتهم المتوحدة تلك لها نهاية ايضا. وحين تأتى تلك النهاية تبقى اكواخهم مهجورة وخاوية.

وفى مستشفى ريم تشون تشو لم يكن يتعالج رجال وحدتنا وحسب، بل جرحى الفيلق الخامس ايضا. وقد مات فى ذلك المستشفى ليو ران هان، رئيس هيئة اركان فوج وانغتشينغ.

كانت سرية وانغتشينغ الثالثة بامرة تشاى اين زون مكلفة بحماية الجرحى واطعامهم. وذات مرة، شنت السرية غارة على ثكنة قريبة لجيش منشوكو العميل من اجل الحصول على السلاح والتموين. وقد استولت السرية على اكثر من ١٠٠ قطعة سلاح، واثناء البحث عن مكان مناسب لتخزين الاسلحة، اكتشف المقاتلون مغارة فى

جرف يقع تحت الهضبة التى يقوم عليها المستشفى ومركز الاتصالات. خبأ تشاى اين زون الاسلحة فى المغارة، ثم سد مدخلها بالاحجار كيفما اتفق. وحين نزل من الجرف اكتشف مغارة اخرى هى نفسها عرين النمور.

وكلما تذكرت اجتماع نانهوتو، ترد الى ذاكرتى صورة وى جين مين جنبا الى جنب مع تلك النمرة فى معسكر داجياتشيهى السرى، التى كانت مدار حديث شيق بين المشاركين فى الاجتماع.

لقد استمر اجتماع الكوادر العسكريين والسياسيين للجيش الثورى الشعبى الكورى فى سياوجياتشيهى نحو اسبوع، فى النصف الثانى من شهر شباط ١٩٣٦. وقد عرف هذا الاجتماع ايضا باسم اجتماع نانهوتو. واشترك فيه مع وى جين مين وغيره من الرفاق الصينيين، نحو ٣٠–٤٠ من الكوادر العسكريين والسياسيين، منهم كيم سان هو، هان هونغ كوون، تشاى تشون كوك، زون مان سونغ، تشاى اين زون، باك تاى هوا، كيم ريو زونغ، ريم تشون تشو، زون تشانغ تشول، يون بيونغ دو، وكان هذا الأخير قد ذهب الى الكومنترن فى الاتحاد السوفييتى وتلقى علاجا فى مستشفى هناك. وقد كان لقاؤه مع وى جين مين فى سياوجياتشيهى مؤثرا جدا بعد افتراقهما لعدة شهور.

نقل وى جين مين الى المشتركين فى الاجتماع آراء وتوجيهات الكومنترن بشأن المسائل التى طرحناها فى داهوانغواى وياوينغكو.

اعرب المشتركون فى الاجتماع عن شكرهم العميق له لانه عاد بقرارات ايجابية من موسكو التى ذهب اليها رغم سوء حالته الصحية.

وقد اوردت فى التقرير المركزى تقويما لخبراتنا المتراكمة فى النشاط الحربى السياسى الذى قمنا به فى النصف الاول من الثلاثينيات فى حوض نهر دومان، وعرضت المهمات الاساسية التى تواجه الشيوعيين الكوريين لتعزيز وتطوير نضال التحرر الوطنى ضد اليابان فى مرحلة تبدل بالنسبة للثورة، واقترحت التوجهات الاستراتيجية الجديدة لتنفيذ تلك المهمات.

أى اننى طرحت للنقاش مسألة ارسال القوة الرئيسية من الجيش الثورى الشعبى

الكورى الى المنطقة الحدودية ومنطقة جبل بايكدو وتوسيع مسرح النضال خطوة خطوة باتجاه اراضى كوريا، وتوسيع حركة الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان، والدفع النشيط للاستعدادات من اجل تأسيس الحزب، واعادة تنظيم اتحاد الشباب الشيوعى ليصبح اتحاد الشباب المناهض لليابان، اضافة الى سبل اخرى من أجل اعطاء دفع قوى للثورة الكورية بمجملها وللنضال المسلح ضد اليابان بوصفه محورا لها.

وقد اعرب المتحدثون عن موافقتهم وتأييدهم غير المحدود لهذه التوجهات. ولم يقع تقريبا أى رد او جدال على أى من هذه القضايا. كنت قد ترأست منذ انطلاق الثورة المعادية لليابان، عددا كبيرا من الاجتماعات، ولكنها كانت المرة الاولى التى جرت فيها بمثل ذلك الهدوء والبساطة مناقشة مسألة الخطوط، وكان المشاركون على ذلك القدر من الحماسة. فقد ساد الاجتماع منذ البداية الى النهاية جو احتفالى. وكانت المداخلات اشبه بمنافسة فى التأييد والاعراب عن اللهفة للذهاب الى جبل بايكدو، وتخيل يوم المعركة الفاصلة ضد العدو على ارض الوطن.

كان التقدم الى جبل بايكدو والى داخل البلاد هو أكثر الخطوط حزما فى النضال من اجل دحر الامبريالية اليابانية بقوى شعبنا الذاتية، عن طريق توطيد القوى الداخلية لثورتنا ووضع كل ما هو فى متناول يدنا فى العمل. وقد أيد المشاركون فى الاجتماع كلهم اقتراحنا بالذهاب الى جبل بايكدو، وبناء القوة الرئيسية من الوحدة بثبات، والسيطرة على المناطق الحدودية ثم توسيع مسرح نضالنا الى اعماق كوريا.

ان اقامة القاعدة فى جبل بايكدو وتنشيط الكفاح المسلح فى المناطق الحدودية وداخل البلاد، يمكن ان يأتى بفجر انبعاث الوطن لشعبنا الرازح تحت وطأة السيطرة العسكرية والفاشية للامبريالية اليابانية، ويبعث الثقة فى النصر فى نفوس عشرين مليونا من مواطنينا الذين ينتظرون بلهفة وصول جيشنا الثورى ويودون لو يروه. وسيكون ذلك اثباتا أشد وقعا وقوة من آلاف آلاف الكلمات الدعائية.

اقر الاجتماع توجه ثورتنا الاستراتيجى الرامى الى انشاء جمعية استعادة الوطن ودفع الاستعدادات لتأسيس الحزب الشيوعى على مستوى البلاد بأسرها.

بعد اجتماع نانهوتو، دخلت الثورة الكورية مرحلة نهوض جديد. وبهذا المعنى يمكن القول عن هذا الاجتماع انه كان بمثابة خط فاصل بين مرحلتى الثورة الكورية فى النصفين الاول والثانى من الثلاثينيات. وبفضل قراراته بدأ الشيوعيون الكوريون طريقا جديدا للانتقال بالثورة، وبالكفاح المسلح المناهض لليابان كمحور لها، الى مرحلة ارقى.

وباختصار، يمكن التأكيد انه فى اجتماع نانهوتو جرت اقامة "زوتشيه" بصورة كاملة للمرة الأولى فى تاريخ الحركة الشيوعية الكورية وتاريخ نضال التحرر الوطنى المناهض لليابان. فقد اتاحت قراراته للشيوعيين الكوريين التمسك بثبات ودون تبدل بالموقف المستقل فى مراحل الثورة التالية، واعتبارهم هذا الموقف الشرط الأول لوجود الأمة فى اى ظروف معاكسة.

كما كان ذلك الاجتماع ملتقى احتفاليا للمنتصرين. لقد تم احراز النصر بتضحيات جسيمة، وبدماء وجهود بذلها الشيوعيون الكوريون على مذبح الوطن والشعب، أمام التاريخ والعصر. فقد كانت النزاعات الفئوية بين الشيوعيين الاوائل، وحل الحزب الشيوعى الكورى، واخطاء الانتهازيين اليساريين فى النضال ضد "مينساينغدان"، قد عرضت الحركة الشيوعية الكورية الى النبذ والاستبعاد من جانب الأممية الشيوعية والاحزاب الشقيقة، وكذلك من جانب شعبنا بصورة جزئية. ولكن، منذ اجتماع نانهوتو، تخلصت هذه الحركة من اثقالها الماضية وانطلقت على طريق الانتصار.

اقيمت فى سياوجياتشيهى دورة دراسية قصيرة لمدة اسبوع من أجل تطبيق توجيهات الاجتماع. كما عقد اجتماع للعاملين الحزبيين السياسيين لبحث السبل لتطبيق التوجه الرامى الى تأسيس الحزب.

وقد اوضحت فى تلك الدورة وذلك الاجتماع بالتفصيل توجيهات اجتماع نانهوتو ورفعت شعارا جديدا يعكس روحه الاساسية. "لنتقدم بالسلاح نحو الوطن من أجل خوض المعمعة!"، وكان هدف الشعار هو التوصل الى نهوض كبير لثورتنا.

وقد انطلقنا بعد ذلك مباشرة فى المسيرة الى الوطن بخطى ثابتة.

وكان الكفاح المسلح المناهض لليابان يمضى نحو مرحلة جديدة من تطوره.

٤- رفاق السلاح الى الشمال، وانا الى الجنوب

بعد اجتماع نانهوتو، وفى صباح هبت فيه رياح عاتية، غادرنا سياوجياتشيهى متوجهين الى منطقة جبل بايكدو.

وبينما كنت اشد اربطة حذائى لكى اتوجه الى الجنوب، كان اول ما خطر ببالى هو المثل الكورى القائل: "طريق الالف رى يبدأ بخطوة واحدة". وما ان غادرنا فناء الكوخ المشيد من جذوع الشجر فى سياوجياتشيهى حتى بدأنا نترك آثار اقدامنا على الثلج الذى تساقط للتو.

وكان يرافقنا عدد من الكوادر العسكريين والسياسيين الصينيين، مثل وانغ دى تاى ووى جين مين، ومع ان هذا الاخير كان قد عاد من الاتحاد السوفييتى حيث ادخل المستشفى بسبب مرض فى القلب، الا انه كان يمشى خفيفا ويمزح بمرح مع وانغ دى تاى.

وبالرغم من برودة الجو وعصف الرياح، فقد كنا نسير بمرح وسرعة.

بموجب قرار اجتماع نانهوتو، كان علينا ان نخرج من سياوجياتشيهى ونسلك طريقا مستقيما الى الجنوب، الى جبل بايكدو، عبر جبال لاويلنغ - ايرتشينغباى - مينغويكو - آنتو. ولكننا سرنا الى الشمال فى اتجاه ايمو سالكين طريقا غير مباشر الى جبل بايكدو عبر تشينغكوجى بمحافظة ايمو - غواندى - آنتو - محافظة فوسونغ، مما يستدعى السير ضعف طول الطريق المباشر المستقيم.

ما هو السبب الذى جعلنا نغير الطريق؟ لقد فعلنا ذلك لان الرفاق الذين اشتركوا معنا فى الحملة الثانية الى منشوريا الشمالية قد بقوا فى معسكر سرى جديد فى تشينغكوجى بمحافظة ايمو، وكانوا ينتظرون الانباء عن اجتماع نانهوتو. وهناك

كان ينتظرنى ايضا رجال جيش حرب العصابات الذين قدموا من منشوريا الشرقية، والشيوخ والضعفاء والجرحى والمرضى والاولاد الذين فقدوا آباءهم.

لم نكن نشك فى ان قرارات اجتماع نانهوتو التى وضعت حدا لجميع الاعمال اليسارية المتطرفة فى مناطق حرب العصابات فى تشينتاو بشأن مسألة "مينساينغدان" واعلنت امام الملأ اجمع حق الكوريين المستقل فى القيام بالثورة الكورية، ستكون موضع ترحيب حماسى ايضا فى معسكر تشينغكوجى السرى.

فخلال سنوات النضال الدامى فى رحاب منشوريا الشرقية والشمالية الشاسعة، كان المقاتلون يحلمون فى المنام وفى اليقظة بالوطن ويتمنون بجزع التقدم نحوه.

ولكن عددا كبيرا من رفاق السلاح هناك وفى منطقة غواندى لم يستطيعوا مرافقتنا فى المسيرة الى الجنوب، نحو الوطن، بل اضطروا، على العكس تماما، الى التوغل اكثر فاكثر باتجاه الشمال لكى يخوضوا عمليات مشتركة مع الرفاق من وحدات منشوريا الشمالية.

كان اجتماع نانهوتو النقطة الفاصلة التى قدمت للثورة الكورية والشيوعيين الكوريين المنعطف الذى كانوا يتطلعون اليه، وذلك فى المقام الاول، من اجل توسيع الكفاح المسلح انطلاقا من جبل بايكدو الى اعماق البلاد. ومع ذلك، لم يكن بامكاننا ان نذهب جميعنا ونتخلى فى منتصف الطريق عن النضال المشترك مع الشعب الصينى، خصوصا واننا كنا نعتبر ذلك النضال مهمة استراتيجية فى منتهى الاهمية فى الثورة المعادية لليابان ونسعى جاهدين لنقلها الى حيز الواقع. ولو اننا فكرنا بثورتنا وحدها، وذهبنا مع جميع المقاتلين الكوريين الى جبل بايكدو، لاصطدم نضال حرب العصابات فى شمال شرقى الصين بمصاعب خطيرة دون ريب.

فوحدات منشوريا الشمالية التى كانت تعانى نقصا حادا فى الملاكات العسكرية والسياسية وتفتقر الى المقاتلين المتمرسين، كانت ماتزال تطلب القيام بعمليات مشتركة مع وحداتنا العاملة فى منشوريا الشرقية. وكان جوابنا هو القيام بحملتين الى منشوريا الشمالية. واثناء انعقاد اجتماع نانهوتو فى سياوجياتشيهى، طلبت تلك الوحدات منا كذلك ان نساعدها بشريا بردف قواتها بجنود من عندنا. وهذا ما حملنا

على ان نطرح فى جدول اعمال الاجتماع كمسألة اضافية، تقديم الدعم القتالى لوحدات القوات المتحدة المناهضة لليابان فى منشوريا الشمالية واتخاذ التدابير العملية لحلها.

ولهذا السبب بالذات، تعين علينا فى تلك اللحظة الحاسمة من المسيرة التاريخية الى جبل بايكدو، ان نذهب الى الشمال أولا لوداع الرفاق الذين تقاسمنا معهم الافراح والاتراح والحياة والموت لسنوات عديدة. فقريبا سنعانى مرارة الفراق الى أجل غير محدد عن أولئك الرفاق الذين ربيناهم بكل حرص خلال زمن طويل.

(كيف ستكون مشاعرهم وهم يبتعدون اكثر فأكثر عن الوطن متوجهين الى الشمال بدلا من ان يرافقونا فى المسيرة الى جبل بايكدو؟)

لقد كانت هذه الفكرة تعذبنى منذ اللحظة التى غادرت فيها سياوجياتشيهى.

وبالقاء نظرة الى الماضى، ارى اننى عانيت ما لا حصر له من آلام الفراق هذه على امتداد درب النضال الثورى. فقد عانيتها حين اضطررت وانا فى الثالثة عشرة من العمر، الى وداع اهل مسقط رأسى فى مانكيونغداى. ثم فى هواتين، اضطررت فور تأسيس الاتحاد لاسقاط الامبريالية، الى مفارقة الرفاق الذين بدأت اوطد صداقتى معهم.

ومع ذلك، فان هذا الفراق الاخير جرى التعويض عنه فيما بعد بلقاءات رافقتها معانقات ومصافحات حارة. فقد عدنا، نحن مؤسسى الاتحاد لاسقاط الامبريالية، الى اللقاء فى جيلين بعد فراقنا فى هواتين، وبدأنا نحشد الشباب والطلاب تحت راية "اسقاط الامبريالية". وكانوا جميعهم رجالا حقيقيين وأكفاء، مستعدين للاندفاع الى النار والماء. وكانوا كنزا لا يمكن تقديره، أعز على النفس من أقرب الاقرباء ومن اكوام الذهب.

وبعد الخروج من السجن كان على ان انقل مسرح نضالى من منشوريا الوسطى الى منشوريا الشرقية. ولم يكن لى مفر من معاناة مرارة الفراق من جديد. فرفاقى فى السلاح الذين كانوا يمضون فى مجموعات تضم كل منها من ثلاثة الى خمسة أشخاص، تفرقوا فى مهمات جديدة فى انحاء منشوريا الوسطى، والجنوبية

والشمالية الشاسعة. وخلافا للفراق فى هواتين، كان الفراق آنذاك اكثر خطورة وايلاما، حتى انه لم يكن بوسع احد ان يعد غيره باللقاء.

وهذا ما عانيته عند فراق تشاى تشانغ غول، كيم وون وو، غى يونغ تشون، كانغ بيونغ سون، باك سو سيم، تشاى ايل تشون، كو زاى بونغ وباك ايل فا. وكذلك هان يونغ آى التى رافقتنى حتى هاربين.

عندما كنت على وشك الرحيل من هاربين بعد اقامة اتصالات مع مكتب ارتباط الكومنترن، جاءت هان يونغ آى وطلبت منى السماح لها بمرافقتى الى منشوريا الشرقية. توسلت الى ألا أرفض طلبها قائلة انها تريد المشاركة فى الثورة تحت قيادة الرفيق هان بيول، كما كان الحال فى جيلين. ولكن كان عليها فى ذلك الوقت ان تؤدى فى هاربين مهمتين لم يتسن لنا انجازهما: احداهما اعادة تنظيم شبكة المنظمات المدمرة، والثانية هى البقاء على اتصال مع مفتش لجنة الحزب فى اقليم منشوريا.

وانا ايضا كنت ارغب فى ذهابنا معا الى منشوريا الشرقية، ولكنى لم استطع الموافقة على طلبها، لان العمل لا يسمح بذلك. وقد فارقت هاربين تمزقنى مشاعر متناقضة. فقد فكرت متفائلا باننا سنلتقى من جديد بعد مرور ما لا يزيد عن شهرين او ثلاثة، لاننى سأعمل سكرتيرا مسؤولا للجنة اتحاد الشباب الشيوعى فى منطقة چِيدونغ.

وهكذا، وخلافا لارادتها تركتها كممثلة خاصة فى منطقة هاربين. فقد كنت اؤمن بعلو احساسها بالمسؤولية فى انجاز اى مهمة تكلفها بها المنظمة، دون تمييز وباخلاص تام، وهى خصال حيوية لدفع النشاطات الثورية هناك. وقد كنت أضطر، لاسباب طارئة، ان استبقى فى احيان كثيرة رفاقا حميمين فى اماكن لا يطيب لهم البقاء فيها، او ارسلهم الى اماكن بعيدة.

وهكذا مضيت الى الجنوب، فى حين بقيت هان يونغ آى فى الشمال. وقد سبب لى الوداع حزنا شديدا. وعندما ودعتها ملوحا بيدى، أحسست بانقباض فى قلبى لانى اترك فى اطراف منشوريا الشمالية النائية رفيقة حميمة فى السلاح اعتادت ان تقدم لى نصف حصتها من رقائق العجين المقلية.

وقد رافقنى الفراق كظلى فى كل مرحلة من مراحل الثورة. فصيانة وتوطيد

المنظمات الثورية التى كنا نؤسسها بجهودٍ مضنية، كان يستدعى بالضرورة استبقاء اشخاص تمرسوا فى معمعان النضال، اما نحن، فكان علينا ان ننتقل الى اماكن جديدة وان نبدأ ارساء الاساس لتربية افراد جدد.

وبتعبير مجازى، كان علينا ان نحرث دون كلل أراضى بكرا، لكى يحولها رفاقى بعد ذلك الى بساتين غناء وحقول خصبة.

وكان هذا المطلب الذى تقتضيه الثورة يجعل الفراق محتما.

ومع ذلك، فان رفاقا مخلصين الى حد الاستعداد للموت اذا طلبنا منهم ذلك، كانوا يظهرون التذمر وعدم الانصياع عندما تقتضى الضرورة ان نفترق.

ولم تكن هان يونغ آى هى الوحيدة التى ألحت مثل طفلة على مرافقتنا عندما نقلنا مسرح نشاطنا الى منشوريا الشرقية.

ومما لا شك فيه ان فراق من جمعتهم اواصر الاخوة على امتداد ثلاث او اربع سنوات وتقاسموا خلالها النجاح والاخفاق، والحب والدم، ليس سهلا مثل فراق اولئك الذين يلتقون بشكل عابر فى مأمورية. وقد كنت أقنعهم، او اعاتبهم او اؤنبهم، ولكن دون جدوى.

وحتى تشا كوانغ سو الذى كان عليه ان يفهمنى اكثر من اى شخص آخر، فقد تبعنى لمسافة ٢٠ رى، وكان يقول بالحاح يسبب لى الحرج:

"هل تقاسمنا الحياة والموت، يا ترى، لكى نتفارق على هذا النحو؟ ارجوك ان تفكر معى فى وسيلة اخيرة لنبقى معا."

اما مون زو يانغ، الذى لم يحتمل مرارة الفراق، فقد اجهش بالبكاء كالنساء.

غير مرة تساءلت: هل الثورة صارمة الى هذا الحد، يا ترى؟ ألا يمكن ايجاد وسيلة لخوض الثورة دون فراق، كما قال تشا كوانغ سو؟ ولكن الفراق كان امرا لا مفر منه.

وكنت احاول اقناع الرفاق بالقول: الفراق شىء مؤقت. وعما قريب سنلتقى من جديد، فلنتحمل آلام الفراق بالتفكير فى يوم اللقاء الجديد. لنودع بعضنا بعضا بالابتسامات، لا بالدموع. ألا يقول المثل: مئة فراق يتلوه مئة لقاء؟

ولكن الواقع كان شيئا آخر فى احيان كثيرة. فقلة هم اولئك الذين بقوا على قيد الحياة والتقوا بى من جديد. ولكنهم فارقونا بعد ذلك الواحد تلو الآخر فى الوداع الابدى.

هنالك من يقول ان الحياة هى سلسلة غير متناهية من الفراقات واللقاءات. ولكن فراقات كثيرة عندنا لم تنته الى لقاء. وبصراحة، كان هذا هو السبب الذى يملأنى بالاسى ونذر الشؤم، فى معظم الاحيان، عند وداع الرفاق.

والآن، ينتظرنى فى معسكر تشينغكوجى السرى فراق لاجل غير معلوم عن رفاق حاربت معهم طوال سنوات عديدة فى اراضى منشوريا الشرقية. وكان الحزن يختفى وراء سعادتنا بالانتقال الى منطقة جبل بايكدو.

وسرعان ما قرأ وى جين مين فى عينى القلق والكآبة، بدلا من تلك السعادة التى يأمل فى رؤيتها بسبب بدء المسيرة، فسألنى اذا كان هناك ما يقلقنى.

لم يكن بمقدورى التعبير بالكلمات عن مكنون قلبى، كما اننى لم أكن راغبا فى البوح بمشاعرى للآخرين، ولهذا أجبته بانه لا وجود لشىء يستحق الذكر.

ففسر حالتى النفسية على طريقته، وقال لى مواسيا:

"ايها الرفيق كيم إيل سونغ، هل صحيح انك علمت مؤخرا بخبر استشهاد اخيك الصغير تشول جو فى السنة الماضية؟ هذا مؤسف! انصحك بان تتمالك قواك ولا تفرط فى الحزن."

فعلا، لم يكن من السهل على تحمل الحزن لفقدان تشول جو. كما اننى لم أكن اعرف اذا ما كان حيا أم لا أخى الاصغر يونغ جو، اليتيم المتوحد فى ارض الغربة فى منشوريا.

وربما كان وجهى يبدو حزينا لهذا السبب، اضافة الى حزنى لمفارقة الرفاق.

ولتخفيف احزانى، قال وى جين مين مازحا:

" يا رفيق كيم إيل سونغ، الضحك دواء فعال للمصابين بالكآبة. سأروى لك قصة شجار غرامى وقع بينى وبين زوجتى. وانبهك الى ان هذه القصة ستكون مؤشرا لك على ماهية الحياة الزوجية، ذلك انك لن تعيش الى الابد عازبا."

فوافق وانغ دى تاى لكى يحسن من مزاجى:

"طبعا! فبلوغ الرجل الرابعة والعشرين وهو عازب يعنى انه قد ضيع الفرصة. ولكن، من يدرى اذا ما كانت معاناة القائد كيم بسبب فراقه الوشيك عن محبوبته؟..."

فواصل وى جين مين الحديث بحماسة:

"معك حق. ربما كان الامر كذلك. وبالمناسبة، ارى انه من الافضل ان اروى لك قصة (زيليو) وهى حكاية قديمة من بلادنا، بدل قصة المشاجرة الزوجية."

ثم اوضح ان معنى "زيليو" هو تقطيع اغصان رفيعة من الصفصاف من أجل حسن الطالع.

وتعود هذه الحكاية الى عهد سلالة هان. حيث كان يوجد بالقرب من عاصمتهم جسر يذهب اليه أهالى المدينة كلما ارادوا وداع اصدقائهم ويقدمون لهم غصنا من الصفصاف متمنين لهم حظا سعيدا. وقد اصبح تقديم اغصان الصفصاف عند الوداع عادة صينية منذ ذلك الحين. وقد انتقلت هذه العادة الى مسقط رأس وى جين مين.

وقد نصحنى وى جين مين بان اقدم مثل تلك الاغصان لمحبوبتى، واننى سأكون محظوظا دون ريب.

ربما كان غصن الصفصاف الذى تحكى عنه الحكاية القديمة يرمز الى مسقط الرأس، وربما ابتدعت الحكاية لتذكير من هم بعيدون عن موطنهم بالمكان الذى شهد مولدهم واهله، كلما رأوا اغصان الصفصاف.

ولو اردت تقديم غصن صغير من الصفصاف لكل واحد من الرفاق الذين سأودعهم، لاحتجت الى اكثر مما تتسع له سلة كبيرة. ولكن، كيف يمكننى جمع مثل تلك الكمية وسط برد منشوريا الشمالية القارس؟ وحتى لو تمكنت من جمعها، هل سيفارقنى الاسى؟ ولكننى أحسست على كل حال بالامتنان لوى جين مين الذى روى لى قصة "زيليو" ليخفف، ولو قليلا من احزان قلبى.

ذات مرة، قال لى تشاى تشانغ غول، اثناء توديعى على ضفة النهر المكسوة باشجار الصفصاف فى غويوشو:

"انا، تشاى تشانغ غول، سأمضى بصمت، دون رسميات او مأدبة وداعية، مثل وداع نام كانغ ودان زاى."

ونام كانغ هو الاسم المستعار للى سونغ هون، ودان زاى اسم مستعار لسين تشاى هو.

وكما اوضحت سابقا، فان نام كانغ، أى لى سونغ هون، هو احد اكبر اثرياء بلادنا، وقد كرس حياته منذ وقت مبكر وحتى اللحظة الاخيرة للحركة التعليمية الوطنية ولاعمال البر والاحسان. وتعرف الاجيال التالية ان مدرسة اوسان فى زونغزو قد تأسست على يديه. وفيما كان يعمل هناك فى خدمة الاستقلاليين المهاجرين، اقام علاقة صداقة حميمة مع دان زاى، أى سين تشاى هو.

وبناء على رغبة نام كانغ، جرى تعيين الاخير فى المدرسة معلما لتدريس تاريخ كوريا وتاريخ الغرب؛ وقد كان تدريسه جيدا بحيث ذاع صيته الى ما وراء حدود البلاد، وكانت شخصيته موضوع مناقشات متحمسة بين الطلاب فى جيلين.

عشية عام كيونغسول(٠)، حين تحولت بلادنا نهائيا الى مستعمرة للامبريالية اليابانية، امضى دان زاى الشتاء فى اوسان، وذات يوم قال فجأة لنام كانغ:

"سيتعين على ان اغادر هذا المكان عاجلا ام آجلا."

فوجئ نام كانغ كثيرا وحاول ثنيه عن عزمه:

"ماذا جرى لك؟ الى اين ستذهب فى مثل هذا الجو البارد؟ اذا اردت ان ترحل، فمن الافضل ان ترحل فيما بعد. انتظر حتى يذوب الجليد عن الارض."

اصر دان زاى:

"وماذا انتظر؟ سأرحل فورا، لم أعد اطيق رؤية اليابانيين."

فى اليوم التالى، غادر دان زاى زونغزو دون ان يودع احدا او يقول لاحد متى سيعود. ويروى انه ذهب الى روسيا عبر الصين.

احس نام كانغ بالحزن الشديد وصار يدمدم:

"يا له من انسان غريب! مؤسف جدا ان يرحل دون ان يقول لى وداعا، ودون ان يأخذ نقودا للرحلة!..."

---

(٠) عام كيونغسول : يقابل عام ١٩١٠، وهو واحد من ستين اسما تطلق على السنوات فى التقويم القمرى، وتتكرر تباعا – المترجم

وقد كان طبيعيا ان يحزن نام كانغ ذلك الحزن الشديد لفراق دان زاى دون ان يتمكن حتى من مصافحته، خصوصا وانه اعتاد ان يودع رجال حركة الاستقلال باقامة المآدب وتزويدهم بمبالغ مالية محترمة للرحلة.

هكذا كان فراق نام كانغ ودان زاى الذى تحدث عنه تشاى تشانغ غول عند رحيله الى ليوهى.

اعرب كيم هيوك عن استيائه من تصرف دان زاى ورحيله دون ان يودع نام كانغ، واعتبره تصرفا مفرطا فى القسوة. فنبهه تشاى تشانغ غول الى انه يجب عليه ألا يتكلم هكذا اذا كان لا يعرف السمات الشخصية لسين تشاى هو، واضاف انه كان يكن احتراما نحو نام كانغ لا يدانيه احترامه لاى شخص آخر. وقال انه قد رحل فجأة من زونغزو لكى لا يتسبب فى ازعاج الاستقلاليين وليخلصهم من معاناة احزان الوداع.

كان تشاى تشانغ غول على حق. لان دان زاى كان انسانا ناريا، ولم يكن يضن بشىء على نام كانغ.

ولم يكن تشاى تشانغ غول هو الوحيد الذى أراد محاكاة دان زاى عند مفارقة نام كانغ، بل ان كيم وون وو وغى يونغ تشون، وغيرهما من رفاق السلاح فارقونى بصمت عند رحيلهم لاداء مهماتهم.

هكذا كانوا جميعا.

وفيما بعد، عندما احتدم الكفاح المسلح فى منشوريا الشرقية، استكملت قوام الكثير من الوحدات فى منشوريا الجنوبية والشمالية التى كانت تعانى نقصا فى القوى العسكرية، بكوادر عسكريين وسياسيين اعددناهم بأنفسنا، وبجنود اتصال احباء ومقاتلين آخرين اثمن من الذهب. وفى كل وداع وفراق كنت اسكب الدمع قطرة قطرة فى قلبى ليحرق روحى. وحين كنت اتلقى اخبارا محزنة عن موعد ومكان وكيفية استشهاد كل واحد من اولئك الرفاق، ينفتح فى قلبى جرح لن يلتئم الى الابد.

فى تلك الفراقات، عرفت بالتجربة مدى صدق الحب بين رفاق النضال الثورى، وأدركت بوضوح المكانة التى يحتلها رفيق النضال فى حياة الثورى.

ولهذا، وبعد تحرير البلاد، والانطلاق ببناء الاشتراكية، كثيرا ما كنت اقول

للرفاق انه توجد فى الدنيا انواع كثيرة من الحب، منها حب الآباء والابناء، وحب الازواج، وحب الاخوة والاصدقاء، ولكن ارقى انواع الحب هو الرفاقية الثورية.

لا يستطيع معرفة الحب الرفاقى الحقيقى من لم يعش تجربة الثورة بمعناها الحقيقى، ولا يستطيع ادراكه من لم يشاطر الرفاق الموت والحياة فى ميدان القتال تحت وابل الرصاص.

ففى الظروف الشاقة، فى اتون القتال الضارى الذى يستمر لبضعة أيام، حين كان مقاتلونا يسكنون جوعهم بالماء، كانوا يفكرون فى رفاقهم قبل أنفسهم، فاذا التقط احدهم ثمرة برية متجمدة من بين الثلج، فانه يدسها فى فم رفاقه قبل ان يتذوقها.

وكما تبين العبرة المستقاة من اسطورة كيون وو وزيك نيو، فان حزن الفراق يكون متناسبا مع مقدار الحب. ولهذا السبب يسبب الفراق بين الرفاق الثوريين آلاما لا تطاق.

ولكن، كيف يمكن تفادى الفراق، مهما كانت آلامه، اذا كان لا بد منه من أجل الثورة؟

وفيما كنت أفكر بأشياء كثيرة حول كل واحد من الرفاق الذين سيتفرقون فور صدور الامر، ويتوجهون الى مناطق مختلفة، أحسست بقلبى ينسحق.

كان جنديا الاتصال الشابان او داى سونغ وتشاى كوم سان، اللذان يرافقاننى لا يعرفان شيئا عن احزانى، وكانا مفعمين بالسعادة لانهما سيبدآن المسيرة نحو الوطن، دون ان يعرفا انه على احدهما ان يبقى مع احدى الوحدات فى منشوريا الشمالية.

وبعد الظهر، وصلنا الى معسكر تشينغكوجى السرى بعد مسيرة طويلة.

ومن كوخ متوار فى الغابة هرع اشخاص كثيرون للقائنا، والتفوا حولنا بصخب.

لقد كانوا رفاقا من وانغتشينغ وهونتشون سيبقون هناك فى ارض منشوريا الشمالية، ومرضى وجرحى ومسنين وضعفاء سيتوجهون الى الاتحاد السوفييتى.

وفجأة ظهرت طفلة صغيرة اندفعت نحوى كقذيفة وهى تنادينى وتعلقت بذراعى.

صحت متسائلا:

"من ارى؟ أأنت هنا أيضا؟"

عانقتها وحدقت فى وجهها الصغير. كانت ريانغ غيدونغ نيو، ابنة ريانغ سونغ ريونغ الذى قتل مع زوجته وأمه فى قاعدة وانغتشينغ لحرب العصابات.

" لقد جئت حين علمت انك قادم الى هنا ايها القائد العزيز. هل صحيح اننا سنذهب الى جبل بايكدو؟"

" وكيف عرفت هذا؟"

" لقد اخبرنى ذلك الرجل، انه العم لى وونغ مان. وقال اننا جميعا سنذهب معا الى كوريا فى اثر القائد العزيز."

نظرت الى حيث اشارت الطفلة. فرأيت بين المقاتلين لى وونغ مان يستند الى عكازين ويبتسم ابتسامة عريضة.

تجمدت فى مكانى، ولم استطع النطق بكلمة واحدة لبعض الوقت.

لقد سبق وأوضحت انه كان آمر سرية فى وحدة وانغتشينغ من جيش حرب العصابات. وبالنظر الى صفاته وكفاءاته، كان قائدا واعدا يمكنه ان يقود كتيبة او فوجا. ولكنه لسوء الحظ، فقد احدى ساقيه، فأعفى من الخدمة وانتقل الى الخط الثانى.

ومع ان جرحه لم يكن قد شفى تماما، الا انه كان يعيش بتفاؤل، ويعمل فى مشغل السلاح.

سألنى لى وونغ مان:

"أليست نبوءتى صحيحة، ايها القائد العزيز؟ لقد سمعت وانا هنا ما كان يدور من كلام هناك."

وبعد ان قال تلك الكلمات، طلب منى ان احدثهم بسرعة عما جرى فى اجتماع نانهوتو.

بعد ان رتبت امور الرحلة، جمعت المقاتلين وسكان المعسكر واطلعتهم على قرارات اجتماع نانهوتو.

وعندما انتهيت، رفع الجميع ايديهم واطلقوا الهتافات. وحين اخبرتهم ان الاممية الشيوعية قد اعترفت بان الصراع ضد "مينساينغدان" فى تشينتاو قد جرى من مواقع يسارية متطرفة، وانها اعلنت ان القيام بالثورة الكورية هو حق مقدس للكوريين لا يمكن لاحد انكاره، بكى الحاضرون تأثرا وقالوا ان الوقت قد حان

للعودة الى مسقط رؤوسهم، الى الوطن، حيث دفنت حبال أسرتهم، وخوض المعارك الفاصلة هناك ضد الامبريالية اليابانية. وحتى الذين ولدوا فى الغربة لم يستطيعوا اخفاء انفعالهم، واعربوا عن رغبتهم فى رؤية الوطن بأسرع ما يمكن. وبدأ احدهم يتحدث باعتزاز عن جبل بايكدو.

ويبدو ان أيا منهم لم يكن يفكر بالبقاء هناك، فى ارض منشوريا الشمالية. وبقدرما كان انفعالهم يزداد، كان احساسى بالحرج يكبر، لانه كان على ان اخبرهم بالحقيقة.

ومع ذلك، ورغم الجرح الذى أحسسته فى قلبى، صارحتهم قائلا:

"ايها الرفاق. تذكروا الماضى. فكلما نشأ وضع جديد فى عملية التطور الديالكتيكى للكفاح المسلح، كان يتوجب علينا على الدوام، ودون استثناء، ان نفترق. ولا تستثنى من ذلك هذه اللحظة التالية لاجتماع نانهوتو الذى مثل قفزة نوعية للثورة الكورية. ولهذا، علينا جميعا ان نكون مستعدين للافتراق عن بعضنا البعض. ان الاوساط العسكرية الفاشية اليابانية تتمادى الى اقصى الحدود فى عدوانها على الشمال بعد (حادث ٢٦ شباط) المفتعلة. وانتم تعرفون جيدا ان الامبريالية اليابانية قد استولت على تشيتشيهاير وشمال الصين، وهى تقوم باستفزازات مستمرة على الحدود السوفييتية المنشورية لتجد ذريعة للهجوم على الاتحاد السوفييتى. وفى ظل هذا الوضع، تسعى وحدات جيش حرب العصابات فى منشوريا الشمالية الى تعزيز القوى المناهضة لليابان. ولكنها تواجه مصاعب كبيرة بسبب نقص فى المقاتلين المتمرسين، وقد طلبت منا المساعدة عدة مرات. فتصوروا، أيها الرفاق، ما الذى سيحدث اذا ذهبنا جميعنا الى جبل بايكدو."

ولكى اتيح للمستمعين ان يلتقطوا معنى ما قلته، توقفت عن الكلام، وشملتهم بنظرى. تعالت بين الحشد دمدمات قلقة. فى البدء تعالت تلك الهمسات من احد الاركان، ثم انتشرت لتحول القاعة الى ما يشبه خلية نحل هائجة. وكنت انتظر بالطبع حدوث ردة فعل كتلك، ولكنها اربكتنى لبضع لحظات. ولم اتجرأ على مواصلة الكلام لاننى كنت ادرك ان الفراق سيصطدم بعقبات جدية.

وسرعان ما هدأ الحاضرون، وصوبوا انظارهم نحوى.

رأيت ان اللحظة قد ازفت للحديث، وأطلعتهم دفعة واحدة على خطة اعادة توزيع القوات التى كنت قد راجعتها بينى وبين نفسى عشرات المرات منذ الانطلاق من نانهوتو. قلت:

"انتبهوا، على فوج وانغتشينغ ان ينتقل الى المنطقة التى يعمل فيها الرفيق تشاى يونغ كون، اما فوج هونتشون فسيذهب الى منطقة عمل الفيلق الثالث الذى ينتمى اليه الرفيق كيم تشايك. وستقوم جماعة من الفوجين، مع الفيلق الخامس بقيادة جو باو جونغ، بعمليات مشتركة فى مناطق نينغآن وموليغ وويهى. اما الجرحى والضعفاء فسيتم نقلهم الى الاتحاد السوفييتى، وسيستعيدون هناك صحتهم بسرعة.

اعذرونى ايها الرفاق. انتم تعرفون اننى جئت هنا لوداعكم، وليس لكى ترافقونى الى جبل بايكدو."

خيم على القاعة صمت كصمت المقابر، وسمر الحاضرون انظارهم على. كنت اتصور ان صرخات الاستياء ستخلق جوا من الاضراب، ولكن الغريب فى الامر انهم اكتفوا بالنظر الى بهدوء، دون ان ينطقوا بكلمة واحدة. وقد سبب لى ذلك الصمت الخانق رهبة اكبر مما قد تثيره آلاف كلمات الاحتجاج.

ولكن الصمت لم يدم طويلا. فقد بدأ النشيج يعلو من هنا وهناك. وكنت منتصبا مثل عمود امام المقاتلين الذين بدا الفتور على وجوههم.

عندئذ نهض تشاى تشون كوك، العامل السياسى تحت امرتى لبضع سنوات، وابدى كرمه بالقول لى مواسيا:

"ايها القائد العزيز، لا تقلق، اذهب الى غرفة اخرى واسترح من مشقة الرحلة. وسنجد مخرجا للوضع بانفسنا."

وكان مقررا له بالذات ان يفترق عنا لكى ينظم لواء مستقلا.

بعد ان عهدت اليه بمهمة العمل مع الذين سيبقون فى منشوريا الشمالية، اجتمعت مع المرضى والضعفاء صحيا الذين سيذهبون الى الاتحاد السوفييتى. لقد خلفت سنوات عديدة من حرب العصابات فى صفوفنا عددا كبيرا من الجرحى والضعفاء بدنيا. وعندما كانت مناطق حرب العصابات ما تزال قائمة، كانت مستشفياتها تتولى امر

علاجهم. ولكن بعد حل تلك المناطق، اصبح علاج الجرحى مشكلة جدية. ولهذا جرى ارسال عدد كبير منهم الى شاهيجانغ ومحيط بحيرة جينغبوهو حيث كانوا يتلقون رعاية طبية مؤقتة. وبعد انشاء معسكر تشينغكوجى السرى جمعناهم كلهم فيه. ومع ذلك، لم يكن من الممكن اعتبار هذا الاجراء آمنا تماما.

ولحسن الحظ، حل وى جين مين هذه المشكلة العويصة بنجاح ووفقا لمطالبنا، فى محادثاته مع المنظمة المعنية فى الاممية الشيوعية. وبفضل مساعيه، توفرت لجرحى الجيش الثورى الشعبى والضعفاء بدنيا امكانية العلاج مؤقتا فى الاتحاد السوفييتى. بل انه توصل كذلك الى اتفاق مع الكومنترن حول الاجراءات العملية لتسليم وقبول الجرحى المرسلين الى الاتحاد السوفييتى. وبفضل جهوده ايضا، حلت بنجاح مسألة ارسال الطلاب للدراسة فى المدارس التابعة للكومنترن. وعندما سينطلق مقاتلو فوجى وانغتشينغ وهونتشون الى منشوريا الشمالية، فان جماعة الطلاب ستذهب مع الجرحى الى الاتحاد السوفييتى.

قررنا تنظيم مجموعتين من الجرحى والضعفاء بدنيا من رجال وحدتنا، وكذلك من الاطفال الذين فقدوا آباءهم، وارسالهم الى الاتحاد السوفييتى على دفعتين. وعهدنا الى وانغ ريون تشينغ وبعض المقاتلين بحراسة الجرحى ومرافقتهم الى الحدود.

وكانت هذه المسألة قد تقررت فى نانهوتو، ولكن الجرحى فى تشينغكوجى لم يعلموا بها بعد.

وبينما كنت متوجها الى حيث يتواجدون، ظهر لى وونغ مان فجأة وقطع الطريق على مستندا على عكازيه، وقال:

"كيف يمكن لصاعقة ان تظهر فى سماء صافية كهذه ايها القائد العزيز؟ وهل يجب على، انا لى وونغ مان، ان اذهب الى الاتحاد السوفييتى ايضا؟"

وجه السؤال بصوت عال، وكانت عضلات وجهه ترتعش من شدة الانفعال.

"اهدأ يا رفيق وونغ مان. هيا بنا نجلس هنا."

ساعدته فى الجلوس على جذع شجرة مقتلعة فى الغابة.

فأمسك بساعدى وقال متوسلا:

"ايها القائد العزيز، اسمح لى بالقيام بالثورة الى جانبك حتى اللحظة الاخيرة من حياتى. يمكننى، حتى وانا بساق واحدة، ان اطلق النار، وان اصلح السلاح. ولانه ما زال لدى لسان، فاننى استطيع ايضا ان احرض فى صالح الثورة. أتظننى استطيع العيش بهدوء فى الاتحاد السوفييتى بينما رفاقى يقاتلون ويبذلون الدماء مضحين بحياتهم؟"

كنت اعرف ان آمر السرية السابق، ذا الطبع النارى، سيتصرف على هذا النحو. فقد وافق على بتر ساقه من أجل مواصلة الثورة.

امسكت باحدى يديه وقلت له موضحا:

"اذا أنت تصرفت على هذا النحو، فان الآخرين سيحذون حذوك. اننى اشعر بالالم مثلكم حين افكر انكم ستفارقون صفوف الكفاح المسلح المناهض لليابان. انكم تعانون فى حياتكم دائما بسبب ظروفكم الجسدية. عندما كانت مناطق حرب العصابات موجودة، كانت الامكانيات أمامكم أكبر، اما فى ظروف النضال الحالية، حيث لم يعد ثمة وجود لمناطقنا الحصينة، وصار علينا ان نتنقل من مكان الى آخر بسرعة خاطفة مثل هونغ كيل دونغ(٠) الاسطورى، فكيف ستستطيعون اقتفاء اثر الوحدة وانتم فى هذه الحالة الصحية؟"

تحدثت معه طوال اكثر من ساعة، ولكن كلماتى ذهبت ادراج الرياح وكأننى اهمس بها فى اذن حصان. فقد رد على قائلا:

"لا أحب هذه الحياة الهادئة وآكل خبز بلد انتصرت فيه الثورة. ولو اننى فكرت بان اعيش حياة رغيدة، مديرا ظهرى للثورة، فلماذا جئت اسعى الى جيش حرب العصابات حاملا معى صندوق مسدسات "براونينغ" اشتريته مقابل كل ممتلكات اسرتى؟ اطلب منك ايها القائد العزيز مرة اخرى ان تسمح لى بالبقاء الى جانبك. لا اريد ان اكون متخلفا عن الآخرين."

---

(٠) هونغ كيل دونغ: بطل الرواية الكورية من القرون الوسطى "حكاية هونغ كيل دونغ"، وهى تصوره كانسان يستخدم اساليب القتال العجيبة والبديعة، ويحقق غايات نبيلة بتلك الوسيلة. – المترجم.

كان لى وونغ مان شيوعيا حقيقيا يخاف الخروج من صفوف الثورة اكثر مما يخاف الموت. ولكن طريقته فى التفكير كانت تنطوى على تطرف كبير. فالذهاب الى الاتحاد السوفييتى لم يكن يعنى التخلى عن الثورة والعيش فى رخاء. لقد اردنا ان يتلقى علاجا مضمونا فى مكان آمن، ثم يعود الينا ولو بساق اصطناعية.

لم استطع ان اضيف كلمة اخرى حيال موقفه، ورحت امشى بصمت على الثلج قرب المعسكر، متذكرا بانفعال تلك الايام فى وانغتشينغ، عندما كنا ندافع معا عن منطقة حرب العصابات. وتوصل صمتى الطويل وما رافقه من حزن الى التأثير فى روح لى وونغ مان.

حدق طويلا فى وجهى، ثم تهاوى على كتفى وأجهش بالبكاء.

قال متلعثما:

"عفوا، ايها القائد العزيز! اعرف اننى أزعجك. سأذهب. سأذهب الى الاتحاد السوفييتى، وهناك سأصلى كل يوم من أجل انتصارك فى المعارك، موليا وجهى نحو جبل بايكدو."

ولم يكن وداع ريانغ غيدونغ نيو أقل ايلاما من وداع لى وونغ مان. فهى لم تتوقف عن البكاء منذ ان عرفت انها ستذهب الى الاتحاد السوفييتى. ولهذا، أمضيت كل فترة وجودى فى المعسكر معها: فكنا نتمشى ونأكل وننام معا.

وعشية رحيلنا، لم تستطع الصغيرة النوم مطلقا. وكانت تهمس لى طوال الوقت تحت اللحاف:

"يقولون ان البرد فى الاتحاد السوفييتى اشد وطأة مما هو عليه هنا، هل هذا صحيح؟"

ربما سمعت من الكبار انه توجد فى تلك البلاد منطقة متجمدة ذات برودة رهيبة.

"اطمئنى من هذه الناحية. فالبرد حيث ستذهبين مثلما هو هنا فقط."

وفيما كنت أرد عليها بهذا الجواب وأنا اسمع عويل رياح منشوريا الشمالية العاتية حول الكوخ، شعرت بقلبى يتفتت. وتبدت لى قسوة الواقع الذى يفرض على ارسال هذه الطفلة اليتيمة البائسة، من غربة الى غربة.

ومع ذلك، ففى تلك البلاد التى لم يكن يهمها فيها الا العاصفة الثلجية والريح الباردة، كانت قد أقيمت دولة اشتراكية، لا وجود فيها ليابانيين ولا مستغلين، وليس فيها سياط ظالمين.

ستكون هناك بعيدة الى الابد عن العالم الكريه الذى يضهد ويلاحق الابرياء، وستعيش مرحة مثل قبرة، حرة مثل نسر، سعيدة مثل حمامة. وعندما تكبر، ستعود الى صفوفنا، وتواصل الثورة.

بهذا العزاء وهذا الامل قررنا ارسال الاطفال المساكين اليتامى امثال ريانغ غيدونغ نيو الى الارض السوفييتية.

"لقد قال العم وونغ مان انك ستحارب فى جبل بايكدو، ولكنك ستأتى لرؤيتى مرة فى الشهر. أصحيح هذا؟"

لقد كذب لى وونغ مان دون ريب حين رأى اصرار الصغيرة على عدم الانتقال الى الاتحاد السوفييتى.

لم اعرف ما اقول لها، واكتفيت بالنظر الى عينيها الصافيتين، الطاهرتين. وكانت تلك هى المرة الوحيدة التى يعرضنى فيها سؤال طفولى الى مثل هذا الحرج. ولكن، لحسن الحظ، انقذتنى هى نفسها من الورطة:

"اذا جئت الينا من جبل بايكدو، فسيعود هؤلاء اليابانيون الى قتل الكوريين. ماذا نعمل؟ من الافضل ألا تأتى الينا، لتبقى دائما فى جبل بايكدو."

"أحسنت، أحسنت. لن انسى اقتراحك، ولن اغادر جبل بايكدو. وسأقاتل العدو، واثأر لوالديك."

واحتضنت الصغيرة الى صدرى بشكل غريزى. والتصقت هى بى مثل عصفور صغير، فأحسست بجسدها يرتعش.

ربما كانت تمر أمام عينيها مشاهد المجازر الفظيعة التى شهدتها وراح ضحيتها ما لا حصر لهم من الآباء والامهات.

ان اقتراحها بعدم مغادرتى جبل بايكدو مثل بالنسبة لى رغبة ومطلب جميع الكوريين.

وبعد لحظات أضافت قائلة:

"ايها القائد العزيز! يقولون ان جبل بايكدو عال جدا لا يمكن للصغار امثالى الصعود اليه. أهذا صحيح؟ ولهذا السبب لن استطيع الذهاب الى جبل بايكدو، وسأذهب الى الاتحاد السوفييتى مع العم وونغ مان."

مسدت رأسها بصمت، بينما كان قلبى يقول: (يا مسكينتى الصغيرة، ستأتين أنت ايضا الى جبل بايكدو عندما يحين الوقت. وسترين وطننا كوريا بلدا يطيب العيش فيه كما فى الاتحاد السوفييتى).

فى تلك الليلة، جافانى النوم وتسلط على ذهنى مشهد الفراق الحزين الذى سيجرى فى صباح اليوم التالى. ورحت أفكر: كيف سأودعهم؟ هل أقدم لكل واحد منهم غصنا من شجرة كما فى اسطورة "زيليو"، ام امضى بصمت وخفية مثل دان زاى؟

وعند الفجر جاء تشاى تشون كوك وسألنى:

"متى سترحل، ايها القائد العزيز؟"

"سأتناول الفطور باكرا ثم أمضى. ان الرفاق فى سرية غواندى ينتظروننى بفارغ الصبر. ولكن قل لى، هل هدأ مزاج الناس هنا؟... فأنتم ايضا عليكم التوجه قريبا الى الشمال."

اما ريانغ غيدونغ نيو التى بقيت تناجينى حتى ساعة متأخرة من الليل، فكانت ما تزال نائمة بهدوء، دون ان تنتبه الى ان يوم الفراق قد حل.

قال تشاى تشون كوك مواصلا الكلام:

"لا تقلق بشأن رفاقنا، ايها القائد العزيز. كن مطمئنا، سنحارب جيدا فى منشوريا الشمالية."

"الجميع رفاق طيبون! ولهذا فان آلام الفراق عنكم كبيرة، وعنك أنت بالذات..."

امسكت عن الكلام للحظة ونظرت الى تشاى تشون كوك، ثم امسكت بيده وقلت:

"يمكننى التحدث اليك على الاقل قبل الفراق يا تشون كوك. ولكن ما يحزننى اننى لا استطيع حتى رؤية هان هونغ كوون. اذا سنحت لك فرصة اللقاء به فى منشوريا الشمالية، فانقل له مشاعرى."

فى ذلك الصباح، تناولنا معا فطورا بسيطا بدل مأدبة الوداع. وقد كان تشاى تشون كوك على حق، فقد ودعنى الرفاق فى تشينغكوجى مبتسمين.

ولكن ريانغ غيدونغ نيو وحدها كانت تنحب بمرارة.

ومازلت حتى اليوم أشعر بجرح فى قلبى كلما تذكرت ذلك اليوم الذى غادرت فيه مغموما معسكر تشينغكوجى السرى، ودفعت الى لى وونغ مان بتلك الطفلة ذات التسع سنوات التى كانت تتشبث بى ولا تريد الانفصال عنى.

علمت فيما بعد ان لى وونغ مان وريانغ غيدونغ نيو سافرا الى الاتحاد السوفييتى، اما فى الدفعة الاولى، واما فى الدفعة الثانية. ولم اتلق أى أخبار عنهما الا بعد التحرير، عندما عادت الى الوطن الجندية السابقة من فريق الخياطة فى جيش حرب العصابات زون مون زين، التى كانت قد ودعت ايضا وحدتها فى معسكر تشينغكوجى السرى وسافرت الى الاتحاد السوفييتى. ولم يكن لفرحى حدود حين عرفت، وان يكن بصورة متأخرة، انهما لا يزالان على قيد الحياة وفى صحة جيدة.

ولا بد ان ريانغ غيدونغ نيو قد بلغت الآن السبعين من عمرها تقريبا. اى انها فى مرحلة افول شمس حياة الكائن البشرى.

كثيرا ما اتذكرها باعتبارها ابنة آمر الكتيبة السابق الذى ذوى كآبة لاتهامه بالاشتراك فى "مينساينغدان". وكلما تذكرتها تظهر فى مخيلتى صورة طفلة فى التاسعة من عمرها، زهرة نضرة، وليس صورة جدة تقترب من السبعين. لا استطيع ان اتصورها عجوزا. فقد انطبعت فى ذاكرتى الى الابد صورة طفلة تزقزق مثل عصفور الدورى طالبة منى السماح لها بمرافقتى الى جبل بايكدو.

فى تشينغكوجى، لم يكن وداع المقاتلين الذين سيتوجهون صوب الشمال صعبا جدا بفضل جهود تشاى تشون كوك الذى اقنعهم سلفا. اما فى غواندى، فقد واجهت مشقة كبيرة فى جعل سرية كيم ريو زونغ وسرية اخرى ينتمى اليها او زين وو تذهبان للانضمام الى وحدة حرب العصابات فى منشوريا الشمالية. وقد أصرت الثانية منهما على الذهاب معنا الى جبل بايكدو.

حاولت اقناعهم مرارا، ووافقوا اخيرا على الانتقال، ولكنهم توسلوا السماح لهم

بمرافقتنا الى حدود آنتو على الاقل. وقد انضم اليهم فى هذا الطلب مقاتلو فصيلة من الشباب المتطوعين القادمين من هونتشون، وكان منهم هوانغ زونغ هاى الذى قام بناء على اوامرنا فى وقت سابق، بدفع جنود من جيش منشوكو العميل الى التمرد، وكان عند الوداع على رأس الساعين للحصول على موافقتى للذهاب معنا.

حدثتهم طوال ساعات عن الوضع فى منطقة منشوريا الشمالية.

وكنت قد لاحظت ان وى جين مين، يولى اهتماما خاصا لهذه الفصيلة، فقررت تقديمها اليه. وقد غادر مقاتلو السرية التى ينتمى اليها او زين وو رابية ميهونجين وهم فى حالة معنوية سيئة.

وعلى رابية ميهونجين حيث كانت الريح تئن بكآبة، ودعت مع وى جين مين هؤلاء المقاتلين الذين كانت الدموع تلمع فى عيونهم. ولم استطع كبح مشاعر الكآبة التى طغت على روحى.

وعند وداع اولئك الذين ارسلناهم متفرقين للالتحاق بالقوات المتحدة المناهضة لليابان فى منشوريا الشمالية، كان على ان اعانى قدرا اكبر من الكآبة. فقد كانت تلك الوحدات المشكلة حديثا تفتقر الى الكوادر العسكريين والسياسيين. واستجابة لطلبها، ارسلت اليها جندى الاتصال الذى يعمل معى او داى سونغ، وكوادر آخرين من امثال هان هونغ كوون، وزون تشانغ تشول، وباك كيل سونغ، وباك راك كوون، وكيم تاى زون، وغيرهم. وهذا يعنى اننا ارسلنا اليها جميع الكوادر تقريبا الذين ربيناهم بحرص وعناية فى تشينتاو.

كان او داى سونغ، هو الاخ الذى يصغر او زونغ هوب. وقد كان عضوا فى منظمة طليعة الاحداث فى شيليبينغ، ولكنه حين رأى اخوته الكبار ينضمون الواحد تلو الآخر الى صفوف جيش حرب العصابات، صار يشعر بالغيرة منهم، الى ان تطوع اخيرا ليكون جندى اتصال عندى.

عندما أمرته بالالتحاق بوحدة منشوريا الشمالية لحرب العصابات، اكتفى بالابتسام. وأظن انه اعتبر كلامى فى اول الامر ضربا من المزاح. ولكنه حين ادرك انى لا امزح، اعترض بنبرة باكية:

" لماذا تريد ارسالى الى هناك؟ لن أذهب. وهل تظن ان الثورة ستنهار هناك اذا لم اذهب؟ ارجوك ان تسمح لى بالبقاء الى جانبك، ايها القائد العزيز."

كنت أشعر بالرضا عنه دائما وأنا اسمعه يتقبل اوامرى قائلا: "سمعا وطاعة!". ولكنه فى هذه المرة يتصرف بتمرد.

وقد أمضيت وقتا طويلا فى اقناعه بضرورة الذهاب الى وحدة حرب العصابات العاملة فى منشوريا الشمالية البعيدة.

وعندما رأى عينى مخضلتين عند الوداع، كان هو من حاول مواساتى وكأنه رجل كبير، بل انه قال لى مازحا:

"ايها القائد العزيز، اذا انا رحلت، فهل سيستطيع كوم سان هذا العناية بك مثلما كنت أفعل؟"

وعشية الوداع، امضى جنديا الاتصال هذان الليل معا يتبادلان الحديث بلطف.

وكان من عادتى ان انام بعد منتصف الليل، وانهض فى الساعة الثالثة او الرابعة فجرا. ولكننى فى تلك الليلة اطفأت القنديل باكرا لان جندى الاتصال او داى سونغ كان سيمضى فى اليوم التالى فى رحلة بعيدة. وعند الفجر، خرج جنديا الاتصال من الحجرة. فأثار تصرفهما فضولى واصغيت الى كلماتهما.

قال او داى سونغ بصوت خافت:

"اسمع، يا صديقى، كوم سان. عليك ان تخدم القائد على افضل وجه بعد مغادرتى." بدا لى ان كوم سان قد رد عليه بتنهيدة. وواصل او داى سونغ كلامه قائلا:

"عندما تذهب الى جبل بايكدو، حاول الحصول بأى ثمن على عجينة فول الصويا مع الفلفل وقدمها للقائد العزيز فى كل وجبة. يمكنك الحصول عليها بسهولة، لان الكوريين كثيرون هناك. انت تعرف انه يحب هذه العجينة كثيرا. ولكننا لم نستطع تقديمها اليه هنا ولو مرة واحدة. وبصراحة، لم نكن جنديى اتصال جيدين. وهذا أمر يزعجنى كثيرا وانا على وشك الافتراق عن القائد."

فرد عليه الآخر بصوت منطفئ:

"لا تقلق. سأفعل ما طلبته. ولكن متى سنلتقى مرة أخرى؟"

"لا اعرف... اسمع، يا كوم سان. عندما تصل الى هناك، ابحث عن أحد اهالى محافظة بيونغآن. فقد تجد عنده (زوتكال) (٠) والقائد يحبها كثيرا. لو كنت سأذهب الى جبل بايكدو لاستطعت ان اقدم للقائد كل هذه الاطباق، ولكن..."

حين اطل الفجر، ودعت او داى سونغ. وبين صفحات كتاب تركه وجدت رسالة صغيرة جاء فيها: "ايها القائد العزيز ! انا، جندى الاتصال عندك، اشعر بالذنب لانى سأفارقك دون ان اسبب لك سوى الكدر، رغم علمى بانك لا تنام ليلة واحدة من اصل ٣٦٥ ليلة فى السنة نوما هنيئا، لانك تفكر باستعادة الوطن. بوسعك ان تكون على ثقة فى انى سأحارب جيدا هناك. ارجو الا تقلق. وفى الاوقات الصعبة، سأتذكر عبارتك الثمينة: (لنحتمل العذاب فى سبيل بعث الوطن). لن اضيع الروح الوطنية التى نمت فى وجدانى برعايتك ومحبتك، ولن اتردد فى التضحية بحياتى، رغم ضآلتها، من أجل قضية بعث الوطن المقدسة. لا تقلق على، ايها القائد العزيز. واتمنى لك الصحة الطيبة".

لقد كان مضمون الرسالة اكبر من عمره الغض.

هكذا كان جميع رفاقى فى السلاح، دون استثناء، مخلصين للواجب الاخلاقى ويتحلون بسمات انسانية سامية.

فى ذلك اليوم اغرورقت عينا وى جين مين بالدموع، وقال انه احس فى الطريق من نانهوتو الى ميهونجين، مرورا بتشينغكوجى وغواندى، بمدى صدق مشاعر الحب بين الرفاق الكوريين. واضاف:

"كما يقول المثل: (لا وجود لجنود ضعفاء عند القائد القوى)، ارى ان جميع مقاتليك، ايها الرفيق كيم إيل سونغ، شجعان ولطفاء جدا. وبصراحة، انهم يثيرون اعجابى. فذلك الشاب هوانغ زونغ هاى، مثلا، هو فتى بارع اتمنى لو انه الى جانبى."

---

(٠) زوتكال: نوع من القشريات البحرية، تشبه القريدس، ولكنها أصغر حجما بكثير. وهى تحفظ متبلة ومملحة – المترجم

احلت الى وى جين مين فصيلة من المتطوعين الشبان من هونتشون، ومعها ايم وون ها لتكون طاهية له.

ومثلما فعل او داى سونغ، اعرب هوانغ زونغ هاى كذلك عن حزنه عندما ودعته. ولكنه أراد طمأنتى بالقول انه سيعتنى جيدا بالرفيق وى جين مين تنفيذا لاوامرى. وقد سعى جاهدا للوفاء بوعده حتى اللحظة الاخيرة من حياته.

وعندما بلغ مرض وى جين مين حالة حرجة، شرع هوانغ زونغ هاى يحمله على ظهره. وكلما هاجمتهم مفرزة "تأديبية" معادية، كان ينقذه بخوض قتال ضار.

وحين بدأ وى جين مين يحتضر، استدعاه بلطف وقال له متأثرا:

"لن انساك ولن أنسى الرفاق الكوريين حتى وانا فى العالم الآخر يا زونغ هاى. اتمنى لك من أعماق قلبى ان تحارب جيدا وان ترجع منتصرا الى وطنك مع الرفيق كيم إيل سونغ."

ولكن هوانغ زونغ هاى الذى لم ينسه وى جين مين، وشعر بالامتنان نحوه، لم يستطع ان يعود الى جانبى. فقد استشهد وتحول الى روح تهيم فى برارى منشوريا المترامية الاطراف.

والآن حين اتذكره، اتذكر قبل كل شيء المسيرة الى الجنوب فى ذلك الطريق الملتوى لبضعة آلاف رى من نانهوتو الى جبل بايكدو.

هوانغ زونغ هاى الذى اصر فى معسكر تشينغكوجى السرى على مرافقتى ضاربا الارض بقدميه مثل الاطفال، تمكن من مرافقتنا حتى ميهونجين ليذهب من هناك مع وى جين مين. ان الطريق البعيد فى المسيرة نحو الجنوب من معسكر تشينغكوجى السرى الى جبل بايكدو، قد عمق اكثر من ذى قبل، كما يخيل الى، تعلقى به.

كم من رفاق السلاح كان على ان ارسلهم الى الشمال فى ذلك الطريق الذى قطعته الى الجنوب؟

لا حصر لاولئك الشباب الذين سقطوا ورووا بدمائهم جبال وبطاح منشوريا الشمالية والجنوبية، ومنهم باك كيل سونغ، هان هونغ كوون، زانغ ريونغ سان، زون

مان سونغ، باك تاى هوا، تشاى اين زون، او داى سونغ، او سى يونغ وكيم تاى زون...

مثلما اصابنى عند استشهاد زانغ ريونغ سان الطيب، والرامى الماهر الذى لا نظير له، أحسست بالاسى الشديد لانى لن استطيع رؤية او داى سونغ الصغير الذى كان يقضى الايام والليالى منهمكا فى خدمتى، والذى أحبه كثيرا اخوه الاكبر او زونغ هوب.

عندما ودعت او داى سونغ، كان او زونغ هوب فى الفوج الثانى من الفرقة الاولى، يشارك فى الحملة الى تشياوهى، ولم يستطع حتى ان يودع اخاه الصغير الذاهب الى ارض منشوريا الشمالية البعيدة.

ذات مرة، تسنى لى فى منطقة جبل بايكدو ان اتذوق ذرة صفراء طازجة مسلوقة و"زوتكال" حصل عليها كوم سان. وهذه وجبة موفقة جدا بالطبع، تفتح الشهية. ولاننى تذكرت رغبة او داى سونغ الصادقة، فقد مضيت بعيدا، وأكلت من ذلك الطعام حتى التخمة.

ومع ان الاخ الاكبر كان يقاتل فى الجنوب، والاصغر فى الشمال، الا اننى كنت على يقين تام بانهما سيلتقيان حتما فى يوم استعادة الوطن، ويتباهيان بمآثرهما القتالية. ولكنهما، للاسف الشديد لم يرجعا، وبقيا مدفونين فى ارض الغربة.

فى مختلف مناطق منشوريا الجنوبية والشمالية، حارب رفاقنا ببسالة، كما كنا نتوقع، حتى آخر قطرة من دمائهم دون ان يخدشوا الروح الثورية الكورية.

بعد سنة ونصف من الوداع الحزين فى معسكر تشينغكوجى السرى، جرى لى لقاء مؤثر مع تشاى تشون كوك، ثم مع رفاق آخرين بعد خمس او ست سنوات، وكذلك بعد تحرير الوطن؛ وقد تذكروا جميعهم بحزن رفاقنا الشهداء.

وعاد الينا اولئك الذين بقوا قيد الحياة، وقد حققوا الكثير من المآثر القتالية الجديرة بان تروى.

لقد تألقت أسماء بعضهم كقادة ميامين للمفارز المستقلة لا يعرفون الهزيمة، وراكم بعضهم الآخر المآثر الباهرة ككوادر عسكريين وسياسيين اكفاء، منهم آمرو

سرايا والوية، ومفوضون سياسيون للفرق. ولكن بقيت لديهم كما من قبل، عاداتهم المحببة. وكانوا يقولون وهم يمسحون دموعهم: "بعيدا عنك، ايها القائد العزيز، كان يخيل الينا اننا ابتعدنا عن احضان الاب. وكانت الدموع تترقرق من عيوننا حين نشتاق اليك".

وعندما اعرب عن اسفى لان الكثيرين من رفاق السلاح لم يعودوا الينا، كانوا يواسوننى بالكلمات الدافئة، كما فى ايام النضال المناهض لليابان:

"ايها القائد العزيز، لا تفرط فى الحزن. لقد حاربنا معك من اجل تحرير الوطن. فكيف يمكن تحاشى الضحايا؟ صحيح ان يوم وداعهم صار فراقا ابديا. ولكننا بفضل مآثرهم القتالية استطعنا ان نستعيد الوطن المفقود. ولا ريب فى انهم لن يندموا على استشهادهم."

محاطا بحب امثال هؤلاء الرفاق، وصلت الى سن الثمانين. واذا كان اولئك الشهداء قد فارقونا الى الابد، وتركوا جرحا عميقا فى فؤادى، الا انهم جعلوا تاريخ ثورتنا المناهضة لليابان وتاريخ وطننا يسطعان كالنجوم.

ولقناعتى هذه، لا أشعر بأى ندم على ذلك الوداع الحزين عندما اضطررنا الى ارسالهم الى الشمال والى الجنوب.

٥ ـ تشاى هيون، القائد المجرب

كان أحد أهم الامكنة التى علينا المرور منها فى الطريق التى قطعناها حين انطلقنا من نانهوتو الى جبل بايكدو، هو موقع ميهونجين، قاعدة التموين السرية للفرقة المستقلة الاولى فى الجيش الثورى الشعبى، الواقعة فى سلسلة جبال موتانلنغ، بالقرب من الحدود بين محافظتى تونهوا وآنتو. وفى هذه المنطقة المعزولة التى تضم معسكرات سرية كبيرة وصغيرة موزعة وسط بحر من الغابات الكثيفة، كنا ننوى ان نبحث مع وانغ دى تاى ووى جين مين وكبار قادة الفيلق الثانى الآخرين التدابير لتنفيذ الخطط التى تبناها اجتماع نانهوتو.

وميهونجين هى منطقة معزولة بين جبال نائية وادغال كثيفة، حيث تتشابه القمم والاودية، حتى يمكن لمن ارتادها اكثر من مرة ان يضل طريقه فيها، فما بالك بمن يجيئها لاول مرة. وتثير الاعجاب حقا قوة ملاحظة القدماء الذين اطلقوا على المكان اسم ميهونجين الذى يعنى "عالم الغموض".

وقد فقدنا نحن أيضا الاتجاه فى اول الامر، ولم نستطع العثور على موقع القاعدة السرية. ولكننا التقينا بمحض الصدفة فى موقع يدعى نيوسيندينغجى ببعض عناصر السرية الاولى من الفوج الاول فى الفرقة المستقلة الاولى التى ينتمى اليها باك سونغ تشول. وطلبنا منهم ان يوصلونا الى ميهونجين، ولكنهم لم يوافقوا وقالوا ان ذلك الوادى كله موبوء بالتيفود. وتعللوا بانهم اذا قادوا الكوادر الى هناك، حيث يوجد عشرات المصابين بالوباء، فانهم لا يستطيعون ضمان حالتهم الصحية.

"ليس معروفا عدد من قضوا نحبهم فى الوباء. لا تطلبوا منا أخذ القائد العزيز الى هناك. لا يمكننا ان نجازف بمغامرة كهذه."

ورفضوا رفضا قاطعا ان يكونوا ادلاء لنا. وكان الجيش الثورى الشعبى آنذاك يمنى بخسائر فادحة فى الارواح بسبب الاوبئة. فالتيفوس والتيفود اللذان ظهرا منذ بداية اقامة مناطق حرب العصابات كانا يلاحقان صفوفنا كالظل حتى بعد حل مناطق حرب العصابات. وكانت الاوبئة تنتزع منا بلا رحمة ارواحا هى اثمن من آلاف اطنان الذهب. واصبح هذا اخطر عامل فى اضعاف قدرة الجيش الثورى الشعبى القتالية.

قلت للمقاتلين منتقدا خوفهم من الحمى:

"التيفود ينشأ فى جسم الانسان، والانسان قادر على التحكم بالمرض ومقاومته. ومهما كان الوضع فان الانسان هو الذى سيهزم المرض وليس العكس، فلا داعى للخوف كثيرا. وارى انكم تسبغون على التيفود هالة من الغموض."

ولكن المقاتلين واصلوا حديثهم عن خطر هذا المرض، مصرين على عدم امكانية التوجه الى ميهونجين.

"أتقول ان الانسان قادر على هزيمة الوباء؟ امام هذا المرض لا يوجد قوى ولا ضعيف. الجميع امامه كالفأر أمام القط. فعلى الرغم من قوة الرفيق تشاى هيون قائد السرية، الا انه يلازم الفراش منذ عدة اسابيع بسبب التيفود."

"ماذا تقول؟! هل اسقط الوباء هذا المقاتل الفولاذى أيضا؟ اذا كان مصابا بالتيفود فان هذا سبب آخر لكى اتوجه الى ميهونجين فورا. اذا ما ذهبت من نيوسيندينغجى الى جبل بايكدو، دون ان اعرج على ميهونجين خوفا من الوباء، فانه سيحزن كثيرا حين يعلم بذلك. اعرف انكم قلقون على صحتى، ولكنى اصبت بالتيفود عندما كنت فى وانغتشينغ. وقد اكتسبت المناعة. يمكنكم ان تطمئنوا من هذه الناحية."

وعندئذ فقط وضع قادة السرية الاولى تحت تصرفنا ما يقارب فصيلة من المقاتلين ليكونوا ادلاء وحراسا يرافقوننا. وطلبوا منا ألا ندخل الى غرف المرضى فى ميهونجين.

والحقيقة اننى اصبت بالاحباط حين علمت بخبر مرض تشاى هيون بالتيفود.

وبالرغم من اننى كنت اؤكد للآخرين ان بامكان الانسان ان يتغلب على هذا المرض، الا اننى كنت اعرف فى الواقع انه مرض رهيب. وكان من المستحيل ان يستثنى هذا المرض الكريه شخصا لكونه قائد الجيش الثورى. بل ان مثل هذا المرض يتميز بالضراوة فى اجسام الاشخاص ذوى الطبع المندفع من أمثال تشاى هيون. صحيح انه يصيب الجميع دون تمييز، ولكنه يسبب ضررا اكبر لذوى الطبع المندفع وعديمى الصبر. ولم يفارقنى القلق لحظة واحدة على حياة رفيقى فى السلاح الذى يواجه الخطر.

ومع ان وانغ دى تاى كان قائدا عسكريا صارما وقليل الكلام لا يميل الى المعاشرة، الا انه كان يتمتع بقدرة مذهلة على تحليل حالة الآخرين النفسية بدقة. وحين رآنى أسير واجما، سألنى بصوت خافت:

"فيم تفكر، ايها القائد كيم؟ لعلك قلق على الرفيق تشاى هيون؟"

"أجل، كنت أفكر به. كيف عرفت ذلك؟"

أحسست فى قرارة نفسى بالامتنان له لانه خرق ذلك الصمت الثقيل. فالصمت يوقع المرء فريسة افكار لا حصر لها.

" ليس من الصعب معرفة ذلك. انك تمضى صامتا على الرغم من وجود صديق مثل وانغ دى تاى الى جانبك. أليس هذا مؤشرا الى انك تتأمل بعمق فى مصير الناس؟"

"تفكيرك صحيح. اننى افكر طوال الوقت فى تشاى هيون. وانا فى غاية القلق عليه. لا اعرف فى اى حالة هو الآن، وارجو ان يكون الخطر قد زال عنه."

"لا تقلق فسيتغلب تشاى هيون على المرض. فهو رجل حديدى الارادة."

"أتظن ذلك؟ حبذا لو كان الامر كما تقول."

"وبالمناسبة، انه محظوظ جدا. ويالها من سعادة كبيرة عندما يحلم الآخرون بالمرء ويبقى عالقا فى ذاكرتهم ويعيش محاطا باهتمام الآخرين!"

لقد اثرت فى كلمات وانغ دى تاى العميقة رغم بساطتها. واعربت عن موافقتى التامة له فى الرأى:

"أجل، ان لكلماتك معنى عميقا. لم يسبق لى ابدا ان فكرت فى هذا الامر."

"لعل تشاى هيون يفكر بك فى هذه اللحظة، ايها القائد كيم. انه يحترمك الى حد يثير غيرتى. واذا لم تخنى ذاكرتى، فانت لم تلتق، ايها القائد، بتشاى هيون سوى مرة واحدة فقط. فكيف استطعتما اقامة هذه الصداقة الحميمة بينكما؟"

"لا استطيع انا ايضا تفسير ذلك. فبعد ليلتين امضيناهما معا اصبحنا نشعر وكأننا صديقان قديمان. لقد استحوذ على خلال ذلك الوقت القصير. ولست ادرى اذا كان لصداقتى ما يماثلها لديه..."

"ها ها! كيف يمكن ان تكون صداقة من جانب واحد؟ ان تشاى هيون لا يتحدث الا عنك منذ لفحته رياح ماتشون."

كان وانغ دى تاى يشير بذلك الى مجىء تشاى هيون الى ماتشون فى سياووانغتشينغ، حيث التقيت به. وقد كتب عن هذا اللقاء فى "مذكرات مقاتلى جيش حرب العصابات المناهضين لليابان" كما اننى تحدثت عنه باختصار ايضا فى المجلد الثالث من هذه المذكرات.

من المعروف للجميع ان سبب ذلك اللقاء كان الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ. ولم يتلق تشاى هيون أمر الاشتراك فى المعركة فى الوقت المناسب بسبب اهمال المراسل. وعندما وصل الى ماتشون كان الوقت قد فات والمعركة قد انتهت. وحين علم بذلك اغتم كثيرا ووجه أقذع الشتائم الى المراسل. ثم سألنى بعد ان هدأ قليلا:

"اشتركت فى المعركة وحدة وانغتشينغ ووحدة هونتشون وحتى وحدات جيش الانقاذ الوطنى. أما حمقى آنزى وحدهم فلم يستطيعوا مجرد تخطى عتبة هذه الحاضرة، وبقوا دون عمل أى شىء. اننى فى غاية الغضب. ألم تضع خطة لهجوم آخر ايها القائد المحترم كيم إيل سونغ؟"

"انا مازلت شابا، وليس من اللائق ان تدعونى (المحترم). نادنى باسمى كيم إيل سونغ فقط."

ولكن ذلك المحارب المجرب الذى تفوح من جسده رائحة البارود، فوجئ حين سمع كلماتى وكأن امرا خطيرا قد حدث:

"وما علاقة السن هنا؟ لقد رفعتك فى قرارة نفسى منذ زمن بعيد الى اعلى المراتب فى القوات الكورية. ومن الطبيعى بالتالى ان اخاطبك بصيغة الاحترام."

"اذا امتدحتم الشباب هكذا فانهم سيتكبرون ويغترون بأنفسهم. وليكن معلوما لديك انك اذا واصلت تعظيمى هكذا، فلن اتعامل معك مطلقا."

"آه، ليس الى هذا الحد! ارى انك لا تقل عنى عنادا. سأتحدث معك مثلما تشاء."

وبالفعل غير تشاى هيون اسلوبه فى الحديث معى منذ ذلك الحين. كان شخصا ذا طبع عسكرى نموذجي يفعل ما يقوله. واقتصر حديثه معى بألفاظ الاحترام على الحالات الرسمية وحدها. وقد ابعد اسلوب تعاملنا البسيط كل شكليات وآداب السلوك المزعجة، وأظهر بالمقابل صدقه واخلاصه وتميزه.

فى ذلك الحين، عندما كنا نختار الرفاق بجهد لا يقل عن الجهد المبذول فى استخراج اللؤلؤ من قاع المحيط، كان اولئك الرفاق يشكلون "الكنز الذهبى" لثورتنا، والقوى الدافعة التى لا غنى عنها لتوسيع نطاق الثورة وصعودها، وكان اللقاء برجل مثل تشاى هيون يمثل حدثا سعيدا بالنسبة لى، وواقعة مهمة فى تاريخ حياتى.

وقد احسست بارتياح بالغ منذ اللحظات الأولى للقائنا فى ماتشون.

فذلك اللقاء، وهو الاول بيننا، ترك اثرا عميقا فى نفسى. ولأمر لا استطيع تفسيره، احسست وكأن تشاى هيون شخص اعرفه منذ زمن بعيد، على الرغم من اننا كنا نلتقى لاول مرة. وبدا لى صوته وسلوكه مألوفين جدا. بل لقد خيل الى اننى تحدثت مع هذا الرجل من قبل حول النضال ضد اليابان وحول انقاذ الامة.

هذا الانطباع الذى اوحى لى ان تشاى هيون هو صديق قديم يمكن تبريره بواقع ان سماته الشخصية تبدو مطابقة لنموذج القائد العسكرى الذى كنت ارسمه فى مخيلتى، ولاننى كنت قد سمعت الكثير عنه وعن سلوكه حين كنت فى تشينتاو.

ولد تشاى هيون فى مكان قاحل من ارض تشينتاو سنة ١٩٠٧، حين كان مصير الامة يدنو من المأساة، من الدمار. كانت سنة فاجعة ومضطربة، مليئة باحداث ستترك الكثير من وصمات العار فى تاريخ امتنا. ففى ذلك العام بقر لى زون بطنه على طريقة "الهاراكيرى" فى لاهاى، وجرى عزل كوزونغ عن العرش وحل

الجيش الكورى، وانتقل حق البت فى شؤون بلادنا الداخلية كليا الى ايدى الامبرياليين اليابانيين نتيجة تلفيق "معاهدة عام زونغمى ذات السبعة بنود" وفرض "سياسة نواب الوزراء اليابانيين" فى كوريا.

وكان والدا تشاى هيون فى غاية القلق على مصير ابنهما الذى جاء الى الدنيا فى ارض تزعزعها موجات عاتية لأزمة اقتصادية مدمرة لم يسبق لها مثيل. وكان "ضم كوريا الى اليابان" والانتفاضة الشعبية فى الاول من آذار والعمليات "التأديبية" الفظيعة فى تشينتاو فى عام كيونغسين احداثا مأساوية جعلت الدماء تفور فى عروق الفتى تشاى هيون.

وفى تلك الفترة من اليأس والظلام، كان خيط الامل الوحيد يتمثل فى وجود جيش الاستقلال الذى ابدى مقاومة مسلحة فى احد اطراف تشينتاو. وكان هونغ بوم دو وايم بيونغ كوك رائديه ومعلميه. فقد ارتبطت طفولته ارتباطا وثيقا بنشاط هذين القائدين العسكريين الشجاعين والمحنكين والحازمين. وتعلم منهما فنون الرماية والفروسية. وكان ابوه تشاى هوا سيم الذى حارب بقيادة هونغ بوم دو فى صفوف جيش الاستقلال، يكلفه مذ كان فى الحادية عشرة من عمره بمهام الاتصال. وقد اهداه والده مسدسا وهو فى تلك السن.

لقد تركت مجزرة عام كيونغسين الكبرى آثارها الدامية فى جميع ارجاء تشينتاو التى كان يعيش فيها الكوريون. وفقد تشاى هيون امه فى تلك المجزرة. وانتقل مع ابيه الى منطقة بريموريه فى اثر وحدة ايم بيونغ كوك. وكان كل شىء غريبا: الطبيعة والناس واللغة. ولكن رغبته فى تكريس حياته للنضال ضد الامبرياليين اليابانيين كانت ثابتة لا تتبدل. وعينه القائد ايم بيونغ كوك جندى اتصال وارسله الى احدى الفصائل الخاصة التابعة له. وكان تشاى هيون الذى تميز بمهارة فائقة فى ركوب الخيل ينفذ على أكمل وجه مهمته كجندى اتصال بين تلك الفصيلة والقيادة. وحين كان ذلك الفتى الذى لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره بجسده الهش والضئيل، يذرع السهوب على صهوة حصانه مندفعا كأنه السهم، كان الروس أنفسهم ينظرون اليه باعجاب وحسد.

وذات مرة، اخترق مع ثلاثة فرسان آخرين ستارا حقيقيا من الرصاص ليصل الى خط الجبهة الاول. وقد استشهد رفاقه الثلاثة، وأصيب هو نفسه بجرح فى ذراعه. ولكنه لم يضع وقته فى تضميد الجرح، بل واصل الاندفاع على جواده بجسارة، واوصل الرسالة الى القيادة فى الوقت المناسب. واثناء تضميد ذراعه، اثنى عليه ايم بيونغ كوك وتنبأ له بانه سيكون فى المستقبل قائدا فى جيش الاستقلال.

وبعد هزيمة هذه الوحدة من جيش الاستقلال، عاد تشاى هيون الى تشينتاو. ثم انضم الى الاتحاد العام للشبيبة فى منشوريا الشرقية بتوصية من يون تشانغ بوم الذى اصبح فيما بعد قائد الفوج المستقل فى الجيش الثورى. ويمكن القول انه حول اتجاهه فى ذلك الوقت، منتقلا من الحركة القومية الى الحركة الشيوعية. وقد تسارعت عملية التحول تلك فى فترة اعتقاله لاكثر من سبع سنوات فى سجن آنزى. ففى عام ١٩٢٥ اعتقلت سلطات الطغمة العسكرية الرجعية تشاى هيون فجأة واصدرت عليه حكما قاسيا بالسجن المؤبد بتهمة الاشتراك فى جمع التبرعات بصورة غير شرعية للاغراض العسكرية.

وبعد اخماد انتفاضة الثلاثين من ايار، واضراب موسم الحصاد الخريفى، واضراب البؤس الربيعى، امتلأ سجن آنزى بالمعتقلين من رواد ثورة تشينتاو وغيرهم من الوطنيين الذين قادوا الجماهير فى النضال. وقد حافظ اولئك الرجال المتحمسون والمتفائلون على عزتهم وكرامتهم وعاشوا مرفوعى الجباه رغم حرمانهم من الحرية. فشكل ذلك المجتمع الصغير فى السجن بالنسبة لتشاى هيون مدرسة وبوتقة اثرت تأثيرا حاسما فى تكوينه وتطوره. فانضم الى المنظمتين السريتين داخل السجن: اتحاد مناهضة الامبريالية، والحرس الاحمر. وحولت محن السجن جندى الاتصال السابق فى جيش الاستقلال من قومى الى شيوعى محض.

وقد انتشرت فى جميع مناطق حرب العصابات فى منشوريا الشرقية على نطاق واسع حوادث وقصص المغامرات التى كان تشاى هيون المبادر والمنفذ الرئيسى لها فى سجن آنزى الذى سمته ادارة الطغمة العسكرية بسجن جيلين الرابع.

وبدأت حياة تشاى هيون فى السجن بالصراع مع "القانغتول" (القبضاى او

الفتوة – المترجم)، "ملك" زنزانته. وكان هذا "القانغتول" مجرما قاتلا، يضايق السجناء الآخرين، فكلما جاء سجين جديد، كان يجرده من كل ممتلكاته ويستولى عليها. وكان ينتزع طعام الآخرين ليملأ بطنه.

وفى أحد الايام، قرر تشاى هيون ان يلقنه درسا، فأخرج علبة سجائر فاخرة من نوع "كال"، واشعل سيجارة منها، ثم قدم سيجارة لكل سجين. ولكنه لم يعط "القانغتول". وكانت حركة تحد صامتة لاستفزازه.

وبالفعل، غضب "القانغتول" وأمر تشاى هيون بتسليمه كل ما لديه من اشياء. وحين رآه يطلق سحابة دخان كثيفة من فمه دون ان يوليه أى اهتمام، فقد المجرم السيطرة على اعصابه وهجم على تشاى هيون يريد ضربه. وفى تلك اللحظة، قفز تشاى هيون فوق عدة اشخاص، وكأنه يطير، ووجه ضربة بقبضتيه المكبلتين الى وجه "القانغتول"، وصاح به:

"أيها الوغد، من تظننى؟ ليس هنالك من هو أشد منك فظاظة واجراما. كنت مجرما قاتلا خارج السجن، وها انت لا تترك هنا بسلام اخوانك الفقراء. انت مثلنا، ابن اناس بسطاء، أليس كذلك؟ سأكون متسامحا معك هذه المرة. فتصرف بشكل لائق. ومكانك من الآن فصاعدا هناك عند المرحاض. اما هذا المكان العلوى فساشغله انا."

وادرك "القانغتول" عجزه، ومضى بخضوع نحو المرحاض وجلس مثنى الساقين. وبدأ السجناء الذين تحرروا من طغيانه يحترمون تشاى هيون الذى انقذهم ويتبعونه.

وبعد وقت قصير من صدور الحكم على تشاى هيون بالسجن المؤبد، أخذت السلطة العسكرية تنظم بين فترة واخرى زيارات لتلاميذ المدارس الثانوية فى مدينة لونغجينغ، مثل مدرسة داشينغ، ودونغسينغ، ويونغسين، ويونغسين للبنات، واونجين، وغيرها، الى السجن. وكانوا يسعون بهذا الاسلوب الى اضعاف الوعى الثورى وقمع الروح النضالية لدى الطلاب الشباب فى المنطقة حيث بدأت بالظهور منظمات سياسية ومناهضة لليابان تعمل بنشاط ضد طغمة العسكريين المستبدين.

اتصل تشاى هيون بكل الزنازين طالبا من السجناء صنع ما يشبه "المسدسات

المائية"، واثناء جولة التلاميذ فى السجن، أمر باطلاق ماء المراحيض الآسن "بالمسدسات المائية" على المعلمين الرجعيين والسجانين الذين يرافقون التلاميذ، وهم يصرخون بهم: "ما الذى تريدون عرضه على الطلاب هنا، أيها الاوغاد؟".

وأمام هذا الاذلال المفاجئ، انسحب المعلمون الرجعيون بسرعة آخذين معهم تلاميذهم.

وقد أخفقت مساعى ادارة السجن فى اكتشاف المحرض، لان جميع السجناء اعلنوا مسؤوليتهم عن ذلك العمل.

وخلال وجوده فى سجن آنزى، عمل تشاى هيون فى عدة مهن فى ورشات السجن: صانع أحذية، ومنضد حروف طباعة، وخياط رفيع المستوى. بل وعمل كذلك فى ورشة النجارة وحلاقا، ليس لخدمة السجناء وحسب، وانما للحلاقة للسجانين ومسؤوليهم وحتى لرئيس السجن. وبغض النظر عن المكان الذى يتواجد فيه او العمل الذى يقوم به، لم يكن يسمح لاحد بأن يهينه او يذله، وكان يقاوم ذلك بشراسة. وفى احدى المناسبات، حاول ان يصنع احجار شطرنج من خشب النبق المخصص لصنع الموائد والكراسى، وحين رآه ناظر ورشات السجن ضربه بقسوة. وكان معتادا على ضرب السجناء. فثارت ثائرة تشاى هيون ووجه اليه ضربات فظيعة بقائمة كرسى كان يصنعه. وقد عاقبته ادارة السجن بحجزه انفراديا لمدة اسبوع، ولكن الناظر لم يعد يتجرأ بعد هذا الحادث على معاملة السجناء بعنف.

ومن أكثر اعمال تشاى هيون فى السجن استعراضية، هى عملية الهروب. فبالتعاون مع يون تشانغ بوم ورفاق آخرين، دبر بنجاح عملية هرب ايم بيونغ كوك رئيسه السابق فى جيش الاستقلال وثوريين آخرين من السجن. وكان تشاى هيون مستعدا لاحراق نفسه او القاء نفسه من أعلى جرف من اجل الدفاع عن العدالة. هكذا كانت روحه الصلبة وطبعه النارى الذى صقل فى الشدائد.

انضم تشاى هيون بعد خروجه من السجن الى الحرس الاحمر فى تاييانغماو، وبعد ان مر بتجارب قاسية، صار عضوا فى الحزب الشيوعى، ثم موجها سياسيا لسرية فى وحدة آنزى لحرب العصابات فى الجيش الثورى الشعبى.

هذا كل ما كنت اعرفه عن هذا الرجل المشهور ذى الارادة الصلبة قبل لقائى به فى ماتشون.

قال لى تشاى هيون بعد تبادل التحية فى اول لقاء لنا:

"بما ان ما مضى قد مضى، فاننى ارغب فى البقاء ليومين آخرين فى وانغتشينغ لتبادل الحديث معك ايها القائد كيم. وأخشى ان أسبب لك الازعاج."

وافقت على اقتراحه بطيبة خاطر.

أمضينا ليلة طويلة فى الحديث دون ان ننتبه الى بزوغ الفجر.

وفى الصباح وصل الى مقر القيادة خبر من مخفر الحراسة بوقوع هجوم معاد على منطقة حرب العصابات. أمرت الوحدة باحتلال مواقع قتالية فوق احد المرتفعات، وفيما انا اتوجه الى هناك قلت له بلهجة اعتذارية:

"انتظرنى فى الغرفة ريثما اعود من المعركة."

فنهض واقفا وكأن نابضا قد دفعه.

"أى انتظار تطلب منى فى فرصة طيبة كهذه! اذا بقيت هنا ولم اخرج معك ايها القائد كيم، فلست تشاى هيون. ان السماء نفسها تقف الى جانب تشاى هيون اليوم. فدعنى أصعد المرتفع، اننى راغب فى القتال ولو مرة واحدة تحت قيادتك."

"اذا كانت هذه هى رغبتك، فهلم بنا نقاتل معا."

وصعد المرتفع معى وهو يبتسم بارتياح.

ولم يتقدم العدو حتى المكان الذى كمن فيه مقاتلو حرب العصابات، واكتفى باطلاق النار بشكل عشوائى من بعيد. ثم راح يضرم النار بأكوام الارز التى جناها سكان منطقة حرب العصابات بعرقهم ودمائهم.

نشرت المقاتلين فى وضعية القناصين وأمرتهم بتوجيه ضربات لا هوادة فيها الى الاعداء. ثم خاطبت تشاى هيون:

"سمعت انك رام ماهر، ايها الرفيق تشاى هيون. دعنا نرى مهارتك اليوم."

فتناول بندقية من طراز "ماريشانغ"، وبطلقة واحدة اردى جنديا معاديا كان يقترب من أحد اكوام الارز وفى يده مشعل. كانت المسافة نحو ٥٠٠ متر، ولكنه كان

يصيب واحدا منهم فى كل طلقة. لقد كانت مهارته فى اصابة الهدف مدهشة حقا.

وسألته بعد المعركة:

"ألم يخف انزعاجك الآن لانك لم تشترك فى الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ؟"

فهز رأسه وقال بتثاقل:

"نعم، قليلا ولكن ليس تماما."

وواصلنا الحديث فى تلك الليلة ايضا حتى الصباح. وكانت مواضيع الحديث تدور حول المهام العاجلة للثورة الكورية وسبل تنفيذها. طرحت عليه بعض القضايا المهمة المتعلقة بالخطط، بما فيها قضية الجبهة الموحدة مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان وقضية الجبهة الوطنية المتحدة المناوئة لليابان وقضية تأسيس حزب من نمط جديد يتلاءم مع ظروفنا. وتباحثنا معا فى الاجراءات العملية لتحقيق ذلك.

وكان تشاى هيون مرتاحا للغاية لنتائج الحديث.

"لقد خف اسفى الآن قليلا على عدم اشتراكى فى الهجوم على حاضرة محافظة دونغنينغ. فاذا كنت لم اوفق الى العمل معك فى تلك الحاضرة، فاننى قد نلت تعويضا مناسبا هنا فى ماتشون."

واهديت تشاى هيون وانا اودعه عند سفره كذكرى للقائنا الاول اربع بنادق كبيرة العيار ومبسم سجائر من الكهرمان كنا قد غنمناها فى معركة حاضرة محافظة دونغنينغ. وقد اصبح ذلك المبسم من أحب مقتنياته الشخصية الى نفسه.

وكلما كان يغرق فى التأملات العميقة حول المعارك ومناطق الجبهة، كانت تتصاعد من المبسم سحابة حقيقية من دخان تبغ ثقيل جدا. ولم يكن قليلا عدد المدخنين المحيطين به الذين يتلهفون للحصول على ذلك المبسم. وقد حاولوا انتزاعه منه بكل الوسائل والسبل: لجأ بعضهم الى القوة الجسدية، وآخرون الى الكلمات العذبة؛ وكان هناك من عرض عليه مقايضات مادية، أما اشدهم طمعا فى الحصول عليه فقد حاولوا سرقته من جيبه وهو ثمل. ولكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل.

وبعد تحرير البلاد، كان بين كبار كوادر الحزب والحكومة مدخنون مدمنون

دخلوا معه فى مساومات: "ايها الرفيق تشاى هيون، يقال ان طعم السجائر يصبح لذيذا كالعسل فى مبسمك. ألا تسمح لنا بالتدخين فيه قليلا؟ وسندفع (ضريبة) سخية". ولكن هذه العروض لم توصل الى اى نتيجة مع رجل عنيد مثله. وفى احدى المرات، أمضى تشاى هيون اجازة فى رازين، واقام صداقة مع كيم ايك سون، الذى كان يستريح هناك ايضا. وكان هو الوحيد الذى استطاع "التعاقد" معه على استعارة ذلك المبسم ليوم واحد فقط.

هذا المبسم موجود اليوم بين معروضات متحف الثورة الكورية. وكان موظفو المتحف فى البداية يعتقدون انهم سيتمكنون من اقناع تشاى هيون ببضع كلمات واقتناء المبسم بسهولة. ولكنهم كانوا على خطأ. فعندما عرف تشاى هيون انهم يريدون انتزاع المبسم الذى يحتفظ به منذ عشرات السنين بحرص ومحبة وكأنه اثمن من اللؤلؤ او الذهب، غضب بشدة وطردهم قائلا:

"ماذا؟ ما الذى تقولونه؟ أتريدون أن يعرض فى المتحف مبسم تشاى هيون هذا؟ اعلموا اذن ان هذا المبسم ليس للشعب كله، بل هو ملكى الشخصى. لقد اهدانى اياه قائدنا لكى استخدمه انا، وهو ليس ملكية عامة يمكن لأى شخص ان يتفرج عليه ويمسه. واذا كنتم تصرون على أخذ شىء منى، فخذوا شاربى. أفهمتم؟"

وعلى الرغم من صيحاته الصاخبة واندفاعه الغاضب، فان موظفى المتحف لم يفقدوا الامل، وواصلوا زيارته دون ملل. وفى زيارتهم الخامسة له تمكنوا من اقناعه. فذلك الجنرال المجرب القديم الذى كان يزمجر مثل النمر قبل ايام، بدا وكأنه شخص آخر، فقد عاملهم بلطف شديد:

"لم يعد هذا المبسم ملكا لى منذ اليوم، انه ملك للشعب كله. فانتظروا قليلا حتى ادخن به للمرة الأخيرة."

وضع تشاى هيون سيجارة فى المبسم وأشعلها بعود ثقاب، وأخذ يمص منه الدخان بمتعة ويمجه من فمه ببطء. وكانت عينا القائد العسكرى القديم المغمضتان نصف اغماضة تتطلعان الى سماء الشمال غير المتناهية. وكانت تحت هذه السماء تقع ماتشون المضمخة بقصة لقائنا الاول، وميادين المعارك المشبعة بدخان بارود

مرحلة حرب العصابات، التى ذرعها دون كلل حتى قارب الاربعين من عمره، حاملا على خاصرته مسدسا رشاشا.

الليلتان والنهارات الثلاثة التى حددت مصيرينا وربطت بيننا كرفيقين ابديين، احاطت صداقتنا بسور فولاذى لا يمكن لأى قوة او اية وسائل ان تدمره.

وكان اقوى انطباع خلفه فى نفسى لقاؤنا الأول هو انه انسان صريح وبسيط للغاية. فهو يقول ما يراه ويعبر عما يفكر فيه. كما ان افكاره ومشاعره تنعكس فورا على وجهه. وفى مثل هؤلاء الاشخاص تفقد المكائد والاختلاقات والدبلوماسية مفعولها. وكانت لبراءته الطفولية قوة جاذبية عجيبة تطهر نفوس الآخرين. ولاننى فتنت بتلك الجاذبية، فقد وجدت نفسى افتح له ابواب عالمى الداخلى على مصراعيها.

ولدى وصولنا الى ميهونجين توجهت أولا لزيارة الكهف شبه المدفون تحت الارض حيث كان يرقد اكثر من خمسين مريضا محموما. وكان بينهم تشاى هيون ايضا الذى كنت فى شوق كبير لرؤيته.

وعندما قام الرفاق فى قسم التموين الذين يحرسون المعسكر السرى بفتح باب تلك "البراكة" وأعلنوا عن قدوم القائد كيم، نهض تشاى هيون بمشقة من الفراش وزحف حتى المدخل.

كانت عظام وجهه بارزة بشكل مريع، حتى اننى لم اتعرف للوهلة الاولى على مظهره الذى تبدل عن تلك الصورة المحفوظة فى ذاكرتى.

"أرجوك ألا تدخل ايها القائد كيم. يجب ألا تدخل هنا."

وقد اضطررت الى التوقف لبضع ثوان عند الباب وانا أرى تشاى هيون يلوح بذراعيه ويتطلع الى بعينين محمومتين.

"يبدو ان الترحيب بالضيف فاتر جدا هنا فى ميهونجين. لقد جئت لرؤية تشاى هيون، لكنه لا يسمح لى بتجاوز عتبة الباب. اين توجد مثل هذه المعاملة؟"

وعلى الرغم من عبارتى المازحة، بقى تشاى هيون على عناده:

"حتى ولو اعتبرتنا غير مضيافين، فليس ثمة طريقة اخرى. ألا تعرف انك على مدخل الجحيم؟"

"آه! لم أكن اعرف ان تشاى هيون الذى يفاخر بانه اطلق مئة كيس من الرصاص، يتأوه هكذا."

وحين ادرك ان كلماته لن توصل الى نتيجة، راح يؤنب الرفاق فى قسم التموين لانهم جاؤوا بى الى هناك.

"يا لكم من اغبياء، كيف جئتم بالقائد كيم الى هنا؟ أهذه هى طريقتكم فى العناية به؟"

فارتبك عاملو التموين واختفوا عن الانظار.

وبينما كان تشاى هيون يواصل تأنيبهم، تقدمت بخطوات واسعة الى وسط المكان.

" كيف نفذ التيفود الى جسد تشاى هيون الصلب كشجرة السنديان؟ لا اصدق ذلك."

وعندما أصبحت بجانب فراشه مددت يدى لاصافحه، ولكنه خبأ يديه بسرعة تحت اللحاف.

"لا تلمسنى، ايها القائد كيم. فأنا ملىء بجراثيم التيفود. لماذا جئت الى ميهونجين اللعينة هذه؟ انها مملكة الاوبئة."

"أتريد معرفة سبب مجيئى؟ اعلم اذن اننى جئت لرؤية تشاى هيون. هنالك اشياء لا تصدق تحدث فى هذه الدنيا! هل من المعقول ان يصاب تشاى هيون بالوباء؟"

ادخلت يدى تحت اللحاف وصافحت بقوة يده الساخنة كالفحم المتوهج ولم اتركها لفترة طويلة.

فاغرورقت عينا تشاى هيون بالدموع.

"يسرنى جدا ان اراك، ايها القائد كيم. ولكننى لا استحق ان تعرض نفسك من اجلى... تصورت اننى سأموت دون ان اراك."

قبل لحظات كان يتوسل الى ألا أدنو منه، وها هو ذا يتشبث بيدى مثل كماشة ولا يريد افلاتها.

لقد كان يبدو اشبه بطفل.

وبعد ان وجه لى عدة اسئلة حول الحملة الثانية الى منشوريا الشمالية، عرض على بالتفصيل الاضرار التى احدثها التيفود.

وحولت مجرى حديثنا، وأبديت اهتمامى بشؤونه الشخصية.

"هل صحيح انك عانيت بسبب اتهامك بعضوية (مينساينغدان)؟"

"أجل، هذا ما حدث."

وهز رأسه باستغراب، وروى لى بنبرة حانقة كيف ألصقوا به تهمة "مينساينغدان".

"اثناء وجودنا فى ماتشون، حدثتنى كثيرا عن ضرورة الجبهة المتحدة، أليس كذلك؟ وقد اعتبرت ان هذا الخط هو الاكثر صوابا فى الدنيا. وحين عدت الى آنزى تحدثت فى الامر مع الرفاق فى وحدتنا. وحتى قائد الفيلق وانغ دى تاى توصل الى الاعتراف بالضرورة الحيوية لهذه الجبهة المتحدة. وقد ادت جهودى فى هذا المنحى الى اتهامى باننى من جماعة (مينساينغدان)."

بعد ان بدأنا الحملة الاولى الى منشوريا الشمالية، تقدم تشاى هيون مع سريته الى منطقة الحدود بين محافظتى تونهوا وهواتين. وقام هناك بنشاط عسكرى وسياسى مكثف لتوسيع منطقة عمليات حرب العصابات. وكانت مقدمة ذلك النجاح هى العمل الحاذق مع الوحدات الصينية المناهضة لليابان المرابطة فى اعماق وادى داهوانغكو.

وكانت توجد هناك آنئذ وحدتا شغب جبليتان، تضم احداهما نحو ٨٠ عنصرا، والثانية ١٠٠ عنصر تقريبا. وكانت لوحدة الثمانين مقاتلا مواقف جيدة نتيجة الدعاية الدؤوبة المناهضة لليابان التى قام بها العاملون السياسيون السريون لجيش حرب العصابات. وكانت لتلك القوة فى الوقت نفسه علاقات طيبة مع فرقة الدفاع الذاتى المرابطة فى موقع قريب. وحين غيرت هذه الفرقة الاخيرة مواقفها وانتقلت من موالاة اليابان الى مناهضتها، قدمت لتلك الوحدة مساعدات بأساليب مختلفة.

اما الوحدة الاخرى بالمقابل، فلم تكتف بقضاء الوقت فى نهب السكان، بل راحت تعد العدة للاستسلام جماعيا، واقامت لهذا الغرض اتصالات سرية مع عسكريين ورجال شرطة معادين فى ليوشوتشون.

وقد ساءت العلاقات بين الوحدتين اللتين لكل منهما اتجاه مناقض للاخرى، فاحداهما تميل الى النضال ضد اليابان، بينما تميل الاخرى الى الاستسلام والخيانة، ووصلت تلك العلاقات الى أقصى حدود الخطورة، وكان يمكن لأى سبب تافه ان يفجر الصدام المسلح بينهما. وكان ابقاء الوحدة الثانية على حالها يجعل من المستحيل توجيه الاخرى الى طريق النضال المناهض لليابان وتشكيل جبهة مشتركة معها.

اقام تشاى هيون وليمة بدعوى مصالحة الوحدتين. وحين دخل قادة الوحدة التى تريد الاستسلام الى المكان، جردهم رجال جيش حرب العصابات من اسلحتهم فى غمضة عين. ولكنهم لم يمسوا بالطبع الوحدة الاخرى ولا فرقة الدفاع الذاتى التى تربطها بها علاقة جيدة.

وكان قرار تشاى هيون بعدم التعرض لفرقة الدفاع الذاتى صحيحا وعقلانيا يتلاءم تماما مع متطلبات الجبهة المتحدة. ومع ذلك، فان المسؤول السياسى للقيادة العسكرية وغيره من يساريى الهيئات العليا اعتبروا تصرف تشاى هيون جريمة، متعللين بان "عدم ضرب لعدو يعادل الاستسلام له". فأعفوه من منصبه كموجه سياسى وصادروا سلاحه المحبب، مسدس "الماوزر". وكان ذلك عملا مجحفا لدرجة ان وانغ دى تاى اعترض عليه ساخطا: "اذا كان الرفيق تشاى هيون من جماعة (مينساينغدان) فمن هو الذى ليس كذلك فى فيلقنا الثانى؟". وبعد فصل تشاى هيون من منصبه، كان عليه ان يخدم كجندى عادى، ثم عمل فيما بعد رئيسا لقسم التموين العسكرى، خلال سنة كاملة، تحت امرة قائد الفيلق وانغ دى تاى. وفى اواخر عام ١٩٣٥ تم تعيينه قائدا لسرية.

قال تشاى هيون متذكرا تلك الايام:

"استطيع القول ان الفضل فى نجاتى يعود اليك، ايها القائد كيم. فلو لم تدافع عنا فى اجتماع داهوانغواى مجازفا بحياتك، لما كان بمقدورى التخلص الى الابد من تهمة (مينساينغدان) ولعشت طوال حياتى كالخلد. قل لى من فضلك، ايها القائد كيم، هل كان عدم التعرض لفرقة الدفاع الذاتى تلك يعتبر استسلاما بالفعل؟"

ونهض تشاى هيون وحدق فى عينى. واصطبغ وجهه فجأة بلون أحمر كلون الرمان، يعكس خطورة حالته.

فأمسكت كلتا يديه بلطف، وقلت له وأنا أهز رأسى:

"لا، لم يكن استسلاما. لقد كان تصرفا سليما لمصلحة الجبهة المعادية لليابان... وقد كان اعفاؤك من منصبك بتهمة التواطؤ مع (مينساينغدان) عملا اخرق ولا مبرر له."

"أخيرا! هذا ما كنت اود سماعه. وكأنه ليس لدى ما أعمله حتى اتفرغ للانضمام الى (مينساينغدان)! يا لابناء الكلبة! لا استطيع تمالك غيظى."

"من المؤلم جدا التفكير بآلاف الاشخاص الابرياء الذين طردوا من مناصبهم أو تم اغتيالهم بتهمة (مينساينغدان) مثلما حدث لك ايها الرفيق تشاى هيون."

"جميع الاتهامات ملفقة. كيف يمكن ان يكون ثوريون مثل يون تشانغ بوم وباك دونغ كون من جماعة (مينساينغدان)؟ لقد عاقب اولئك السفلة افضل العاملين والمقاتلين، ثم راحوا يتباهون وكأنهم حققوا مآثر كبيرة. فلو كانت هذه هى الشيوعية لما كنت أتيت من منطقة بريموريه الى تشينتاو."

"لقد كان النضال ضد (مينساينغدان) مأساة رهيبة يجب ألا تتكرر فى تاريخ نضالنا المناهض لليابان. ان عددا كبيرا من الشيوعيين الكوريين الابرياء قد لقوا مصرعهم دون مبرر. ولحسن الحظ ان الاممية الشيوعية اعتبرت موقفنا فى اجتماع داهوانغواى صحيحا، وادانت رسميا الصراع ضد (مينساينغدان) الذى قام به الحزب فى منشوريا الشرقية باعتباره تطرفا يساريا، واوصت باتخاذ تدابير عاجلة لتجاوز نتائج ذلك الصراع."

سالت العبرات من عينى تشاى هيون وهو يستمع الى كلماتى.

"أود لو أصرخ (هورا!) ثلاثا هنا. شكرا لك، ايها القائد كيم."

"المهم هو كيفية ازالة الاساءة التى لحقت برفاقنا الذين قتلوا وشوهت سمعتهم بلا اساس، وكيفية تعويض هذه الخسارة الفادحة التى لحقت بثورتنا. أليس كذلك؟"

"انت على حق، ايها القائد كيم! علينا، نحن الاحياء، ان نبذل أقصى جهودنا لملء الفراغ ولكى نكون بذور هذه المهمة."

أحسست بارتياح بالغ لرد تشاى هيون. لقد كان قائدا فذا، ليس فى الشؤون العسكرية وحدها، بل وفى السياسة ايضا. وفيما بعد، على امتداد عشرات السنين من

العمل، ترسخت قناعتى بانه استراتيجى عسكرى بارع، سياسى كفء له رؤيته الخاصة. وقد اثبت فى الوقت نفسه انه محرض ناجح، وحاذق فى الدبلوماسية العسكرية، وخبير فى عمليات تفكيك القوات المعادية. فجنود وشرطة نظام منشوكو الذين كانوا تحت نفوذ تشاى هيون، زودوا وحدات الجيش الثورى الشعبى بانتظام بالاسلحة والذخائر، وبالمعلومات عن اوضاع العدو.

ان النظر الى تشاى هيون باعتباره محاربا فقط هو قصور فى الرؤية. وعندما شاهد المحاربون القدامى فى الحرب ضد اليابان الفيلم السوفييتى "تشابايف" كانوا يتبادلون انطباعاتهم قائلين:

"ان تشابايف هذا يشبه تماما جنرالنا تشاى هيون. انهما متشابهان كتشابه قطرتى ماء... سواء فى طريقتهما فى الكلام والتصرف، او فى نمط التفكير والقتال..."

وقد استاء تشاى هيون جدا، وعبر عن استيائه من رأى الرفاق الذين اعتادوا النظر اليه فقط كقائد عسكرى يخوض المعركة بروح المبادرة وليس بناء على خطة مسبقة، قال لهم:

"تشابايف هو تشابايف، وتشاى هيون هو تشاى هيون."

وليس من الصحيح وضع الرجلين فى ميزان واحد. لانه ينبغى عند تقييم تشاى هيون الاخذ بعين الاعتبار دائما انه قبل ان يصبح عسكريا، كان كادرا سياسيا حاذقا، سبق ان عمل موجها سياسيا فى صفوف جيش حرب العصابات، واصبح فيما بعد عضوا فى المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب.

نظرت بثقة الى عينى تشاى هيون الملتهبتين بالحماس والايمان، وواصلت الحديث وانا أضع يدى على ظاهر كفه:

"... اذا تكاثرت هذه البذور الى عشرة، ومئة، والف شخص، ثم تحول هؤلاء الالف الى عشرة آلاف شخص، فاننا سنغتنى بالرجال عاجلا ام آجلا. وهذا عمل عظيم علينا، نحن الشيوعيين الكوريين، ان نعطيه الاولوية. وينبغى علينا من اجل ذلك ان نعمل مثلما اكدنا فى اجتماع نانهوتو، اى انه علينا التوجه الى مناطق

تشانغباى المحاذية للوطن، والى جبل بايكدو، لنقيم هناك قواعد من نمط جديد."

وعندما سمع تشاى هيون عبارة "قواعد من نمط جديد"، انتصب صدره فجأة، بينما أخذت حاجباه ترتجفان.

"ما معنى هذا؟ انتهينا لتونا من حل القواعد، وعلينا اقامة اخرى جديدة الآن!"

ووضحت له سبب وضرورة اقامة قواعد من نمط جديد وبم تختلف عن القواعد السابقة. والحقيقة ان قدرة تشاى هيون على ادراك الامور السياسية كانت مذهلة، فقد كان يفهم على الفور ويدرك ابعاد كل ما اوضحه. وأبدى تأييده المطلق لتوجهات اجتماع نانهوتو التى ستكون رافعة لتطوير الثورة الكورية حسب وجهة نظرنا. لقد اخرجت قرارات الاجتماع تشاى هيون وجميع مرضى المعسكر الآخرين من هوة اليأس.

وقال تشاى هيون:

"منذ اصابتنى الحمى مررت بلحظات كنت فيها على وشك الموت، وخصوصا حين كان المرض يشتد. بل كنت افكر بوضع حد لحياتى بيدى. وكنت أغرق احيانا مثل احمق فى فكرة الموت لوضع حد لهذه الآلام. ولكننى عندما رأيتك اليوم، ايها القائد كيم، اختفت فجأة كل تلك الاوهام اليائسة. لقد استعدت الرغبة فى العيش والاستعداد للمقاومة حتى النهاية."

ومثلما تحدث عن أهمية لقائنا بتلك التعابير الرنانة، فاننى اعتبرت اللقاء ذا مغزى عميق ايضا:

"تقول ان حضورى قد انعشك وأعاد اليك القوة، والواقع اننى أنا من يشعر بتعاظم الحماسة عند رؤيتك. يسعدنى ان أراك وقد نجوت من زوبعة (مينساينغدان). ان مجرد البقاء على قيد الحياة فى تلك الظروف هو مأثرة."

تفقدت فى ذلك اليوم مع لى دونغ بايك المعسكر السرى كله. وكانت الظروف الصحية والتموينية صعبة ومريعة جدا. فقد كانت تصل بين الحين والآخر بعض المؤن من السرية السابعة فى الفرقة الاولى المرابطة بالقرب من ميهونجين، ولكن تلك المؤن لم تكن كافية لاطعام عشرات الاشخاص. وعند نفاد الحبوب، لم يكن بامكانهم اعداد حتى الحساء، فكانوا عندئذ يسكتون جوعهم بحفنة من نخالة الذرة

المتعفنة مع الماء الساخن. ولكن حتى هذا "الطعام" البائس لم يكن متوفرا دائما.

كان المسؤول الادارى فى المعسكرشخصا يدعى كيم، وقد اتضح لنا انه رعديد لا يفكر الا بأمنه الشخصى. وعندما جاءوا بتشاى هيون الى هذا المستشفى طلب من كيم ان يقوم باعمال مدير شؤون المعسكر السرى، ولكنه كان يخل بعمله تحت مختلف الذرائع. كانت توجد فى مكان قريب من المعسكر كميات غير قليلة من الحبوب والمواد الغذائية الاخرى انتزعها تشاى هيون فى خريف عام ١٩٣٥من اقطاعى فى تونهوا ودفنها هناك. ولكن كيم كان يشكو فقط من نقص الحبوب ولم يكن يقدم للمرضى بانتظام حساء فول الصويا مرة او مرتين فى اليوم كما ينبغى. وكلف الخياطات، وهن قليلات العدد، بالعناية بالمرضى، بينما انتقل هو نفسه الى معسكر سرى آخر يبعد اكثر من ١٠ رى، حيث اقام هناك فى بحبوحة، يأكل الارز الابيض واللحم واشياء اخرى.

وكانت خدمة الحراسة ملقاة كذلك على عاتق الفتيات المغاورات.

ان الرفيقات فى ميهونجين، من امثال كيم تشول هو، وهو سونغ سوك، وتشاى سون سان وغيرهن كن يتحملن اعباء تفوق طاقتهن. لقد كان فى المعسكر عدد من الاشخاص المسؤولين عن شؤون التموين، احدهم يدعى كيم، وآخر كواك، وشخص يدعى ليو، ولكن لم يكن لديهم متسع من الوقت للعناية بالمرضى بسبب انشغالهم فى مهام خارج المنطقة. فكان على المغاورات ان يتناوبن العناية بالمرضى ويعملن كممرضات، فضلا عن مهماتهن فى الخياطة والحراسة.

وكانت آلام المرضى المتواصلة ليل نهار تجعلهم متوترى الاعصاب ونزقين، فكانوا يزعجون الرفيقات اللواتى يعتنين بهم. ولانه لم يكن مسموحا للمرضى بتناول الماء البارد حسب مشيئتهم، فقد كانوا جميعهم فى حالة من النزق تكاد تشبه الجنون. ففى ذلك الزمن، شاع فى صفوف الجيش الثورى الشعبى، دون تفسير معقول، رأى يقول ان تناول مرضى التيفود للماء البارد يعنى الانتحار والموت المحتم، وقد وضع هذا الرأى فى الاعتبار عند العلاج. ومن القناعة بهذا الرأى، جاء الامر الذى أصدره تشاى هيون بحظر تناول الماء البارد فى مستشفى المعسكر ومعاقبة من يخالف الأمر بقسوة.

ومع ذلك، كان المرضى المصابون الذين فقدوا القدرة على التفكير السليم بسبب العطش، يطلبون الماء البارد بالحاح وغضب. وكان بعضهم يغافلون الممرضات ويدسون فى افواههم قطع الجليد المدلاة من اطناف السقف. وحتى الرجال الذين عرفوا بانضباطهم وطاعتهم للاوامر فى جيش حرب العصابات كانوا يفقدون الصبر من العطش ويتصرفون كالاطفال. وعندما كانت المغاورات يقدمن لهم بدلا من الماء البارد قصعة حساء، كانوا يرمونها وينفجرون صارخين بأقبح الشتائم. ولكن الفتيات كن يرفضن رفضا قاطعا تلبية طلبات المرضى. وكن يراقبن بيقظة خابية الماء، بل فرضن حراسة عليها لمنع المرضى من شرب الماء.

وفى احدى الليالى، لم يستطع الجندى المسؤول عن الاتصالات، وكان له اسم غريب "ماينغ سون"، لم يستطع تحمل المزيد، فزحف فاقدا الوعى نحو الخابية. وكانت الحارسة حينئذ هى الرفيقة هو سونغ سوك. وحين رأت ماينغ سون يحمل المغرفة بيده أسرعت اليه وانتزعتها منه. وأنبته بصوت عال هز الثكنة كلها:

"أنسيت الامر، ايها الرفيق ماينغ سون؟ أتريد الموت، ياترى؟ عد الى مكانك حالا." فاض الكيل بماينغ سون، فامسك بقطعة خشب كانت عند الموقد وضرب هو سونغ سوك بقوة على ساقها. ثم اخرج الماء من الخابية وشرب بشراهة. وغطى نفسه بعد ذلك باللحاف، وبقى دون حراك طول الليل وكأنه جثة.

خشيت هو سونغ سوك ان يموت، فبقيت جالسة عند رأسه حتى بعد انتهاء نوبة حراستها. وكان المرضى الآخرون يشعرون مثلها بالقلق على حياة ماينغ سون. ولكن، عند انبلاج الفجر، ازاح ماينغ سون اللحاف جانبا، بعد ان كانوا يظنونه ميتا، ونهض من فراشه وعانق هو سونغ سوك بقوة:

"اشكرك، ايتها الرفيقة سونغ سوك! لقد نجوت. لقد زالت حرارتى تماما لانك تغاضيت عن شربى للماء. من أين غادرتنى تلك الحرارة القاتلة؟"

"من أين سيكون سوى من مسامات جلدك؟ انظر الى البخار المتصاعد من لحافك."

ورفعت هو سونغ سوك اللحاف المبلل بالعرق وجالت بعينيها فيما حولها. كان جميع المرضى الذين استيقظوا ينظرون الى اللحاف.

وبعد هذا الحادث الغى امر منع شرب الماء البارد، وصار كل واحد يشرب مثلما يشاء. وشيئا فشيئا بدأ المصابون الذين كانوا على حافة الموت يشفون واحدا بعد الآخر. وصار اولئك الذين غادروا فراش المرض يساعدون المغاورات فى اعداد الطعام وكأنهم يفعلون ذلك من اجل حفلة.

وتمكنا مع عامل التموين ليو من العثور قرب المعسكر السرى على كمية كبيرة من الارز واللحوم التى كان تشاى هيون قد خبأها، وهكذا تحسنت نوعية الغذاء. وحل المقاتلون الذين تصلبوا فى حملات عديدة ومعارك كثيرة، محل الرفيقات فى الحراسة، رغم انهم كانوا مرهقين ايضا من المسير الطويل.

وعندما عمت السعادة الجميع لاستردادهم العافية، وبدؤوا يذرعون المكان، نظمنا فى ميهونجين مع وانغ دى تاى ووى جين مين آنذاك اجتماعا للملاكات العسكرية والسياسية للجيش الثورى الشعبى وحددنا السبل لتنفيذ الخطط التى اقرها اجتماع نانهوتو. وحضرالاجتماع كيم سان هو وباك يونغ سون وكيم ميونغ بال وعدد كبير من كوادر الجيش الثورى الشعبى ابتداء من موجه السرية السياسى وما فوق.

حددت قرارات اجتماع نانهوتو المهام الاستراتيجية التى كان يجب على الشيوعيين الكوريين تنفيذها على التوالى فى النصف الثانى من الثلاثينات. وبدأ الشيوعيون الكوريون، بعد حل قواعد حرب العصابات التى لها شكل المناطق المحررة الدائمة، بتوسيع مسرح نشاطهم فى مختلف مناطق منشوريا وفى ارجاء شبه جزيرة كوريا كلها. وكان لا بد من بعض الاجراءات التكتيكية من اجل تنفيذ تلك المهام.

كانت خططنا تتمثل فى تحويل منطقة جبل بايكدو الى نقطة الارتكاز التكتيكية الاستراتيجية للثورة الكورية، والانطلاق منها للقيام بهجمات وحدات كبيرة مكثفة عسكريا والعمل سياسيا بنشاط، للتنقل بحرية فى مناطق منشوريا الشمالية والجنوبية وحتى عمق الاراضى الكورية، والارتفاع بذلك بنضال التحرر الوطنى المناهض لليابان وبالحركة الشيوعية الى مرحلة جديدة أعلى. وبكلمات موجزة، قررنا العمل على نطاق واسع. وكان هذا المشروع يستدعى قبل كل شىء حل قضية الناس من ثلاث نواح: الحزب، والقوات المسلحة، والجبهة الموحدة للامة كلها. وحين نتمكن

من اعداد هذه القوى الثلاث اعدادا كاملا فقط، يصبح بامكاننا الصعود بالثورة درجات اخرى الى اعلى.

وردا على متطلبات تلك المرحلة، بحثنا فى اجتماع ميهونجين قضية اعادة تشكيل وحدات الجيش الثورى الشعبى وحددنا مناطق عمليات الفرق والالوية التى سيتم تشكيلها.

وقررنا اولا تشكيل فرقة جديدة ولواء مستقل جديد لرفع القدرة القتالية، وتوسيع الفرقتين القائمتين لتصبحا بذلك ثلاث فرق ولواء واحدا مستقلا. وعلى أساس هذا القرار، جرى تحديد مناطق العمليات لكل وحدة من الوحدات: فالفرقة الثالثة الجديدة (التى اصبحت السادسة فيما بعد) فى منطقة الحدود الواقعة على ضفاف نهر آمروك ويكون مركزها جبل بايكدو؛ واصبحت الفرقة الاولى مسؤولة عن مناطق فوسونغ وآنتو وريتتشيانغ؛ بينما كان على الفرقة الثانية ان تقوم بعملياتها فى تشينتاو ومنشوريا الشمالية؛ أما اللواء المستقل الجديد فيقوم بعمليات متحركة فى منشوريا الشمالية، ويأخذ بالانتقال تدريجيا الى ضفاف نهر آمروك لمواجهة الاعداء الذين يظهرون فى منطقة الحدود. وكان ذلك القرار يتطلب مضاعفة القدرة القتالية للجيش الثورى الشعبى فى أقصر وقت وفى عمليات سريعة.

وقد أيد المشاركون فى الاجتماع القرار بحماس لانهم رأوا فى اعادة تنظيم الجيش الثورى الشعبى خطوة جديدة الى الامام فى النضال المسلح ضد اليابان. ولكن لم تحل جميع القضايا بسهولة. فعند مناقشة الاجراءات التنفيذية تعالت آراء عرقلت سير الاجتماع. وكان من المفهوم ان بعض الاشخاص المؤيدين دون شروط لاعادة تنظيم الجيش الثورى الشعبى، سيظهرون ترددهم حول مصير هذا المشروع بسبب نقص الكوادر. ففى فترة الصراع ضد "مينساينغدان"، جرى فصل عدد كبير من الكوادر العسكريين والسياسيين لهذا الجيش. وكانت الديمقراطية العسكرية المتطرفة عاملا آخر فى تفاقم نقص الكوادر القياديين. كما ان عددا غير قليل من الكوادر العاملين كانوا ما يزالون متهمين بالعلاقة مع "مينساينغدان". وكانت وحدات عديدة تبعث باستمرار طالبة ارسال قادة لها.

وضعنا خطة تعيين الكوادر للتشكيلات الجديدة حسب مبدأ الجرأة فى الثقة والترقية. وهكذا بقيت الفرقة الثالثة تحت قيادتنا مباشرة. واحتفظ آن بونغ هاك بمنصبه كقائد للفرقة الاولى، ورقى تشاى هيون من منصب قائد سرية الى منصب قائد الفوج الاول فى الفرقة الاولى.

وبحثنا فى اجتماع ميهونجين ايضا موضوع انشاء لجنة تحضيرية لتأسيس جمعية استعادة الوطن.

اذا كان اجتماع نانهوتو قد اصبح اشبه بالحد الفاصل بين النصفين الاول والثانى للثلاثينات، فان اجتماع ميهونجين جنبا الى جنب مع اجتماعات دونغكانغ وسيكانغ ونانبايتسو، كان معبر الثورة الكورية الى الاحداث الكبرى فى الاربعينات. فالقطار السريع الذى انطلق من نانهوتو مضى بأقصى سرعة الى سياوهاربالنغ عبر ميهونجين وسيكانغ ونانبايتسو التى كانت محطات مرحلية لا تنسى فى الطريق التاريخى من نانهوتو الى سياوهاربالنغ حيث ظهرت بكامل قوتها مشاعرنا الودية والروحية.

هنأت تشاى هيون على ترقيته الى منصب قائد فوج، وودعته:

"لقاؤنا القادم سيكون فى منطقة جبل بايكدو. آمل ان تقاتل بجسارة."

امسك تشاى هيون بذراعى واخذ يتوسل بالحاح كالطفل:

"لن اترك هذه الذراع مالم تأخذنى معك. انا ايضا اريد الذهاب الى جبل بايكدو والقتال تحت قيادتكم، ايها القائد كيم."

"يؤسفنى انا ايضا ان افارقك، ايها الرفيق تشاى هيون. فانا ايضا لى رغباتى ومشاعرى. ولكن ماذا سيحل بالوحدات الاخرى اذا ذهب الجميع معى؟ ومالم يتحمل القادة من امثال تشاى هيون وتشاى يونغ كون ولى هاك مان وهان هونغ كوون مسؤولية العمليات فى جبهات اساسية، فانه لن يكون بمقدور ثورتنا الطيران بأقصى سرعة، وفتح جناحيها على اتساعهما فى الفضاء الرحب. وأنا لا أريد رؤية تشاى هيون كذيل ثور، وانما كنمر حقيقى."

"آه، هذا كثير! لا يمكننى ان اكون نمرا."

وبعد أن كرر تشاى هيون عبارة "آه، هذا كثير!"، امعن النظر فى مكان بعيد بعينين نصف مغمضتين.

"حسنا، لن اواصل الالحاح اليوم. ولكنى لن اتراجع فى المرة القادمة، وسترى ذلك ولا تنس تشاى هيون حتى فى منامك. أما أنا فلن ارى نفسى فى الحلم الا الى جانبك، ايها القائد كيم إيل سونغ."

جرى لقائى الثالث مع تشاى هيون فى معسكر يانغمودينغجى السرى فى سيكانغ بمحافظة فوسونغ. وحاول تشاى هيون بالطبع من جديد بلوغ مالم يستطع بلوغه فى ميهونجين. ولكنه لم يتمكن فى هذه المرة ايضا من تحقيق هدفه. فحالما رآنى عاد الى الحاحه من اجل الانتقال الى الوحدة الرئيسية. ولكنه لم يستطع اقناعى.

كان تشاى هيون يريد على الدوام ان يكون الى جانبى، وبذل كل ما لديه من جهود من اجل تحقيق امنيته تلك. ولكن محاولاته كانت فى كل مرة تتراجع امام افتتانه بمهمات أخرى اكثر اهمية وواقعية بكثير. وكان الدافع فى ذلك هو ضميره النقى كالبلور وروح الخدمة المتفانية التى يتمتع بها، ورغبته فى ان يكون فى اكثر الاماكن خطرا على خط الجبهة الاول، مما كان يثير قلقى عليه ويستولى على اهتمامى.

ففى سعيه الدؤوب ليكون نافعا توصل الى القناعة بانه اذا رغب فى مساعدتنا عن قرب، فلا بد له أولا وقبل الجميع من الانطلاق الى اكثر المواقع صعوبة عملا بندائنا، وفى هذا الامر بالتحديد تكمن ملامح الجندى المخلص والفتنة الفريدة التى تحيط بالجمال خصائصه الانسانية. وقد تعايشت هاتان الرغبتان معا فى روحه دون ان تتغلب احداهما على الاخرى. وكان تشاى هيون يتوق للاثنتين، ولكنه كلما واجهتنا مهمة صعبة، لا يتردد فى الابتعاد عنى وهو يضم قبضتيه بقوة، متوجها الى الموقع الذى يستحوذ على اهتمامى.

ومما لا شك فيه ان هاتين الرغبتين كانتا تناقضا لطيفا لم يختف من حياته. فباستثناء السنوات الاخيرة التى ساعدنى فيها بوجوده على رأس القوات المسلحة الشعبية او على رأس وزارات اخرى فى المجلس التنفيذى، أمضى حياته كلها فى خطوط الجبهة الامامية، وسط الدخان الكثيف. ففى النصف الثانى من الثلاثينات

وحده، خاض عدة مئات من المعارك الكبيرة والصغيرة وخصوصا معارك سانداوكو، اوداوكو، سياوتانغهى، هوانغكولنغ، جينتشانغ، بولغونباوى، كومزارى، جيانسانفينغ، نايرهونغ، لاوجينتشانغ، موجيهى، بويرهى، وايتانغكو، تيانباوشان، داشاهى، داجيانغكانغ، ياوتشا وهانتشونغكو... حيث بقى اسم تشاى هيون محفورا بحروف بارزة، وحيث تكشفت دون تحفظ موهبته وشجاعته الفريدة كقائد عسكرى بارز.

وصفة "الرجل الجسور" التى ترد بكثرة فى الوثائق السرية التى تركها الامبرياليون اليابانيون، انما هى الصفة التى اطلقوها على تشاى هيون. فقد كان رجال الجيش والشرطة اليابانيون يرتعدون خوفا لمجرد سماعهم باقتراب "وحدة سايكين" واصبحت كلمة "سايكين" مرادفا لاسم القائد العسكرى الذى لا يقهر.

وعندما بدأنا بناء الوطن الجديد، قام تشاى هيون بالدفاع عنه على الخط الامامى، وعلى بعد خطوات قليلة عن خط العرض ٣٨(٠). واثناء الحرب ضد الامبرياليين الامريكيين، قاد فيلقا فى القطاع الشرقى من الجبهة. وكانت تسمع دائما فى ميادين المعارك الضارية التى كانت محط انظار الوطن والشعب، الاوامر الواثقة التى يصدرها تشاى هيون داعيا جنوده للهجوم.

وكلما كان تشاى هيون يبتعد عنى اكثر، كنت أشعر به أقرب وأحب الى قلبى. ومثلما يقول المثل: ألف رى بين عزيزين مسافة قصيرة، ولكنها على العكس تماما بالنسبة لاثنين يكره احدهما الآخر. ولهذا فاننى ارى ان المكان والزمان لا يشكلان عائقا بين من يحبون ويحترمون بعضهم بعضا. لقد كان تشاى هيون أقرب مساعدى الى نفسى والاكثر اخلاصا، مهما كان بعده عنى.

---

(٠) خط العرض ٣٨: خط مؤقت تم اعتماده من قبل الولايات المتحدة الامريكية، لتقسيم كوريا المحررة الى شمال وجنوب، فى آب عام ١٩٤٥. ذاك هو خط العرض ٣٨ شمالا، الذى كرسوه بدعوى تهيئة المنطقة لقبول استسلام الجيش اليابانى المهزوم وتجريده من السلاح. لقد اصطنعت الولايات المتحدة هذا الخط، واتخذته ذريعة لاحتلال اراضى كوريا كلها. – المترجم

منذ البدء ببناء الدولة كان يحمل معه صورة لى على الدوام، يحفظها فى دفتر ملاحظات صغير. وكان حجم تلك الصورة لا يتجاوز حجم علبة كبريت. والطريف فى الامر هو اننى أنا نفسى لم أكن اعرف من أين حصل عليها. ويبدو انه اقنع جونغ سوك واخذ منها الصورة قبل توجهه الى منطقة خط العرض٣٨ قائدا للواء. ولكن ذلك ليس الا تخمينا حتى الآن. وعندما فتح تشاى هيون الجبهة الثانية وراء خطوط العدو وحارب باساليب الانصار، كان يتأمل تلك الصورة كلما شعر بشوق لرؤيتى.

وذات مرة، قرر تشاى هيون مكافأة رئيس حضيرة حقق مآثرة كبيرة فى عملية فى منطقة العدو. وكان اسم رئيس الحضيرة كيم مان سونغ. فقد قام مع حضيرته بعملية قتالية ناجحة بشكل باهر، اذ اوقع اكثر من ١٥٠ اصابة، بين قتيل وجريح فى صفوف العدو، واستولى على ٥٠ عربة عسكرية، منها ٢٢ شاحنة و٢٨ عربة مدفع. وكانت مأثرة الحضيرة هذه تستحق اعلى وسام. ولكنه لم تكن توجد فى مقر قيادة الفيلق، العاجز عن الاتصال بالقيادة العليا، لا اوسمة ولا اى شهادات تقدير اخرى. ولكن تشاى هيون الذى لم يكن يتباطأ ابدا فى تنفيذ قرار يتخذه، استدعى كيم مان سونغ وسلمه صورتى التى كان يحملها منذ الايام الاولى لتحرير البلاد.

"هذه المكافأة اعلى من اى وسام. لعلك تعرف ان القائد كيم إيل سونغ هو رئيس بلادنا. لقد كان زعيمنا كذلك مذ كنا فى حرب العصابات فى تشينتاو. لا يمكنك ان تتصور كيف كنا نشتاق اليه فى تلك الأيام. احتفظ بهذه الصورة، ولن يكون بامكان أى رصاصة أن تخترق قلبك."

كانت تلك هى الكلمات التى قالها تشاى هيون فى مراسيم تسليم الصورة.

وجاء تشاى هيون فيما بعد الى مقر القيادة العليا وابلغنى بالقضية. وبعد ان استمعت الى تقريره فكرت باستثارته قليلا:

"مهما حدث فان تشاى هيون يبقى تشاى هيون. ولكننى اقول، وبصراحة كاملة، ان آمر الحضيرة كيم مان سونغ قد خرج خاسرا. اذ لا يمكن لصورة صغيرة بحجم علبة الكبريت ان تكون بقيمة الوسام."

"لا تكن قاسيا. فمن غير تشاى هيون سيخطر له تقديم مثل هذه المكافأة؟

وبالمناسبة، ايها القائد، عليك ان تفعل شيئا الآن، ويجب أن يكون باسم القائد الاعلى بالطبع."

لقد كان ذلك هجوما مضادا مفاجئا. ووقعت دون ان الاحظ فى احبولة معلم ماهر فى عمليات الاستدراج والضرب.

وقد كان لشهامة "قائد الفيلق الاب" الذى يحب جنوده بلا حدود، أعمق الاثر فى نفسى.

"حسنا. هذا ما سنفعله. وبما انك صاحب فكرة تقديم الصورة... سأقدم له الشكر باسم القائد الاعلى، واقلده وساما."

هذه المسألة البسيطة، والصغيرة جدا كقطرة ماء، اتاحت لنا معرفة تشاى هيون بشكل اعمق. وفى هذا الحادث تتبدى بزخم نظرته النبيلة الى العالم.

هذه هى الخطوط العريضة لصفاته.

لا اعرف عن اى شىء آخر ينبغى ان اتحدث من اجل نقل جاذبيته الانسانية بشكل اكثر امانة. فسيرة حياته المشبعة بدخان المعارك والمنسوجة تحت الامطار والعواصف تتضمن ما لا حصر له من الاحداث والوقائع.

كان تشاى هيون متفائلا لا يعرف الكآبة واليأس طول حياته. وكان مقاتلا مثل دبابة تندفع وتندفع متقدمة دون تردد امام اية عواصف.

اى نوع من الناس كان يحب؟ الصريحين والبسطاء والمجتهدين والشجعان والاوفياء والذين يؤدون العمل الكبير ولا يغتابون الآخرين، ومن يعرفون كيف يتخذون القرار المناسب...

أما أبغض الناس اليه فهم المتزلفون والجبناء والكسالى والثرثارون. وكان يبتعد دائما عن المتكلفين الذين لديهم عشرة اكياس احتياطية، وعن المنافقين الذين لديهم عشرة جلود مختلفة يستبدلونها.

ان البلاد كلها تعرف ولع تشاى هيون بالشطرنج. كان اذا خسر جولة يتكدر لدرجة فقدان الشهية. ولكن غضبه يصبح اكبر حين يخسر أحدهم امامه او يتعادل معه متعمدا لكى يرضيه.

كما كان تشاى هيون احد اشد هواة السينما حماسا فى البلاد. فقد كان محبا للسينما لدرجة ان الرفيق كيم جونغ إيل ارسل له آلة عرض سينمائية. وكان يفضل الافلام الحربية، ولكنه يكره مشاهد المجازر والقتل.

لقد زرته عدة مرات فى أيامه الاخيرة. وكان جسم تشاى هيون الذى اضناه الصراع مع المرض يبدو ضئيلا مثل جسد طفل يقل عمره عن عشر سنوات، ويدعو الى الرثاء. حتى اننى ارتبت للحظات فى ان يكون ذلك الشخص الضئيل هو تشاى هيون نفسه، "الرجل الجسور"، القائد العسكرى المجرب الذى لا يقهر، والذى اجتاز امواج حربين عاتيتين، واثار الهلع فى صفوف الأعداء.

فى احدى تلك الزيارات، أمسكت بيديه اللتين كانتا فيما مضى قويتين صلبتين كالخشب، واصبحتا نحيفتين وطريتين كيدى طفل، لا عضلات فيهما وقلت له:

"اسمع يا تشاى هيون. أمن الممكن ان يسقط هكذا (سايكين) الذى كان مندفعا مثل النمر؟"

ارتعشت شفتاه، وانحدرت على خديه دمعات متحسرة. فأخرجت المنديل ومسحت عينيه محاولا تهدئته:

"لا تبك، ايها الرفيق تشاى هيون. لان البكاء يستنفد القوى."

"ايها الزعيم العزيز، لقد تذكرت ميهونجين فتأثرت. ألا تذكر انك امسكت بيدى هكذا ايضا يومذاك؟"

"أجل، أتذكر ما حدث فى ميهونجين. لا اعرف سبب حنينى الى تلك الايام. لقد كانت تواجهنا مصاعب كثيرة. ولكننا كنا آنذاك شبانا نشيطين فى سن العشرين ونيف. واعتقد، ايها الرفيق تشاى هيون، انك كنت فى الثلاثين من العمر آنذاك."

" نعم. ولكن حسب التقويم المعمول به حاليا فان عمرى يومئذ تسع وعشرون سنة. واذكر كيف اننا اقسمنا وايدينا متشابكة: (سنتقاسم الحياة والموت!) هل تذكر ذلك؟"

"أجل، وكيف انساه!"

"ولكنى لا استطيع الآن ان أفى بعهدى الذى قطعته فى ذلك اليوم، سأمضى أولا... اننى اشعر بالذنب ايها الزعيم."

"لا تقل هذا، انا الذى اشعر بالذنب. فلو اعتنيت بك بشكل أفضل لما كنت فى هذه الحالة اليوم. لقد جعلتك تعمل وتعمل، ودائما فى اقسى المهمات. اننى نادم جدا على ذلك."

"هذا غير صحيح. انا الذى سببت لك المشاكل الكثيرة طوال حياتى. فلنمت نحن، اما انت ايها الزعيم فيجب ان تبقى سالما من اجل توحيد الوطن. ارجو ان تعتنى بصحتك. هذه هى رغبة تشاى هيون الاخيرة. فنقيصتك ايها الزعيم انك تهمل صحتك كثيرا."

وقد قيل لى انه بقى يتحدث عنى حتى لفظ نفسه الأخير.

وكلما كان معاونى يزورونه كان يسألهم بالحاح: "هل الزعيم المحترم معافى وسليم؟" و"هل الرفيق كيم جونغ إيل بخير؟".

الاسى الذى احسست به عند موت تشاى هيون، الذى كنت اكلفه بأصعب المهمات، دفعنى الى طلب صنع فيلم يكون بطله تشاى هيون وعرضه فى كافة ارجاء البلاد. وهكذا ظهر للوجود فيلم "الثورى".

ومأثرة تشاى هيون فى حياته العائلية تتمثل فى انه ربى زوجته وابناءه ليكونوا مخلصين فى السير وراء الحزب والزعيم.

فكانت زوجته كيم تشول هو مناضلة صامدة كرست حياتها كلها للثورة. ومارست النشاط السرى وراء خطوط العدو واشتركت فى النضال المسلح معنا.

ان المرأة التى اشتركت طوال عشر سنوات فى المعارك الضارية ضد الاعداء فى الجبال الوعرة وفى غابات منشوريا المترامية المغطاة بالثلوج حيث تصل درجة الحرارة الى ٤٠ درجة تحت الصفر، واجهت صعوبة اكثر بكثير من بعثة استكشاف فى القطب الشمالى. لقد كانت أشبه بطائر العنقاء. فخلال عملية "تأديبية" معادية، جعلها اطلاق النار المفاجئ تضع مولودها وسط كومة من الثلوج، دون مساعدة من أحد، قطعت الحبل السرى، وبدأت باطلاق النار فورا على العدو المهاجم. وكانت تنظر بتقدير لا يوصف الى المصاعب والآلام فى مرحلة حرب العصابات، لدرجة انها بقيت حتى ايامها الاخيرة تطبخ حساء من حبوب الذرة مرة أو مرتين كل شهر، وتجبر اولادها على تناوله.

واذا كان تشاى هيون قد شكل بالنسبة لها المحرك الوفى الذى وجهها الى الطريق المضىء، فقد كانت بالنسبة اليه نورا دافئا حول حياته المعذبة والمعقدة الى حديقة مزهرة.

وقد ربت ابناءها مع زوجها، بصرامة وتقشف، وكأنها تريد صقلهم وسط عواصف بايكدو الثلجية. ويعمل ابناؤها بكل نشاط فى المواقع التى اوكلها اليهم الرفيق كيم جونغ إيل، لكى يؤلقوا اشتراكيتنا التى ترى ان جماهير الشعب هى السماء، ولكى يربوا ابناء الجيلين الثالث والرابع للثورة كجنود مخلصين.

لقد قدم تشاى ريونغ هاى اكبر مسؤولى اتحاد الشباب العامل الاشتراكى، مساهمة لا تقدر لاجراء المهرجان العالمى الثالث عشر للشباب والطلاب الذى يمثل صفحة مشرقة فى تاريخ الحركة الشيوعية فى بلادنا. وعندما ماتت امه كيم تشول هو، ذهب لبضع لحظات الى المأتم، ثم عاد الى قصر الشعب الثقافى لحضور اجتماع اللجنة التحضيرية الدولية للمهرجان. وعندما عرفت ذلك فكرت بالمثل القائل: "هذا الشبل من ذاك الاسد".

ان شجرة التفاح تطرح تفاحا، وتطرح شجرة الاجاص اجاصا، هذا قانون ثابت لا يتبدل. والشىء نفسه يحدث فى المجتمع. فمن يولدون على سفوح جبل بايكدو يملكون روح بايكدو. لقد بدأت قضية الثورة الكورية وتطورت بالجهود العملاقة لجيلها الاول الذى مر بفترة عصيبة. ويرث هذه القضية الآن ابناء الجيل الثانى والثالث والرابع المفعمون بمشاعر الاخلاص والاحترام ووحدة الرأى بقيادة الرفيق كيم جونغ إيل، ويطورونها باستمرار. وهذا مصدر فخر واعتزاز حقيقيين. وانا على يقين تام من ان اجيالنا الناشئة ستبقى مخلصة الى الابد لمثل جيل الكبار العليا. وان يخلف الآباء العظماء ابناء رائعين هو قانون ثابت.

الفصل الثانى عشر لتقريب الربيع الجديد لانبعاث الوطن

(آذار ١٩٣٦ – ايار ١٩٣٦)

١– ولادة فرقة جديدة

عندما انطلقنا من ميهونجين، لم يكن عدد افراد وحدتنا يتجاوز العشرين رجلا. جنديا اتصال شابان، مع أو بايك ريونغ وتسعة حراس آخرين، وكيم سان هو، و"الشيخ ذو الغليون" الذى استنفد طاقته فى التعليم فى مدرسة خاصة فى مكان ناء من منطقة هيلونغ قبل ان ينضم الينا، وكانت تلك هى كل اسرتنا التى اقودها. اما السرية التابعة لفوج وانغتشينغ، والتى انطلقت معنا من غواندى، فقد واصلت سيرها باتجاه محافظة يلان لكى تعزز الوحدات العاملة فى منشوريا الشمالية.

لقد بدأت المسيرة وأنا اقود عددا قليلا من الرجال، ولكننى كنت أشعر بسعادة لا توصف لان الرغبة التى راودتنى لسنوات طويلة أصبحت ممكنة التحقيق.

وكنت أفكر لدى مغادرة ميهونجين : "سنذهب بأسرع ما يمكن الى فوسونغ. فى جبل مآنشان ينتظرنى رجال الفوج الثانى. وسيكونون ركيزتنا لتشكيل فرقة جديدة لا تقهر".

لقد كان تشكيل فرقة جديدة مسألة حاسمة ينبغى اعطاء الاسبقية المطلقة لحلها من اجل التطبيق العملى لخط ثورتنا الزوتشى.

لن يتجرأ أحد الآن على الافتراء علينا أو منعنا من تكريس جهودنا الاساسية

للثورة الكورية. ولم يعد هناك أى حاجز أمام الدروب التى بحثنا عنها منذ زمن بعيد وأعددناها. فاذا سرنا مباشرة على تلك الدروب، فسوف نصل الى ساحة الاحتفال بانبعاث الوطن، بل والى عالم رائع اسمه بلد الشعب. ومن أجل ذلك كان لا بد من اعداد قاطرة قوية وعربات متينة، واقامة قيادة تتمتع بالقوة والكفاءة.

فما هى قاطرة الثورة الكورية؟ يمكن القول انها الفرقة الجديدة التى ننوى تشكيلها لتكون القوة الرئيسية للجيش الثورى الشعبى الكورى.

ويمكن مقارنة جمعية استعادة الوطن التى سننشئها، بالعربات التى تجرها تلك القاطرة. وسيكون بالامكان تسمية جبل بايكدو الذى سنرابط فيه عما قريب بموقع القيادة. وعلينا الشروع فى العمل دون ابطاء.

ولم يكن عمل الفرقة الجديدة يقتصر على المدلول الحرفى لاسمها وحسب، أى القيام بالنشاطات الحربية لتدمير جيش وشرطة الامبريالية اليابانية فى الميدان العسكرى. بل كان عليها ان تؤدى واجبات اخرى كجيش سياسى مدعو الى التوسع انطلاقا من جبل بايكدو لمد شبكة المنظمات الحزبية فى كل انحاء البلاد، وحشد الشعب كله وقيادته فى النضال المناهض لليابان بواسطة جمعية استعادة الوطن ومنظمات اخرى متعددة. وكان لا بد بالطبع للفرق الاخرى من ان تتولى هذه المهمة أيضا. ولكن كان لا بد من وجود فرقة رئيسية تؤدى دور الطليعة وتقف على رأس جميع الوحدات الاخرى. ولهذا صنفت الفرقة الجديدة باعتبارها قاطرة الثورة الكورية.

فكيف نهيء هذه القوة الجبارة؟

اقترح معظم من تشاورت معهم فى هذا الصدد دعوة جميع الشباب الكوريين الموزعين فى وحدات القوات المتحدة المناهضة لليابان وتشكيل فيلق عسكرى كبير منهم والتقدم به نحو جبل بايكدو. وكان هناك رفاق فى السلاح ألحوا على انشاء تلك القوة من مغاورين مختارين يتم انتقاؤهم بصرامة من مختلف وحدات الفيلق الثانى. كانت هذه اقتراحات مفهومة، ولكن اصحابها جميعا بلا استثناء، غاب عن اذهانهم مصير الرفاق الصينيين الذين نخوض معهم النضال ضد العدو المشترك، كما غابت عنهم آفاق تطور ذلك النضال. وكانت رؤيتهم تنطلق من فكرة الوحدة الرئيسية قبل

كل شيء وفوق كل اعتبار. وحسب التعابير الحالية، يمكن القول انهم كانوا مغرقين فى النزعة المصلحية لوحدتهم فقط.

وأخيرا، قررنا توزيع المئات من مغاورى الحملة الى منشوريا الشمالية على الوحدات العاملة فى ويهى، والتوجه الى فوسونغ لانشاء القوة الرئيسية الجديدة، بالاعتماد اساسا على مقاتلى الفوج الثانى، وضم افضل الشبان فى مناطق منشوريا الشرقية وداخل اراضى كوريا.

عندما غادرنا ميهونجين، اهدانا وانغ دى تاى نحو عشرين حصانا غنمها اثناء غارة على محطة لقطع الاخشاب تابعة للعدو.

قال وانغ دى تاى :

" يؤسفنى جدا ان ارى القائد كيم يذهب وحيدا، تاركا جنوده البواسل الذين رباهم بجهد دؤوب، فى منشوريا الشمالية. خذ هذه الخيول على الاقل لترافقك فى الطريق. يبدو انها مدربة؛ وستكون مفيدة لكم."

انطلقنا الى الجنوب على صهوات الجياد. واثناء وقفة للاستراحة اختفت ثلاثة أحصنة. كنا قد أطلقنا الخيول لترعى بحرية فى السهب، واختفت عن انظارنا فى الغابة الكثيفة. وبعد ان تحققت من عدم وجود العدو فى الجوار، أمرت جندى الاتصال باطلاق رصاصتين فى الهواء. وعلى الفور استجابت الخيول وظهرت من اماكن متفرقة وهى تعدو نحونا.

وفى منطقة جبلية نائية، التقينا بأناس كانوا يسكنون سابقا فى منطقة تشيتشانغتسى لحرب العصابات، فقدمنا لهم تلك الخيول لكى يستخدموها فى العمل.

وقد واجهتنا أصعب المشقات فى المسافة ما بين ميهونجين ومآنشان خلال تلك المسيرة التى دامت اكثر من ستة أشهر من ذلك العام، وابتدأت من وادى سياوجياتشيهى فى منشوريا الشمالية لتنتهى فى وادى سوبايكسو، وهو مكان جبلى وعر فى أقصى شمالى كوريا.

كان عندنا بضعة رجال فقط، وفى كل مكان كان الاعداء يقطعون علينا الطريق معرقلين تقدمنا. فمنذ اليوم التالى لانطلاقنا من ميهونجين، وجدنا انفسنا

مضطرين الى القتال مرة او مرتين فى اليوم، واحيانا ثلاث او اربع مرات. لم يكن العدو يتيح لنا فرصة لاعداد طعامنا أو لاصلاح ملابسنا المهترئة. بل ان "الشيخ ذا الغليون" الذى كان يقول انه يستطيع العيش دون طعام، ولكنه لا يستطيع العيش دون تدخين، كان يمر بأيام لا يجد فيها متسعا ولو للحظة واحدة لأخذ نفس من غليونه. وهذا كاف للاشارة الى الاشتباكات التى كان علينا ان نخوضها. وفى الليل فقط، كنا نتوقف فى اماكن متخفية جيدا لنعد طعامنا ونجفف أحذيتنا. ولكننا لم نكن ننال ما يكفى من الراحة حتى فى تلك الساعات الليلية. فقد كان عددنا قليلا جدا، حتى انه كان من الصعب علينا تنظيم الحراسة. ففى كل نوبة كان لا بد من وجود حارس، على الاقل، فى نقطة للحراسة قرب المخيم، وحارسين فى موقع منخفض، وحارسين آخرين فى نقطة مرتفعة. فاذا استثنينا الجرحى ومن يعتنون بهم، فان عدد المتبقين لا يكفى لكل النوبات. ولهذا تعين على ايضا ان اقوم بالحراسة عدة مرات.

وذات مرة، بينما كان كيم سان هو يتفقد مراكز الحراسة اثار ضجة كبيرة وكأن أمرا خطيرا قد حدث، عندما رآنى اقوم بالحراسة فى احد المراكز. كان يقول اننى متهاون جدا مع المقاتلين. وحين كان يتبرم، لم تكن ثمة طريقة لتهدئته. قلت له :

" دع عنك هذا التبرم. فكر بالمقاتلين الشباب. انهم يتعبون فى المسير والمعارك نهارا، وعليهم القيام بالحراسة ليلا. كم من الارهاق يعانون! وكم هو عدد الليالى التى سأقوم فيها بالحراسة نيابة عنهم؟ عندما نصل الى مآنشان، سينضم الينا عدد كبير من المقاتلين، ولن اضطر الى الحراسة بالنيابة عنهم."

وحين ادرك كيم سان هو انه لن يستطيع اقناعى، غادر نقطة الحراسة دون ان يضيف شيئا آخر.

وعندما بقيت وحدى، رحت أفكر :

لنذهب بأسرع ما يمكن الى جبل مآنشان! فهناك تنتظرنا معانقات رفاق السلاح الكثيرين، ومكان هادئ وأمين للراحة وسينتهى بالطبع عذابنا من العوز والمصاعب التى نعانيها.

منحتنا هذه الآمال القوة والحماسة رغم الارهاق الذى نعانيه من المعارك والمسير طوال النهار دون طعام أو راحة أو نوم كما يجب.

لقد كانت انهار وجبال آنتو وفوسونغ التى صادفتنا فى طريقنا الى الجنوب مألوفة كلها لدى مثل روابيها ووديانها، فكل شجرة وكل عشبة كانت توقظ فى خاطرى ذكريات لا تمحى. فمناطق سونغجيانغ، سينغلونغتشون، شيوولى، سياوشاهى، ليوجيافينفانغ، بويرهى، داديانجى، ليوشوهى، نانديانجى، تونجيدونغ، وانليهى، نايدوشان، وغيرها من الاماكن مرتبطة بسنوات شبابى بآلاف وعشرات آلاف الروابط. وعودتى الى هذه الجبال والانهار بعد سنوات عديدة هيجت انفعالات قلبى.

عندما صعدت قمة الى الغرب من داسيبايتشا، امتد أمام عينى مشهد فاتن أنعش ذكرياتى بعمق. فعند اسفل الجبل، كانت تظهر القرية الصغيرة التى لا يمكننى نسيانها لانى مارست فيها العمل السياسى السرى متنكرا بزى اجير فيما كنت اقوم بالاستعدادات السريعة لانشاء وحدة حرب العصابات. ولطالما صعدنا وهبطنا هذه القمة نفسها التى نقف عليها، حتى يمكن القول بان اقدامنا اهترأت عليها، حين كنا نعقد الاجتماعات مع العاملين السريين. والحقيقة انه لم يكن بمقدورى، فى ذلك المكان الملىء بالذكريات، أن أمر مرور الكرام على أى شجرة أو عشبة أو صخرة.

جلت بناظرى على القمم الجبلية الجنوبية الى ان رأيت فى البعيد هضبة سياوشاهى، حيث أعلنت قبل أربع سنوات عن تأسيس جيش حرب العصابات المناهض لليابان. والى الاسفل قليلا يوجد ضريح أمى، على سفح مشمس. ولم تمكننى رغبتى العارمة وحنينى المتدفق لهذا المكان الذى ما زال يحتفظ بآثار أقدامى، من مواصلة المسير دون الذهاب الى قبر أمى وتقديم فروض الاحترام لها.

كانت توشك ان تنقضى اربع سنوات منذ غادرت وادى توتشيديان بعد ان بللت دموع الوداع التى ذرفتها جثوة التراب المغطاة ببقع متفرقة من الاعشاب. لا بد ان جذور تلك الاعشاب قد ترسخت الآن، وربما هناك براعم جديدة بدأت تظهر بين القش الجاف. ارتعش جسدى كله رغبة فى الذهاب الى القبر، ولو للحظة واحدة فقط، لأقول لأمى ان ترقد بسلام، وأمرغ خدى بتلك الاعشاب النضرة.

وبقيت واقفا على القمة دون ان انتبه الى ان مرافقى قد ابتعدوا كثيرا فى نزولهم على السفح.

ربما اشتد شوقى الى امى الى هذا الحد لان يوم القربان – هانسيك – كان يقترب. لقد قيل لى ان عائلة السيد كانغ زى ها تزور قبر والدى فى يانغديتشون مرتين فى السنة لتنظيفه وتقديم الاحترام له، ولكن ما هو حال قبر امى فى وادى توتشيديان؟ ...

سألنى تشاى كوم سان مستغربا وهو يصعد الى حيث كنت أقف :

"لماذا لا تنزل ايها القائد؟"

وعندئذ فقط خرجت من تأملاتى وبدأت المسير.

سألنى بصوت خافت وهو يضع يديه مثل بوق قرب اذنى :

"ماذا بك ايها القائد؟ ربما هو قبر أمك؟ لقد سمعت انها مدفونة فى سياوشاهى."

اذهلتنى فطنة جندى الاتصال الشاب الذى بدا وكأنه يرى ما فى اعماقى، ولم أجد بدا من قول الحقيقة له :

"أجل، كنت أفكر بأمى ..."

"أليس من المفروض أن تذهب لرؤية قبرها؟"

"أرغب فى ذلك، ولكن الوقت لا يسمح."

"ولكن سياوشاهى على بعد خطوتين! هل يجوز عدم الذهاب؟ وأنا أعرف ايضا ان اخاك الاصغر يعيش فى توتشيديان..."

"ولكنى لا استطيع الذهاب حتى ولو سمح لى الوقت. فأمى نفسها لن ترضى بذلك."

"يا للامر الغريب! لماذا لا ترضى؟"

"لقد طلبت فى وصيتها الاخيرة ألا انقل رفاتها الى ان يتحقق استقلال كوريا. ولن اذهب الى القبر احتراما لمشيئتها."

هز تشاى كوم سان رأسه بارتياب :

" وهل ستحول زيارتك القبر دون استقلال كوريا؟ اذهب ايها القائد العزيز. الوصية هى الوصية. ولكن زيارة قبرها شىء آخر."

" لا، لا استطيع. لم اكن ابنا بارا بأمى وهى على قيد الحياة. أريد ان اكون بارا الآن، بعد ان أصبحت هى فى العالم الآخر، ولهذا كف عن مطالبتى بالذهاب الى القبر. بأى وجه سأذهب اليها اذا كنت لم احقق حتى الآن مآثر تستحق الذكر؟"

وانضم كيم سان هو واو بايك ريونغ الى مطالبتى بالذهاب الى سياوشاهى. ولكنى لم اتراجع عن موقفى. بيد ان روحى ظلت تطير الى امى فى وادى توتشيديان.

واثناء نزولى من القمة، قلت لنفسى :

(أماه! اننا فى عجلة من امرنا، ولهذا لم استطع الذهاب الى توتشيديان. اننى أشعر بالحرج الشديد الآن وأنا أطأ ارض آنتو لانى لم اضع ولو حفنة من التراب على قبرك ولم أقطع ولو قبضة من العشب عن هذا القبر المعرض للثلج والمطر طوال فصول السنة كلها، ولاننى لم اعتن كما يجب بأخوى الصغيرين. لقد سقط تشول جو شهيدا وهو يقاتل السنة الماضية، ولست أعرف أين ترقد رفاته. ومع ذلك، يا أمى، لك ان تفرحى. فقد فتح الطريق واسعا امام الثورة الكورية. اننى ذاهب الى مآنشان وسأنشئ هناك فرقة كبيرة، لاتوجه بها الى جبل بايكدو وأخوض المعارك الواسعة. سأنفذ وصيتك، ولن اذهب لرؤية قبرك قبل استعادة الوطن. صدقينى وانتظرى. سأستعيد الوطن حتما وانقل رفاتك الى مانكيونغداى!)

اسرعنا فى المسير الى مآنشان. كنا نعلق آمالا كبيرة على هذه الرحلة. ولهذا، حين بدا لنا وسط بحر الغابات جبل يشبه سرج حصان، صرخنا جميعنا براحة : "مآنشان!". (كلمة "مآنشان" تعنى "سرج الحصان"–المترجم).

وكان اول ما استقبلنا هو حقل مزروع بالجنسنغ. وكان يوجد عند حافته كوخان مهجوران بائسان. وعند الغروب، وجدنا كوخا صغيرا آخر فى بطن أحد الوديان. وكان يعيش فيه شخصان او ثلاثة متخفين. وهناك وجدنا كيم هونغ بوم، المسؤول السياسى فى الفرقة الاولى، يأكل البطاطا المشوية.

"اين الفوج الثانى؟"

"لقد انطلق فى حملة الى تشياوهى فى أوائل هذا الشهر."

كان لهذا الجواب الذى نطق به بتلقائية، وقع الصاعقة فى نفسى. هذا يعنى أنه من المستحيل انشاء وحدة رئيسية جديدة وقوية، كتلك التى كنت اتلهف لانشائها منذ خروجى من نانهوتو. وبدا ان كل شيء ينهار ويتلاشى كفقاعة الصابون.

كان الفوج الثانى احدى الوحدات المؤلفة بكليتها من الكوريين، وكان مشهورا بانه "جيش كوريو الاحمر"، مذ كان يعمل بنجاح كفوج مستقل. وكان مؤلفا من سرايا مختارة، كل واحدة منها فى منطقة من مناطق حرب العصابات فى محافظات آنزى ووانغتشينغ وهيلونغ ومناطق اخرى من منشوريا الشرقية. وكان لمعظم افرادها علاقات حميمة معى. فقد اعددت وربيت بنفسى كوون يونغ بيوك، كيم زو هيون، او زونغ هوب، كيم بيونغ، وغيرهم من العناصر التى تشكل عماد الفوج، ناهيك عن آمر الفوج يون تشانغ بوم ومفوضه السياسى كيم راك تشون.

المرة الاخيرة التى التقيت فيها مع مقاتلى الفوج الثانى كانت فى ايار ١٩٣٥، عندما جاؤوا تلبية لدعوتى الى تانغشويهيجى فى محافظة وانغتشينغ. وقد أمضيت معهم نحو عشرة أيام، أشرفت خلالها على دراستهم وتدريبهم وقيادتهم فى القتال. وقد تطور مستواهم بسرعة تضاهى سرعة اعداد مقاتلى وحدتى. وقد كانوا هم أنفسهم الابطال الحقيقيين لاسطورة "تشيتشانغتسى التى لا تقهر" الذين دافعوا بنجاح وحتى النهاية عن منطقة حرب العصابات تلك.

بعد ان انطلقنا فى المسيرة الثانية الى منشوريا الشمالية، اثر تصفية منطقة تشيتشانغتسى لحرب العصابات، انتقل الفوج الثانى الى منشوريا الجنوبية. وفى اوائل السنة ذاتها، اجتاز جبل نايدوشان فى محافظة آنتو، واستقر فى مآنشان فى محافظة فوسونغ. وكان على الفوج ان ينتظرنا طوال الشتاء فى منطقة فوسونغ مع قيادته وقاعدته التموينية فى مآنشان. هذا كل ما كان لدينا من معلومات حول نشاطات الفوج عندما كنا فى نانهوتو. وقبل خروجى الى مآنشان، احلت الى الوحدات الاخرى جميع مقاتلى الحملة الى منشوريا الشمالية، وأنا آمل بان أشكل فرقة جديدة بالاعتماد على مقاتلى ذلك الفوج.

سألت كيم هونغ بوم :

"ألم تتلقوا امرنا المرسل الى الفوج الثانى؟"

وفور وصولى الى ميهونجين، ارسلت مراسلا لينقل اليهم أمرا بالانتظار هناك.

اجاب كيم هونغ بوم :

"لا، لم يأت أحد الينا قبل خروج الفوج الثانى فى الحملة."

لا شك ان مكروها قد حل بالمراسل فى الطريق. وحتى لو انه وصل دون أن يحدث له شىء، فانه لم يكن بامكانه اللقاء مع الفوج الثانى الذى كان قد غادر هذا المكان.

"ما هو هدف وسبب حملة الفوج الثانى الى تشياوهى؟"

"أنا لا استطيع ..."

"ألم يقولوا لك متى سيعودون؟"

"كلا."

"من يقود الفوج؟"

"آمر الفوج تشانغ تشوان شو ومفوضه السياسى تشاو يا فان."

"لم يبق سواكم اذن فى مآنشان؟ ماذا تفعلون هنا؟"

سألت محولا موضوع الحديث.

وكان جواب كيم هونغ بوم مفاجئا.

"هناك، فى معسكر سامبو السرى اكثر من مئة (مينساينغدانى). وقد بقيت فى مهمة حراستهم."

"هل يوجد مثل هذا العدد؟ ولكن تلك الاكواخ كانت خاوية."

"لقد ذهبوا الى مايهى فى رينتشيانغ بحثا عن مؤن."

"اى (مينساينغدانيين) هم اذا كانوا يذهبون للحصول على المؤن؟"

"لا يمكننى تركهم يموتون جوعا."

"هل ثمة أدلة تثبت انهم (مينساينغدانيون)؟"

"اجل، توجد وثائق مقنعة : اعترافات، اقرارات، محاضر استجواب ..."

أخرج كيم هونغ بوم من ركن مظلم فى الغرفة حزمة كبيرة من الاوراق.

"هذه هى الوثائق."

كـان ذلـك هـو أول تكـريم اتلقـاه فـى مآنشـان التـى وصـلتها بعـد اجتيـاز آلاف المصـاعب لكـى التقـى برجـال الفـوج الثـانى. فوجـدت نفسـى بـدلا مـن ذلـك فـى غرفـة مترعة بمثل تلك الحزم من الاوراق.

وعندما تلقيت تلك الحزمـة مـن الوثـائق المجرمـة والعابقـة بـروائح العفونـة بـدل هتافـات التحيـة والمعانقـات المـؤثرة، أحسسـت بـارتعاشـة فـى جسـدى وكـأننـى وقعـت ضحية احتيال أو خدعة فاحشة.

لقد كانت كلمة "مينساينغدان" كريهة على مسمعى، يقشعر بدنى لمجرد ذكرها. وها هو هذا المسخ المدعو "مينسـاينغدان" الـذى خـيم علـى منـاطق حـرب العصـابات وما يزال يسبب العذاب للناس. ما الذى تفعله هنا كل هذه الحزم الشيطانية ؟

لقد مضـت سـنة تقريبـا علـى منـاظرات داهوانغـواى ويـاوينغكو المتكـررة. وهـا قـد مضى نحو شهر ونصف منذ تلقيت قرار الكومنترن. من المحتمل ان هذا القرار لم يصل بعد الى تلك المنطقة. ولكننى رغم ذلك كلـه لـم اكـن اتصـور اسـتمرار تلـك المهزلـة تحـت ستار النضال ضد "مينساينغدان" بعد ان هز زيفها اراضى منشوريا الشرقية بأسرها.

والآن، وبعد ان قتلوا رجـلا مثـل كـيم راك تشـون، مـا الـذى ينقصـهم لكـى يقتلـوا هؤلاء الابرياء المئة؟

امـرت كـيم سـان هـو بـان يرسـل علـى الفـور مراسـلا الـى مـايهى، ليجلـب جميـع المتهمين. ثم تناولت حزمة من الوثائق ورحت اتفحصها صفحة صفحة.

أمضـيت الليـل كلـه سـاهرا. وواصـلت فـى اليـوم التـالى التـدقيق فـى الاوراق، ولكننى كلما قرأت مزيدا منها كنت اغرق اكثر فأكثر فى اعماق متاهتها. كانت تلك الاوراق تتضمن جرائم رهيبة وواضحة لا يمكن لاحد ان يتجرأ على انكارها. توقفت عن تفحص الوثائق بحزم. فقد كان ذلك غير مجد ومؤذ من كل النواحى. فتصـديق مـا جاء فيها يعنى خسارة عدد كبيـر مـن الرجـال. ولـم يكـن بامكـانى تصـديق مـا جـاء فـى تلك الأوراق لأنـها مجرد حبر على ورق.

بناء على طلبنا، انطلق المتهمون بالاشتراك فى "مينساينغدان" على الفور من مايهى، واجتازوا سلسلة جبال لونغكانغ الوعرة، ووصلوا الينا فى يومين بعد ان قطعوا بضع مئات رى.

وعندما تلقيت خبر وصولهم، ذهبت للقاء بهم مع كيم هونغ بوم. وما ان فتحت الباب المغطى بالصقيع، حتى رأيت الغرفة مكتظة باشخاص فى اسمال رثة جدا. وكان لقاء غريبا دون انفعالات أو هتافات أو دموع. ولم يقدم لى أى منهم التحية العسكرية أو التقرير الرسمى، بل انهم لم ينظروا الى. وكان يسود الغرفة صمت مطبق وسكون ثقيل فقط. كم من الاضطهاد لاقوا حتى وصل بهم الأمر الى الاعتقاد بانهم محرومون حتى من حق النظر والتحية؟ وكيف يمكن ان يكونوا خامدين وبائسين هكذا مهما كانت الجرائم التى اقترفوها؟

أحسست بان شيئا يشد على حلقى وأنا اقول لهم متلعثما :

"اظن انكم عانيتم كثيرا. لا استطيع حتى أن اسألكم كيف حالكم. ولكننى اشعر بالسعادة لرؤيتكم من جديد. لقد جئت من مكان بعيد جدا، من بحيرة جينغبوهو فى منشوريا الشمالية لكى التقى بكم."

ولكننى لم اتلق أى رد. واستمر الصمت نفسه مخيما دون أن تسمع زفرة أو سعلة واحدة. والحقيقة اننى لم أقابل بمثل ذلك الاستقبال من المقاتلين ولو مرة واحدة طوال السنوات الاربع الماضية من الحرب المناهضة لليابان.

واصلت الكلام قائلا :

"جئت الى هنا لأقابل مقاتلى الفوج الثانى، وتشكيل وحدة جديدة، والذهاب بها الى جبل بايكدو لشن النضال من هناك. ولكنهم قالوا لى هنا ان جميع الرجال الأكفاء قد توجهوا فى حملة الى تشياوهى، ولم يبق سوى غير النافعين. لقد راجعت وثائق اتهامكم بالتواطؤ مع (مينساينغدان). اذا صدقنا هذه الوثائق، فليس بينكم هنا من لم يشترك فى (مينساينغدان). وانا اعتقد بانه لا يجوز الحكم عليكم بموجب هذه الوثائق وحدها. ولن اتوصل الى حكم صحيح ما لم اسمع اقوالكم. أليس كذلك؟ افتحوا لى قلوبكم. لا تخافوا، ولا تنظروا الى وجوه الآخرين؛ كونوا صريحين معى."

ولكن دعوتى لم تتمكن من كسر الصمت الكثيف والبارد.

توجهت الى الفتى الجالس فى أقرب مكان منى، وسألته اذا كان قد انضم الى "مينساينغدان" حقا.

وبعد ان تردد طويلا وهو مطرق، تمتم بصوت خافت :

"اجل، هذا صحيح."

لم اكن اتوقع مثل هذا الجواب، وكنت اظن انه سيذرف الدموع ويضرب صدره وينكر التهمة بشكل قاطع. وقد جعلنى جوابه أشعر بالاحباط.

طرحت السؤال نفسه على شاب طويل القامة هو لى دو سو :

"قل يا رفيق، هل صحيح انك انتميت الى منظمة (مينساينغدان)؟"

كان آمر الفصيلة الشاب لى دو سو، المولود فى تشونتشون بمحافظة كانغوون، يكره الامبرياليين اليابانيين بكل جوارحه. وكان على فخذه اليمنى اثر جرح قديم. وقد سألته ذات مرة عن المعركة التى اصيب فيها بهذا الجرح فقال لى انه أثر عضة كلب.

وأوضح لى انه حين كان فى العاشرة من عمره تقريبا، لم تكن اسرته تأكل الا حساء كثير الماء. وفى احد ايام الربيع الأخيرة، لاحظ ان الملح فى البيت قد نفد وانه لم يعد بامكانهم تمليح الحساء. فجمع ثلاث حزم من الحطب، وذهب بها الى السوق واشترى بثمنها "داى" (٠) واحدا من الملح، وقفل عائدا بسعادة بعد أن ربط صرة الملح بحمالة الحطب على ظهره. واثناء مروره بمحاذاة بيت يابانى، هاجمه فجأة كلب هائج وعضه. وكان صبى يابانى قد استحث الكلب على مهاجمته ثم توارى فى البيت واقفل الباب. استاء المارة الذين شاهدوا الحادث من ذلك، وحملوا الجريح النازف الى مركز الشرطة للاحتجاج والشكوى. كانت العضة فظيعة جدا، فقد انتزعت من فخذ الصبى قطعة من اللحم. أدخلوه الى المستشفى. وتمتع دو سو لأول مرة فى حياته بالرعاية فى مركز طبى، حيث كان يأكل الأرز الابيض يوميا. وكان

---

(٠) داى : احدى وحدات الحجوم، وهو مكيال يساوى عشر "مال" : أى ما يعادل ٨ر١ ديسيمتر مكعب – المترجم

جزعه من العودة الى تناول الحساء ورغبته فى مواصلة أكل الأرز تثير فى نفسه المخاوف من شفاء الجرح بسرعة. ولم يخطر بباله حتى فى الأحلام ان دخوله المستشفى سيكون سببا فى كارثة تحل به وبأسرته. فقد كان يعتقد ان أصحاب الكلب سيدفعون نفقات العلاج. ولكن ادارة المستشفى ما لبثت ان اعلنت انها لن تواصل علاجه ما لم يدفع النفقات. وكان المبلغ المترتب عليه ضخما يصل الى عشرين وونا. واذا كان قد ترك المدرسة الابتدائية بعد ثلاثة شهور لانه لم يستطع دفع اقساطها التى تبلغ عشرين زونا فى الشهر، فكيف يمكن لاسرته البائسة ان تدفع الآن ذلك المبلغ الضخم للمستشفى؟

ذهب جده ووالده واخوته الكبار عدة مرات الى صاحب الكلب والى قسم الشرطة والى المستشفى، للاعتراض أو الاستئناف أو الشكوى، ولكن أحدا لم يكن يتقبل أقوالهم. وكان الجميع يقولون ان الذنب يقع على عاتق الضحية. فقد كانوا جميعهم يابانيين لا يدافعون بأى حال من الاحوال عن كورى.

ولم تجد الاسرة مفرا من استدانة عشرين وونا ودفعها للمستشفى.

ولكن هذا الدين تضاعف بسبب الفوائد، وصار بعد سنتين مبلغا ضخما من المستحيل تسديده، حتى ببيع البيت الموروث منذ اجيال.

وحين رأت الاسرة انه لم يعد بامكانها مواصلة العيش فى تشونتشون بسبب مضايقات المرابين، قررت مغادرة موطنها الحبيب والتوجه الى الشمال. لكن الدائنين طاردوا الاسرة الهاربة لمسافة ٢٠ رى فى الليل، وانتزعوا آخر ما لديها من ممتلكات : لفافة قماش حريرية كانت فى صرة الجدة.

فى زمن سابق، كانت هذه الاسرة المتحدرة من سلالة لى تعيش محاطة باحترام الناس وحسدهم، فى بيت ذى سقف قرميدى من ثمانية سطوح، وجناحين ملحقين بالبيت، ولديها بضع هكتارات من الأرض الزراعية، ولكنهم حرموا بعد ذلك من نسبهم وبلدهم، ومن بيتهم وحتى من لفافة الحرير الاخيرة، ووجدوا أنفسهم يهيمون على وجوههم ويتحولون الى متسولين.

وكانت الكلمات الحزينة التى تفوه بها عاملو الخدمة فى مطعم السفينة التجارية

التى نقلتهم من وونسان الى تشونغزين مؤثرة، ملأت قلب دو سو الصغير بالغم والحسرة لضياع الوطن، واضطراره الى مغادرة مسقط رأسه : "ان احزانكم وحسراتكم، يا معشر المهاجرين، تجعل السماء نفسها تهتز كآبة، ودموعكم تكفى لملء البحر الشرقى، ولكن الدموع والآهات لن تفتح امامكم طريق الحياة؛ فاصبروا على الحزن، وكلوا هذا الطعام المصنوع من أرز وماء الوطن ليكون وجبة الوداع". وقد جعلت تلك الكلمات المشفقة لى دو سو يشعر بغصة فى حلقه.

لقد سيطرت على ذهنه فكرة ثابتة بانه لا يمكن العيش مع اليابانيين تحت سماء واحدة لانهم انتزعوا منه البلد والبيت ومسقط الرأس، واجبروه على مغادرة الوطن الحبيب. ووطد العزم على انه، حين يكبر، لن يسمح لهم، ولا لكلابهم ولا لقططهم، ولا حتى لظلالهم، بالبقاء تحت سماء كوريا.

وقد حمل السلاح وانضم الى جيش حرب العصابات قبل ان يبلغ سن الرشد.

وبتقليب كل الاحتمالات لم اجد مبررا لانضمام مثل هذا الشخص الى "مينساينغدان".

ومع ذلك، كان جوابه كجواب سابقه :

"اجل، هذا صحيح. انا عضو فى (مينساينغدان)."

لقد كانت كلماته مماثلة لما قاله زانغ بورى عندما التقيته فى سجن "المينساينغدانيين" فى وادى ليشوكو فى منطقة سياووانغتشينغ، وكان تصرفه مماثلا أيضا.

تمالكت جماح غضبى الذى اوشك على الانفجار، وطلبت منه ان يوضح بالتفصيل أمام الجميع كيف انضم الى تلك المنظمة.

فأخذ يردد متلعثما كل ما هو مدون فى الاعترافات والاقرارات.

وكان شرحه المتماسك لا يدع مجالا للشك فى صحة ما يقول.

واعترف جميع المتهمين أيضا بالاجماع بجرائمهم.

فتسلحت بالصبر وسألت لى دو سو من جديد :

"لقد غرقت يا رفيق بالديون بسبب كلب يابانى، وفقدت بيتك ومسقط رأسك.

ذلك الكلب لم يعض لحمك فقط، بل خرب وداس دون رحمة حياة اسرتك المؤلفة من اكثر من عشرة اشخاص. وقد اودى بك ذلك الى حياة أسوأ من حياة الكلاب. وها انتذا تقول الآن انك ارتميت بمحض ارادتك فى احضان العدو، وتصرفت مثل كلب مسعور يقتل مواطنيه ويعض رفاقه، هل هذا صحيح؟ هل كنت كلبا للأعداء حقا، حتى دون ان تحصل على شىء من فتات الطعام؟"

لم يقل شيئا، راح يرتعش وهو يزم شفتيه، بينما الدموع تنحدر من عينيه. ساد صمت طويل كاد ان يخنق الحاضرين. فخرجت من ذلك الكوخ الكريه. وانعش الهواء العليل شيئا فشيئا قلبى المعذب وهدأ من غضبى. وشعرت بصفاء فى ذهنى.

اثناء الحديث معهم، اكتشفت ظاهرة لا يمكن تصورها.

ففى غرف التعذيب، حيث كان العدو يمارس ضدهم فظائع مماثلة لتلك التى كانت تمارسها محاكم التفتيش فى القرون الوسطى، كانوا يرددون بحزم : "لا اعرف!" عن امور يعرفونها وقاموا بها. ولم يكن موقفهم ذلك يتبدل امام الحكم عليهم بالاعدام. ولكنهم بالمقابل، وأمام الشيوعيين مثلهم، يقولون "نعم" عن امور ليست كذلك ولم يقوموا بها. فكيف افسر هذا؟

وفيما انا اتمشى فى الغابة، كنت افكر بعمق فى السبب الذى دفعهم الى ذلك الجواب الذى يشبه الانتحار.

ان عدم انضمامهم الى (مينساينغدان) هو حقيقة واضحة مثل حقيقة ان السماء لا يمكن ان تتحول الى أرض والارض الى سماء. فلماذا اذن يعترفون بانهم انضموا الى تلك المنظمة وعملوا معها؟ وحتى باك تشانغ كيل الصبى فى قرية غاياهى وزانغ بورى فى ماتشون، اصرا على ان اعترافاتهما المزيفة تلك هى الحقيقة. فما هو منشأ هذه الظاهرة الغريبة؟

فى اللحظة الاولى، عند توجيه تهمة "مينساينغدان" اليهم، كانوا جميعا يقولون بصراحة، انهم لم ينتسبوا الى هذه المنظمة على الاطلاق. ولكن صراحتهم وموقفهم الصادق ذاك جر عليهم مصائب كبيرة. فالصراحة اعتبرت تلفيقا، والصدق احتيالا، والسذاجة دهاء ومكرا. وبقدر ما كانوا يقدمون افادات صريحة، بقدر ما كانت تصبح

جرائمهم الوهمية اشد خطورة وبقدر ما يصبح التعذيب اقسى، فى تناسب طردى.

وحين يصل التعذيب القاسى والمرارة ذروتيهما، أية تبدلات نوعية يمكن ان تطرأ؟

يمكن لهم ان يصلوا الى حالة من التخلى عن النفس والقول : ما فائدة الحياة اذا كان رفاقك الثوريون لا يثقون بك ويسيئون اليك بعد ان شاطرتهم السراء والضراء لسنوات وتحت سقف واحد؟ حسب المرء للنجاة بجلده ان يلقى السلاح، وينزل من الجبال ليوقع الاستسلام والتحول الى عميل للاعداء، ولكننا شيوعيون، فكيف يمكننا اقتراف هذه الخيانة؟ الانصياع لما سيقولونه لنا هو الحد الوحيد.

ان السبب فى حالة اليأس القصوى والتخلى عن النفس الذى وصل اليه اكثر من مئة مقاتل يكمن فى سوء الفهم وعدم الثقة المفرطين من جانب الرفاق الذين كانوا يناضلون معهم من أجل الهدف نفسه.

يمكن التأكيد ان الثقة المتبادلة ضمن الجماعة الثورية الملتفة على قاعدة مثل أعلى، والشعور بالواجب الاخلاقى، وليس الجرى وراء المال أو المصالح الخاصة، يشكل الشرط الأول لوجود تلك الجماعة والحفاظ على وحدتها وتماسكها وتطورها المأمون. فبفضل قوة الثقة والشعور بالواجب الاخلاقى الشيوعى تسود روح الجماعة، حيث يحب كل واحد رفاقه ويحرص الرؤساء على مرؤوسيهم، ويحترم المرؤوسون رؤساءهم.

لقد كانت الثقة بالنسبة للثوريين الكوريين، ومازالت وستبقى، نقطة الانطلاق فى علاقاتهم الانسانية الشيوعية. فقد كانت الثقة هى السلاح الذى كسبنا به الرفاق فى الماضى وجمعنا شمل الشعب، ونحافظ اليوم بهذه الوسيلة الجبارة نفسها أيضا وبالحب على وحدتنا الحديدية بروح واحدة. ففى مجتمعنا القائم على الجماعية، تشكل الثقة حجر الزاوية المأمون الذى يدعمه. ان اعضاء حزبنا وشغيلتنا يجدون الكرامة القصوى فى ثقة المنظمة والرفاق بهم. ويشعرون بالمقابل بأكبر ألم حين يلاحظون ان المنظمة لا تثق بهم والرفاق يتجنبونهم. وهذا هو السبب الذى يجعلنا نحض الكوادر كلما التقينا بهم على العمل مع الناس بشكل صائب.

اذا كـان الرأسـماليون لا يسـتطيعون العـيش دون النقـود، فـان الشـيوعيين لا يستطيعون البقاء مع انعدام الثقة. والثقة فـى بلادنـا هـى مجمل العلاقات الاجتماعية واسلوب وجود الجماعية. ومن يشعرون بـانهم يحظون بثقة المنظمة وثقة الرفاق، يستطيعون ابداء قوة لا ينضب معينها فى النضال من اجل الحزب والوطن. والمثل القائل : "الثقة تولد المخلصين وعدم الثقة يولد الخونة" يعكس هذا المبدأ جيدا.

بامكان أى شخص ان يتصور مدى الفوضى والاضرار التى سببتها حزم الوثائق عن "مينسـاينغدان" التـى دمرت مبدأ الثقـة فـى صـفوفنا، وفـى حيـاة المناضـلين الـذين انضموا الى الثورة مدفوعين بهذا المبدأ وحده، فى مرحلة الحرب المناهضة لليابان، عندما كنا نخوض نضالا مشتركا، بينما نعيش كملحقين فى ارض الغربة. فى ذلك الوقت لم يكن ثمة حد فاصل خاص بيننا وبين العدو. فقد كان الاعداء خلف اى جبل، أو فيما وراء اى نهر. وكانت نهاية كل شىء محتمة لو ان كل من فقد الثقة انتقل الى منطقة العدو قائلا : "قوموا بالثورة وحدكم". لقد كان اتهام الرفاق الثوريين الابرياء بانهم من "مينساينغدان" عملا جنونيا وطائشا يدفعهم الى الجانب المعادى.

وكان السبيل الوحيد لانقاذ اولئك اليائسين هو رفع التهمة عنهم، وانتشالهم من ربقة عدم الثقة وتصفيتها نهائيا بحيث لم يبق لها اى اثر. فقد كان من المستحيل بعث حياتهم السياسية بالكلمات وحدها. والحل الوحيد المقبول هو فى الممارسة العملية.

خرجت من الغابة واتجهت الى الكوخ.

واذا بمغاورة طويلة القامة، وسيمة الملامح، ذات عينين واسعتين، تظهر امامى فجأة من وراء شجرة. كان وجهها المبلل بالدموع ينم عن طبعها المنفتح.

"ايها القائد! انا لست عضوا فى (مينساينغدان)."

بعثت تلك الكلمات فى نفسى سعادة لا سبيل الى وصفها.

"اتهمونى لمجرد انى تزوجت من شاب كانوا قد اتهموه بالانضمام الى (مينساينغدان) وهو ليس كذلك ايضا. كيف يمكن لنا ان نكون عملاء لليابانيين؟ لقد اتهموا الام زانغ تشول كو بانها من (مينساينغدان) للسبب نفسه."

كانت تلك المقاتلة الجريئة كيم هواك سيل، التى ستتلقى فيما بعد خاتما ذهبيا

كجائزة، فضلا عن لقب "الجنرالة"، لانها قضت على ستة من جنود من الاعداء بالحربة فى معركة حاضرة محافظة فوسونغ.

كانت ابنة فلاح يملك قطعا صغيرة من الارض استصلحها بالوقيد، وقد انضمت الى نضال حرب العصابات فى تشيتشانغتسى. وفى غابة فى دونغنانتشا التابعة لتلك المنطقة، كان هناك مشغل للاسلحة يتولى مسؤوليته باك يونغ سون وفريق للخياطة تديره باك سو هوان. وكانت كيم هواك سيل تعمل طاهية وتهيئ الطعام لاكثر من عشرين، يعملون فى المشغلين. وفى أحد الايام، وقع حادث ادى الى حدوث انفجار فى مشغل تصليح الاسلحة. وتعالت ألسنة اللهب والدخان من المكان فى لحظة واحدة. وسقط شاب يدعى كانغ وى ريونغ فاقدا الوعى. لقد حدث الانفجار بينما كان يعمل فى ملء طلقات بنادق مستعملة. وكان قد طرد من الصفوف المسلحة بتهمة التورط مع "مينساينغدان"، وارسل الى هذا المشغل. ومن كانوا يعملون معه، غادروا المكان بسرعة مذعورين.

فى تلك اللحظة الحرجة، اندفعت الطاهية كيم هواك سيل وسط اللهيب وأخرجت المصاب على ظهرها. كان وجهه مصابا بحروق فظيعة. غسلها الطبيب بمعقم، وانتزع شرائح من الجلد المحروق، ثم دهن الحروق بالفازلين وضمدها. ومنذ ذلك الحين، تولت كيم هواك سيل علاجه، جاعلة من نفسها ممرضة له. فكانت تضع على جروحه شمع النحل بعد ان تذيبه على قطعة ورق، وتنظف عينيه وتغسل رجليه. وقد توجت تلك الرعاية بالحب. وأحبها الفتى بدوره. وسرعان ما طرحا مسألة زواجهما. ولكن الشاب الذى وجهت اليه تهمة "مينساينغدان" بسبب اطلاقه عيارين ناريين بطريقة الخطأ، اكتفى بخطبتها سرا، وتردد فى الاحتفال علنا بزفافهما كى لا يلحق الاذى بخطيبته. ولكن باك يونغ سون وباك سو هوان حثاهما على الزواج قائلين انه لا مبرر للخوف، وماداما مخطوبين، فمن الافضل ان يختما علاقتهما بالزواج. تشجع الخطيبان وسجلا زواجهما فى مقر الحكومة الثورية الشعبية فى تشيتشانغتسى. ولكن زواجهما صار محل جدال. فقد اعتبرته لجنة "التطهير" عملا معاديا للثورة وفى مصلحة العدو يهدف الى مضاعفة عدد

"المينساينغدانيين". وقبل ان ينقضى خمسة عشر يوما على زواجهما، فرق الشوفينيون اليساريون بينهما، وطردوا كيم هواك سيل الى وانغبابيجى. ولم يسمحوا لها بالاشتراك فى نشاطات المنظمة، وعاملوها كمجرمة، الى ان زجوا بها اخيرا بين المتهمين بالتعاون مع "مينساينغدان".

بعد مرور تسعة اشهر على فراقها الاضطرارى عن زوجها، عرفت كيم هواك سيل ان كانغ وى ريونغ قد انتقل مع مشغل الاسلحة الى مكان قريب. ولكنها لم تكن تستطيع اللقاء به ولو لوقت قصير دون اذن من تشاو يا فان أو كيم هونغ بوم.

وبعد فترة وجيزة، ضمه تشاو يا فان الى الفوج الثانى فى المسيرة الى تشياوهى. فقد كانت الحملة بحاجة الى خبير فى اصلاح الاسلحة، وهكذا اضطر تشاو يا فان الى ضمه للحملة الى تشياوهى، رغم اتهامه بالصلة مع "مينساينغدان".

قالت كيم هواك سيل : "لو ان الرفيق كانغ وى ريونغ كان (مينساينغدانيا) حقا، لما كنت أخرجته من النار، ناهيك عن الزواج منه. لقد قتل ابوه واخوته فى احدى عمليات العدو (التأديبية). وقد كان شجاعا ومقداما فى المعارك. حتى ان جنود جيش الانقاذ الوطنى دافعوا عنه فى المحاكمة الجماهيرية."

شعرت بالامتنان العميق لها لانها أخبرتنى بكل ذلك.

وهكذا يتضح ان كيم هواك سيل، مثلها مثل زانغ تشول كو، اعتبرت مذنبة بسبب الحب.

عدت الى الكوخ مع كيم هواك سيل. وكان المتهمون ما يزالون فى اماكنهم بلا حراك ورؤوسهم محنية مثلما كانوا حين تركتهم.

قلت بنبرة حازمة، وأنا اجول بنظرى عليهم :

"أيها الرفاق! ارفعوا رؤوسكم! لست هنا لاستجوابكم عن جرائمكم ولا لمحاكمتكم. لقد جئت بحثا عن رفاق فى السلاح لنذهب الى جبل بايكدو ونقاتل معا. اكرر: لقد جئت بحثا عن رفاق فى السلاح، رفاق ثوريين. ولكنكم تقولون انكم خونة موالون لليابان، ورجعيون لا يمكنكم ان تكونوا رفاقا لى فى السلاح. أنا لا أصدق هذا الكلام. فلو كنتم من (مينساينغدان) لكنتم انتقلتم الى جانب اليابانيين. لماذا تتحملون

شظف العيش فى هذه الجبال دون طعام أو لباس لائق؟ لماذا تعانون فى هذه الجبال منذ سنوات ولا تعودون الى بيوتكم لتتزوجوا وتعملوا فى الارض وتعيشوا حياة مريحة فى غرف دافئة؟ هل تريدوننى ان أصدق انكم تأكلون وتنامون فى العراء، وسط رياح وبرد سهوب منشوريا الجليدية المشؤومة، لكى تكونوا كلابا لليابانيين وتلحقوا الضرر بذويكم ورفاقكم؟ قل لى يا رفيق لى دو سو، هل قاتلت فى هذه الظروف القاسية لكى تتحول الى كلب مثل ذلك الكلب اليابانى الذى عض فخذك؟"

اجهش المعنى بالبكاء، وصاح قائلا :

"أنا، أنا ... كيف يمكننى ان اكون كلبا لليابانيين؟ لا، لست كذلك! لست من (مينساينغدان)!"

واذذاك اخذت الاصوات تتعالى من جميع اركان الغرفة :

"وأنا لست (مينساينغدانيا)!"

"وانا ايضا!"

وتحول المكان بشكل عفوى الى نوع من الاجتماع لشجب واستنكار ملفقى تلك الجرائم، وتقديم الشكاوى عن العذاب الذى تعرضوا له تحت حراب "التطهير".

وأفضوا بمكنون قلوبهم المعذبة وهم يلوحون بقبضاتهم ويسكبون الدموع.

وبعد ان تحدث الجميع تقريبا، طلبت من كيم هونغ بوم أن يأتى بكل حزم الوثائق والاعداد لاحراقها. فتجمد فى مكانه من الرعب وقال :

"كيف نحرق دون اذن هذه الوثائق الحقوقية التى وضعتها لجنة (التطهير)؟ مستحيل. ستكون العواقب وخيمة جدا علينا."

كان كيم هونغ بوم عاملا سياسيا ذا تاريخ طويل، وكان يقوم بذلك حتى قبل انضمامه الى الصفوف المسلحة. وكان قد تعلم فى مدرسة المعلمين فى آنزى. ويملك معارف عامة وشيئا من الخبرة فى العمل، ولكنه كان يفتقر الى روح المبادرة والى تقويم الموقف واتخاذ القرار بصورة فعالة.

"لا تحدثنى الآن عن الحقوق والقانون. هيا، احضر حزم الاوراق تلك. ليس ثمة قانون يمنعنا من عمل ما لا يستطيع الآخرون عمله."

كانت ساقا كيم هونغ بوم ترتعشان، وشحب وجهه حين قال لى :

"اذا سألونى فيما بعد لماذا وقفت مكتوف الذراعين وأنا ارى احراق هذه الوثائق التى وضعت وفق الاجراءات المرعية وقرارات المنظمة، فماذا سأجيب؟ ستكون انت ايها القائد قد ذهبت من هنا، فكيف اتحمل كل هذه المسؤولية وحدى؟"

لم اؤنبه.

فأنا أيضا لم اسمع من قبل بأحد أتلف اوراقا رسمية على هواه وبقى دون عقاب. ربما كانت تلك حالة شاذة.

ولكن لم يكن بامكانى التراجع عن قرارى باتلاف تلك الوثائق المجرمة التى لا تزرع الا اليأس وعدم الثقة فى نفوس اكثر من مئة متهم بحيث لا يبقى لها من أثر.

كنت أعرف بالطبع ان الاقدام على ذلك أكثر من خطير.

وعمليا، كان من المغامرة التصدى لما يستطيع القيام به منظمو وموجهو حملة "التطهير" وحدهم، الذين يدونون محاضر الاستجواب. فقد كان مأمورو "التطهير" يتمتعون بصلاحيات غير محدودة، وقدرة فائقة على التلفيق، تتيح لهم، عند الضرورة، اعتبار اى أمر مهما كبر أو صغر بانه من دسائس "مينساينغدان"، ويمكنهم اصدار ألف حكم ضدى لمجرد احراق ورقة من اوراق الاستجواب. فقد كانوا من نوعية اخلاقية لا يتورعون معها عن اصدار حكم ضدى للانتقام منى بسبب الاستئناف الذى قدمته الى الكومنترن حول مسألة الصراع ضد "مينساينغدان".

امرت كيم سان هو بجلب حزم الوثائق.

وكان قرارا فى منتهى الجرأة.

كنت مستعدا للاقدام على اى شىء، بما فى ذلك التضحية بحياتى من اجل انقاذ اكثر من مئة شخص.

وبعد اتخاذ الاجراءات لاحراق الوثائق، اختتمت ذلك الاجتماع المرتجل بهذه الكلمات :

"من الصعب الآن تحديد من هو (مينساينغدانى) ومن هو ليس كذلك بينكم، لانه لا يمكن لاحد اثبات ذلك بالادلة. ولكننى اود ان اعلن اليوم بوضوح انه لا وجود هنا

لأى شخص من (مينساينغدان). لانكم انتم انفسكم تنكرون ذلك. اننى اثق بكلامكم. واعلموا انكم منذ هذه اللحظة مثل صفحة بيضاء، وعليكم ان تبدؤوا حياة جديدة. لم يعد لماضيكم المعتم من وجود. وعليكم ان تعرفوا ان قيمتكم الحقيقية كثوريين ستتحدد على ضوء ممارستكم العملية، وليس على ضوء ماضيكم. اننى اضمن لكم الآن صفحتكم البيضاء. وانتم وحدكم ستكونون مسؤولين عما سيدون عليها. اننى واثق من انكم جميعا، فى هذه الانطلاقة الجديدة، ستسجلون نجاحات قتالية تستحق عرضها امام الوطن والشعب، وأمام التاريخ ايضا. وأعلن اليوم ان التهم التى سببت لكم آلاما كبيرة هى باطلة تماما منذ هذه اللحظة، كما أعلن قبولكم جميعا فى صفوف الوحدة الرئيسية من الجيش الثورى الشعبى الكورى."

اخترت بضعة اشخاص منهم، واضرمنا النار معا فى كومة الوثائق وسط الفناء.

ولم أكن فى تلك اللحظة اريد احراق الماضى المشين للمتورطين وحسب، بل وان يحترق معه أيضا مفهوم الكراهية وعدم الثقة بين البشر، لانهما سبب كل الشرور.

واذا كانت لم تتلاش حتى الآن من ذاكرتى، رغم مرور اكثر من نصف قرن، عملية احراق تلك الوثائق التى تضم اعترافات متورطين مزعومين فى "مينساينغدان"، فربما كان السبب فى ذلك هو عظمة وعمق مغزى الهدف الذى أحرقت من أجله. لقد انتزعت ألسنة اللهب الدموع من مآقى جميع المقاتلين. وقد فهمونى جميعهم وبدوا كأنهم ولدوا من جديد. وما لبث ان نشأ فى صفوفهم جو جديد من الثقة والتعاون والتقدير المتبادل بكل صدق. وتحول كيم هونغ بوم ايضا الى انسان آخر.

وفى اليوم التالى تعمدت تنظيم حفلة صيد للتسلية. وقدم كيم هونغ بوم اكثر من مئة طلقة بندقية كان يخبئها لحماية نفسه. وقد شكل ذلك حدثا بالغ الاهمية لانه قدمها كلها الى اولئك الذين كان يعاملهم حتى اليوم السابق كمجرمين.

كان الجنود مسلحين ببنادق الفتيل غير المجدية والاشبه بالعصى منها بالسلاح، ومع كل واحد ثلاث رصاصات رطبة وصدئة. أما الرصاص فكان مصنوعا من

الخشب. ربما كان هناك خوف من اعطائهم اسلحة وذخائر جيدة كى لا ينتقموا ممن اضطهدوهم وعاملوهم دون ثقة.

وفيما كيم هونغ بوم ينظر ساهما الى رماد ما كان وثائق متعلقة بقضية "مينساينغدان"، قال :

"عندما اشعلت النار امس، ايها القائد، كنت ارتعش خوفا، وابتعدت من هنا خلسة. لان مجرد حضورى فى المكان سيكون مبررا لقطع رأسى كشريك فى الجريمة النكراء."

"ألست خائفا الآن؟"

"حين ادركت ان الموت دفاعا عن الخير هو مأثرة مجيدة، بدأ خوفى يتلاشى."

"اشكرك لانك تفكر هكذا."

"لا، انا من يتوجب عليه تقديم الشكر لك ايها القائد. فقد انقذتنى وجعلتنى انبعث انسانا جديدا. لقد أحسنت الى أيضا."

شعرت بالارتباك من سماع كلماته. فقد كان كيم هونغ بوم يكبرنى سنا ببضع سنوات.

"لا تمتدح شابا هكذا."

ولكنه هز رأسه لهذا العتاب. وقال :

"لا، لا تقل هذا. اننى وبصراحة كاملة اقدر واحترم عظمتك وشهامتك. وهذا ليس تملقا."

"كفى مديحا. ما رأيك فى الخروج الى الصيد؟"

فوافق كيم هونغ بوم بسعادة.

كان الصيد فى ذلك اليوم ممتعا للغاية. فقد امرت حراسى باعطاء بنادقهم للآخرين كى يتمكنوا من اطلاق النار باسلحة جيدة.

ولانه كان هناك عدد كبير من المطاردين، فقد تمكنا من اصطياد سبعة أو ثمانية حيوانات، ما بين خنازير برية وغزلان. وبرزت كيم هواك سيل بين المغاورات، اذ انها جندلت غزالا بطلقة واحدة.

اعد الطعام بالصيد الوافر وبكمية ضئيلة من الذرة ودقيق القمح. وكان عشاء سخيا، تلاه لهو وتسلية.

ومع ان كل شيء كان متواضعا، الا انه كان عميق المغزى.

وهكذا، بدلا من تنظيم الفرقة الجديدة باتخاذ الفوج الثانى كنواة لها، ولدت تلك الفرقة من ألسنة اللهب التى حولت وثائق عدم الثقة المجرمة الى حفنة من رماد. انتشر الخبر بسرعة كبيرة. وبدأ يتوافد الينا من اماكن مختلفة اناس كانوا يعيشون متخفين.

وكان اول القادمين عناصر من فرقة الدفاع الذاتى المناهضة لليابان من هيلونغ، كانوا مختبئين فى وادى داجيانتشانغ. وكان بينهم بايك هاك ريم الذى صار فيما بعد جندى اتصال لدى القيادة، وكيم هاى سون التى اشتهرت بلقب "الصفارية".

وفى تلك الايام أيضا انضمت الينا باك روك كوم (واسمها الاصلى باك يونغ هى). وقد جرى تعيينها آمرة للسرية النسائية المؤقتة فى الفرقة الجديدة.

ومن لاومودينغجى بمحافظة فوسونغ انضم الى الفرقة الجديدة فتيان كانوا قد اصيبوا بالتيفود. وشكلت منهم فصيلة وعينت كيم زونغ بيل آمرا لها. ثم انضم الينا كذلك مقاتلو كيم زو هيون العاملون فى منطقة غابية على مقربة من وداويانغتشا فى محافظة آنتو. ومن تشيتشانغتسى جاءت وحدة كيم تايك هوان الصغيرة.

شكلت الافواج والسرايا رسميا. وعينت لى دونغ هاك، الشهير بلقب "بوتازى" (المتهور– المترجم) وكيم تايك هوان آمرين للسرايا، وأوكلت مهمة الموجه السياسى الى كيم زو هيون. واصبح كيم سان هو مفوضا سياسيا لفوج الوحدة الرئيسية. ولم نعد نراه منذ ذلك الحين الا مبتسما.

عندما وصلنا جبل مآنشان، كنا نحو خمسة عشر مقاتلا فقط. ولكننا حين دخلنا الى دونغ كانغ كنا قد تضاعفنا الى مئات.

قمنا بعمليات نشطة لتحسين تسليح الوحدة الجديدة. فكما قلت سابقا، كانت معظم اسلحة المتهمين بالاشتراك فى "مينساينغدان" عبارة عن بنادق قديمة ذات فتيل.

نظمت جماعات تضم كل واحدة منها من ١٠ الى ١٥ شخصا، وعينت رؤساء لهذه الجماعات وامرتهم بالاستعداد لخوض القتال بشكل مستقل. وقلت لهم :

سأعطيكم مدة شهر واحد للحصول على ذخائر واسلحة جديدة من تلك التى يملك اليابانيون كميات كبيرة منها، وعليكم ان تنصبوا الكمائن فى الاحراج، وحين يظهر العدو تنقضون عليه للاستيلاء على اسلحته باستخدام الحراب وباطلاق النار بين حين وآخر. وكان كل منهم حينئذ مسلحا بحربة. لم يتأخروا شهرا، بل عادوا جميعهم بعد خمسة عشر يوما وهم يحملون الكثير من الذخيرة وبنادق جديدة. وكان هنالك مقاتلون عادوا برشاشات ايضا.

شكلت فى اول الامر فوجا منهم، وبالاستفادة من هذه التجربة، شكلت فيما بعد الفرقة السادسة، ثم جيش الميدان الثانى، منتقيا الرجال واحدا واحدا، وقاتلت بها الامبريالية اليابانية.

وقد تمكنا من تجديد أسلحة الوحدة الرئيسية كلها بعد معركة سيكانغ التى تلت مع سينانتشا. وقد كان التسليح هو أحد اهداف تلك العملية.

كان يرابط فى سيكانغ فوج من جيش منشوكو العميل. وقد استرعت اسلحته الجيدة اهتمامنا.

كان المكان منعزلا، وأوضاع الطرق اليه سيئة، تحيط به الغابات الكثيفة. وكان هدفا مناسبا تماما لشن هجوم مباغت عليه.

ومن أجل تجاوز نقاط الضعف تلك فى الموقع، اقام الاعداء حول الثكنة سورا من جذوع اشجار ضخمة يبلغ ارتفاعه ثلاث قامات، واقاموا ابراج حراسة على زواياه الاربع.

كان من الصعب توجيه ضربة جبهية. ولهذا قررت اضرام النار فى الثكنة، لبث الفوضى فى صفوف جنود العدو واجبارهم على الاستسلام. وكانت منشآت المعسكر كلها مبنية من الاخشاب.

وعند الغروب، أمرت كيم تايك ريونغ وغيره من رماة القنابل اليدوية الممتازين ان يقذفوا نحو سطوح ابنية المعسكر كتلا من القطن المبلل بالبترول والمشتعل. وكان ينزل المطر رذاذا كما هو الامر عادة فى اوائل الصيف، فلم تشتعل السطوح فورا، ولكن التكتيك اثبت جدواه.

ودون تفويت الفرصة، انقض مقاتلونا على الاعداء وهم يصرخون بان من يستسلم ينجو، ويطلبون منهم القاء السلاح والخروج. ولكن العدو رد بقتال دفاعى عنيد.

ارسلت بعض المقاتلين لكى يحفروا من مطبخ أقرب البيوت الى ذلك الحصن نفقا يوصل اليه. وأمرت الكشافين باحضار حماة آمر الفوج المعادى. وأقنعت الحماة العجوز بان تلح على صهرها بالتخلى عن المقاومة غير المجدية وتسليم السلاح.

وقد وافقت العجوز بطيبة خاطر على نصيحتنا، فدخلت الى الثكنة المحصنة وعادت برسالة من صهرها يقول فيها انه موافق على الاستسلام اذا سمحنا له بالذهاب الى فوسونغ مع نصف عدد رجاله.

ولكنى رفضت عرضه هذا وطالبت بالاستسلام التام بلا قيد ولا شرط. فذهبت العجوز الى صهرها ثانية، ثم عادت وقالت انه مستعد لتقليص عدد مرافقيه. كان واضحا انه يريد اطالة أمد المفاوضات بانتظار وصول تعزيزات اليه.

كان قد انتهى حفر نصف النفق الموصل الى الحصن. فأريت العجوز النفق والمتفجرات التى فيه، وقلت لها ان تنقل اليه انذارنا باننا سننسف ابراج المراقبة كلها اذا لم يوافقوا على الاستسلام.

وعادت الينا العجوز فى المرة الثالثة مبتسمة، واخبرتنا برغبة صهرها فى أخذ حارسين فقط معه. فوافقت على ذلك.

صف آمر الفوج المعادى جميع رجاله، وامرهم بوضع اسلحتهم كلها فى مكان واحد، وتسلل بسرعة مع حارسين عبر البوابة الشمالية. وانتقل السلاح كله الى ايدينا.

ولو لا تشكيلنا الفرقة الجديدة، لما كنا فى ظروف تتيح لنا شن غارة على بلدة كبيرة مثل حاضرة محافظة فوسونغ، ولما استطعنا ان نحرز النصر تلو النصر بعد ذلك فى حوض نهر آمروك ومحيط جبل بايكدو.

وخلافا لتوقعاتنا، لم يستطع الفوج الثانى ان يساهم بأى شىء، سواء فى تشكيل الفرقة الجديدة أو فى تطورها.

كان من المقرر ان نلتقى بالفوج الثانى فى مآنشان، ولكنه ظهر بعد مرور اكثر من ستة اشهر، عندما كنا قد استقرينا فى جبل بايكدو. وكانت بنية الفرقة الرئيسية قد انتظمت.

وبالرغم من ان لقاءنا بالفوج جاء متأخرا جدا، الا اننى شعرت بسعادة غامرة لرؤية او زونغ هوب، وكوون يونغ بيوك، وكيم بيونغ وغيرهم من رفاق السلاح الذين كنت اعرفهم منذ سنوات، والعيش معهم من جديد وتناول الطعام واياهم من القدر نفسها. كما وصل كانغ وى ريونغ الى الفرقة الجديدة وهو فى صحة جيدة. ولحسن الحظ استطعت ان اشفى الجرح الاخير فى اعماق نفس كيم هواك سيل.

وفى اليوم التالى لوصول كانغ وى ريونغ استدعيته وقلت له :

"هل انت زوج كيم هواك سيل؟"

احمر وجه الشاب الطويل القامة حتى شحمتى اذنيه. ويبدو انه كان يشعر بالخجل لان له زوجة.

"الرفيقة هواك سيل ليست هنا. انها فى فريق الخياطة، فى معسكر قسم التموين السرى، على بعد بضع عشرات رى باتجاه هينغشان. اذهب الى هناك لمقابلتها. وسأرسل معك دليلا."

كان مترددا وهو يبتسم بابتسامة مرتبكة، بل وقال انه سيذهب لرؤيتها فيما بعد.

"اذا ارسلنا جندى ارتباط لاحضار الرفيقة هواك سيل فسوف يتأخر موعد اللقاء الى الضعف، ولهذا من الافضل ان تذهب مباشرة الى هناك."

"شكرا على اهتمامك. ولكن لا بأس. لسنا فى عجلة الى اللقاء."

لقد جعلنى فتوره أشعر بنوع من خيبة الامل.

"ربما كنت تريد الانتظار، ولكننى لا استطيع السماح باستمرار عذاب الرفيقة كيم هواك سيل بسببك. لا أريد مزيدا من الجدال، وانطلق اليها فورا."

ومع ذلك، ظل واقفا وهو يطرق برأسه. ثم رفع عينيه المخضلتين بالدموع نحوى وقال انه قبل الذهاب لرؤية زوجته يريد الانضمام الى الصفوف المقاتلة، وانه قد حمل السلاح من أجل صنع الثورة، وأول ما يجب عليه الاهتمام به هو شؤون الثورة.

رأيت انه لا بد لى من اختلاق ذريعة ما.

"سأوكل اليك مهمة. اذهب مع الرفيقات فى الفوج الثانى الى فريق الخياطة من

اجل تفصيل ملابس شتوية مبطنة. اذا رجعت قبل الانتهاء من خياطة الملابس فستتعرض للعقاب."

وعندئذ فقط قال انه سينفذ اوامرى بحذافيرها، وكف عن تقديم الاعتذارات.

وهكذا تم اللقاء المؤثر بين الحبيبين اللذين فرق اليساريون الشوفينيون بينهما بالقوة لشهور طويلة.

ان حرق تلك الوثائق فى جبل مآنشان لم يسفر عن بعث الرجال الى الحياة وولادة الفرقة الجديدة وحسب، بل اسفر كذلك عن بعث الحب، وولادة حب جديد.

ومن هنا يصح القول اننا بالثقة فى الناس نكسب الدنيا كلها.

ولا بد من التأكيد انه بفضل هذا الشعور عم صفوف ثورتنا الاخلاص التام وغير المشروط لنواتها القيادية. وفى سياق النضال، اشتدت اكثر من ذى قبل اللحمة القائمة على الوحدة الفكرية والشعور بالواجب الاخلاقى المتمحورة حول هذه النواة القيادية.

مع ولادة الفرقة الرئيسية من الجيش الثورى الشعبى الكورى، ترسخت الجذور التاريخية لوحدتنا المتلاحمة بقلب واحد، واصبحت عصية على التدمير فى قلوب الشيوعيين الكوريين، تحتضنها الثقة والمحبة والفضيلة.

ان اكثر من مائة شخص فى مآنشان متهمين بانهم من "مينساينغدان" ظلوا مخلصين لقضية الثورة حتى آخر لحظة من حياتهم، وحافظوا على نقاء ضميرهم وعلى روحهم الوطنية المتوقدة امام العصر والتاريخ. وقد سجلوا صفحات مجيدة ستبقى متألقة فى حوليات النضال الثورى لاستعادة الوطن.

٢ـ عشرون يوانا

فى الوقت الذى كانت فيه العناصر اليسارية تقلب حزم وثائق "مينسانغدان" فى المعسكر السرى الواقع الى الغرب من جبل مآنشان، كان هناك فى الجانب الآخر من الجبل، حيث لم يكن ذوبان الجليد الربيعى قد بدأ، وحيث لا يصل ضوء الشمس، عشرات الاطفال الذين يبكون بسبب المرض والجوع والبرد. وكانوا فى معظمهم يتامى تحملوا المشقات مع الكبار فى تشيتشانغتسى التى يمكن القول انها كانت آخر معقل للثورة فى تشينتاو وواجهوا اياما لا يمكن وصف قسوتها، وكان عليهم ان يعانوا عذابات كثيرة. وبعد حل مناطق حرب العصابات انطلق اولئك الايتام فى مسيرتهم تحت حماية وحدات الجيش الثورى الشعبى المتوجهة نحو الغرب، ووصلوا عبر جبل نايدوشان الى معسكر التموين السرى فى منشوريا الجنوبية التى لم تكن براثن العدو تصلها تقريبا. وكان بين اولئك الاطفال اعضاء من رابطة الاطفال فى منطقة آنزى.

وقد شكل تصرف هؤلاء الاطفال فى الحقيقة عملا يستحق التقدير، فهم لم يذهبوا بعد حل منطقة حرب العصابات الى المناطق التى يسيطر عليها العدو ليتحولوا هناك الى متسولين يستعطون ما يأكلونه من بيت لبيت، أو متشردين ونشالين يعيشون على ما يسرقونه من جيوب الآخرين فى الشوارع والدكاكين والاسواق، بل جاؤوا الى هذا المكان النائى من فوسونغ بعد أن قطعوا طريقا شاقا طوله عشرات آلاف رى.

ولكن كيف حدثت فى معسكر تموين سرى لوحدات الجيش الثورى الشعبى مثل هذه الظاهرة الفظيعة المتمثلة فى بكاء الاطفال الذين فى رعاية الشيوعيين من البرد

والجوع؟ أمن المعقول ان يكون المكلفون برعايتهم قد اصبحوا يسيئون اليهم فجأة ويعاملونهم بقسوة وكأنهم اعمامهم ازواج امهاتهم أو عماتهم زوجات آبائهم ام ان هؤلاء الاطفال اصبحوا مدللين بحيث يذرفون الدموع ويزعجون الآخرين بشكواهم وتذمرهم امام أبسط الصعوبات؟ لا، هذا ما هو غير ممكن!

ورفضت فى قرارة نفسى هاتين الفرضيتين.

ما الذى يشير اليه اذن بكاء الاطفال؟ ألا يكون اشارة صامتة الى ان معاناتهم البدنية من الجوع والبرد بلغت اوجها بحيث لم يعد بامكانهم تحمل المزيد؟ ولكن، ألم يسبق لهم ان تحملوا مثل هذه المعاناة فى مناطق حرب العصابات من قبل؟ ثم ان صغارنا فى رابطة الاطفال ليسوا ابناء ولا بنات اناس أغنياء يبكون عند مواجهة اى صعوبات. فالبرد والجوع بالنسبة لهؤلاء الاطفال الذين عرفوا مرارة اليتم من الصغر لا يمكن ان يكونا سببا للحزن أو الكآبة.

ومع ذلك، فان كون الاطفال يمضون ايامهم فى البكاء فى تلك البقعة من اراضى منشوريا كان واقعا. وذات يوم، عندما كان الاجتماع حول تشكيل فرقة جديدة يوشك على الانتهاء، دس باك يونغ سون خفية فى يدى قصاصة ورقية مثنية. وقد قرأت فيها : "ايها القائد العزيز! ألا يمكنك ان تكرس قليلا من وقتك بعد الاجتماع للقاء اعضاء رابطة الاطفال فى مآنشان؟ انهم فى وضع مريع حقا. ارجوك ان تذهب معى اليهم. فالاطفال ينتظرونك بلهفة وشوق".

لقد اطلعتنى كيم جونغ سوك ايضا على معاناة الاطفال الفظيعة فى مآنشان بالتفصيل عندما وصلت الى المعسكر السرى بعد عدة ايام. فعدد اعضاء رابطة الاطفال التى كانت تقودها لم يكن قليلا بين اولئك الايتام الصغار. ومنذ وجودها فى بوياندونغ، عملت كمشرفة على منظمة رابطة الاطفال. ويقال ان الصغار فى منطقة حرب العصابات يحبونها جدا.

والحقيقة ان كيم جونغ سوك كانت تعامل الاطفال بحنان وحب شديدين. وقد توطدت اواصر علاقة متينة لا تنفصم بينها وبينهم فى تشيتشانغتسى، عندما كان سكان منطقة حرب العصابات يعانون نقصا شديدا فى المواد الغذائية. فقد كانت

كيم جونغ سوك تعمل آنذاك فى مطبخ القيادة العسكرية، وكان الاطفال يأتون اليها كل ليلة لتقدم لهم شيئا يأكلونه وهم على حافة الموت جوعا. وفى بعض الاحيان كانوا ينسلون خفية عن عيون العاملات فى المطبخ ويفتشون الخزائن والخوابى بحثا عن الحبوب. وكانت كيم جونغ سوك توزع عليهم عندئذ بقايا الارز الملتصقة فى قاع القدر او ارغفة من قشر اشجار الصنوبر واشياء اخرى تحتفظ بها لنفسها. ومن اجل مساعدة الاطفال الذين يعانون الجوع كانت تحرم نفسها من وجبة فى اليوم وتحتفظ بها خفية لتقدمها الى الاطفال.

ولن ينسى اعضاء رابطة الاطفال الذين عانوا مصاعب لا تصدق فى تشيتشانغتسى، لفتات كيم جونغ سوك الكريمة والنبيلة طوال حياتهم. وعندما ساروا فى اثر مقاتلى جيش حرب العصابات واقاموا فى نايدوشان، كانت كيم جونغ سوك تقود رابطة الاطفال. ولهذا كنت افهم مشاعرها جيدا عندما كانت تحدثنى وهى تذرف الدموع عن ظروف حياة الاطفال فى مآنشان.

كان عشرات الايتام الذين تكفل الشيوعيون برعايتهم يمضون ايامهم فى البكاء فى معسكر التموين السرى القائم فى مكان لا يصله دوى الحرب. وكان ذلك امرا خطيرا لا يمكن المرور به دون مبالاة. احسست بتوتر فى اعصابى : ما الذى يحدث هنا؟ ولماذا ينتظروننى بلهفة؟

ان دموع الاطفال هى رمز للعدالة. وعندما تخرق قوة شريرة العدالة أو تدوسها بقسوة يبدأ الاطفال بالبكاء ولا يستطيعون كبح سخطهم. وهذا البكاء هو الاتهام الذى يوجهه الصغار ضد اولئك الذين اهانوهم وعاملوهم بقسوة. وتنوب دموعهم عن احتجاجهم واستنكارهم لكل ما هو جائر، وتدل على ان كرامتهم قد امتهنت وحقوقهم قد انتهكت. وبدموعهم يحذرون من المصيبة التى حلت بهم ويدعون الى انقاذهم من هذا البؤس. ويشكل بكاؤهم اقصى درجات التوسل التى يوجهونها الى كل الاشخاص الذين يحبونهم أو يعطفون عليهم. ويتألم الناس لسماع بكائهم ويقدمون لهم العناية والاهتمام لأن حب الاطفال وحمايتهم هو الصفة الاساسية فى الكائن البشرى.

لقد كان اعضاء رابطة الاطفال فى مآنشان كنزا ثمينا تركه لنا رفاقنا فى الكفاح الذين استشهدوا من اجل ان نرعاهم. وكانت الوصية الاخيرة لأولئك الشهداء هى ان نهتم بمستقبل أطفالهم. وناشدونا بان نربيهم كثوريين ليحلوا محل آبائهم. وقد القيت على عاتقنا وضميرنا المهمة المقدسة فى جعل هؤلاء الاطفال المساكين والضعفاء أفضل واشد المدافعين عن العدالة فى العالم.

لم يكن قلقى على مصيرهم مجرد عطف انسانى أو نوعا من المشاعر البرجوازية الصغيرة. لقد كان حقا وواجبا كلفنا به آباؤهم فى لحظة استشهادهم. وحتى لو كان آباؤهم على قيد الحياة لما استطعنا البقاء ايضا مكتوفى الايدى عند رؤية دموعهم. ومثل هذه المشاعر الانسانية لا تتوفر الا لدى الشيوعيين وحدهم.

فأحد مظاهر العلاقات الشخصية بين الشيوعيين هو اعتبار ابن رفيقهم فى السلاح مثل ابنهم بالذات والعكس بالعكس. وان يشعر رفيقى بآلامى وجوعى واشعر انا ايضا بآلامه وجوعه يشكل الفلسفة الاخلاقية والمبدأ الاخلاقى الذى يميز الشيوعيين كأجمل الكائنات على وجه البسيطة.

لقد سارع رئيس ادارة احدى فرق صيد الاسماك الى انقاذ ابنة رفيقه من الغرق فى النهر، رغم انه رأى ابنته نفسها تصارع الماء بيأس وهى تشرف على الغرق. ففى مثل هذه الحالة، يندفع الشخص عادة لانقاذ ابنته، ثم يحاول بعد ذلك انقاذ الاخرى. ولا يمكن ادانة من يفعل ذلك على تصرفه. ولكن ذلك الرجل حمل الى الضفة ابنة صديقه، ثم سبح نحو ابنته لانقاذها، ولكن الوقت كان قد فات. وقد كان بين الحشد الذى هرع الى مكان الحادث اناس انفجروا بالبكاء وآخرون قدموا عبارات العزاء الصادقة والحارة. ولكنه أشار عندئذ الى ابنة رفيقه، وقال بجلد ومروءة : "لا اظن ان ابنتى قد ماتت. فهذه ابنتى ايضا".

ان التضحية المقدسة والنبيلة التى اقدم عليها، لا يمكن حتى ان يتصورها مطلقا اولئك الناس الانانيون وضيقو الافق، ولكنها تبدو كأمر عادى بالنسبة له، وحين أخذ الجميع يمتدحونه ويطرون عليه أحس بالارتباك واحمر وجهه خجلا. وفى هذا بالذات تكمن الملامح الجذابة للشيوعيين والاخلاق الجميلة للامة الكورية.

كانت خططنا فى البداية تقتضى التوجه مباشرة الى تشانغباى عبر فوسونغ فور الانتهاء من تشكيل الفرقة الجديدة. ولكن وضع الاطفال القاسى فى مآنشان جعلنا نغير هذه الخطة. وبدا لى اننى لن اتخلص من تأنيب الضمير الى الابد اذا انا غادرت دون الالتقاء بالاطفال.

وبعد انفضاض الاجتماع فى ميهونجين توجهنا الى الاطفال فى المعسكر السرى الذى يقع فى الجانب الشرقى لمآنشان. وقد تطوع باك يونغ سون، مسؤول مشغل السلاح فى مآنشان ليكون دليلا لى، وقد شكرته على تطوعه.

وخلال الطريق اتيحت لى فرصة مؤاتية لكى ادرس بشكل شامل شخصية باك يونغ سون، مما عمق صداقتنا التى بدأت فى ماتشون. واذكر ان هذا الشخص الشهير بلقب باك بورى (الصياد)، حدثنى عن تاريخ اسرته، وهو تاريخ طويل جدا يمكن ان يشكل موضوعا لرواية من مجلدات عديدة.

كان اجداد باك يونغ سون ينتمون الى الجيل الاول من المهاجرين الذين استقروا فى جينكوتشون منذ ستينات القرن الماضى. وكانوا روادا فى استصلاح الاراضى البور فى تلك الناحية، حيث ادخلوا اليها ونشروا فيها اساليب الزراعة الكورية. وفى جيل والده أقيمت فى البيت ورشة حدادة متواضعة. وكان باك بورى فى طفولته يساعد اباه فى العمل، مما أهله فيما بعد الى اكتساب الشهرة كأبرع خبير فى مجال الاسلحة. وكان والده يذهب الى الصيد ببندقيته فى موسم انخفاض العمل الزراعى. وحين بلغ باك يونغ سونغ سن السابعة عشرة، بدأ يهتم بالصيد أيضا كهواية ثانوية. ولكنه لم يكن يشعر بارتياح كامل لانه كان يذهب للصيد من حين لآخر خفية عن ابيه الذى كان يراقب بندقيته بصرامة. فقد كان يسمح لابنه البكر بالخروج الى الصيد، اما ابنه الثانى باك يونغ سون فلم يكن يسمح له ابدا بلمس البندقية. وكان والده يحدجه بنظرات ثاقبة ويؤنبه كلما اقترب من البندقية ولمس ماسورتها. ولكن الامر تغير حين بلغ الثامنة عشرة وتمكن بطلقة واحدة من صرع نمر كان قد افلت عدة مرات من الصيادين المجربين فى جينكوتشون.

وعاد باك يونغ سون الى البيت بكبرياء ومعه شعر انتزعه من شارب النمر

المقتول. ويمكن القول ان هذا الشارب كان بمثابة تصريح له فى حمل لقب "الصياد" الذى حصل عليه بنفسه بعد جهود مضنية. وجاء جميع اهالى القرية الى بيته لرؤية تذكار الصيد الذى جاء به. واضطر والده الى الاعتراف بمهارة الصياد الشاب. ومنذ ذلك اليوم، اخذ صيادو جينكوتشون الكبار يسمونه بباك بورى (الصياد). وصار مسموحا له بالطبع استخدام بندقية والده. وقد اصطاد بتلك البندقية مئات الحيوانات البرية قبل ان يذهب للعمل فى منجم الفحم فى جيلين ثم فى منجم باوغيلاجى، حيث شارك فى النشاط الثورى السرى.

وفيما كنت اسمع شرحه لسبب اطلاق لقب باك بورى عليه، فكرت لو انه لم يعمل فى مشغل السلاح، وعمل قناصا فى الجيش الثورى الشعبى لقتل من الأعداء اكثر مما اصطاد من الحيوانات. ولكن ما ادهشنى هو ان مهارته فى الحدادة كانت أعلى بكثير من مهارته فى الرماية. فقد كان يعتبر فى الصفوف المقاتلة شخصا عاديا لم يلاحظ وجوده او غيابه أحد، بينما كان يعتبر شخصا لا غنى عنه فى مجال تصليح الاسلحة.

سار باك يونغ سون معى حاملا على ظهره سلة من القش فيها ٥ـ٦ طيور تدرج. وعندما رأيت هذا الحمل أحسست بدفء فى قلبى اذ تذكرت صورة لى كوانغ فى وادى مينغويكو وهو يحمل زكيبة ثقيلة من الحبوب وفوقها طيور تدرج. سألته مشيرا الى السلة :

"هل مازلت، ايها الرفيق باك بورى، تمارس الصيد؟"

وقطب باك يونغ سون حاجبيه رافعا السلة الى اعلى وقال :

"لا، لقد توقفت عن ذلك منذ زمن. لقد اصطدت هذه الطيور بالافخاخ. فعلت ذلك لأنى أشعر بالحرج من الذهاب الى الاطفال بأيد فارغة."

"يبدو واضحا انك تحب الاطفال كثيرا. وحب الاطفال أمر جميل."

"أتقول اننى احبهم؟"

اعاد باك بورى السؤال وابتسم بمرارة. ثم اضاف :

"لا يحق لى تلقى مثل هذا المديح. فباك بورى هو شخص جبان."

"جبان؟ ولماذا تقول هذا؟"

"اننى أخجل حتى التفكير فى ذلك. ولكننى سأخبرك أنت، ايها الرفيق القائد، بكل صراحة رغم ما أشعر به من خجل. فى احد الايام اصطدت حوالى عشرة ارانب برية وتوجهت بها الى الاطفال فى مآنشان. وكم كان فرح الاطفال حين رأوا تلك الارانب! وأنا أيضا احسست بالسعادة. فجأة ظهر امامى ذلك السيد المدعو المسؤول السياسى للفرقة الاولى واخذ يؤنبنى بغضب قائلا من أكون لكى اتجرأ على الذهاب الى هناك دون اذن من المراتب العليا، ومن سمح لى بتقديم تلك الصدقات، وسألنى اذا كنت لا أعرف اى صفة يحمل هؤلاء الاطفال الاشقياء. وبعد ذلك، طردنى من هناك وكأننى ذبابة، مما جعلنى اقف مبهوتا أمام تلك القسوة."

"وماذا حدث بعد ذلك؟"

"أعدت الارانب الى السلة بخضوع، ورجعت الى مشغل السلاح."

"لانك كنت خائفا، أليس كذلك؟"

"نعم، شعرت بالغضب والخوف معا. لقد صرت الآن جريئا اقول ما اشاء، ولكنى لم اتجرأ آنذاك حتى على التفكير فى ذلك. فلو ان المسؤول السياسى واصل تعنته واتهمنى باننى معاد للثورة ممن يساعدون اطفال (مينساينغدان) لوقعت فى وضع سىء جدا. ولحسن الحظ لم يحدث اى شىء من هذا. ولكنى لم أعد اذهب لرؤية الاطفال منذ ذلك اليوم. وعندما افكر فى ذلك الآن اشعر بالعار يغمرنى."

ونظر باك بورى باشمئزاز الى المسؤول السياسى للفرقة الاولى كيم هونغ بوم الذى كان يسير امامنا ليفتح لنا الطريق ورجلاه ملفوفتان بقطعة قماش سميكة.

"وكيف تشعر الآن؟ أمازلت خائفا؟"

"لا، لا اخاف شيئا الآن. بل واشعر بتدفق الحماسة وأنت الى جانبى، ايها الرفيق القائد. اننى أشعر بالغيظ المؤلم كلما فكرت بالقلق الذى عشناه فى السنوات الاخيرة بسبب الحملة ضد(مينساينغدان)."

"لقد كان كابوسا بكل معنى الكلمة. ولكن مجرد ذهابك الى الاطفال بسلة الارانب، يجعلك جديرا باحترام جيلنا الصاعد. فكم هى جميلة ونبيلة مشاعر الحب والعطف على الاجيال الفتية."

وما ان سمع هذه الكلمات حتى استرخت عضلات وجهه المتوترة واخذ يسير بخطوات واسعة. عندما سمعت من هذا الرجل الكتوم القاسى ككتلة من الحجر والمعتز بنفسه، اعترافا صادقا لا يمكن قراءته الا فى مذكرات الفتيات اللاتى يدرسن الادب، احسست نحوه بامتنان هيج اعمق مشاعرى. فقد أثر فى نفسى كثيرا انسجام النزاهة والاستقامة التى تبدت فى كلماته وقلبه.

ولو سألنى احد عن اسعد اللحظات واكثرها بهجة لأجبته قائلا :

"ان الفرح والسعادة فى حياتى ظاهرة عادية. لاننى اعيش حياة متفائلة فى بلد يبنى اروع حياة واكثرها مثالية فى العالم ومع الشعب الذى يتمتع بأكبر استقلالية من الناحية السياسية والاكثر تقدمية من الناحية الفكرية والاكثر تحضرا ونقاء من الناحيتين الثقافية والاخلاقية. ان كل يوم وكل ساعة فى حياتى تفيض بالفرح والسعادة. واذا كانت هنالك لحظات سعادة وبهجة ذات مغزى خاص، فانها تلك التى اكون فيها بين الشعب واجد فى اوساطه اناسا رائعين يمكن ان يكونوا قدوة للبلاد كلها واتحدث معهم حول الوضع السياسى والحياة اليومية والمستقبل، وكذلك عندما اكون بين الاطفال الذين نسميهم براعم البلاد."

ويمكن القول ان هذه هى وجهة نظرى فى السعادة التى غمرت حياتى كلها.

وقد منحتنى محادثتى مع باك يونغ سون شعورا بالارتياح الكامل بسبب هذا المفهوم الذى احمله عن السعادة. لقد كان باك يونغ سون مثالا للثورى ونموذجا للانسان ذى الضمير الذى وجدته فى الحياة الواقعية. وقد ثبت لى فيما بعد، فى الممارسة العملية، انه رجل ثابت لا ينحرف عن المبادئ الثورية، ولا يعرف المساومة مع الجور، ومنصف وعقلانى فى جميع الشؤون.

الحادثة التى سأرويها فيما يلى ترجع الى عام ١٩٥٩، عندما كان باك بورى يجوب مناطق شمال شرقى الصين على رأس جماعة استطلاعية ذهبت للتعرف على مواقع معارك النضال المسلح ضد اليابان. وفى أحد أيام الصيف القائظة، امضت تلك الجماعة الليل فى غرفة خلفية فى بيت فلاحى متواضع ومضياف. وقد ألصق فلاحو تلك المنطقة اوراق جدران للغرفة وفرشوا ارضها بحصائر جديدة لضيوف البلد

المجاور الذين يقومون بجولات يومية مرهقة منقبين عن آثار رواد الثورة.

ومن لم يتحمل لسع الحشرات فى الليل حمل فراشه هربا من البق وامضى بقية الليل على الحصائر المفروشة فى الفناء. ولم يبق اخيرا سوى باك يونغ سون وحده على فراشه فى الغرفة. وظن رفاقه ان رئيسهم مستغرق فى نوم عميق، أو ان لديه ميزة جسدية تجعله لا يشعر باللسعات.

وفى اليوم التالى دعاهم باك يونغ سون الى اجتماع ووجه لهم انتقادا لاذعا :

"اذا كان الزائرون، الذين يمثلون بلادهم، يتصرفون كمتشردين ويقضون ليلهم على حصيرة من القش فى العراء هربا من البق، ألا يكون سلوكهم هذا نوعا من عدم اللباقة امام الضيافة المخلصة التى قدمها أهل المكان الذين سعوا جهدهم لتوفير مكان مريح لنومنا؟ ألا تستطيعون الصبر امام صعوبة صغيرة كهذه والتحلى بالرصانة؟ اذا عدتم الى ارتكاب تصرفات تسىء الى سمعة وفدنا فسوف اعيد المذنبين الى الوطن حسب خطورة ما يرتكبونه من اخطاء."

وعرف اعضاء الجماعة آنذاك ان هذا الرجل الصموت ذا الارادة الحديدية، والمتحدر من جيش حرب العصابات ظل فى الغرفة بالرغم من انه لم ينم الليل بسبب لسعات البق حتى لا يسىء الى مشاعر الضيافة الصادقة التى بذلها مضيفوه. وقد علمت بهذه الحادثة فيما بعد من خلال اعضاء تلك الجماعة.

ما ان وصلنا الى معسكر مآنشان السرى، حتى خرج اعضاء رابطة الاطفال من كوخ صغير مبنى من جذوع الاشجار مندفعين وهم ينادوننى "ايها القائد!". كانت اصواتهم ترن فى الفضاء كرنين جرس فضى، وقد جعلتنى استسلم لندائهم جسدا وروحا وأغذ الخطى نحوهم بانفعال متأجج كألسنة اللهب. نعم، انهم نفس الاطفال! اولئك الذين تبعوا الجيش الثورى عبر دروب محفوفة بالمصاعب، متسلقين الجبال الوعرة حينا ومجتازين فى حين آخر الغابات الكثيفة المغطاة بالثلج، لكى يثأروا لآبائهم واخوتهم الذين قتلهم الاعداء بالرصاص أو بالحراب أو بالضرب أو بالحرق، وقد انتظرونا طوال الشتاء وسط هذه الجبال المقفرة والموحشة التى تبدو اشبه بمعسكر اعتقال دون اسلاك شائكة، وكانت الاحزان تثقل كاهلهم لاتهامهم ظلما بالعلاقة مع "مينساينغدان".

ان الشوفينيين القوميين والانتهازيين اليساريين الذين اعتادوا الاستخفاف بالجماهير والاساءة اليها، واضعين الشعارات الثورية المتطرفة حول "المبدأ" و"الطابع الطبقى" فوق مصالح الشعب، اداروا ظهورهم للاطفال واعرضوا عنهم متذرعين بانهم يشكلون عبئا على الجيش الثورى. وكانوا يتعللون بان وجود هؤلاء الاطفال بالقرب منهم يعرض موقع المعسكر السرى لخطر الانكشاف. وعاشوا منعزلين فى اعماق الغابة حيث انشأوا مملكة صغيرة من أجل امنهم وحسب. ومنعوا الاطفال حتى من الاقتراب من حدود تلك الغابة. وكان اولئك الرجال الذين يشبهون زوج الأم القاسى، يحرمون الاطفال حتى من حفنة حبوب ويمنعون عنهم الملابس، رغم معرفتهم بان الاطفال يعانون الجوع والبرد، ولا يكادون يقيمون أودهم سوى بما يجمعونه من الجذور.

وكان كل من يلقى نظرة عطف وحنان على هؤلاء الاطفال أو يضمد جراحهم بمرهم وضماد، أو يحاول بانفاسه بعث الدفء فى ايديهم ووجوههم المخدرة من البرد، أو يداعبهم بحنان، أو يحتضنهم باكيا حين يراهم يبكون من القهر، كان اسمه يدرج، ودون استثناء، فى قوائم انصار "مينساينغدان"، ويتعرض للملاحقة.

أما كيم راك تشون، القناص الشهير، الذى قام بعد مصرع يون تشانغ بوم بمهام قائد الفوج بالنيابة، وقاد اعضاء رابطة الاطفال الى مآنشان فلم يحتمل رؤية الاطفال شبه العراة فى اسمال رثة، وامر بخياطة ملابس لهم من القماش المحفوظ لدى قسم التموين فى الفوج. وقد شكره الاطفال والدموع تترقرق فى عيونهم من شدة الفرح. وقد كان عمله الانسانى ذلك السبب فى اعدامه ظلما بتهمة "مينساينغدان". كان التعاطف مع الاطفال فى هذا المعسكر السرى يعتبر جريمة بينما كانت تعتبر معاملتهم بجفاء مأثرة. ولم يكن بالامكان هناك اظهار المشاعر الانسانية الحقيقية أو العاطفة الشيوعية.

لقد كانت عيون اولئك الاطفال المبللة بالدموع وهم يشدون قبضاتهم ويندفعون نحوى مثل موجة، ادانة لجرائم من تخلوا عن صفاتهم البشرية وعن ابسط الواجبات الانسانية.

وفجأة، حدث بعض التردد فى مجموعة الاطفال الذين كانوا يجرون لاهثين. فقد توقف أكبرهم الذى كان يجرى فى المقدمة، وظهر عليه التردد فى منتصف الطريق الينا وكأنه اصطدم بحاجز ما. وأوقف الآخرون ايضا جريهم العاصف مثل سيل اعترضت سبيله صخرة عاتية، وراحوا يتطلعون الى من بعيد بنظرات حائرة. ودون أن اتوقف عن مراقبتهم وهم يتجمعون بحركات متثاقلة، سألت باك يونغ سون :

"ما الذى اصابهم؟"

"يبدو أنهم يشعرون بالخجل. انظر الى ملابسهم. انها اسمال بالية."

وجهت اهتمامى الى ملابسهم. لقد كانوا يرتدون الملابس من حيث الشكل. أما فى الواقع، فكانوا شبه عراة لا يكاد يستر اجسادهم شىء. فالملابس التى يرتدونها محروقة وممزقة وبالية، وكان منظرها فظيعا، تبدو اشبه بخرق لا فائدة فيها أو انها خرق حقيقية. وكانت وجوههم بعد عدة شهور من الصراع المتواصل مع الجوع الذى يهدد حياتهم، قد اصبحت شاحبة مثل الورق الابيض.

وجعلنى مظهر هؤلاء المعذبين الصغار الفظيع اتذكر فجأة اخى الصغير يونغ جو الذى لم اتمكن من الالتقاء به منذ فراقنا فى سياوشاهى. وقد كان بعمر هؤلاء الاطفال. ولاحت امام ناظرى صورته وهو يودعنى مع اخينا الآخر تشول جو كابحا دموعه فى دغل قصب يصل طوله حتى الخصر. واحسست بالذنب لعدم مبالاتى تجاه أخوى الصغيرين اللذين تركتهما فى كنف اناس ليسوا من اقربائنا أو من عائلتنا أو من موطننا، وانما جيران. ولم اكتب لهم ما يمكن اعتباره رسالة طوال اربع سنوات. وفى ربيع ١٩٣٦، فى معسكر دونغكانغ السرى، قدمت لى كيم هاى سون بعض الاخبار المتفرقة عن ان اخى يونغ جو تفرغ للعمل فى رابطة الاطفال فى آنتو، وانه امضى عدة ايام فى تشيتشانغتسى فى ربيع أو صيف ١٩٣٥ مع فرقة فنية للصغار حيث قدموا عدة عروض. واضافت انها قد أعدت لهم الطعام هناك.

وقالت كيم هاى سون ان الاغنية التى اداها اخى يونغ جو تركت فى نفسها انطباعا عميقا، حتى انها حفظت كلماتها عن ظهر قلب. وقد كانت أغنية ينشدها اعضاء رابطة ساينال للاحداث واتحاد بايكسان للشباب عندما كنت اشرف فى

فوسونغ على نشاطات الفرقة الفنية. تقول كلمات الاغنية :

ايها المشاهدون الاعزاء
حافظوا جيدا على خواصركم.
لانها اذا انفجرت من الضحك،
فلن يستطيع هوا تو ولا بيان تشوى
من اعادة اللحمة اليها.
فلنرقص ونغنى
ولتعلو وتهبط اكتافنا مهتزة.

وكان هوا تو وبيان تشوى طبيبين معروفين فى الصين القديمة.

لقد شعرت ببعض العزاء حين اخبرتنى كيم هاى سون بتلك الاخبار. ولكنى عندما توجهت الى الاطفال فى مآنشان لم اكن اعرف أى شىء عن مكان وجود اخى الصغير. وفيما كنت انظر الى العيون الحزينة للاطفال الذين التصقوا ببعضهم البعض دون حراك وكأنهم اوراق خريفية متأخرة اسقطتها الريح، فكرت : "ألا يرتجف اخى يونغ جو من الجوع والبرد مثل هؤلاء الاطفال فى مكان ما؟ ألا يكون جائعا وعاريا مثلهم ومشتاقا الى أخيه قاسى القلب؟".

كيف تجرؤوا على الصاق تهمة اعوان "مينساينغدان" بالاطفال الذين اقتفوا أثر الرجال الى هذه الجبال النائية من اجل الثورة؟ أمن المعقول انه لم تكن لدى اولئك الاشخاص المجردين من المشاعر الانسانية والكريهين، حتى القدرة على التفكير فى انه لا يمكن لهؤلاء الاطفال أن يكونوا من انصار "مينساينغدان"؟ او ليست لديهم اى مشاعر من الرحمة والرأفة للشفقة عليهم والعناية بهم ؟ كيف كان بامكان هؤلاء الناس الذين اقسموا على التضحية بحياتهم من اجل قضية تحرير البشرية ان يتخلوا بكل قسوة عن اولئك الاطفال، أضعف الكائنات البشرية واقلها قدرة على العمل باستقلالية؟

ان الكاتب بانغ زونغ هوان الشخصية المعروفة بنشاطاتها من أجل الطفولة، والذى كان أول من صاغ كلمة "اورينى"(٠) فى بلادنا، وانشأ عيدا للطفولة، قد وجه النداء التالى الى العالم بأسره على شكل منشور بعنوان "وعد فى يوم الطفل".

"... ضعوا الاطفال فى مرتبة اعلى من الكبار.

فاذا كان الكبار هم الجذور، فان الاطفال هم البراعم. فاذا ارتفعت الجذور لانها الاساس ووضعت نفسها فوق البراعم وضغطت عليها، فان تلك الشجرة ستموت. اما عندما تعمل الجذور على نمو البراعم، فان الشجرة (أو مصير ذلك البيت) تزدهر ..."

وقد وزع هذا المنشور فى الاول من ايار ١٩٢٣، بمناسبة "يوم الطفل". وفى كل كلمة وجملة من ذلك النداء نلمس حرارة عاطفته تجاه الاطفال.

عندما كنت تلميذا فى مدرسة تشانغدوك، اعتاد المعلم السيد كانغ ريانغ ووك ايضا على التحدث بكلمات مشابهة عند لقائه مع آباء التلاميذ. ولست ادرى اذا ما كانت دعواته هى محاكاة لما جاء فى "وعد فى يوم الطفل" ام انه يقولها بوحى من نفسه. ولكنه كلما كان يؤكد لآباء التلاميذ على ضرورة احترام الاطفال، وان مخالفة ذلك تؤدى الى عدم احترام الاطفال للكبار، كنا نشعر ونقدر ان هذه الكلمات تنطوى على الحقيقة.

ان دعوات اولئك الاشخاص من اجل معاملة الاطفال افضل من الكبار، كانت صوتا نبيلا صادرا عن العقل لا يمكن ان يخرج الا من روح اناس يحبون الاجيال الصاعدة اكثر من حبهم لانفسهم.

وكم تتبدى قوة حب الانجال فى العبارة الشهيرة القائلة : "عالم بلا اطفال كعالم بلا شمس!"

ان جميع العظماء فى العالم الذين سطروا اسماءهم فى صفحات التاريخ كانوا يحبون الاطفال بشدة. وكون كارل ماركس صديقا وفيا للاطفال معروف ليس فقط من رسائل كارل ليبنخت. فمن أجل بعث المرح والسعادة فى نفوس اطفاله واحفاده

---

(٠) اورينى : احدى الكلمات الكورية التى تعنى "طفل" – المترجم

الاحباء كان هذا الرجل العظيم يجثو جاعلا من نفسه حصانا او عربة لهم، وهذه حادثة يتذكرها الناس بفرح فى احاديثهم. ومازالت الاجيال الصاعدة حتى الآن تتذكر بمحبة السويسرى بيستالوتسى، لانه كان مربيا رائعا كرس امواله وحياته كلها للاطفال.

لقد كان جميع عظماء الشرق والغرب الذين تحتفظ البشرية بذكرهم اصدقاء ومربين وآباء حقيقيين للاطفال وكانوا يعتبرون حب الناشئة اسمى الصفات الانسانية.

ولكن كيف كان بامكان اسياد مآنشان الذين ليسوا ارستقراطيين ولا برجوازيين ان يتركوا الاطفال فى مثل هذا الوضع البائس، وهم شيوعيو هذا المعسكر السرى الذين لا يتحدثون الا عن الانسانية وعن تحرير البشرية وكأنهم يرتلون اسفارا بوذية؟!

لقد وجدت صعوبة كبيرة فى كبت غضبى العارم. وهالنى جدا ان ارى كيف تداس بقسوة ارادة الاطفال الصافية التى مازالت فى مهدها، مع ان هؤلاء الاطفال يعتبرون الثورة اقدس من حياتهم. لقد كنت احد الذين يعرفون هؤلاء الاطفال جيدا. وكنت اعرف افضل من الآخرين كيف تحملوا الجوع مع الكبار فى تشيتشانغتسى وكيف كانوا يحملون الطعام الى مقاتلى الجيش الثورى الشعبى فى نايدوشان وكيف ساعدوهم فى مهمات الحراسة ليلا ونهارا. وقد بقيت تفاصيل حياتهم محفورة بوضوح فى ذا كرتى وكأنها موضوع رواية.

من الممكن ادراك القسوة البالغة والمعاناة التى عاشها أطفال مآنشان اذا عرفنا تفاصيل سيرة حياة لى او سونغ، الذى يبلغ التاسعة من عمره، والمتحدر من بايتشاوكو، والذى كان يحتمى تحت ابط من يكبرونه سنا مثل فرخ طائر مبلل، ويحاول أن يغطى بيديه المخدرتين من البرد جزءا من ركبته يبرز من سرواله الممزق. لقد كان شاهد عيان على حالات الموت الجماعى من الجوع فى تشيتشانغتسى. وكان، كغيره من الاطفال، يمضى كلما اشتد عليه الجوع لجمع الضفادع النائمة فى سباتها الشتوى ليأكل لحمها، أو يقلب الحقول المزروعة بحثا عن بعض البذور.

لقد مات والده من الجوع ايضا فى تشيتشانغتسى. وبالرغم من ان لى او سونغ كان قد أحضر من الحقل سنابل شعير وفركها براحتيه وراح يدس الحبوب التى لم تنضج بعد فى فم ابيه، غير انه لم يتمكن من انقاذه من الموت.

وبمشقة كبيرة أمضى لى او سونغ مع شقيقته الصغيرة فصل الربيع وهما يأكلان جذور النباتات وقشور الاشجار، ثم غادرا تشيتشانغتسى الى نايدوشان فى اثر الجيش الثورى الشعبى. وكانت تثقل كاهله الشبهات بكونه من "مينساينغدان" لانه كان صهر كيم راك تشون.

وعلى الطريق الذى يمتد مئات رى الى نايدوشان، اظهر اعضاء رابطة الاطفال الاربعة عشر الذين يقودهم سون ميونغ زيك كامل ارادتهم الراسخة واخلاصهم للثورة التى تمرسوا وصقلوا حياتهم فيها من خلال مشاركتهم فى نشاطات المنظمة. لقد كان الثلج الذى يصل الى نصف قامتهم والمعابر الجبلية الوعرة تعرقل تقدمهم، بينما كانت تتعقبهم وتطاردهم الزمر "التأديبية" المعادية.

انتهت مؤونتهم منذ المرحلة الاولى من المسيرة. فكانوا يمضغون اوراق الصنوبر أو يصنعون كراتا من الثلج ويدسونها فى افواههم ليسكتوا جوعهم. وفى اليوم الذى كانوا يتقاسمون رغيفا من الذرة فيما بين الاربعة عشر طفلا كانوا يرون انهم قد حصلوا على طعام وفير. وعندما كانوا ينامون فى العراء كان سون ميونغ زيك وزو دو ايل وكيم تاى تشون وغيرهم من الاطفال الاكبر سنا يحتضنون الصغار الذين تقل أعمارهم عن عشر سنوات، لحمايتهم من الرياح، مثلما تحتضن الدجاجة فراخها. وبعد اغفاءة قصيرة، ينهضون بالتناوب لمراقبة المنطقة المحيطة.

وابدى سون ميونغ زيك الذى كان يقود الجماعة، مهارة تنظيمية وادارية باهرة. فمنذ وجوده فى وانغيوكو كان يقوم بالعمل جيدا فى رابطة الاطفال. وقد شارك لبعض الوقت فى العمل السرى تحت قيادة كيم زاى سو فى منطقة العدو. وكان سون ميونغ زيك قد بدأ دراسة العلوم التقليدية فى مدرسة خاصة منذ كان فى السابعة من عمره. وقبل أن يتم العاشرة من عمره تمكن من حفظ واتقان "الرموز الصينية الالف" وكتاب "ميونغسيم بوكام"، ولانه كان دقيق الملاحظة وذكيا، فقد

كـان مناسـبا جـدا للعمـل السـرى. وعنـدما كـان عضـوا فـى رابطـة الاطفـال عبـأ هـذه المنظمة لطرد استاذ اللغة اليابانية وستة معلمين رجعيين آخرين من المدرسة. وقد اتاح له ذلك كله كسب ثقة الثوريين منذ سن مبكرة.

وكان افراد اسرة سون ميونغ زيك ثوريين جديرين، توارثوا روح حب الوطن والامة بثبات جيلا بعد جيل. فقد كان جده قبل وبعد "ضم اليابان لكوريا" احد قادة جيش المتطوعين الفاضلين، وكان والده سون هوا زون مناضلا ثوريا مارس نشاطا سريا متسترا بوظيفة عميد مئة منزل. وكان ابن عم ابيه كيم بونغ سوك (اسمه الاصلى سون بونغ سوك) جندى اتصال مخلصا عندى، وقد استشهد بكل أسف قبل ساعات من تحرير البلاد اثناء اشتراكه فى عملية حربية مع وحدة صغيرة.

لقد كـان اولئك الاطفـال علـى استعداد للموت، اذا اقتضـى الامر، وهم يتبعون الجيش الثورى، وهكذا وصلوا الى هذا المكان المعزول بين الجبال، حيث كان عليهم أن يدفئوا أيديهم المتجمدة بأنفاسهم، ويتطلعون بشوق الى استعادة الوطن، حتى ولو وجدوا انفسهم مضطرين الى النوم متكورين على انفسهم حول موقد وهم يغطون اجسادهم بأوراق الشجر اليابسة، بينما كان ابناء الاسر الثرية يستمتعون بوفرة من المأكولات الفاخرة على موائد مرصعة بالصدف. فما الذنب الذى اقترفه اولئك الصغار؟ واذ لم تكن ثمة امكانية لتقديم الملابس الفاخرة والاطعمة الوفيرة لهؤلاء البراعم الاحباء، فلماذا لم تصنع لهم ملابس متواضعة من القطن ولم يقدم لهم ولو حساء فول الصويا؟

تقدمت نحوهم فاتحا ذراعى وقلت لهم :

"ارفعوا رؤوسكم، ايها الاطفال. اذا كنتم ترتدون الاسمال فليس الذنب ذنبكم. هيا تعالوا الى بسرعة."

وقبل ان اكمل كلامى تزاحم عشرات الاطفال حولى، وانفجروا بالبكاء.

قدتهم الى داخل الثكنة.

وفى الداخل كان يوجد اربعة او خمسة اطفال آخرين مرضى، فقدوا القدرة منذ ايام على الحركة من فراشهم. كانوا مستلقين فى الركن بدون دثار وهم يكورون

اجسادهم. سألتهم عن مرضهم ولكن ايا منهم لم يجب عن سؤالى. وقال المقاتلون الذين يحرسون المعسكر انهم يعانون مرضا باطنيا، ولكنهم لم يحددوا نوع المرض بالضبط. ولم يعرف احد باستثناء باك بورى انهم يعانون ألما روحيا. كيف يمكنهم تحديد مرض هؤلاء الاطفال الابرياء، والانقياء كالياقوت، الذين تثقل كاهلهم تهمة "مينساينغدان"؟

واستدعيت جندى الاتصال وامرته بان يخرج لحافا من كيس الامتعة. وكان ذاك هو لحافى الوحيد، وقد حصلت عليه كغنيمة بعد الهجوم على قافلة نقل للقوات اليابانية خلال فترة وانغتشينغ. وبالرغم من انه لحاف واحد، فقد بدا لى ان تغطية اولئك المرضى الصغار به، كان سيهدئ قليلا من معاناتى. وحين انتبه المقاتلون الى نيتى، بدؤوا ينبشون ممتلكاتهم على عجل ليخرجوا ألحفتهم. ولكننى أعدتها الى أصحابها قائلا :

"لا داعى لذلك، ايها الرفاق. طالما بقى هؤلاء الاطفال مرضى يرتجفون من البرد، فلن تشعر روحى بالدفء حتى ولو غطيت نفسى بمئة لحاف. فاذا كنتم مستعدين لمساعدتى، عليكم الاهتمام اولا بهؤلاء الاطفال."

فأطرق اداريو المعسكر السرى رؤوسهم عند سماعهم ما قلته.

فقلت بصوت متأثر وأجش :

"يتعين على اليوم ان اناقش هنا من جديد بعمق مفهوم قيمة الثورى. لماذا بدأنا الثورة؟ ولماذا نواصلها الآن متغلبين على صعوبات لا تعد ولا تحصى؟ لقد انطلقنا فى طريق الثورة لا رغبة منا فى تدمير شىء ما، بل لاننا نحب الانسان. ألم نرفع راية النضال ضد هذا العالم البغيض من اجل تحرير الانسان من جميع اشكال الجور والعادات السيئة، وحماية ما هو انسانى، والدفاع عن الجمال وكل الثروات التى ابدعتها الانسانية؟ ولو لم نكن نشعر بالتعاطف مع الطبقات المستغلة، وبالاشفاق على الامة الباكية لمأساتها فى فقدان البلد، ولو لم نكن نحب آباءنا وزوجاتنا واطفالنا الذين يرتعون فى البؤس محرومين من كل الحقوق، لما تحملنا المصاعب يوما واحدا، ولعدنا الى بيوتنا الدافئة.

كيف استطعتم، انتم الشيوعيين، ان تتركوا الاطفال فى هذه الحال؟ هل بدأت تبرد فى قلوبكم العواطف الانسانية التى كنتم تحملونها عندما انطلقتم على طريق الثورة؟ وهذه المسألة بالذات هى سبب قلقى فى هذه اللحظة.

يمكننا التأكيد ان ثورتنا، بطريقة ما، هى ثورة للاجيال القادمة. واذا لم نستطع اطعام والباس هذه الاجيال بشكل لائق، فبأى وجه نقول اننا نقوم بالثورة وكيف نشعر بالفخر لكوننا شيوعيين؟

ان الاجيال الفتية هى ازهار الطبقة العاملة والامة والبشرية. والعناية بهذه الازهار هى واجب الشيوعيين المقدس. ومستقبل الثورة مرتبط بكيفية اعدادنا للناشئة. فالثورة لا تنتهى فى جيل واحد بل تكتمل على مدى اجيال عديدة. ونحن اليوم صناع الثورة، ولكن هؤلاء الاطفال سيكبرون غدا وسيحلون مكاننا. ولكى نكون مخلصين للثورة الكورية حتى النهاية، علينا ان نربى ورثة ثابتين يواصلون مسيرة الثورة. وهؤلاء الاطفال فوق ذلك هم ابناء رفاقنا فى السلاح الذين عهدوا الينا برعايتهم قبل ان يستشهدوا. ولكى نقوم بواجبنا الاخلاقى نحو اولئك الرفاق، علينا على الاقل ان نحيط ابناءهم برعايتنا ونغدق عليهم الحنان.

اذا كنتم تغضون ابصاركم عنهم خوفا من المسؤولين، فهل ستستطيعون مواجهة بنادق الاعداء بصدوركم؟ لقد تحولتم دون ان تدركوا الى كائنات منحطة تحيط نفسها بدروع حماية الذات، ولا تفكر الا بنفسها مغمضة عيونها عن مصائب الآخرين حتى لا تقدم لهم ولو تعاطفها. فكروا أيها الرفاق، أهذا هو السلوك اللائق بالشيوعيين الذين انطلقوا على طريق تحويل العالم بأسره؟

ان الاساءة الى الاطفال هى اساءة الى الذات. فاذا كنا لا نعتنى بهم ونغض النظر عن اوضاعهم الصعبة مفكرين بسلامتنا فقط، فانهم سيهملوننا ويتخلون عنا فى المستقبل. ان الجهود التى نبذلها للاجيال الصاعدة، ستحدد بعد عشرات السنين النظرة التى ستوجهها الينا عيونهم وملامح الوطن الذى سيبنونه. وكلما ابدينا لهم المزيد من مشاعر الحب، كلما اصبح الوطن فى الغد اكثر قوة وثراء وتحضرا وجمالا.

ايها الرفاق، ان حب النشء يعنى مباشرة حب المستقبل. وسوف يبنى وطننا على ايدى هؤلاء الاطفال كحديقة غناء. فلنعتن بالاجيال الفتية باهتمام اكبر من اجل مستقبل الوطن والبشرية!"

هذا ما قلته تقريبا فى الثكنة فى ذلك اليوم.

ويمكن التأكيد ان هذا هو المفهوم حول الاجيال الصاعدة الذى مازلت أدافع عنه بثبات حتى الوقت الراهن، بعد ان أصبحت طاعنا فى السن وتخطيت الثمانين. ومازلت حتى الآن اشعر بالفخر والسعادة القصوى فى حماية ورعاية الاطفال.

بدونهم لن تكون حياتنا سعيدة. واذا كنا قد طرحنا مسألة صنع اقلام الرصاص كجدول اعمال لاول اجتماع اللجنة الشعبية الموقتة لكوريا الشمالية، ونحتفل كل عيد رأس سنة جديدة مع الاطفال فليس ذلك الا تعبيرا عن وجهة نظرى فى الاجيال الصاعدة. وينعكس حبنا للجيل الناشئ ايضا فى احترام وحب المدرسين المسؤولين عن تعليم وتربية الاطفال.

بين اعضاء أول مجلس وزراء للجمهورية، كان لى بيونغ نام وزيرا للصحة العامة. وقد كان دكتورا معروفا ووطنيا شريفا ومخلصا عمل منذ ما قبل التحرير كطبيب اطفال. وقد جاء من سيؤول الى بيونغ يانغ للمشاركة فى الاجتماع المشترك لممثلى الشمال والجنوب فى شهر نيسان، واصبح باقتراح منا اول وزير للصحة العامة فى الجمهورية. وكان حبه المتدفق للاطفال وطريقته الخاصة فى معاملتهم من ابرز سماته.

كان طبيب الاطفال لى بيونغ نام يحمل فى جيبه دائما جلجلا ويهدئ به الاطفال الباكين. حتى ان اشد الاطفال مرضا، كانوا يكفون عن البكاء ويستسلمون بوداعة لفحص الطبيب فور سماعهم صوت ذلك الجلجل. وكان بتعابير وجهه التى لا يمكن مقارنتها بظرافة أى مهرج، وبكلماته وحركاته الكوميدية يستثير اكثر الضحكات صخبا وتوشك سرة من يراه على الانفجار من الضحك، وهكذا يتمكن من مغافلة الطفل المريض واجراء الفحص الطبى بسرعة ويسر. وبفضل مثل هذه القدرة الفائقة نال فى كل مكان احترام المرضى الصغار واصبح صديقهم الحميم.

وعندما اصيبت ابنتى كيونغ هى بمرض الحصبة، برزت صعوبات لان الطفح لم يظهر كالمعتاد. والاسوأ من ذلك انها اصيبت بنزلة صدرية لانها تعرضت لتيار هوائى بارد. ولم تكن تكف عن البكاء ومناداة أمها. وكلما كانت تفعل ذلك، كان شقيقها كيم جونغ إيل يهدئها ويقول لها : "كيونغ هى، يجب ان تكفى عن مناداة امك بحضور ابينا". وكان أطباء امراض الاطفال فى المستشفى الحكومى قلقين لا يعرفون ما يفعلونه الى ان جاء الدكتور لى بيونغ نام لفحصها.

ودون أن يخرج سماعة الطبيب، وقف يراقب حالة المريضة. وبعد قليل، شخص المرض كما يلى :

"لقد بدأت النزلة الصدرية قبل الحصبة". وبتعليمات من الوزير، بدأ اطباء الاطفال باعطاء الاوكسجين للمريضة فورا. واخذت كيونغ هى التى كانت فى غيبوبة تستعيد الوعى فى اليوم التالى، وانفجرت بالبكاء. وبدأ الطفح يظهر بشكل طبيعى فى الوقت نفسه.

وسألت لى بيونغ نام :

"أيمكنك ان تقول لى، يا دكتور، لماذا تبكى الطفلة؟"

"هذه علامة جيدة. فعند التماثل للشفاء يبدأ الاطفال عادة بالبكاء. واعتقد ان ابنتك ستشفى تماما بعد اثنتين وسبعين ساعة."

أخرج لى بيونغ نام ساعة الجيب ذات الاطار الذهبى والسلسلة الذهبية والمزينة بالكهرمان واخذ يلوح بها امام انف كيونغ هى. وكان يستخدم هذه الساعة، مثل الجلجل، فى تهدئة المرضى الصغار. وفجأة، كفت ابنتى عن البكاء وظهرت الابتسامة على محياها. وبعد ثلاثة أيام من ذلك شفيت تماما بالفعل.

لم اتمكن من اخفاء اعجابى من مهارة وسرعة وزير الصحة فى معالجة المريضة.

"انه لامر مدهش! كم كان تقديرك دقيقا! انك صديق للاطفال وعالم نفسانى طفولى قبل ان تكون طبيبا. اظن انه لا بد لاطباء الاطفال من ان يكونوا محبين متحمسين للاطفال اكثر من الآخرين. ألست مصيبا؟"

" نعم، هذا صحيح. ليس هناك من هو قادر على وضع سماعة الطبيب على صدر الاطفال مالم يحبهم."

التقيت لى بيونغ نام فى خريف عام ١٩٥٠ فى كوسانزين. وكان كل شىء فيه كالسابق، باستثناء شىء واحد : كان يحمل ساعة عتيقة، بدون سلسلة، ولم يكن يخرجها من جيبه الا عند الضرورة. سألته عما حل بساعته المتلألئة التى هدأ بها كيونغ هى. فقال انه تبرع بها للمجهود الحربى. وقد تأثرت جدا للسلوك الوطنى والنزاهة التى يتمتع بها لى بيونغ نام، هذا الرجل المستعد لتقديم اى شىء من اجل الانتصار فى الحرب. ولان ساعته كانت بائسة، فقد اهديته فيما بعد ساعة يد جديدة.

ومن خلال هذا الحادث الصغير، ادركت مرة اخرى وبعمق ان من يحبون الاطفال بصدق، هم وحدهم القادرون على ان يكونوا وطنيين حقيقيين. ان حب الناشئة هو اكبر حب متفان وفعال بين سائر عواطف الكائن البشرى، وأنقى واروع نشيد مكرس للبشرية. والشيوعيون بالذات هم صانعو هذا النشيد وحماته.

فلو كان فى مآنشان ولو صديق واحد للاطفال مثل لى بيونغ نام لما وصل وضع اعضاء رابطة الاطفال فيها الى مثل تلك الحالة المريعة.

وفكرت بان الوقت قد حان لانفاق العشرين يوانا التى كانت والدتى قد تركتها لى وهى على فراش الموت. لقد قدمتها لى وهى تنصحنى بألا استخدمها الا عند الضرورة القصوى. لقد جمعت امى تلك النقود فلسا فلسا من عملها لدى الآخرين حيث كان الدم ينزف من اصابعها.

لقد امضيت صباى دون أن اعرف قيمة النقود. فوالدى لم يكن يعطى اولاده اى نقود. وكان يطلب من امى ان تشترى لنا الدفاتر واقلام الرصاص. ولم يكن يسمح لى بالذهاب الى الدكاكين او الاسواق. وكان يرى ان اهتمام المرء بالمال منذ طفولته، يمكن ان يجعل منه مرابيا حين يكبر، بل يمكن ان يصبح شخصا خسيسا لا يفكر بالوطن ولا بالأمة.

فى احدى المرات، وعلى الرغم من انه كان مريضا، خرج معى للتجول فى المدينة. وكان أمرا غير مألوف ان يصطحبنى فى جولة وهو الذى لا يكاد يستطيع الخروج بسبب المرض. وكان يحدث احيانا ان يصطحبنى ابى معه عندما كان يحتاج

الى مترجم لانه لم يكن يجيد اللغة الصينية. وكنت "مترجمه" الوفى.

وفكرت وانا اساعده فى النهوض من الفراش بانه لا بد ان هناك امرا مستعجلا اذا كان قد قرر الخروج من البيت رغم خطورة حالته. مع من سيلتقى اليوم يا ترى؟

ولكنى عندما خرجت متأبطا ذراع ابى لم يخطر ببالى ان ذلك اليوم هو عيد ميلادى. لان مرض والدى كان يمنعنى من التفكير بذلك.

سرنا على امتداد أحد الشوارع، وقد ادهشنى ان والدى قادنى من يدى الى أحد المتاجر. ففوجئت بتصرفه وانقلبت كل افتراضاتى رأسا على عقب. تفحصت واجهات المتجر الزجاجية بصمت محاولا ان اخمن نوايا والدى. وفى تلك اللحظة طلب منى ان اختار ساعة جيب تروقنى. وكانت تعرض هناك ساعات كثيرة، وكان بعضها مزينا بصورة صون يات صن.

واخترت ساعة جيب لا تحمل صورة صون يات صن، ودفع ابى ٣ يوانات و٥٠ زيانا ثمنا لها. ثم قال لى بنبرة ذات مغزى :

"حان الوقت لان تحمل انت ايضا ساعة. هناك أمران على الانسان الذى هب للنضال من اجل بعث وطنه ان يعتز بهما : الرفاق والوقت. واقدم لك هذه الهدية فى عيد ميلادك كى تعتز بالوقت. فاحتفظ بها جيدا."

فسرت كلمات ابى على انها اعتراف منه باننى اصبحت كبيرا. ولسبب لا أدريه كان لتلك الكلمات فى مسامعى وقع الوصية التى يقدمها لى وهو على وشك الموت. ويبدو ان والدى كان يدرك فعلا انه لم يبق أمامه الا وقت قصير فى الحياة. وبوحى من شعوره ذاك، عهد الى حين سلمنى الساعة بقضية الاستقلال التى كرس حياته من أجلها. وقد كان ذلك الحدث بمثابة احتفال ببلوغى سن الرشد.

ولم يمض شهران على ذلك الا ومات والدى. وفيما بعد، التحقت وأنا احمل تلك الساعة دائما، بمدرسة هواسونغ ونظمت هناك الاتحاد لاسقاط الامبريالية الذى حشدت فيه رفاقا يحملون مثل افكارى. وقد افادتنى تلك الساعة أيضا فى مرحلة حرب العصابات لضبط الوقت فى تنفيذ برنامج النشاطات اليومية وفى تحديد مواعيد الهجمات أو اللقاءات.

ولكننى استبدلتها قبل معركة بوتشونبو بساعة يدوية. فقد قال رفاقى ان ساعة الجيب تلك اصبحت قديمة واقترحوا ان استبدلها بساعة يدوية جديدة تليق بموقعى كقائد. فتنازلت عن الساعة التى استخدمتها عشر سنوات لاحد الرفاق وبدأت استعمل ساعة يدوية حديثة.

وكما قلت، فقد ابقانى أبى بمنأى عن النقود الى ان حان الوقت لانطلاقى فى طريق النضال الثورى.

وخلال اقامتى فى جيلين فقط، بدأت أشترى الاشياء بنفسى.

ولن يندهش القراء ابدا اذا قلت ان نمط الحياة هذا هو الذى عزز عدم مبالاتى بالنقود.

وما أود ان اقول للاجيال الصاعدة وأنا اقوم بمراجعة حياتى التى تجاوزت الثمانين هو ان من يطمع بالنقود والاشياء المادية سيتحول الى شخص بغيض لا يهتم بالحزب او الزعيم او الوطن أو الشعب، ولن يهتم فى نهاية المطاف حتى بوالديه وزوجته وابنائه.

لقد كان التحريم والرقابة الصارمة فى جعل الاولاد يكبرون دون ان يعرفوا متعة امتلاك النقود منذ الطفولة تقليدا متبعا فى اسرتنا ارساه والدى.

ولكن امى خرقت لاول مرة هذه العادة العائلية قبل وفاتها حين تركت لى عشرين يوانا، ثمرة عملها طوال حياتها. وقد تسلمت تلك النقود وانا أشعر بان حياة امى كلها المليئة بالمحن والمصاعب مخزونة فى تلك الاوراق النقدية. وكان مبلغ العشرين يوانا ذاك بالنسبة لى اشبه بتميمة. فلم اكن اشعر معها لا بالجوع ولا بالبرد ولا بالخوف. بل كنت اشعر دائما وكأن أمى الى جانبى تحمينى بجسدها وروحها. وقررت عدم انفاق تلك النقود لاغراضى الشخصية مهما حدث. وأردت الاحتفاظ بها الى الابد، اذا كان ذلك ممكنا، كرمز لحب أمى.

ولكن قسوة الواقع جعلتنى اتراجع عدة مرات عن هذا القرار. فقد كنت أدس يدى فى جيبى واخرجها فى مناسبات عديدة مترددا بين انفاق تلك النقود وعدم الاقدام على ذلك. وقد وجدنا أنفسنا فى حالات لا حصر لها بحاجة ماسة الى مبلغ من المال.

فعند وداع الشيخ "ما" الذى لا ينسى والذى انقذ مجموعتنا من الموت على هضبة لوزوكو، حاولت ان اقدم له هذه العشرين يوانا، تعبيرا عن شكرى له. اذ ان الامتنان لمن انقذ حياتك هو تصرف طبيعى. خصوصا واننا كنا قد أقمنا فى كوخه نحو عشرين يوما استهلكنا خلالها احتياطيه السنوى من المواد الغذائية. ولو لم احاول أن اعبر له عن شكرى بالرغم من وجود النقود فى جيبى للامتنى حتى السماء. ولكن الشيخ الطيب كالملاك رفض رفضا قاطعا تقدمتى. واعاد لى النقود قائلا اننى فى سعيى لاستعادة البلاد سأواجه فى المستقبل اوضاعا اشد خطورة يتوجب على فيها ان انفق تلك النقود، وقال انه على وشك الموت، وليس ثمة ما يفعله بالنقود فى ذلك المكان الجبلى النائى حتى اذا قبلها، وانه يستطيع تأمين ما يأكله من صيد الحيوانات بالافخاخ.

وظلت هذه العشرون يوانا الممهورة بحب والدتى سالمة فى جيبى بالرغم من تلك الظروف القاسية التى مررت بها، دون ان ينقص منها زيان واحد.

فلو اننى استخدمتها فى كسوة اعضاء رابطة الاطفال شبه العراة، فان أمى ستفرح.

(ها قد مضت اربع سنوات يا أماه منذ ودعتك حاملا هذه النقود. وقد واجهت خلال هذه الفترة مصاعب كثيرة، ولكننى حافظت عليها ورتبت أمورى كيفما اتفق مفكرا فى الايام القادمة. ولكننى أجد نفسى اليوم مضطرا لانفاقها. على ان اؤمن الملابس لهؤلاء الاطفال المساكين الذين لا معيل لهم فى هذه الدنيا. لقد اتخذت هذا القرار وأنا مدرك تماما اننى سأتعرض فى المستقبل الى مصاعب اكبر بكثير. انت توافقيننى على قرارى يا أماه. فأنت تعرفين جيدا كم أحب الاطفال.) هذا ما قلته بينى وبين نفسى فيما كنت انظر باتجاه وادى توتشيديان البعيد، حيث ترقد أمى وحيدة تحت الارض الباردة فى احد المرتفعات.

وامرت مفوض الفوج السياسى كيم سان هو قائلا :

"خذ هذه العشرين يوانا واشتر بها قماشا من فوسونغ واصنعوا منه ملابس للاطفال."

فتناول النقود مترددا وكأنه يقوم بعمل لا يوافق عليه. فهذا الرجل الحقيقى ذو المظهر الجذاب، عمل خادما فى بيت اقطاعى فى ووتشازى وفقد أحد اصابعه بحد آلة قطع القش. واشترك معنا منذ ذلك الحين فى نشاطات اتحاد الشباب المناهض للامبريالية. ولهذا كله كان يعرف افضل من الجميع قصة العشرين يوانا تلك.

"سانفذ امرك، ايها الرفيق القائد. ولكن يدى ترتجفان. اذ يا لها من نقود!"

وبعد ان نطق بهذه الكلمات، توجه الى فوسونغ واشترى هناك سبع او ثمانى لفائف قماش يشبه الغبردين، ثمن التشو(٠) الواحدة منها عشرة زيانات. وبالرغم من انه كان رجلا قويا، فقد قال فيما بعد انه بذل مجهودا كبيرا فى حمل تلك اللفائف حتى كاد لسانه يخرج من فمه بسبب التعب. وقد كان سىء الحظ فى طريق العودة، اذ التقى ببقايا احدى وحدات الشعب الجبلية ممن تحولوا الى قطاع طرق وقد نهبوا كل ما يحمله، ثم قيدوه الى شجرة وولوا الادبار. وبالرغم من انه كان قويا مثل ثور، الا انه اوشك على الموت متجمدا. وقد ارسلنا وحدة صغيرة انقذته واستعادت القماش من ايدى عصابة اللصوص.

ولم يكن ذلك القماش كافيا لخياطة ملابس لجميع اطفال المعسكر السرى. فأرسلت كيم سان هو ثانية الى فوسونغ ليحمل رسالة منى الى تشانغ وى هوا. وبمساعدته حصل كيم سان هو على كمية اكبر من الاقمشة. فصنعنا منها ملابس لجميع اطفال المعسكر السرى ولاكثر من مئة مقاتل انضموا الى الفرقة الجديدة بعد ان تخلصوا من تهمة "مينساينغدان". وبعد ذلك فقط، خف قليلا العبء النفسى الذى كان يثقل كاهلى.

ان هذه العشرين يوانا لم تكن بصراحة مبلغا كبيرا، ولكنى شعرت آنذاك بارتياح كبير. ثم غادرنا بعد ذلك مآنشان.

وقد ألح الاطفال السعداء بملابسهم الجديدة على الذهاب معنا. فوافقت على طلبهم رغم معارضة عدد من الاشخاص. وقد انطلق معظم اعضاء رابطة الاطفال

---

(٠) التشو : مقياس للطول يساوى ٣ر٣٣ سم – المترجم

مع وحدتنا فى المسيرة الشاقة نحو الجنوب، ولم يبق منهم الا بعض الاطفال الصغار جدا والمرضى الذين لم يكن بامكانهم السير معنا. وقد كان وجود أطفال تزيد اعمارهم على عشر سنوات برفقة الجيش الثورى المضطر الى الحركة الدائمة لتنفيذ عملياته العسكرية أمرا ينطوى على مخاطرة كبيرة. وبالرغم من عدم وجود سوابق لمثل هذه الحالة فى تاريخ حرب العصابات، ومن انه عمل يتناقض مع المنطق، فقد صممت على أخذ الاطفال معنا من أجل صقلهم فى لهيب المعارك وتصليب عودهم ليكونوا رجالا ذوى ارادة فولاذية. وكان اكبر العوائق التى اعترضتهم هى تجاوز الاشجار التى اسقطتها العواصف وعبور الانهار. لذا لجأنا الى تكليف مقاتلين بحماية الاطفال اثناء المعارك والمسير. وكان المقاتلون يعتنون بهم كحدقات عيونهم، فيحملونهم بين ايديهم لتجاوز الاشجار الساقطة ويضعونهم على ظهورهم عند عبور الانهار ويحمونهم باجسادهم من رصاص العدو. وفى ظل هذه الرعاية كان الاطفال يكبرون.

وفيما بعد، انضم جميع الاطفال الذين وصلوا معى الى منطقة جبل بايكدو الى الجيش الثورى واصبحوا خلال عمليات حرب العصابات الضارية كوادر عسكريين وسياسيين رائعين. وحتى لى او سونغ الذى كان فى التاسعة من عمره ولم يكن يسمح له بالانضمام الى الجيش وبقى لبعض الوقت فى معسكر داجيانتشانغ السرى، اصبح فيما بعد جندى اتصال عند سون تشانغ سيانغ، ثم عندى بعد انتقاله الى تشانغباى. وعندما تقدمت مع وحدتى الى منطقة موسان فى ايار عام ١٩٣٩، كان فى الثانية عشرة من العمر فقط. وقد كان النهر عميقا جدا ولم يستطع عبوره بمفرده. فكان على ان احمله بين ذراعى الى الضفة الاخرى. ان الاطفال الذين ربيناهم فى احضاننا وهم مثل الفراخ، يتولون اليوم مناصب حساسة فى الحزب والدولة والجيش.

لقد أحسست بتأثر شديد وسخط لا يوصف حين رأيتهم بتلك الاسمال فى مآنشان، وقد قررت منذ ذلك الحين ان أعمل بعد تحرير البلاد على طرح نظام تتولى الدولة بمقتضاه توفير الملابس للاطفال مجانا مهما كلف ذلك. وفى النصف الثانى من الخمسينات، حين كانت تجرى اعادة اعمار البلاد التى دمرتها وأفقرتها الحرب، بدأنا بتطبيق الاجراء التاريخى بتقديم الملابس للاطفال على نفقة الدولة. وكانت تلك معجزة

لا يستطيع تحقيقها احد سوى الشيوعيين الكوريين الذين عرفوا الواقع المأساوى فى مآنشان. ومازلنا ننفق كل سنة مئات ملايين الوونات لتأمين الملابس للاطفال.

وهناك بين الضيوف الاجانب الذين يزورون بلادنا من يسألوننى عما اذا كانت الدولة لا تخسر بانفاق كل هذه الاموال دون مقابل، ولماذا تزود الدولة الاطفال بالزى المدرسى فى الوقت الذى يستطيع كل واحد ان يشترى القماش اللازم من المحل ويخيط منه الملابس، وكيف يجرى تعويض الخسائر المترتبة على ذلك.

عندئذ، اروى لهم قصة لقائى مع الاطفال ذوى الاسمال فى مآنشان. ومن الطبيعى ان سياسيى البلدان الرأسمالية الذين لم يسمعوا ولو صوت قذيفة مدفع عندما كنا نخوض الحرب ضد اليابان، لا يستطيعون أن يفهموا المغزى التاريخى العميق لسياسة حكومة جمهوريتنا، فينظرون بالتالى الى هذه المسألة من وجهة نظر الحسابات المالية وحدها. ان ما تنفقه الدولة من اجل الشعب لا يعتبر خسارة. فكلما ازدادت الاموال التى يتم انفاقها من اجل رفاهية الشعب، كلما ازداد شعور حزبنا بالسعادة. وكلما منينا بمزيد من مثل هذه "الخسائر" من اجل الجيل الناشئ، كلما ازداد ارتياح دولتنا ورضاها.

وانا على يقين من مواصلة تطبيق السياسة الشيوعية المتمثلة فى تزويد الدولة للاطفال بالملابس، مادام النظام الاشتراكى قائما فى بلدنا وما دامت الاجيال تتوارث تقاليد بايكدو.

ويتلقى أعضاء رابطة الاطفال السابقون فى مآنشان والمناضلون القدامى المناهضون لليابان ومعهم جميع اطفال البلاد، ملابس جديدة فى كل فصل من فصول السنة، بفضل اهتمام الرفيق كيم جونغ إيل.

عندما جاءنى لى او سونغ وسون ميونغ زيك لتهنئتى بعيد ميلادى السبعين، وهما يرتديان زيا عسكريا جديدا اهداهما اياه الرفيق كيم جونغ إيل، اخذا يتذكران فترة مآنشان ولكنهما لم يتمكنا من مواصلة الكلام بسبب تأثرهما وانفعالهما.

٣- تشانغ وى هوا، رفيقى فى الثورة (١)

سبق وقلت انه ما ان عاد كيم سان هو الى مآنشان ومعه القماش الذى اشتراه بعشرين يوانا، حتى ارسلته ثانية الى حاضرة محافظة فوسونغ، لأن كمية القماش لم تكن كافية لصنع بدلة لكل واحد من اعضاء رابطة الاطفال. ومن اجل الحصول على مزيد من القماش، كان لا بد لنا من خوض معركة بالحراب. ولكننى لم اتحمس لخوض معركة فى تلك البلدة التى كانت لى بها صلة قديمة. فبعد تجديد الجيش الثورى بتنظيم فرقة جديدة، انتقلنا استنادا الى هذا النجاح، الى مرحلة توسيع القوى العسكرية والسياسية للجيش الثورى الشعبى.

ولو اننا بدأنا باطلاق النار قبل حشد القوى، لوجدنا أنفسنا فى فوسونغ محشورين فى طريق مسدود، وواجهتنا مصاعب كثيرة أيضا فى التقدم الى منطقة جبل بايكدو.

وكانت الطريقة الوحيدة للحصول على القماش هى طلب المساعدة من تشانغ وى هوا. فهو وحده ابن الثرى الكبير، ورفيقى فى الثورة، العامل النشيط فى المنظمة، المخلص لفكرة النضال ضد اليابان من اجل انقاذ البلاد، القادر على تبنى همومى والمستعد لتكريس نفسه جسدا وروحا من اجل اخراجى من الوضع العصيب.

وعندما امرت كيم سان هو بان يذهب من جديد الى فوسونغ، انتابه شىء من الذهول، لانه كان قد عاد لتوه من هناك. وشعرت أنا نفسى فى دخيلتى بانه لا بد له من ان يستريح، ولكننى اضطررت الى تأكيد الامر مرة اخرى للقيام بتلك المهمة الصعبة من أجل الاطفال والوحدات التى كان يجرى تشكيلها. فقد كان كيم سان هو أنسب شخص للقيام بتلك المهمة بشكل طبيعى مع تشانغ وى هوا. فعندما كان هذا

الاخير يحمل اسم تشانغ يا تشينغ، ويعمل معلما فى مدرسة سامسونغ فى ووتشازى، كان كيم سان هو يعمل مع الشباب فى فرع اتحاد الشباب المناهض للامبريالية فى المكان نفسه. وهو أمر قد يخدمه كأوراق اعتماد فى الاتصال مع تشانغ وى هوا، بالرغم من عدم وجود علاقة عمل أو صداقة سابقة بينهما.

"اعذرنى ايها الرفيق سان هو. فكلما برزت مهمة خطرة استدعيك أنت بالذات دون ان أدرى السبب. ألا يكون ذلك لان قائدك متعسف جدا؟"

بادرت كيم سان هو بهذه الكلمات فور مثوله امامى لتلقى أمر المهمة الجديدة. وكان ما يزال يستعيد قواه من التعب الذى ناله بعد عودته الى مآنشان مع الرفاق فى الوحدة الصغيرة التى انقذته.

نظر الى عدة ثوان بعينين محمرتين، ثم اجابنى بصوت خشن :

"أتريد القيام بعملية التفاف معى؟ هذا ليس من عادتك أيها الرفيق القائد. اخبرنى دون مواربة بالمهمة التى على القيام بها."

ازاح جوابه الهم عن صدرى.

"مرحى لك. ستعود غدا صباحا الى فوسونغ. فقد قررت ان ارسلك الى تشانغ وى هوا. يبدو انه لا بد لنا من اللجوء الى مساعدته. هل تذكر ذلك الشاب الصينى الذى كان معلما فى المدرسة الابتدائية فى ووتشازى؟"

"تعنى السيد تشانغ يا تشينغ؟ طبعا اذكره. ما تزال عيناه حيتين فى ذاكرتى وهو ينظر بخجل من وراء نظارته. كان من الممتع سماع عزفه على الجيتار."

"هذا جيد. سأكتب اليه رسالة وتذهب بها لمقابلته. عليك ان تقوم اولا بجولة فى المدينة، مستطلعا شوارعها بحذر، حتى تصل الى شارع سياونانمين، وتبحث هناك عن بيت تشانغ وان تشينغ، وهو ثرى مشهور فى فوسونغ ووالد تشانغ وى هوا."

بدا الارتياح على كيم سان هو، فشد صدره ونظر الى وهو يرسم ابتسامة عريضة على وجهه، وكأنه ذاهب الى نزهة.

هذا المارد الذى يبلغ طوله نحو ستة أقدام، كان يملك مواصفات الفلاح الكاملة، وكان رفاقه ينظرون اليه باحترام. وعندما يكلف بمهمة كان يدور بمرح ورشاقة

كأنه الدوامة، أما فى الايام الاخرى فكان يبدو سوداويا وكأنه مصاب بالاكتئاب. وقد كانت تعابير وجهه اشبه ببارومتر يقيس حالته المعنوية اذا كانت لديه مهمة أم لا.

كتبت الرسالة الى تشانغ وى هوا فى ساعات الفجر، والتى اعتبرها صفوة الساعات فى عملى اليومى.

وفى اثناء ذلك، كان أحد يبتكر قعرا مزدوجا فى صفيحة لزيت الصويا، يمكن وضع الرسالة فيه. وقد اخذ كيم سان هو تلك الصفيحة وغادر جبل مآنشان مبتهجا. ومن أجل ان يظهر بمظهر بائع زيت حقيقى، ويتفادى تفتيش الجيش والشرطة، ألبسه باك يونغ سون ملابس مهترئة ومتسخة اكثر من ثياب "كولى"(٠).

ورحت انتظر بفارغ الصبر رد تشانغ وى هوا. وفى بعض الليالى التى امضيتها ساهرا بانتظار عودة كيم سان هو، كانت كل افكارى تدور حول تشانغ وى هوا. وكانت كل ثانية تزيد من شوقى اليه.

كم سيكون جميلا لو اننى استطعت النزول الى حاضرة المحافظة مرتديا ثياب "كولى" مثل كيم سان هو ومعلقا منشفة كالخرقة بحزامى، كى التقى بتشانغ وى هوا، واتجول معه فى شارع سياونانمين حيث يوجد بيتى القديم، وأقابل معلمى ورفاقى فى مدرسة نيوكو الابتدائية الاولى، وازور قبر والدى فى يانغديتشون!

لولا المهمات الكثيرة التى تنتظرنى، ولولا وجود رفاق السلاح حولى وحمايتهم لى بعناية اكبر من تلك التى يمكن لوالدى أن يحيطانى بها، لربما كنت غامرت بالذهاب الى فوسونغ متحديا كل الصعوبات. ولكن الكثيرين يعرفوننى فى ذلك المكان الذى أود زيارته. فقد أمضيت هناك معظم مرحلة الدراسة، وكنت شخصا غير مرغوب فيه بالنسبة لعسكريى وشرطة المدينة. فقد كانت فوسونغ وكرا للعسكريين المستبدين، ذقت فيها حياة السجن عندما اعتقلت بتواطئ موظفيها. ولكننى كنت مع ذلك أحب هذه المدينة القائمة فى واد، ففيها عشت شطرا لن انساه من طفولتى، وفيها كذلك قبر أبى، ويعيش هناك أيضا صديقى الصينى الحميم تشانغ وى هوا.

---

(٠) كولى : عامل يؤدى الاعمال الصعبة – المترجم

بالقرب من تقاطع شوارع مدينة فوسونغ، يوجد مصنع "دونغشاوغو" لتقطير المشروبات الروحية، وفيه التقيت مع تشانغ وى هوا فى حزيران ١٩٣٢ فى اثناء الحملة الى منشوريا الجنوبية. وقد اطلق على هذا المصنع اسم آخر فيما بعد. ولكن ما ان عرف خبر ذلك اللقاء التاريخى حتى أعيد اليه اسمه الاصلى. وبمناسبة عيد ميلادى الثمانين، جاءنى تشانغ جين تشوان لزيارتى، وحمل لى معه خمر "دونغشاوغو" الشهيرة التى ينتجها ذلك المصنع، مما جعلنى اتأثر من جديد باخلاص اهالى فوسونغ ومودتهم. وكنت قد تحادثت فى مصنع التقطير ذاك عدة مرات مع تشانغ وى هوا.

لقد تبادلنا آنذاك آراء كثيرة حول الثورة والمستقبل. وقد اخبرنى تشانغ وى هوا فى اثناء ذلك بان زوجته حامل. وكان المولود هو ابنه تشانغ جين تشوان الذى يعيش الآن فى فوسونغ.

وحين رأى تشانغ وى هوا مظهر وحدتنا الرجولى، ابدى اعجابه وقال :

"ان جنودك رائعون جدا يا سونغ جو. كيف استطعت ان تنظم جيشا بهذه السرعة، ولم يمض على لقائنا فى القطار اكثر من سنة؟ لا بد انك عملت كثيرا خلال هذا الوقت. يمكنك الآن انجاز عمل عظيم. مرحى!"

واستمر يمتدحنى رافعا اصبعه الابهام بصدق علامة الاستحسان. فأربكنى مديحه وقلت له :

"وى هوا، لا ترفعنى الى اعلى عليين. لم نخط حتى الآن الا الخطوات الاولى. واذ قارنا عملنا بعمر الانسان فاننا لا نزال فى طور الرضاعة. ان عشرات البنادق التى قدمتها لنا لعبت دورا كبيرا فى ظهور هذا (الرضيع) للنور. يمكن القول انك من (القابلات) اللواتى ساعدن فى ولادة جيشنا واجترحت مأثرة لا يمكن نسيانها."

"لا استحق هذا المديح. أتعرف اننى اعتبر نفسى عاجزا عن عمل أى شىء واننى غير صالح لشىء؟ أمازلت تثق بى كالسابق يا سونغ جو؟"

"وكيف لا اثق بك! ان ثقتى بك تزداد. ومشاعرى نحوك لن تتبدل حتى ولو بدل نهر سونغارى مجراه."

وفجأة، امسك يدى بقوة وتطلع الى بلهفة، وقال :

"ارجوك ان تقبلنى الآن فى وحدتك يا سونغ جو. انا ايضا اريد ان أحمل السلاح وأشارك بجدارة فى النضال ضد الامبريالية اليابانية. واذا رفضت رجائى فلن ادعك تخرج من فوسونغ."

فرحت كثيرا لهذا الطلب المفاجئ.

"أهذا صحيح يا وى هوا؟"

"طبعا صحيح. وهذا ما فكرت به منذ اليوم الاول لظهور وحدتك فى فوسونغ يا سونغ جو. وزوجتى تؤيدنى ايضا ..."

"وابوك؟ هل سيسمح بذلك؟"

"لا دخل لابى فى هذا الموضوع. ان سمح او لم يسمح فلن يهمنى ذلك. أنا افعل ما أريده. ألا تذكر ما قلته انت نفسك فى القطار : ما قيمة البيت اذا كانت البلاد معرضة للضياع؟ علينا القيام بالثورة دون أن نهتم بما سيقوله الآباء. ومع ان تشين هان جيانغ هو ابن اقطاعى، فانه يشارك فى الثورة. وأظن اننى استطيع تحقيق شيء كالعمل مع جنود جيش الانقاذ الوطنى مثلا."

"لقد أحسنت صنعا باتخاذ قرار العمل فى جيش حرب العصابات. ولكن لا تنس يا وى هوا ان الثورة لا تتم فى جبهة النضال المسلح وحدها. انى انصحك بالبقاء فى فوسونغ للقيام بالنشاط الثورى السرى."

"العمل الثورى السرى؟ هل ترفض اذن قبولى فى وحدة حرب العصابات؟"

"لا، ليس الامر كذلك. كل ما فى الامر انى اريدك ان تعمل فى جبهة اخرى. فالنشاط السرى لتربية الجماهير وتنظيمها وحشدها يشكل جبهة لا تقل اهمية عن النضال المسلح. واذا لم يستطع المقاتلون العاملون فى هذه الجبهة حشد الجماهير الشعبية كما يجب فلن تكون هناك قاعدة صلبة للنضال المسلح. ولذا قررنا تشكيل جبهة قوية وسرية للثورة فى منطقة فوسونغ. وارجوك ان تكون قائدا لهذه الجبهة."

طأطأ تشانغ وى هوا رأسه كمن خمدت قواه، وراح يمسح عدسات نظارته بتمهل.

"انت تريد أن ترسلنى اذن الى الجبهة الثانية التى لا يصلها رصاص العدو؟

أتظننى غير قادر على تحمل المشقات لأنى ابن أسرة غنية وعشت فى رخاء ونعيم؟"

"لست انكر اننى فكرت بهذا الامر. فبنيتك الجسدية لا تسمح لك بتحمل مشقات حياة حرب العصابات التى تتطلب اجتياز قمم وسلاسل جبلية شديدة الوعورة. انا لا ارتاب فى أفكارك، وانما يقلقنى استعدادك البدنى. ولهذا فاننى اقترح أن تبقى فى بيتك بدلا من المعاناة فى الجبال، وان تدير استوديو تصوير وتعمل معلما، وتساعدنا بنشاط فى عملنا. وما أجمل قناع ابن الغنى الكبير! ستوفر لك مكانتك الغطاء الآمن للقيام بالثورة."

وواصلت فى اليوم التالى ايضا اقناعه بصبر واناة.

واخيرا، تكلل جدالنا بموافقته على نصيحتى. وعندما غادرنا فوسونغ، سالت الدموع من عينيه وهو يودعنى قائلا :

"اذا كنت قد قررت الالتحاق بوحدة حرب العصابات، فليس ذلك لانى لا أريد العمل السرى، وانما لاننى ارغب بلهفة فى ان اكون معك يا سونغ جو. فالحياة بالنسبة لى بدونك اشبه بجوقة اوركسترا بدون كمان. انت لا تعرف مدى اشتياقى اليك. فلا تنسانى اينما كنت. ليس لى صديق اقرب واغلى منك. ارجوك ان تعتنى بصحتك دائما."

فى ذلك اليوم قبلت عضويته فى منظمة اتحاد الشباب الشيوعى السرية.

لقد مضت اربع سنين على ذلك. وهذه فترة غير قصيرة. ولكنه كان محط اهتمامى على الدوام، وكان شوقى للقاء به يملأ جوانحى.

انتظرت عودة كيم سان هو بجزع وبفارغ الصبر.

كان كيم سان هو قد وصل الى فوسونغ، وراح يجوب شوارع المدينة ويساوم على ثمن زيت الصويا، الى ان عرف ان تشانغ وى هوا يدير "استوديو سيونغدى للتصوير". وكان ذلك هو الاسم فقط، أما المحل فكان فى الواقع المقر الذى توجه منه المنظمات السرية فى منطقة فوسونغ. وكان تشانغ وى هوا المتمترس فى ذلك المقر، يكسب المال ويقيم فى الوقت نفسه الاتصالات باعضاء المنظمة. ودخل كيم سان هو المكان وسأله :

"هل يمكننى التحدث اليك يا سيد تشانغ؟"

فأدخله صاحب المحل الى حجرة التظهير المظلمة. وتابع كيم سان هو قائلا:

"اننى قادم فى مهمة امرنى بتنفيذها القائد كيم إيل سونغ. انه الآن فى مكان قريب من فوسونغ. ارسلنى لكى اتعرف على احوالك."

وقد عرفه تشانغ وى هوا فورا، ولم يخف فرحته.

"اوه، كيم سونغ جو! أتقول انه قريب من هنا؟ ألا يمكنك ان تقودنى اليه؟"

"ليس هذا مناسبا الآن، لان المكان بعيد. ما رأيك أن تؤجل ذلك الى ما بعد، ريثما نجد مكانا ملائما فى منتصف الطريق؟"

وجه تشانغ وى هوا اليه نظرة ارتياب. ولكنه ابتسم بسعادة حين قرأ رسالتى.

"حسنا! سأنتظر الاخبار. بلغ كيم سونغ جو تحياتى وشكرى على رسالته. وقل له انى فى صحة جيدة وقد نفذت وعدى باخلاص."

عاد كيم سان هو بحماسة متدفقة الى المعسكر السرى فى مآنشان. وكان تقريره الملىء بالاخبار هو أعظم هدية لى فى ربيع سنة ١٩٣٦. وكما لو ان شذا الربيع الجديد قد اسكرنى، لم استطع البقاء ساكنا، ورحت اتمشى حول المعسكر السرى الى ان شعرت بالألم فى قدمى. وبناء على اقتراحى، تم اختيار مكان اللقاء بتشانغ وى هوا فى مغارة طبيعية قريبة من مياولينغ فى محافظة فوسونغ.

وعندما عرف بعض رفاقى ان الرجل الذى سألتقى به هو ابن اقطاعى كبير يملك عشرات الهكتارات من الارض الزراعية، ومثلها من مزارع "الجنسنغ"، ولديه أيضا عدد كبير من الحراس الخاصين، اعترضوا على ذهابى الى مياولينغ مؤكدين ان هذا اللقاء خطر وغير آمن.

وقال أحدهم :

"ايها الرفيق القائد! لا اعرف اذا كنت اتدخل فى شأن ليس من اختصاصى، ولكننى اقترح عليك التفكير بترو بشأن اللقاء مع ابن الثرى تشانغ. فاذا كان زميلك فى المدرسة الابتدائية واشترك سنوات طويلة فى الحياة التنظيمية، فان ذلك لا يبدل من طبيعته الطبقية. انه فى كل الاحوال ابن شخص ينتمى الى الطبقة المستغلة، أليس كذلك؟"

فاعترضت على كلامه فورا :

"ايها الرفاق! انا شاكر لكم قلقكم على ضمان أمنى، ولكنى لا استطيع قبول نصيحتكم. انكم تتحدثون عن الطبيعة الطبقية، وتقلقون وكأن قائدكم سيقع فى مصيدة، ولكنى اريد ان اقول ان هذا الموقف لا يمكن اعتباره الا اهانة لرفيقى الحميم فى الثورة تشانغ وى هوا واهانة فى الوقت نفسه لسياستنا فى اقامة الجبهة المتحدة."

"ايها الرفيق القائد! عندما عملنا فى المنظمات المحلية، علمونا ان طبيعة الانسان الطبقية لا تتغير وانه علينا عدم التساهل مع الاغنياء. وبعد الالتحاق بالجيش الثورى ربانا قادة كثيرون على هذه الروح نفسها. وقد توصلنا الى القناعة بان المبدأ السائد فى العلاقة بين الرأسماليين والاقطاعيين من جهة والعمال والفلاحين من الجهة الاخرى، هو الصراع، وانه لا بد من دحر جميع افراد الطبقات الاستغلالية وتصفيتهم."

لم يكن من عارضوا ذهابى الى مياولينغ من اللينين الذين يتراجعون عن مواقفهم بعد تقديم شروحات قصيرة لهم. فراحوا يستخدمون عبارات ثورية متطرفة لا علاقة لها بمبدأ الثورة، ولكننى لم استطع أن اجبرهم على السكوت. لقد كان فى صفوفنا آنئذ عدد كبير ممن تقبلوا صيغ الكلاسيكيين بمجملها وراحوا يطبقونها بشكل آلى، بدلا من العمل بها بشكل مبدع وخلاق فى الممارسة الثورية. فكانت طروحات ماركس ولينين بالنسبة لهم قانونا مطلقا لا يمكن التراجع عنه قيد انملة. ومن اجل استئصال الجمود العقائدى من تفكيرهم، كان لا بد العمل باصرار لتثقيفهم بالمبادئ.

قلت لهم موضحا :

"ان النضال ضد الطبقات الاستغلالية شىء يستحق الثناء بالطبع، وأنا اعترف بان الاقطاعيين والرأسماليين طبقتان معاديتان لنا. ولكن عليكم الاخذ بعين الاعتبار انه لا يمكن المساواة بين الجميع لمجرد كونهم اقطاعيين ورأسماليين. فثمة اناس بينهم يحبون البلاد ويناضلون ضد اليابان. ولدينا هنا كيم سان هو الذى يعرف جيدا الواقع فى ووتشازى. ان الاقطاعى جياو جيا فينغ، قدم مساعدة مخلصة لنشاطاتنا الثورية. وتشانغ وان تشينغ، ابو تشانغ وى هوا، ساعدنا بحماسة اكبر من حماسة

جياو جيا فينغ. ففى خريف ١٩٣٠، عندما كنا نجرى الاستعدادات فى ووتشازى للنضال المسلح، قدم لنا تشانغ وى هوا مجانا عشرات البنادق التى كان يستخدمها حراسه الخصوصيون. واعتقد انكم تعرفون جميعا كم من التضحيات بذلنا للحصول على كل بندقية فى حوزتنا. فشهداء كثيرون سقطوا فى صفوفنا مضحين بحياتهم من اجل بندقية واحدة. ولكن تشانغ وى هوا قدم لنا دفعة واحدة اربعين بندقية، كان الحصول عليها سيكلفنا التضحية بأرواح غالية. فهل هناك سبب لعدم الثقة بتشانغ وى هوا؟"

وتابعت قائلا : لا اريد ان اتحدث كثيرا عن المعاملة الودية التى احاطتنا بها اسرة تشانغ وعن المساعدة الكبيرة التى قدمتها لاسرتنا. ولكنى اريد ان اتطرق الى توضيح الخسارة الكبيرة التى تلحق بثورتنا من جراء التفسير الاحادى الجانب للطبقية والنضال الطبقى. فحسب وجهة نظركم، يجب القضاء على اقطاعيين من امثال تشانغ وان تشينغ، رغم ما قدموه من مساعدة للثورة، لمجرد انهم ينتمون الى طبقة استغلالية. أما عملاء العدو المتحدرون من عمال وفلاحين، فعلينا اجتذابهم الى صفوفنا، مهما سببوا من اضرار لقضية الثورة، لمجرد انهم ينتمون الى الطبقة الاساسية. فأى مفهوم بائس هذا!

على الشيوعيين، عند تقييم الانسان، ان ينطلقوا دائما من موقف عادل. وهذا يعنى ان الانسان الطيب يجب تقويمه كانسان طيب دون التوقف عند انتماءاته أو معتقداته الدينية أو منشأه الطبقى، ويجب تقديره حسب مآثره. وعلى الشيوعيين ان يلتزموا دائما بالموقف العلمى فى تقييمهم للانسان. وهذا يعنى عدم تقييمه حسب نموذج معد سلفا، وانما من موقف موضوعى عادل، آخذين بعين الاعتبار أولا افكاره وممارسته العملية. فاذا جعلنا من المنشأ الطبقى شيئا مطلقا عند تقييم الانسان، فلن نتمكن من الحفاظ على الموقف العلمى، ولن يكون تقويمنا صائبا.

اذا رحنا نقيم الناس بطريقة يسارية، وبالتأكيد على الطبيعة الطبقية والنضال الطبقى وحدهما، فماذا ستكون النتائج؟ لا شك ان هذا التصرف سيجعل اناسا كثيرين يرتمون الى معسكر العدو. وما يريده العدو بالضبط هو ان نصاب بهذا النوع من

العمى، وان نرتاب فى الناس دون تمييز ونقضى عليهم كما يحلو لنا.

ايها الرفاق! لقد عانينا كثيرا فى تشينتاو عندما اصبحنا هدفا للصراع ضد "مينساينغدان". أو لم تبكوا انتم انفسهم بحرقة وتلطموا صدوركم عندما ارتاب بكم اناس كنتم تعيشون معهم وتأكلون واياهم من القدر نفسها وتشاطرونهم الحياة والموت؟ فكيف يتجرأ اذن من خبروا هذه الحياة المحزنة، وتلك الدموع المريرة، على رفع سلاح عدم الثقة اللعين ضد انسان صادق ليس فيه ما يدعو الى الريبة؟

هكذا تحدثت الى الرفاق الذين عارضوا ذهابى الى مياولينغ، ثم غادرت مع بعض الحراس معسكر مآنشان السرى.

ان اعتراض البعض على اجتماعى بتشانغ وى هوا بحجة عدم تغير طبيعة الاغنياء الطبقية، لم يكن الا افراطا لا مبرر له فى القلق. وكل كلمة ألقوها دون تبصر، بدت لى اساءة الى العلاقات الاخوية بينى وبين تشانغ وى هوا، وبين اسرته واسرتى. وكان ذلك اشبه بمسعى لتلطيخ صداقتنا بالسواد، وهى الصداقة الثابتة النبيلة وعميقة الجذور مثل تيار نهر سونغارى، رغم ان اكثر من عشر سنوات كانت قد مضت على تلك الصداقة. لقد كانت علاقة مودة عميقة وصادقة بحيث لا يمكن النيل منها بأى ذرائع أو سفسطات، وكانت تتفق تماما مع المصالح العامة للثورة والانسانية الشيوعية والاخلاق.

اذا اعتبرنا كل اغنياء العالم رجعيين وكان منطلقنا فى ذلك هو ان كل مالك مستغل، فما حاجتنا نحن الشيوعيين الى سلوك طريق التغيير الاجتماعى الشاق لجعل الجميع اغنياء؟

لم أقوم الناس منذ طفولتى على اساس ثرواتهم وممتلكاتهم. وقد كان معيارى لتقويم الناس هو مدى حبهم للانسان والشعب والوطن. وحتى اذا كانوا أغنياء، ولكنهم يحبون الوطن والشعب، كنت اعتبرهم صالحين. أما من لا يحبون الوطن والشعب، فقد كنت اعتبرهم اشرارا، حتى ولو كانوا بروليتاريين.

وبكلمة واحدة، كنت اقوم الناس حسب افكارهم أولا.

سبق ان قلت وانا اتذكر طفولتى ان اول رفاق طفولتى كانغ يون بوم كان ابن

اسرة ميسورة، لديها بستان اشجار مثمرة متواضع. وكان مستوى حياتها أعلى بما لا يقارن من مستوى معيشة اسرتنا فى مانكيونغداى. ولكنى كنت احب كانغ يون بوم كثيرا واثق به لانه كان يحب الوطن والشعب بحرارة لا تضاهى.

وكما قلت سابقا فى المجلد الاول من مذكراتى، كانت بايك سون هاينغ تملك ثروة ضخمة. ولكنها كانت حتى آخر لحظة من حياتها تتمتع باحترام سكان بيونغ يانغ. ويقال انها اصبحت ثرية كبيرة بفضل روح العمل والتوفير الذى يفوق طاقة البشر، وكانت تأكل وتلبس بتقشف بالغ.

صحيح انه يوجد فى العالم جشعون يملكون اراضى زراعية شاسعة وثروات هائلة، ويستخدمون اساليب لا انسانية لاستغلال الآخرين واعتصار عرقهم ودمهم، كما ان هناك اثرياء قساة يقترفون كل انواع الشرور الاجتماعية، ويتصرفون بوحشية، وينتهكون الاخلاق الانسانية. ولكن ليس جميع الاغنياء متماثلين.

لم تترك بايك سون هاينغ عملا الا مارسته. باعت فول الصويا بعد انتاشه وجبنة الصويا والزهور، وغزلت القطن والقنب ونسجتهما، وعملت فى تربية الخنازير، بل وعملت كذلك فى جمع فضلات الطعام وبيعها. كانت تجمع النقود بكل الوسائل الممكنة، دون ان يتاح لها الوقت حتى لتجميل وجهها. ولم تسترح يوما واحدا طوال عشرات السنين بعد أن ترملت وهى فى سن السادسة عشرة، ولم تتوقف يوما عن اراقة عرقها ودمها الى ان جمعت عشرات ألوف الوونات التى تبرعت بها كلها لخير المجتمع.

وكانت اول مساهمة لها فى خدمة المجتمع الجسر الحجرى فى قرية سونغسان الذى سمى "جسر سولماى". ومن شدة التأثر بفضائل الارملة بايك، اطلق اهالى بيونغ يانغ عليها اسم سون هاينغ (اى المحسنة) ثم اطلقوا اسمها "بايك سون" على الجسر فيما بعد.

فى ذلك الحين كان فى الحى الجديد من بيونغ يانغ ناد عمومى تملكه الحكومة. وحين علمت بايك سون هاينغ ان الدخول اليه محظور لغير اليابانيين، غضبت وقررت بناء ناد آخر للكوريين. فتطوعت لتحمل مسؤولية البناء وتبرعت دون تردد

بعشرات آلاف الوونات. وما زال ينتصب قبالة جوسق ريونكوانغ المبنى الحجرى المؤلف من ثلاثة طوابق، الذى شيد فى ذلك الحين ليكون نادى بيونغ يانغ العمومى.

وخصصت بايك سون هاينغ مبالغ ضخمة ايضا لتطوير التعليم الوطنى. فمدرسة كوانغسونغ الابتدائية ومدرسة تشانغدوك ومدرسة سونغوى للاناث فى بيونغ يانغ وغيرها من المدارس، كانت تغطى نفقاتها من ريع عشرات هكتارات الاراضى الزراعية التى تبرعت بها تلك المحسنة. وقد استفدت أنا نفسى أيضا بطريقة ما من سخائها عندما تعلمت فى مدرسة تشانغدوك التى امتدت اليها يد فضلها.

وكلما كانت تلتقى بتلاميذ المدارس التى ترعاها، كانت تنصحهم قائلة :

"انتم الابناء والبنات الذين عليكم ان تحملوا مستقبل كوريا على اكتافكم. عليكم ان تدرسوا باجتهاد دون نوم حتى ولو غلبكم النعاس، ودون لهو حتى ولو شعرتم بالرغبة فى اللهو، وعليكم ألا تتركوا الكتب بذريعة ان الدراسة لا تعجبكم. لانكم عندما تتعلمون بجد فقط، سيكون بالامكان تحقيق استقلال البلاد."

وعندما جاء موظف كبير ارسله مكتب الحاكم العام من سيؤول لمكافأتها، رفضت اللقاء به.

هذا المعيار فى اعطاء الاسبقية لافكار الانسان وممارسته العملية الذى دافعت عنه وآمنت به منذ طفولتى، كان له فيما بعد تأثير كبير على الحركة الشيوعية ونضال التحرر الوطنى فى بلادنا. ولو لم نعبئ الأمة كلها بهذا المعيار، لما التفت الجماهير الغفيرة حول جمعية استعادة الوطن، ولما جرى اليوم، حيث توحيد الوطن هو المهمة الاسمى، حشد جماهير الشعب فى جنوبى كوريا وفى بلاد الاغتراب ليهتفوا معا بصوت مدو "رغبتنا هى التوحيد"، متحدين كتفا الى كتف تحت راية الوحدة الوطنية الكبرى.

لو اننا لم ننظر الى توجه الناس الفكرى وارادتهم الحقيقية، واستندنا فقط الى منشأهم واصلهم وسرنا ضد الاغنياء عموما لما استطاع مثقفون متحدرون من اسر غنية، امثال زونغ زون تايك، كانغ يونغ تشانغ، رو تاى سوك، لى زى تشان، كيم وونغ سانغ وغيرهم، ان يظهروا بعد تحرير البلاد فى المجال السياسى، ولما

استطاعوا ابداء هذا التفانى واجتراح المآثر المدهشة فى تطوير علوم البلاد وتقنيتها.

وقد تعاملت مع الملاكين والاثرياء الصينيين بهذه النظرة وهذا الموقف. والا لما كان من اصدقائى تشين هان جيانغ ابن الملاك العقارى الكبير، ولما قبلت فى منظمتنا الثورية تشانغ وى هوا ابن الثرى الكبير، ولما اقسمت على الصداقة الابدية معه. وكما اظهرت حياتاهما، فقد كان بين مشاهير الشخصيات التى شقت الطريق للحركة الشيوعية فى الصين كثيرون من المتحدرين من الطبقات الغنية ومن ابنائهم. وشو ان لاى الذى وقف حياته كلها لقضية سعادة الامة الصينية وقضية الشيوعية والاممية البروليتارية، كان ابن موظف غنى فى آخر عهد سلالة تشنغ.

واذا كان تشانغ وى هوا، بغض النظر عن منشأه، قد كرس نفسه للحركة الشيوعية وسار يدا بيد مع الشيوعيين الذين يعتبرون طبقة الملاك معادية، فان السبب فى رأيى هو تأثيرنا الكبير فيه. فقد رباه ابوه تشانغ وان تشينغ بروح الوطنية، ولكن التأثير الذى مارسته عليه مع رفاقى اوصله الى الشيوعية. فحتى انتقالى الى مدرسة نيوكو الابتدائية الاولى فى فوسونغ، وتسجيلى فى الصف الخامس فيها، كان تشانغ وى هوا مجرد صبى وطنى متواضع مثلما كنت أنا نفسى من قبل.

وقد بدأ يتعاطف مع الافكار الشيوعية عندما نظمت الاتحاد لاسقاط الامبريالية واتحاد الشباب الشيوعى واخذت فروعهما تمتد فى كل الاتجاهات. فى ذلك الحين، انشأت فى فوسونغ حلقة شيوعية سرية كنت محورها مع امى وباك تشا سوك وكان بامكان تلك الحلقة ان تحل محل المنظمات الحزبية، وقد ارتبط بها تشانغ وى هوا مع زونغ هاك هاى وتشاى زو سون. ومنذ ذلك الحين بدأ تشانغ وى هوا يتشرب الافكار الشيوعية. منذ الايام الأولى لانتقالى الى مدرسة نيوكو الابتدائية الأولى فى فوسونغ بتدخل من جانب رئيس الجمعية شى، بدأت الدراسة مع تشانغ وى هوا. وتعنى كلمة "نيوكو" فى هذا المقام الاعلى مرتبة. وقد كانت دراستى انا كيم سونغ جو الولد الفقير والمسلوب الوطن، فى مكان واحد مع تشانغ وى هوا ابن الغنى الكبير نوعا من تقلبات التاريخ. ومن تلك الرابطة الفريدة بدأت وتطورت علاقتنا الاخوية، والتى يمكن اعتبارها غريبة حقا. لكن علاقتنا تلك لم تنبثق من هذه المعايشة، وانما من الاخوة التى

كانت قائمة بين ابى كيم هيونغ جيك، وتشانغ وان تشينغ والد تشانغ وى هوا.

فبعد ان نجا ابى، بمساعدة كونغ يونغ وباك زين يونغ وافلت من عصابة قطاع الطرق فى مانجيانغ، بقى لبعض الوقت فى بلدة داينغ التى كان يسكنها كثير من الكوريين. وطلب من العمدة تشاى، احد رجالات حركة الاستقلال الذى كانت تربطه به علاقات ودية من قبل، ان يساعده فى الحصول من سلطات المحافظة على اذن بالاقامة فى فوسونغ. فذهب تشاى لزيارة حاكم المحافظة الذى كان يتضايق بعض الشىء من اقامة الثوريين الكوريين فى المنطقة التى يشرف عليها، فرفض طلبه متذرعا بان أبى شخص منفى.

فى ذلك الوقت بالذات، وصل الى مسامع ابى ان تشانغ وان تشينغ الغنى الكبير فى فوسونغ مريض ويبحث عن طبيب ماهر. وبطلب من العمدة تشاى زاره ابى وعالجه. ويقال ان تشانغ وان تشينغ أعجب فى اثناء ذلك بخط ابى، وكان هو نفسه يكتب بخط جميل أيضا. وهكذا أصبحا صديقين. وقد طلب منه أبى ان يستخدم نفوذه لدى حاكم المحافظة للموافقة على منحه اذنا بالاقامة فى فوسونغ. كما ألح عليه العمدة تشاى من جهته أيضا، واجرى فى الوقت نفسه مفاوضات مع رئيس الجمعية شى، أشهر وجهاء فوسونغ ومثقفيها. وكان رئيس الجمعية شى هو السيد شى تشون تاى الذى كان مديرا لمدرسة فوسونغ الثانوية، وكان فى الوقت نفسه رئيسا لجمعية التعليم، ولهذا كان اهالى فوسونغ يسمونه رئيس الجمعية شى، بدلا من اسمه. وقد وعد بتقديم مساعدته.

وفيما بعد، زار تشانغ وان تشينغ حاكم المحافظة وراح يقنعه قائلا : أعرف منفيا كوريا، وأرجو ان تسمح له بفتح مستوصف فى المدينة. اننى افهم سبب ترددك، فانت قلق لأن سماحك له بالاقامة قد يوقعك ضحية احدى دسائس اليابانيين. ولكن، أليس من الطبيعى ان يناضل الكوريون ضد اليابانيين الذين استولوا على بلادهم؟ وانت على ما اعرف لا تحب اليابانيين، وسيكون من المستحسن السماح له بالاقامة. وما الذى يخيفك اذا لم يكن ثمة وجود لقنصلية يابانية هنا؟ ويمكن حل كل شىء على ما يرام بتضليل رجال الشرطة والعملاء الذين ترسلهم القنصلية من رينتشيانغ.

اسمح لكيم هيونغ جيك بالاقامة فى فوسونغ. وقد تأثر الحاكم بكلامه ووافق اخيرا على طلبه.

وعندما اعاد ابى فتح مدرسة بايكسان المغلقة وسعى للحصول على الموافقة، قام تشانغ وان تشينغ الذى كان نائبا لرئيس جمعية التجارة فى المحافظة وعضوا فى جمعية التعليم، ومعه وجهاء آخرون، باقناع سلطات المحافظة والحصول على الموافقة. وكلما كانت اسرتنا تعانى من صعوبات معيشية خانقة، كان يمد لنا يد المساعدة النزيهة، سواء ببذل الجهد أو المال، حسب الضرورة. وقد استمرت مساعدة اسرة تشانغ لنا بعد وفاة والدى، فكان تشانغ وان تشينغ يرسل الينا النقود والمؤن قائلا ان أمى تعانى كثيرا وهى تعنى بأولادها وحدها.

وفى احدى المرات، اثناء دراستى فى جيلين، اعتقل العسكريون عمى هيونغ كوون وزجوا به فى السجن. وكما يقول مثلنا الشعبى : المصائب تأتى دفعة واحدة. فقد جرى اعتقاله بعد وقت قصير من وفاة أبى، مما اوقع أمى فى اليأس. ففكرت طويلا، ثم ذهبت اخيرا الى والد تشانغ وى هوا لتطلب منه التوسط لدى الشرطة. وبفضل جهوده، تم اطلاق سراح عمى فورا.

كان تشانغ وان تشينغ قوميا حى الضمير يدعو الى السيادة الوطنية ويكن حبا ملتهبا لوطنه. وبالرغم من انه كان ثريا جدا، يمكنه العيش فى رخاء مهما تقلبت الدنيا، الا انه تعاطف مع ابى الذى كان يناضل من اجل استعادة البلاد معانيا الآلام والحرمان؛ وبعد وفاة ابى، ابدى عطفا عميقا على، وساعدنى ودافع عنى كأحد أفراد حركة الاستقلال.

لقد كان يعتبرنى مجرد داعية لحركة الاستقلال، لكن ابنه تشانغ وى هوا كان يعرف تماما اننى شيوعى.

لقد كان يوجد فى فوسونغ، فضلا عن عملاء الطغمة العسكرية وجواسيس القنصلية اليابانية، الكثير من الشخصيات الوطنية ذات الضمير الحى من امثال تشانغ وان تشينغ وشى تشون تاى ويوان مينغ جو وتشوان يا جونغ. وكان يوان مينغ جو خال تشانغ وى هوا. وعندما كنت تلميذا فى مدرسة نيوكو الابتدائية الاولى كان

هو قد تخرج من دار المعلمين فى شنيانغ واصبح معلما عندنا. ثم اصبح فيما بعد مديرا للمدرسة. وكانت دروس الرياضة والعزف على الارغن التى كان يقدمها اكثر الدروس جاذبية للتلاميذ. وكان تشوان يا جونغ المنتمى الى الجناح اليسارى فى حزب الكومنتانغ رجلا ذا ميول فكرية ايجابية ايضا، رغم انه كان يملك مستشفى وورشة لتصليح الساعات فى الوقت نفسه. كما كان اخوه الاكبر تشوان يا تشى شخصا رائعا أيضا.

ما كان لعلاقات الاخوة بين ابى وتشانغ وان تشينغ الا ان تؤثر تأثيرا كبيرا على الصداقة بينى وبين تشانغ وى هوا. فعندما كان ابى يزور بيت تشانغ وان تشينغ المريض لمعالجته، ويأتى هو بدوره لزيارتنا، كنت أنا أيضا اذهب الى بيت تشانغ وى هوا ويأتى هو الى بيتنا لندرس معا.

وكلما كان تشانغ وى هوا يأتى الينا، كانت امى تقدم له الاطعمة الكورية التى يحبها جدا. وكانوا يقدمون لى عندما ازورهم الشوشبرك الصينى الذى احبه كثيرا. وكان اهالى منطقة شانتونغ التى ينتمى اليها تشانغ وان تشينغ ماهرين جدا فى اعداد الشوشبرك.

فى اواسط العشرينات كانت مدينة فوسونغ مؤلفة من شارعين متوازيين يتقاطعان مع شارعين آخرين بشكل يشبه كلمة "بئر" الصينية. والى الشرق والشمال من المدينة، كانت توجد بوابتان تدعيان على التوالى البوابة الشرقية والبوابة الشمالية، وفى الجهة الغربية كانت هناك بوابتان، وفى الجهة الجنوبية كانت ثمة بوابتان احداهما كبيرة والاخرى صغيرة يطلق عليهما داينانمين وسياونانمين، وعلى مسافة قريبة الى الشمال من داينانمين، كان يوجد دكان تشانغ وان تشينغ، والى الامام قليلا، عند المنعطف كان بيته. وقد كنت أطوف مع تشانغ وى هوا جميع شوارع المدينة ونمر من كل البوابات. ليس هناك مكان لم نذهب اليه، ولا لعبة لم نلهو بها. وكثيرا ما كنا نلعب التنس فى باحة المدرسة، ونسبح فى نهر سونغارى. كما كنا نشارك معا فى المنافسات الادبية والفنية.

كان تشانغ وى هوا ذا طبع انطوائى، ولكنه قوى الشكيمة وملتهب الحماسة. كان

يتقدم الجميع دائما فى الدفاع عن العدالة، ولم يكن يتساهل مطلقا مع الظلم، ايا كان مقترفه. وكان عنيدا جدا، حتى انه اكد مرة على انه قادر على الوقوف على حد سكين.

وفى احدى المرات، ضرب شرطى أحد معلمى مدرستنا وطرحه أرضا امام انظار تلاميذه، متذرعا بسبب تافه. وأمام هذا العمل المفاجئ، امتلأ التلاميذ الذين يقدسون معلميهم، بالسخط وجحظت عيونهم. ونظمنا انا وتشانغ وى هوا اجتماعا والقينا خطبا تندد بفعلة الشرطى وتستنهض التلاميذ. قلنا فيها : ان ضرب الشرطى للمعلم هو اعتداء على حرمة المدرسة وامتهان فظ لمعلميها وموظفيها وتلاميذها. وهل فى الدنيا عمل اقبح من اقدام شرطى تافه من مخفر صغير فى المحافظة على ضرب معلم؟ علينا نحن التلاميذ أن نجبر سلطات الشرطة على الاعتذار، وان نجبر ذلك الشرطى الفظ على المجىء الى المدرسة، وان يرفع قبعته ويعتذر للمعلم.

وتحت لافتتى : "العقاب الصارم للشرطى الفظ الذى ضرب المعلم!" و"فلندافع عن حقوق المعلم الشرعية ومصالحه!" انطلقنا نحو مبنى بلدية المحافظة مطالبين بمعاقبة الشرطى. ولكن سلطات المحافظة تجاهلت مطالب التلاميذ العادلة وحاولت دفن القضية بالخداع، وثنينا عن مطالبنا بأى طريقة. وقد منى نضالنا بالاخفاق.

فقررنا ان ننزل بأنفسنا عقابا صارما بذلك الشرطى الفظ.

وفى احد الايام، جاءتنى معلومات بانه سيذهب الى المسرح، وهى فرصة مناسبة لمباغتته وتأديبه. ولكن كان ثمة مشكلة : فلكى نهرب من المسرح بسرعة، وقبل أن يستطيع الشرطى عمل شىء، كان لا بد لنا من اطفاء مصباح الغاز المعلق فوق خشبة المسرح. فمن سيطفئ هذا المصباح؟ ناقشنا الأمر مطولا، وتطوع تشانغ وى هوا للقيام بالمهمة. كنا نحو عشرة تلاميذ حين ذهبنا الى المسرح ونفذنا الخطة المقررة. ففى وقت الاستراحة، صعد تشانغ وى هوا الى خشبة المسرح وكسر المصباح بعصا. فصرخت انا عندئذ : "اضربوه!" وهجم التلاميذ على الشرطى وانهالوا عليه ضربا الى ان ركع على ركبتيه واعتذر، وبعد ذلك اختفى التلاميذ جميعهم وكأن الريح قد حملتهم.

وفى طريق عودتنا الى البيت، قال لى تشانغ وى هوا :

"كلما امعنت التفكير بالأمر، كلما ازداد شعورى بالرضى والارتياح. لقد تذوقت هذه الليلة لأول مرة متعة مواجهة الظلم بالقوة."

" يجب علينا ألا نتسامح مع أمثال هؤلاء الاشرار. لا يمكننا التعايش معهم تحت سماء واحدة."

وما ان سمعنى اقول ذلك حتى توقف عن المشى فجأة، وسألنى بنبرة مختلفة :

" فى أى مدرسة ستواصل الدراسة بعد الانتهاء من المدرسة الابتدائية يا سونغ جو؟"

كان سؤالا مفاجئا تماما، لاننى لم أكن قد فكرت بما سأفعله بعد انتهاء الدراسة الابتدائية. ولهذا اجبت دون اهتمام :

"لست ادرى. اذا سارت الأمور على ما يرام، فقد اسجل فى المدرسة الثانوية. ولكن ظروفنا لا تسمح الآن بذلك. وانت يا وى هوا اين ستكمل دراستك؟"

"اود ان اذهب الى شنيانغ لانتسب الى دار المعلمين التى تعلم فيها خالى. وابى ايضا يريد هذا. اذا كنت لا تمانع فانى سآخذك معى الى شنيانغ، لندرس هناك معا. وبعد التخرج نلتحق باحدى الجامعات ..."

فأجبته :

"لشد ما يسرنى سماعك يا يا تشينغ وشكرا على هذه الكلمات الطيبة. ولكن، هل يمكن تحقيق هذه الامنية؟"

"ولم لا؟ هل تعنى تكاليف التعليم؟ لا تقلق بهذا الشأن، واعتمد على."

"لن يسمح ابى وامى بذلك. وانا ايضا لا افكر بالتفرغ للدراسة وحدها. أى جحيم هى الجامعة بالنسبة للعبيد مسلوبى الوطن؟"

"أنت تريد اذن ان تسير على خطى ابيك وتشارك فى حركة الاستقلال؟ اذا سرت على طريق الثورة فساكون انا ايضا معك."

"وشنيانغ؟ ألم تقل انك ستلتحق بدار المعلمين؟"

"ساذهب الى هناك بشرط ان تذهب انت معى. لن اذهب الى شنيانغ بدونك.

اريد ان اكون معك دائما. واذا تابعت الدراسة فساتابعها انا ايضا معك. واذا انتسبت للحزب الشيوعى فانا ايضا..."

هذه هى بالتحديد النقطة التى كان يود الحديث عنها فى تلك الليلة. وقد تأثرت لكلماته بشدة. فضغطت على يده بقوة وهمست :

"شكرا يا يا تشينغ ولكن، هل تعرف ما هو الحزب الشيوعى؟"

"وكيف لا أعرف؟ اظن انه عمل كالذى يمارسه لى دا تشاو وتشين دو سيو."

"على الشيوعى ان يكون مستعدا للسجن أو الموت. فهل انت مستعد لذلك؟"

"انا لا اخاف هذه الامور. فليسجنونى وليقتلونى، المهم ان اكون معك."

اذهلنى تصريحه المفاجئ. ولم أدرك بوضوح السبب الذى دفعه الى هذا التصريح. كان واضحا انه اعترف لى فى تلك الليلة بالمثل العليا والقناعات التى كانت تنضج فى ذهنه منذ زمن طويل. لقد كان يسعى الى تبنى مثلى العليا وقناعاتى. فهو لم يختر أولا معتقداته لكى يبحث فيما بعد عن اصدقاء يشاطرونه تلك المعتقدات، بل فعل العكس تماما. وكانت طريقته فى حسم مستقبله تبدو بسيطة فى الظاهر، ولكنها كانت عظيمة المغزى. وكانت مواقف تشانغ وى هوا هذه تستند الى ثقته المطلقة وصداقته تجاهى. فقد كان متعاطفا معى وتبعنى باخلاص.

وليس من قبيل الصدفة انه ألح باكيا على الذهاب معى عندما ذهبت الى مدرسة هواسونغ. وقد سبب لى الوداع حزنا شديدا أيضا. وحين رأيته مكدرا جدا بسبب الفراق، وجدت نفسى مضطرا الى اقناعه، وقد تطلب ذلك قضاء ليلتين معه، احداهما فى بيتنا والاخرى فى بيته. وفى يوم ذهابى الى هواتين، اصر ايضا على مرافقتى حتى مرسى المراكب على نهر سونغارى لكى يودعنى، وقد سألنى والدموع فى عينيه :

"سونغ جو! هل الفروق بين الطبقات اعلى من قمة ايفرست؟"

"ما شأن الطبقات هنا؟ اذا كان ابوك لا يوافق على رغبتك، فلانه لا يريد لك ان تتغرب فقط."

"اذا كان ابى يعارض بسبب الفروق الطبقية فانا مستعد، من اجل الصداقة

معك، لأن اتحول بكل سرور الى فقير. وعلى كل حال، لا تنس يا سونغ جو اننى سآتى اليك يوما اينما كنت ومهما كنت تعمل."

وقد وفى تشانغ وى هوا بوعده فيما بعد. فعندما كانت ادرس فى مدرسة يووين الثانوية فى جيلين، أخذ مسدس ابيه خفية وخرج من البيت دون ان يقول لاحد الى اين هو ذاهب وجاء لرؤيتى.

وقد جعلنى ظهوره المفاجئ فى ساعة متأخرة من الليل أقف مبهوتا وفاغر الفم. قال لى :

"ها أنذا قد جئت اليك اخيرا يا سونغ جو، متخطيا حاجز الاسرة. انظر! هذا يعبر عما عزمت عليه!"

أخرج تشانغ وى هوا المسدس ورفع رأسه الى أعلى متهللا، وراح يحدق فى نقطة فى السقف.

"لا بد أن شجاعة كبيرة قد واتت اباك حتى سمح لك بالمجيء، أليس كذلك؟"

"ماذا تقول! لقد فرض على الذهاب الى شنيانغ، ولكننى رفضت الذهاب وهربت من البيت."

"ألن يقلق والداك عليك؟"

"أجل. لا بد ان هرجا ومرجا كبيرين يعمان البيت الآن. ولكن لا بأس، لا يهمنى هذا. اذا لم يجدونى فسيأتى احد من البيت الى جيلين. واظن انهم سيخمنون باننى معك هنا."

تحقق حدس تشانغ وى هوا. فبعد عدة ايام من مجيئه الى جيلين، جاء اخوه الاكبر تشانغ وى جونغ مع حراسه الخاصين الى مدرسة يووين الثانوية وسأل عن اخيه. ولما عرف انه عندى، تنفس الصعداء وتهاوى على الارض وقال :

"الآن أشعر بالطمأنينة. كنا نظن أن قطاع الطرق قد اختطفوه."

قلت له :

"ايها الأخ العزيز وى جونغ، اطمئن تماما على يا تشينغ. سنعنى به جيدا."

"سأذهب مطمئنا يا سونغ جو. اننى اعهد اليك باخى وى هوا."

لم يأخذ المسدس من وى هوا، وعاد الى فوسونغ مع حراسه.

فيما بعد بعثت تشانغ وى هوا الى منطقتى ووتشازى وغويوشو، حيث عمل معلما لمدة سنة تقريبا، ولكنه عاد الى بيته فيما بعد مقتنعا بنصيحتى بان يكمل تحصيله العلمى فى معهد عال حسب رغبة والديه، ثم ينضم بعد ذلك الى صفوفنا ويواصل النشاطات الثورية.

وكما هو واضح، كانت الصداقة بينى وبين تشانغ وى هوا تزداد عمقا مع تعاقب الايام والشهور وتوالى قطبى اللقاء والفراق.

يقال ان تلك المغارة التى التقيت فيها معه لا تزال على ما كانت عليه حتى الآن فى فوسونغ. وطول هذه المغارة التى لها شكل اول حرف من الحروف الكورية خمسة عشر مترا تقريبا. وكانت غارقة فى احضان الطبيعة بحيث يصعب العثور على مكان اكثر مثالية منها لاجتماع سرى.

ما ان رآنى تشانغ وى هوا حتى أجهش بالبكاء ولم يعد يعرف ماذا يفعل من شدة السرور. وقد سالت الدموع من عينى أنا أيضا حين طوقت كتفيه اللتين تفوح منهما رائحة مواد التصوير الكيميائية.

"سونغ جو! اين كنت ولماذا جئت الآن؟ لماذا لم تأت طول هذه المدة الى فوسونغ؟ أتعرف بأى لهفة انتظرتك؟"

كانت تلك هى تحية تشانغ وى هوا الاولى، فقلت له :

"وهل تظن انى لم اكن راغبا فى رؤيتك؟ لقد كنت اتحرق شوقا للمجىء الى فوسونغ واللقاء بك."

"لماذا لم تكتب لى اذن؟ أنت تعرف عنوانى، أما أنا فلا أعرف عنوانك."

"اعذرنى يا وى هوا. لا وجود للبريد فى منطقة حرب العصابات فى تشينتاو التى كنا نعيش فيها."

"ماذا؟ ليس فيها بريد؟ وهل هناك فى الدنيا اماكن كهذه؟"

حدثته بالتفصيل عن كل العذابات والآلام التى لاقيناها فى السنوات الاربع الاخيرة، وكان فى اثناء ذلك يمسح بظاهر كفه الدموع التى تسيل على وجهه.

"لماذا كل هذا البكاء يا وى هوا؟ هل ألمت بك مصيبة؟"
توقفت عن الكلام وأمعنت النظر فى وجهه.
فمسح دموعه وابتسم بصعوبة وهو يجيب :
"لقد كان طريقك مأساويا جدا يا سونغ جو. وعندما افكر باننى لم اكن الى جانبك وانت تعانى كل تلك الآلام، أشعر بقلبى يتفتت."
"لا يا وى هوا، لقد كنت دائما معى، وكنت تبعث فى الالهام."
"شكرا يا سونغ جو. اننى سعيد لانك لم تنسنى. ان الناس يسمونك الآن القائد او الجنرال، وانا ايضا ساسميك كذلك منذ الآن."
وحين رأيت ان تشانغ وى هوا قد حول الحديث فجأة الى موضوع القائد، لوحت يدى بحركة سريعة وقلت :
"وى هوا! ارجوك من كل قلبى ان تواصل مناداتى باسم سونغ جو، حتى ولو كان الآخرون ينادوننى بلقب القائد. وأنا أيضا لن أدعوك بالسيد وانما وى هوا فقط. سونغ جو، وى هوا!... ما أجمل وقع هذا فى الاذن! قل لى الآن كيف هى احوالك؟"
فهز رأسه ببطء مثل رجل مسن، وابتسم بكآبة وقال :
"بعد سماع قصة ماضيك، لم أعد أشعر برغبة فى الحديث عن حياتى. وهل يمكننى أن أفعل شيئا فى فوسونغ التى هى اشبه بقن الدجاج؟ كل ما افعله هو توجيه منظمة اتحاد الشباب الشيوعى، مستندا الى (مكتبة سيونغدى) و(استوديو سيونغدى للتصوير) اللذين اقمتهما بالتعاون مع كانغ بيونغ سون، زميلك فى الدراسة أيام مدرسة هواسونغ."
ثم حدثنى بايجاز عن نشاط منظمته والحركات المعادية لليابان فى منطقة فوسونغ. فمدحت نجاحاته، واوكلت اليه مهمة جديدة هى انشاء منظمة للحزب فى منطقة فوسونغ يكون جنينها المنظمة الشبابية.
شعر تشانغ وى هوا بالحيرة والتردد أمام هذه المهمة الجديدة، وقال :
"هل تعتقد يا سونغ جو اننى قادر على القيام بمثل هذا العمل الكبير؟ أنت تعرف ان خبرتى فى العمل السرى لا تزال ضئيلة."

"لقد قدت منظمة اتحاد الشباب الشيوعى طوال اربع سنين، وهذا يعنى انك امتلكت خبرة كبيرة. سابعث لك فى فترات متقاربة المفوض السياسى كيم سان هو. اطلب مساعدته كلما واجهتك مصاعب."

استمر حديثنا اكثر من ثلاث ساعات.

وعندما تحول الحديث ثانية من شؤون العمل الى امور الحياة الشخصية، امسك تشانغ وى هوا بذراعى فجأة وراح يسألنى عن اسرتنا. ولم أجد مفرا من اطلاعه على خبر مغادرة أمى لهذه الدنيا ومصرع تشول جو فى القتال، وان يونغ جو موجود فى رابطة الاطفال ويقيم فى بيت غريب معانيا مرارة اليتم. ولم اكن فى الواقع راغبا فى التحدث حول هذه الأمور. فقد كنت اعرف جيدا طبعه واخشى أن تسبب له هذه الأخبار القلق والكآبة، لأن ذلك، كما فكرت، سيدمى فؤادى. ولم اكن اريد للقائنا الذى تحقق بعد أربع سنوات من الفراق أن يتحول الى مشهد مأساوى.

وقد وقع ما كنت اخشاه. فما ان سمع ما قلته حتى أخفى وجهه بين راحتيه وبكى طويلا.

"لقد اصبحت يتيم الاب والام اذن. وما الذى حل بالمسكين يونغ جو؟ ماذا بوسعى ان افعل من اجله؟ اعطنى ولو عنوانه."

واخرج من جيبه قلم حبر ودفترا ونظر الى. فلوحت بيدى ببطء وقلت له :

"وى هوا! لقد كبر يونغ جو الآن. لقد أصبح فى سن يستطيع معها أن يتدبر شؤونه بنفسه. وأنصحك بألا تفكر فى الاسراف بتقديم العون له."

لم يصغ تشانغ وى هوا لنصيحتى، واصر على معرفة العنوان وهو يمسك فى يده الدفتر المفتوح. وبالرغم من ان ذلك لم يرقنى، فقد دونت فى الدفتر عنوان بيت كيم زونغ ريونغ فى آنتو. ولو لم يمت تشانغ وى هوا مبكرا لقدم دون شك مساعدة كبيرة لاخى الاصغر يونغ جو.

بعد ذلك اللقاء فى مغارة مياولينغ، التقينا ثانية فى داينغ، وهى قرية يوجد بها نبع مياه كبريتية. وكانت قيادتنا تقيم فى واد قريب من القرية تحت حراسة ٢٠ أو ٣٠ مقاتلا، ومن هناك ذهبت للالتقاء بتشانغ وى هوا الذى قضى بضعة ايام فى داينغ

بحجة الاستحمام فى المياه الكبريتية. وقد تصرف بحذر بالغ لضمان أمن قيادتنا، لأن العدو كان فى يقظة تامة وكان يطارد اصدقائى ومن لهم علاقة بى منذ ظهور وحدتنا فى منطقة فوسونغ.

وفيما كنا نستحم فى المياه الكبريتية الساخنة، تبادلت الحديث مع تشانغ وى هوا فى شؤون كثيرة. ما زال منقوشا فى ذاكرتى ما قاله يومئذ باعتزاز من انه عملا بنصيحتى أنشأ منظمة حزبية من العناصر المتمرسة فى اتحاد الشباب الشيوعى. ولم أنس حتى اليوم ملامح السعادة التى اضاءت وجهه مثل اشراقة الصباح.

فى اثناء وجوده فى داينغ، قبلنا فى الوحدة ثلاثة من اعضاء اتحاد الشباب الشيوعى اختارهم بنفسه وأحضرهم الينا. ولن انسى ابدا ابتسامة السعادة التى ارتسمت على شفتيه عندما مثل امامه اولئك الشبان الذين رباهم بعناية وهم بزى الجيش الثورى ويحملون البنادق. وكان احدهم هو السكرتير يان، المعلم السابق الذى عمل معنا فيما بعد عندما انتقلت وحدتنا للعمل فى منطقة جبل بايكدو، وكتب كثيرا من الشعارات على الاشجار حول المعسكرات السرية. وما يزال بعض تلك الاشجار موجودا حتى الآن فى مواقع المعسكرات.

ومن بين الاحاديث التى تبادلناها فى عين المياه الساخنة فى داينغ، كان اكثر ما أثر بى وما أزال احتفظ به حتى الآن هو الكلمات الأخيرة التى تبادلناها قبل الوداع. فقد أمسك تشانغ وى هوا بيدى وقال :

"هنالك مسألة تجعلنى أشعر بالذنب كلما التقيت بك يا سونغ جو."

"ما الذى تعنيه؟"

نظر تشانغ وى هوا الى بخجل اثار فضولى.

"لقد تزوجت قبل بلوغى سن العشرين. وأنا أب لطفل منذ أربع سنوات، وسيأتى مولود جديد بعد بضعة أشهر. ففى حين كنت أنت تجوب الآفاق الشاسعة على رأس جيش حرب العصابات، قمت أنا بالزواج، وعشت مطمئنا مع زوجتى مستغرقا فى رعاية طفلى، وهذا يجعلنى أشعر بالخجل الشديد."

"ما هذا الهراء؟ اية جريمة فى ان تتزوج وتنجب طفلا؟ هذا أمر يستوجب التهنئة."

" ولكنك تكبرنى بعام ولم تتزوج حتى الآن. قل لى يا سونغ جو، هل تريد ان تبقى هكذا؟"

" لم أفكر حتى الآن بالزواج. ولا بد من مضى وقت طويل قبل ان تصبح مسألة الزواج محط اهتمامى."

" ربما ستفوتك الفرصة آنذاك. اذا كنت لا تمانع فسأبحث لك عن مرشحة للزواج فى فوسونغ. وان لم اجدها فى فوسونغ فسأبحث فى شنيانغ وتنتسن وتشانغتشون وجيلين وهاربين لكى أختار لك فتاة تذهل البلاد كلها بجمالها."

"لا، اشكرك. أتظن أن حسناء كهذه ستأتى الى الجبال لتأكل ثريد الذرة اللزج؟"

" سترى كيف سأجد لك حسناء مثل يانغ كوى فوى."

بعد هذا الحديث المازح، ضغط تشانغ وى هوا بقوة على يدى وهو يهزها. وقد بقيت ابتسامته عند الوداع مطبوعة فى شبكيتى عينى بشكل لا ينمحى. فقد كانت ابتسامته الأخيرة التى رأيتها.

كنت ادرك جيدا بالطبع انه قال ذلك خالطا المزاح بالجد وانه لن يتحقق. ولكننى احسست من خلال كلماته بصداقة حقيقية لا يستطيع ان يعبر عنها الا تشانغ وى هوا. فمن سواه كان يستطيع أن يقدم ذلك الوعد بمثل تلك الصراحة والاخلاص والحماس؟

بعد عودته الى فوسونغ، كرس نفسه جسدا وروحا لمساعدة وحدتنا. وبفضل مبادرته وجهوده، كانت تتدفق على معسكرنا السرى كميات متتالية من المواد، كالقطن والاحذية والجوارب والملابس الداخلية والأدوية والمواد الغذائية واجهزة التصوير، مشكلة دعما اقتصاديا راسخا لنشاطات الجيش الثورى فى منطقة فوسونغ. وبمبلغ ثلاثة آلاف يوان تبرع به تشانغ وى هوا، صنعنا ملابس لاعضاء رابطة الاطفال وللوحدة الرئيسية من الجيش الثورى، وتمكنا من شراء بعض المواد الاخرى.

وكنا نعرف جيدا تانغ جين دونغ رئيس مخفر الشرطة فى داينغ. فقد التقيت به فى فوسونغ وأنا فى طريقى الى منشوريا الجنوبية للقيام بعمليات مشتركة مع ريانغ

سى بونغ. وعندما عدنا الى داينغ بعث لنا مع رسول سرى يقول : ارسلوا الى رسالة تهديد مكشوفة، فأوفر لكم عندئذ كل ما تحتاجونه متظاهرا بانى رضخت لتهديدات الجيش الثورى الشعبى الكورى.

وبعد استلامه "رسالة التهديد"، ارسل لنا عدة مرات عربات محملة بلحم الخنزير ودقيق القمح وزيت الصويا والكنزات الصوفية وغير ذلك من الاشياء. وكانت تلك المواد تؤمن حياة لا بأس بها لسرية الحراسة طوال عشرين يوما تقريبا.

وفى خريف تلك السنة، ألقى رجال الدرك القبض على تشانغ وى هوا فى مداهمة مفاجئة وزجوا به فى السجن. وكان من وشى به للعدو هو زونغ هاك هاى، زميلى فى المدرسة الابتدائية الذى عمل لبعض الوقت كرئيس فرع محافظة فوسونغ لاتحاد بايكسان الشبابى. وكان فى البداية قد تأثر برياح الثورة لفترة من الوقت، ولكنه ارتد فيما بعد والتحق "بجماعة الدعاية والاستيعاب" التى يديرها درك رينتشيانغ. وقد كانت تلك الجماعة رديفا "لجماعة تشجيع العودة الى الطاعة". وبعد ان دخلت وحدتنا الى منطقة فوسونغ، بث الاعداء عملاءهم من المرتدين فى كل مكان للبحث عن مكاننا.

وفى أحد الايام، ذهب زونغ هاك هاى لزيارة تشانغ وى هوا وقال له :

"لقد قررت الالتحاق ب كيم إيل سونغ. ألا تعرف أين هو الآن؟"

فاجاب تشانغ وى هوا دون تردد :

"اعرف، فقد التقيت به قبل وقت قصير."

لم تخامر تشانغ وى هوا اى شكوك بصدد زونغ هاك هاى، لأن هذا الاخير كان قد شارك فى الحركة الشبابية تحت قيادتى. وبعد ذلك اللقاء مباشرة، جرى اعتقال تشانغ وى هوا الذى اعتاد على معاملة الناس بكرم، وكان طيب الطوية وعديم الحذر رغم توليه مسؤولية المجموعة الحزبية ومصير المنظمة السرية. وقد ادت به أوهامه حول بعض الاشخاص وعدم يقظته الى السجن. مارس الأعداء عليه كل انواع التعذيب لكى يعرفوا منه مكان وجود قيادتنا ويمسكوا بطرف الخيط الذى يتيح لهم تصفية كل المنظمة السرية فى منطقة فوسونغ.

ولكن تشانغ وى هوا رد على التعذيب بالصمت. وفكر بانه ربما يبوح بمكان وجودى وباسرار المنظمة رغم ارادته اذا ازدادت قسوة التعذيب، فقرر الانتحار. فطلب من ابيه العمل لكى يسمحوا له بالذهاب الى البيت ولو لبضعة أيام. فرشا تشانغ وان تشينغ ادارة السجن بالمال وبأشياء اخرى وطلب اخلاء سبيل ابنه بكفالة بسبب المرض.

فأخلى العدو سبيل تشانغ وى هوا مؤقتا، واحاط بيته بالعملاء السريين وفرض رقابة متواصلة ليلا نهارا من اجل الكشف عن خيوط المنظمات السرية التى تتصل به وقنوات عمل وحدتنا.

وقبل وفاته ترك تشانغ وى هوا لزوجته الكلمات التالية :

"اشعر بالاسى والحزن لانى لا استطيع المشاركة مع القائد كيم إيل سونغ فى النضال المناهض لليابان حتى النهاية. لقد قررت أن أموت لكى احافظ على أمن الرفاق وأرد على ثقة ومحبة القائد كيم إيل سونغ، وأريدك ألا تحزنى كثيرا."

وقد كتب لى : "لقد عبأ العدو عملاءه فى محاولة لاكتشاف مقر قيادة الجيش الثورى الشعبى الكورى. انى انبهك وارجوك نقله حالا". ثم وضع حدا لحياته بان تناول ثنائى كلور الزئبق المستخدم فى تظهير الصور. ويقال ان هذه الحادثة الفاجعة وقعت فى الثانى من الشهر العاشر عام ١٩٣٧ حسب التقويم القمرى، حين كان فى زهرة شبابه، وقبل ان يكمل الخامسة والعشرين من عمره.

وهكذا فارقنا ذلك الجندى الأممى، وصديقى الحميم، والرفيق المخلص فى الثورة.

لقد مات ببطولة من أجلى، من اجل قيادة الثورة الكورية ومن أجل القضية المشتركة للشعبين الكورى والصينى، وفارق على الارض الصينية التى كانت تهزها قذائف المدافع، والديه الحبيبين وزوجته وابنيه، وكذلك كل مثله العليا الجميلة كقوس قزح. وكان ابنه تشانغ جين تشوان الذى احبه اكثر من نفسه فى الرابعة من عمره حينئذ، اما ابنته تشانغ جين لو فكانت قد غادرت بطن امها للتو.

ليس هنالك ما هو أشد حزنا من الموت المبكر، قبل الوقت. وبالرغم من أن

تشانغ وى هوا قد دخل السجن بسبب هفوة ارتكبها، الا انه كان بوسعه أن يتفادى وضع حد لحياته. فلو انه رشا الدرك بمبالغ اكبر لغض الاعداء النظر عن "جريمته" أو لكانوا عاملوه بتسامح بعد ضربه بضع مرات اخرى بالهراوات، ولكنه اختار طريق الانتحار، وشطب بذلك الفصل التالى من حياته.

ليس البقاء على قيد الحياة سهلا على الانسان، ولكن الموت ليس هينا كذلك. ولا بد من التأكيد ان الموت الذى يثير اعظم الآلام بين اشكال الموت المختلفة هو الانتحار. وفى حالة الشباب مازال امامهم من الحياة اكثر مما مضى، ويحتاج قرار الانتحار الى تصميم استثنائى وارادة جريئة. لقد اختار اناس كثيرون طريق الانتحار فى ازمنة سابقة، ولكن معظمهم فعل ذلك من أجل نفسه. وهنالك قلة ماتوا من اجل الآخرين مثلما فعل تشانغ وى هوا. ويمكن التأكيد ان هذه الميتة هى أجمل الميتات واكثرها قدسية. واظن انه فى ذلك يكمن السبب فى ان موت تشانغ وى هوا كان ذا مغزى اشد حزنا وسموا من سواه.

عندما تلقيت النبأ عن اللحظات الاخيرة من حياة تشانغ وى هوا، لم استطع النوم أو تناول الطعام لعدة أيام. وأحسست كما لو ان روحى تسقط فى هوة بلا قرار، وبدا لى وكأن جزءا من الارض يغور بجانبى، أو أن أحدا سدد ضربة شديدة الى صدرى. كم من المرات ترددت فى قلبى انغام ذلك اليوم الجنائزية؟

لقد لمت نفسى لانى رفضت طلبه بالانضمام الى وحدتنا. وكانت تلح على ذهنى وتجرح قلبى فكرة انه كان سيعيش لوقت أطول لو انه خدم فى الجيش الثورى الشعبى.

عندما طلب منا الالتحاق بقوات حرب العصابات، كان علينا ان نبحث طلبه ونقبله بشكل طبيعى. وكان هذا ما تتطلبه المبادئ أيضا. ألم يكن من المنطقى قبول شاب يتطلع بحماسة الى الالتحاق بجيش حرب العصابات؟ ولكنى لم احترم هذا المبدأ وابعدت تشانغ وى هوا من خط الجبهة الأول حيث يجب ان يكون، الى الخط الثانى. وقد كان تصرفى ذاك نابعا من حبى الكبير له. لم اكن اريد له، هو الذى عاش حياة هادئة فى اسرة ثرية، أن يعانى المحن القاسية فى الجبال. وفكرت بانه لن

يستطيع تحمل تلك الحياة؛ أما أنا فأستطيع ذلك؛ وفى هذا يتجلى حبى الأعمى له. فاذا كان هناك من يرى فى سلوكى هذا شيئا من الاجحاف، فلن اجد كلمات ابرر بها موقفى.

ومثلما ضحى فى الماضى عشرات الالوف من الشيوعيين والوطنيين الكوريين بحياتهم فى سبيل الثورة الصينية، كما هو حال سين كيو سيك، باك يونغ، يانغ ريم، هان وى كون، زانغ زى راك، كيم سونغ هو، زونغ ريول سونغ، هان آك يون وغيرهم، كذلك لم يضن الكثيرون من ابناء وبنات الشعب الصينى بحياتهم القيمة من اجل الثورة الكورية.

فالثورة مثل الحب والعلم لا تعرف الحدود. وخير مثال على ذلك تشانغ وى هوا، و ى . ت. نوفيتشينكو، وتشى غيفارا، ونورمان بيثون. ان تشانغ وى هوا وى . ت. نوفيتشينكو هما نموذجان عالميان للاممية. فالمساعدة التى قدمها شيوعيون من مختلف بلدان العالم لحركة الجبهة الشعبية فى اسبانيا، وحركة جيش المتطوعين الشعبى الصينى لنصرة كوريا فى النضال ضد الامبريالية الاميركية هى نماذج عالمية للاممية، ولكن اسم تشانغ وى هوا يتلألأ فوقها جميعا كنجمة كبيرة ساطعة.

ان الشعب الكورى اليوم يرى فى تشانغ وى هوا رمزا للصداقة الكورية الصينية، ويتذكر شعبنا برجاله ونسائه وشيوخه واطفاله المأثرة التى قام بها فى سبيل الثورة الكورية، ويكن له أعمق مشاعر الاحترام.

٤ــ تشانغ وى هوا، رفيقى فى الثورة (٢)

هل يمكن للاخوة أن تستمر بين حى وميت؟ واذا كان الجواب بالايجاب، فكيف يكون ذلك؟

هذا السؤال طرحه على كيم بونغ سوك، اثر مصرع صديقه الحميم، جندى الاتصال كيم زونغ دوك فى معركة جيغوانلاجى. كان كيم بونغ سوك جندى اتصال فى خدمتى فى سنوات حرب العصابات. وبعد مصرع كيم زونغ دوك، ظل زمنا طويلا غارقا فى لجة الحزن لا يستطيع نسيان صديقه الميت.

وقد اجبته آنذاك ان الاخوة قد تستمر كذلك بين الحى والميت، ولكنها تتبدى فى هذه الحالة بعدم نسيان الحى لصديقه الميت، وببقاء صورة صديقه حية فى ذاكرته. وكمثال على ذلك، ذكرت اخوتى لتشانغ وى هوا.

كان ذلك اعترافا صادقا بمشاعرى المستندة الى التجربة. فعلى الرغم من ان بضع سنوات كانت قد مضت على وفاة تشانغ وى هوا، الا اننى لم استطع نسيانه، بل انه كثيرا ما كان يظهر فى احلامى كحاله عندما كان حيا، ويزودنى بمشاعر الاخوة. وعند استيقاظى من تلك الاحلام، كانت تغمرنى أحاسيس غريبة حقا.

وعاد كيم بونغ سوك يسألنى :

" ايها الرفيق القائد، ما الذى يستطيع ان يفعله الحى للميت؟"

بدا لى ان جندى الاتصال يريد ان يسمع منى نصيحة عميقة المغزى تشكل هدفا اسمى لحياته كلها. ولكننى لم اكن مهيأ، للأسف، لاعطائه جوابا مقنعا. فرغم ان مسألة الاخوة بين الحى والميت كانت تشغل مكانا معينا فى حياتى الروحية، الا ان مفهومى حولها لم يكن يتعدى المفهوم العادى والمتواضع الذى

يمكن ان يفكر فيه أيضا أى حطاب فى منطقة جبلية نائية.

"اعتقد ان أهم ما يجب ان يفعله الانسان الحى للميت هو ان ينفذ بامانة مشيئته التى اعرب عنها فى حياته."

وكان هذا هو الجواب الوحيد الذى قدمته حينئذ الى كيم بونغ سوك. واظن أن أشخاصا آخرين كانوا سيردون بمثل تلك الاجابة. فقد كان الجواب ينطوى على حقيقة بسيطة يمكن ان يعرب عنها، لا الحطابون الجبليون وحسب، بل وتلامذة المدرسة الابتدائية ايضا. ولكن كيم بونغ سوك تقبل تلك الاجابة باهتمام بالغ. وقد كانت مشيئة كيم زونغ دوك التى خلفها كوصية له تتلخص فى الطلب منه بان يخدم الرفيق القائد بكل اهتمام واخلاص الى ان تتم استعادة الوطن. وهذا ما دأب كيم بونغ سوك على عمله حتى يوم تحرير الوطن، وحتى لحظة استشهاده فى المعركة.

لقد كان الموقف المشترك الذى تمسك به جميع رفاقى فى السلاح ابان حرب المقاومة ضد اليابان يتمثل فى ان تنفيذ مشيئة الموتى بأمانة هو اسمى واجب اخلاقى مترتب على الاحياء حيال رفاقهم الشهداء.

"لنثأر لرفاقنا فى الثورة الذين استشهدوا!"

"لنستول على ذلك المرتفع تنفيذا لوصية الرفيق آمر السرية!"

"لنحرر الوطن، مهما كلف الامر، كما اوصى الرفاق الشهداء!"

هذه الشعارات التى كثيرا ما كانت تتعالى فى المعارك وفى المعسكرات والمسيرات، كانت تعكس باخلاص تطلع المغاورين ورغبتهم فى تنفيذ مشيئة الرفاق الشهداء. والشيوعيون الكوريون الامناء للمهمات التى القتها الثورة على عاتقهم، كانوا يبذلون كل ما فى طاقتهم للقيام بواجبهم حيال رفاقهم الشهداء. وانطلاقا من هذا الموقف نفسه، بذلت أنا أيضا جهودا جبارة لتنفيذ مشيئة الرفاق الثوريين الذين فارقونا وللرد على الثقة العميقة والآمال التى عقدوها علينا فى حياتهم. وبالتمسك بهذا المفهوم وهذا الموقف، أواصل العمل اليوم باذلا كل قواى للوفاء بالواجبات الثورية التى اناطها بى الحزب والشعب.

ولكن، هل يمكن القول ان واجب الاحياء حيال الموتى ينحصر فى هذا؟ ان

اتخاذ الحدث التاريخى الكبير بتحرير الوطن كحد فاصل، قد أغنى مضمون واجباتنا الاخلاقية بشكل لا يقارن، وبما يتفق مع متطلبات وظروف المرحلة الجديدة. فلم يعد يشعر بالرضى اولئك الذين كانوا يفكرون بان اخوة الاحياء لرفاق السلاح الشهداء تتبدى فى تنفيذ وصيتهم الاخيرة باخلاص. فقد بدؤوا يتطلعون الى اعادة رفاتهم المبعثرة فى ديار الغربة الى أرض الوطن، والى اطلاع الاجيال الصاعدة على مآثرهم المدفونة بين احراج غابات التاريخ الملتفة. وبعد توطيد واغناء البلاد بدؤوا يرغبون فى اقامة تماثيل لهم واطلاق اسمائهم على المدن والشوارع.

ويتجلى هذا الواجب الرفاقى بزخم فى الحب نحو ابناء الشهداء. ففور العودة المظفرة الى الوطن، ارسلنا عاملينا الى بلدان الاغتراب للبحث عن ابناء الشهداء الثوريين المشتتين فى كل مكان واحضارهم الى الوطن. بحثنا عنهم واحدا واحدا بذلك الجهد الذى تستخرج به حبيبات التبر من بين الرمال، وادخلناهم فى مدرسة ابناء الشهداء الثوريين فى مانكيونغداى. وفى ذلك المركز التعليمى اعددنا أيضا بناة كوريا الجديدة من ابناء المناضلين الذين عملوا داخل البلاد.

فى السبعينيات بنينا على قمة زوزاك فى جبل دايسونغ مقبرة الشهداء الثوريين لكى ننقل الى الاجيال المقبلة صورة كل واحد من رفاقنا فى السلاح. وعلى جبل فى قرية سينمى بحى هيونغزايسان، أقيمت مقبرة للشهداء الوطنيين يمكن تسميتها بمقبرة الشهداء الثوريين الثانية.

وكل هذه السياسات والاجراءات تمثل اعلى درجات الرفاقية والمحبة الصادقة والدائمة للشيوعيين الكوريين المستعدين لاداء واجب الاحياء الاخلاقى تجاه شهداء الثورة على اعلى مستوى. وفى سياق الممارسة الثورية الطويلة، على مدى اكثر من نصف قرن ضرب الشيوعيون الكوريون مثلا يستحق اعجاب الجميع، ليس فى علاقتهم برفاق السلاح الاحياء وحسب، وانما بالشهداء منهم كذلك.

ان امكانية وجود مشاعر الاخوة بين الاحياء والاموات قد تأكدت بشكل ملموس فى تاريخ العلاقات الانسانية والرفاقية التى سجلها الثوريون الكوريون، والتى لم

يوجد ولن يوجد لها مثيل. أما فيما يتعلق بى شخصيا، فحسبى ان اتذكر هنا اواصر المحبة التى تربطنى بتشانغ وى هوا.

ان القول بان مشاعرى نحو تشانغ وى هوا قد انتهت بموته هو تقويم غير سليم. فاذا كان موت الانسان يعنى نهاية علاقة الاخوة، فان تلك الاخوة لا يمكن وصفها بالحقيقية. لان عدم نسيان الاحياء لاصدقائهم الاموات يعنى ان الاخوة ما تزال حية ونابضة.

ان الاخوة التى ربطت بينى وبين تشانغ وى هوا ما زالت مستمرة بعد موته. صحيح ان تشانغ وى هوا قد فارق هذه الدنيا، ولكنى لا استطيع ان انساه مطلقا. فالاريج الانسانى الذى خلفه تغلغل فى أعماق رئتى مع مرور الزمن. وعندما تكللت الحرب ضد اليابان بانتصار الشيوعيين الكوريين والصينيين، كان تشانغ وى هوا فى صدارة الرفاق والمحسنين الصينيين الذين تواردوا الى ذاكرتى. واننى لاشعر بتأثر بالغ عندما اتذكر، فى الوطن المحرر، المحسنين الصينيين الكثيرين الذين قدموا المساعدة لاسرتى ولى، وساندوا الثورة الكورية باخلاص. ولاننا اصبحنا نعيش فى عالم أفضل، فان شوقى اليهم يزداد تأججا.

وكلما اتذكر تشانغ وى هوا، افكر بوالديه وزوجته واولاده الذين تركهم. وقد كنت دائم التفكير بهم بعد استسلام اليابان غير المشروط، وبدء الاصلاحات الديمقراطية فى شمال شرقى الصين – خصوصا الثورة الزراعية – وانتشار لهيب الحرب الاهلية التى عصفت بأراضى منشوريا كلها بين قوات الكومينتانغ بقيادة تشانغ كاى تشك وبين جيش التحرير الشعبى الصينى. وحيث انه كانت تجرى فى كل مكان تصفية الاقطاعيين الاشرار والرأسماليين الكومبرادورين، كما كان يدور نضال ضد العناصر الموالية لليابان وغيرهم من الخونة، فقد كنت قلقا على اسرة تشانغ وى هوا، خشية ان يصبحوا هدفا للدكتاتورية وتجرى محاصرتهم ظلما. وكلما نشبت الاضطرابات فى البلد الجار او جرى تنظيم حركة اجتماعية لتصفية شىء ما، كنت أشعر بالقلق على مصير اسرة تشانغ وى هوا.

مما لا ريب فيه انه كان شهيدا ثوريا ذا مآثر كبيرة، ولكن حقيقة انه كرس نفسه للنضال السرى، كانت تدفعنى الى القلق خشية ألا تعتبره الجماهير شيوعيا، وانما

تنظر اليه كرجعى وخائن لكونه ابن اقطاعى كبير. وكنت انتظر بفارغ الصبر اللقاء مع اقاربه. ولكن بناء البلاد الجديدة، والحرب ضد اميركا، وترسيخ اسس الاشتراكية، كانت امورا معقدة اجبرتنى على تأجيل شؤون كثيرة. فقد كان هناك اناس كثيرون أود البحث عنهم أو اللقاء بهم. ولكننى كنت منهمكا تماما فى اعمال الدولة، مما حال دون تحقيق رغباتى تلك.

وفى سنة ١٩٥٩ تقريبا، تلقيت أول الانباء عن عائلة تشانغ وى هوا. وفى تلك السنة نفسها، نظمت بلادنا وأرسلت الى منشوريا بعثة استقصاء مواقع المعارك التى جرت فى مرحلة الكفاح المسلح ضد اليابان.

وحين التقيت مع البعثة، طلبت من رئيسها باك يونغ سون :

"ايها الرفيق باك بورى! هل تتذكر تشانغ وى هوا، صاحب (استوديو سيونغدى للتصوير) الذى أرسل لنا أقمشة ونقودا عندما كان الاولاد فى معسكر مآنشان السرى يرتعشون بردا ويعانون الامراض؟ لقد مضى اكثر من عشرين سنة على موته، ولكننى لم استطع حتى الآن ان اقدم التعازى لوالديه وزوجته وأولاده. عندما تذهب الى فوسونغ، انقل اليهم تحياتى وتمنياتى لهم بالصحة والسعادة."

"سأفعل ذلك. وأنا أيضا كنت أفكر بان الواجب يفرض على زيارة اسرة تشانغ وى هوا فى فوسونغ. فما اكبر المساعدة التى قدمها لنا!"

وقد كشفت عيناه المخضلتان انه كان غارقا فى ذكريات مؤثرة.

قلت :

"صحيح ان تشانغ وى هوا من جنسية اخرى، ولكنه لم يكن يختلف عن الكورى، عن الثورى الكورى. ومآثره تشغل بحق مكانا لائقا، لا فى الحركة الشيوعية الصينية وحسب، بل وفى تاريخ ثورة بلادنا ضد اليابان ايضا. واذا لم تكن عائلته فى فوسونغ، اذا كانت قد انتقلت الى منطقة اخرى، فاطلب مساعدة اجهزة الامن العام واعرف مكان اقامتها مهما كلف الامر."

"مفهوم. سأجدهم حتى ولو اضطررت الى البحث عنهم فى كل ارجاء الصين."

بعد ذهاب البعثة الى الصين، انتظرت بفارغ الصبر الانباء من فوسونغ. فقد

كانت جراح الحرب قد التأمت، وانهينا عمليات التحول الاشتراكى فى المدن والارياف، فأتاح لى ذلك شيئا من الوقت للاهتمام برفاق السلاح الشهداء وذويهم.

اخيرا، وبعد مرور بضعة اشهر على مغادرته الوطن، ارسل لى باك يونغ سون برقية تتضمن الخبر الذى كنت اتلهف اليه : "الى الرفيق رئيس الوزراء : تقابلت اليوم فى فوسونغ مع عائلة تشانغ وى هوا. ونقلت اليهم تحياتك كلمة كلمة. وقد اعربت زوجته عن شكرها لكم والدموع تسيل على وجهها. وقدمت لنا صورة. سنبذل كل جهودنا لجمع مواد حول النضال المشترك الذى خضته انت وتشانغ وى هوا. بعد العودة الى الوطن، سأقدم تقريرا مفصلا."

وقد علمت من خلال باك يونغ سون فيما بعد، ان تشانغ وان تشينغ، والد تشانغ وى هوا قد مات فى سنة ١٩٥٤، وان زوجة تشانغ وى هوا عاشت بعد ذلك مع ابنها تشانغ جين تشوان وابنتها تشانغ جين لو حياة متواضعة فى البيت القديم فى فوسونغ.

عندما نقل باك يونغ سون تحياتى الى زوجة تشانغ وى هوا، تأثرت جدا وارتبكت وقالت :

"يقولون ان السماء تتغير ساعة بعد ساعة، وان الانسان يتغير طوال حياته. ولكن مشاعر الاخوة لدى القائد كيم إيل سونغ ثابتة لا تتغير. لقد مضى اكثر من عشرين سنة على وفاة زوجى، ولكنه لم ينسه مع ذلك. لا أجد كلمات أعبر بها عن شكرى له."

وكرد على ذلك، أخرجت صورة تحتفظ بها منذ عقود وقدمتها لرئيس البعثة راجية منه ان ينقلها الى. وكان يظهر فى تلك الصورة تشانغ وى هوا مع اخى الصغير تشول جو.

وفى خريف تلك السنة بالذات، عرضت تلك الصورة فى ما كان يعرف حينئذ باسم "متحف نضال التحرر الوطنى"، جنبا الى جنب مع المواد التاريخية التى جمعتها البعثة من مواقع المعارك الثورية. وهكذا ظهرت صورة تشانغ وى هوا لاول مرة امام شعبنا. وعند مشاهدتى المعروضات، وقفت طويلا امام هذه الصورة. فقد اثرت فى نفسى الى حد الاحساس باننى ارى تشانغ وى هوا الذى ودعته قبل اكثر من عقدين فى

داينغ، وشعرت بانه لم يمت وبانه موجود بلحمه وعظمه حيا فى بيونغ يانغ.

ولم يكن هنالك بين شعبنا الا عدد محدود ممن يعرفون تشانغ وى هوا. فقد كانت العناصر المرتهنة للبلدان الكبرى تحتل مواقع مهمة فى الميدان الايديولوجى، وقد أهملت تقديم ونشر تاريخ وتقاليد حزبنا الثورية، مما جعل عددا محدودا من الناس يعرف مساعدته لى ومساهمته فى الثورة الكورية. ولم يكن يعرف بأمر العلاقات التى ربطت بينى وبين تشانغ وى هوا الا عدد قليل من مقاتلينا القدماء.

ولقد اردت ان أعبر أمام مرافقى عن اعتزازى به، وعن مدى عظمته كانسان وثورى وأممى. وينبوع مشاعر الحزن والشوق الذى تراكم طوال اكثر من عشرين سنة، تدفق اخيرا مندفعا مثل فوارة :

"ايها الرفاق، هذا الرجل هو تشانغ وى هوا، زميلى فى مدرسة نيوكو الابتدائية الاولى فى فوسونغ. لقد كان صديقى ورفيقى الوفى فى الثورة. بين رفاقه فى السلاح كان كثيرون من الكوريين. انه مناضل اممى عظيم، فهم كوريا من خلالنا، وتعاطف من خلال علاقته بنا مع نضال الشعب الكورى ضد اليابان وقدم له الدعم والمساندة. كان لديه من الثروات ما يمكنه من العيش فى رخاء بعيدا عن الثورة، ولكنه اختار طريق النضال طوعا، وقد ضحى على هذا الطريق بحياته من أجل حمايتى. وحين أرى هذه الصورة اليوم، تصبح ذكرى تشانغ وى هوا أشد تأثيرا فى نفسى. بقدر ما تزداد سعادتنا، بقدر ما يتوجب علينا ان نتذكر ولا ننسى اولئك المحسنين من امثال تشانغ وى هوا وغيره من الاصدقاء الصينيين الذين قدموا دماءهم للمساهمة فى قضيتنا الثورية."

ومنذ ذلك الحين، اخذت مطبوعات بلادنا تنشر باسهاب مآثر تشانغ وى هوا. وصار شعبنا يعرفه كشهيد أممى مثل لو شينغ جياو وهوانغ جى كوانغ. ويذكره جيلنا الناشئ بمشاعر غير محدودة من الحب والاحترام مثلما يتذكر كيم زين وما دونغ هى.

وقد علمنا فيما بعد ان زوجة تشانغ وى هوا قالت لولديها، فى اليوم الثانى لوصول بعثتنا الى فوسونغ :

"القائد كيم إيل سونغ ووالدكما تصادقا كأخوين مذ كانا فى المدرسة الابتدائية.

وكانت صداقتهما عميقة الى حد ان جميع زملائهما فى فوسونغ كانوا ينظرون اليهما بتقدير. وقد ناضل والدكما بحزم ضد الامبريالية اليابانية بفضل تأثير القائد كيم إيل سونغ وتوجيهه. ولهذا كانت جدتكما تقول لكما دائما انه يجب ان تدعواه العم الاكبر. القائد يتذكر اباكما دائما ولا ينسانا. يجب عليك يا جين تشوان ان تكتب رسالة الى عمك الاكبر تعرب فيها له عن الامتنان والشكر وتتمنى له الصحة والسعادة."

فى تلك الليلة، لم يستطع الشاب القوى تشانغ جين تشوان، الذى تجاوز العشرين من عمره، ان يجد الى النوم سبيلا. وفى عام ١٩٥٩، كان عمر الشاب الرشيق قد زاد سنتين على عمر والده عندما انتحر بتناول مادة تظهير الصور السامة. وقد كتب لى رسالة طويلة يعكس فيها مشاعر العائلة. وحين قرأتها لم استطع النوم عدة ليال وأنا افكر بصديقى تشانغ وى هوا. وعادت دماء الاخوة بينى وبين تشانغ وى هوا تسرى فى العروق بفضل تحياتى التى بعثتها الى الأسرة ورسالة تشانغ جين تشوان الى.

ويمكن التأكيد ان مشاعر الاخوة نحو الميت تتواصل كذلك من خلال حب ورعاية الأحياء لابناء رفاقهم الشهداء. وقد اتسعت مشاعر اخوتى مع تشانغ وى هوا وتعمقت واتخذت مظاهر جديدة من خلال لقاءاتى المتكررة مع ولديه.

منذ تلقيت رسالة تشانغ جين تشوان، شد اهتمامى هذا الفتى الذى لم أكن أعرف ملامحه أو طبعه. كان خطه مشابها تقريبا لخط ابيه. حتى اننى صرت اتمنى : "عساه يكون مشابها لأبيه فى ملامحه أيضا! كم سيكون بديعا ان اراه من جديد، ليس فى الصور، وانما بشخصه!".

ولكن ذلك كان مجرد حلم. ولتحقيقه، كان على ان اتغلب على مصاعب مختلفة، وان اتمتع بحماسة وصبر لا يعرفان الكلل. فبينى وبين عائلة تشانغ وى هوا كان يقوم خط فاتر اسمه الحدود، وهو حاجز صارم لا يفهم شيئا عن الواجب الاخلاقى وعلاقات الصداقة فى الايام الماضية.

وفى ايار ١٩٨٤، وبعد مضى اكثر من عشرين عاما على رسالة تشانغ جين تشوان، قمت بزيارة للاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية فى اوروبا الشرقية، وقد حالفنى الحظ فى تلك المناسبة ومررت بالقطار عبر مناطق شمال شرقى الصين التى

احتضـنتنى جبالهـا وسـهولها طـوال اكثـر مـن عشـرين سـنة، وفيهـا خضـت النضـال المسلح المناهض لليابان متغلبا علـى مصـاعب وعقبات لا حصـر لهـا. لقد كانـت تلـك الجبال والسهول بالنسبة لى مثـل مسقط رأسـى، وأحمل منهـا ذكريـات حميمـة كثيـرة. لقد كنـت فـى لهفـة بالغـة للحصـول علـى فرصـة يتسنـى لـى فيهـا العـودة لرؤيـة هـذه الامـاكن، بـل اننـى كنـت أرى نفسـى فـى الأحـلام وأنـا اسير فيهـا حتـى تتعـب قدماى. ولست ادرى اذا كـان هـذا هـو السـبب الـذى جعـل الرفيـق كيم جونـغ إيـل يرسـم خـط الرحلـة فـى القطـار عبـر طريـق تـومين – موتانكيـانغ – هـاربين – تشيتشـيهاير – منتشولـى – الاتحـاد السوفييتى.

واستطعت أن اتأمل لوقت طويل الجبال المألوفة. كم من النـاس سقطوا فـى هذه الارض مضرجين بدمائهم الحمراء! لم استطع رفـع نظـرى عن النافذة. فعلـى الـرغم من مرور عشرات السنين، كانت تتراءى أمام عينـى صـور رفـاق السـلاح الـذين نمـت معهم قـرب المواقد، وتقاسمت وايـاهم حسـاء الاعشـاب البريـة، وتلطخنـا معـا بـدخان ساحات القتال.

وعندما انطلق قطارنـا الخـاص مـن تـومين باتجـاه تونهـوا، فكـرت بزوجـة تشـانغ وى هوا وولديه فى فوسونغ، فاستدعيت مرافقى، وقلت لهم :

"هذا هو المكان الذى كنت ارغـب فـى المجـىء اليـه منذ زمـن طويـل. ولـو كـان لـدى وقـت لقابلـت رفـاق السـلاح والاصـدقاء الآخـرين مـن مرحلـة حـرب العصـابات، ولزرت اماكن المعارك حيث ترقد رفات الرفاق، ولكن، يؤسفنى اننـى لا استطيع ان أفعل ذلك. لقد قيـل لـى ان عائلـة تشـانغ وى هـوا تعـيش فـى فوسـونغ، علـى بعـد بضـع مئات رى فقط من هنا. وانا ارغب فى ارسال بعض الهدايا اليهم للذكرى."

وبعد بضـعة ايـام، سلم الموظفـون الصـينيون المعنيـون هـدايا باسـمى الـى عائلـة تشانغ وى هوا.

وحين عدت الى الـوطن بعد الرحلـة الـى بلـدان اوروبـا، تلقيـت رسـالة ثانيـة مـن تشانغ جين تشوان، ودعوتـه الـى بيونـغ يانـغ. وطلبـت مساعدة الامين العـام هو ياو بـانـغ لكى يقوم تشانغ جين تشوان بزيارته الى بلادنا دون اشكالات.

واخيرا، فى نيسان ١٩٨٥ قام تشانغ جين تشوان مع اخته تشانغ جين لو وابنه البكر تشانغ تشى بزيارته التاريخية الى كوريا. وفى يوم ربيعى مشمس، حيث تفتحت آلاف انواع الازهار، وبدأت تظهر البراعم، استقبلت الضيوف الاعزاء القادمين من فوسونغ فى قصر "هونغبو" للضيافة.

عندما رأيت تشانغ جين تشوان وتشانغ جين لو وتشانغ تشى ينزلون من السيارة، فقدت القدرة على النطق للحظة بسبب صدمة الانفعال القوية. كان امامى تشانغ جين تشوان الذى يشبه والده، وكانت تشانغ جين لو نسخة طبق الاصل عن امها. اما تشانغ تشى فكان يجمع كل ما فى سمات والديه من جاذبية. ان وراثتهما لملامح والديهما هو أمر مفرح بالنسبة لهما، ولكنه سبب لبهجة كبيرة بالنسبة لى أيضا. وخيل الى للحظة اننى ارى طيف تشانغ وى هوا وزوجته حيين امامى. وامعنت النظر فى كل ايماءة وحركة يقومان بها رغبة منى فى رؤية ما يذكرنى بأبيهما. وعانقت الثلاثة معا مثلما كنت اتعانق مع تشانغ وى هوا عند لقائنا فى مياولينغ وداينغ.

"أهلا بالاحباء!"

هذه التحية الأولى نطقتها باللغة الصينية. لقد مضت عشرات السنوات المليئة بالمحن، واعترى بعض الضعف تمكنى من اللغة الصينية. ولكننى نطقت بطلاقة ودون صعوبة العبارة الصينية : "أهلا بالاحباء!". هنالك من يؤكدون ان تحدث رئيس دولة بلغة اجنبية فى لقاء رسمى هو خرق للقواعد والاعراف. ولكننى لم اكن آبه للرسميات فى تلك اللحظة. فتشانغ جين تشوان ومرافقوه لم يأتوا لمقابلتى فى مهمة دبلوماسية، وانا ايضا لم اوجه اليهم الدعوة لمجاملتهم. ولم اكن بحاجة للدبلوماسية أو لأية اعراف اخرى، فقد كنت التقى بانجال رفيقى الشهيد فى السلاح.

ولهذا السبب بالذات، لم ألق اى كلمة رسمية على مأدبة الغداء التى اقمتها للترحيب بهم. وهذا أيضا مخالف للأعراف.

"بما اننا عائلة واحدة، فليس ثمة حاجة الى أى خطابات. لنقرع الكؤوس ببساطة نخب صحة المجتمعين هنا، ونخب الصداقة الصينية الكورية!"

كان هذا هو كل ما قلته، وقد أسعد ذلك تشانغ جين تشوان.

وكان مثل والده لا يميل كثيرا الى شرب الخمر. ولهذا لم ألح عليه فى الشرب. تناولنا فقط ثلاث كؤوس من نبيذ خفيف مصنوع من العنبيات البرية. وعندما زار ميتران بلادنا كرمته أيضا بهذا النبيذ. انه شراب مشهور، وابان الهيمنة الاستعمارية اليابانية على بلادنا كان يقال ان امبراطور اليابان وحده هو الذى يستطيع شرب ذلك النبيذ. ان للاقداح الثلاثة التى تناولناها مغزى عميقا. ففى حزيران ١٩٣٢، تناولت أنا وتشانغ وى هوا ثلاثة اقداح، عندما التقينا للوداع فى مصنع "دونغشاوغو" لتقطير الخمور القائم الى الشمال من تقاطع الطرق فى فوسونغ.

دام غداء الترحيب بضيوف فوسونغ الاعزاء ثلاث ساعات. وكان الجو عائليا بالفعل، لا وجود فيه للشكليات والاعراف. وقد واصلنا الحديث مطولا فى الحديقة.

كان موضوع الحديث الرئيسى هو مسألة الشعور بالواجب الاخلاقى. وقد تحدثت عن تشانغ وان تشينغ وتشانغ وى هوا وشعورهما بالواجب الاخلاقى حيال عائلتنا، متذكرا ما عانيته فى فترة اقامتى فى فوسونغ، واعرب الضيوف بدورهم عن امتنانهم لشعورى بالواجب الاخلاقى. قلت :

" لقد ساعد جدكم الحركة من اجل استقلال كوريا، وساعدنا والدكم فى الحركة الشيوعية فى كوريا."

هكذا قيمت مآثر عائلة تشانغ بكلمات قليلة.

فى ذلك اليوم تكلمت كثيرا جدا عن شعور تشانغ وان تشينغ وتشانغ وى هوا بالواجب الاخلاقى، ولكن ليس من اجل المديح. فمن خلال الحديث، أردت ان يصبح تشانغ جين تشوان وتشانغ جين لو وتشانغ تشى وسائر اخلاف تشانغ وى هوا اناسا حقيقيين، يحترمون الواجب الاخلاقى، وثوريين ثابتين لا يعرفون التردد أو التهاون.

الأخلاق لا توجد بين الملك ورعيته، وبين الآباء والابناء وحسب، كما كانت تعظ فلسفة الاخلاق الاقطاعية، بل توجد ايضا بين الاصدقاء والرفاق. واعتقد ان عبارة "بونغوو يوسين" (الثقة بين الاصدقاء – المترجم) تنطوى على هذا المبدأ. ولهذا فان الحكماء القدماء كانوا يدعون الى سياسة مستندة الى الفضيلة والشعور

بالواجب الاخلاقى من خلال تأكيدهم على "اينزا موزوك" (لا عدو للانسان الطيب – المترجم). وكانوا يقولون : حيث توجد الفضيلة يجتمع الناس؛ وحيث يجتمع الناس تزرع الأرض؛ وحيث تزرع الأرض تكثر الثروات؛ وحيث تكثر الثروات توجد المتعة والرفاهية. وهذا المبدأ المعروف فى الفلسفة الشرقية القديمة يتركز فى خمس كلمات "دوك – ان – زى – زاى – يونغ" (أى "فضيلة، انسان، ارض، ثروة، رفاه") وهى عميقة المغزى ورائعة فعلا، ويبدو لى انها مازالت تحتفظ بقيمة كبيرة فى الحياة المعاصرة ايضا.

نحن لا نرفض دون تبصر القواعد الثلاث والمبادئ الاخلاقية الخمسة للكونفوشية، ولا نتفق مع الرأى المتطرف لاولئك الذين يضعون هذه التعاليم فى معارضة مصطنعة من المثل العليا الشيوعية، وينتقدونها زاعمين انها تناقض الاخلاق الشيوعية. فليس من السىء أن يقوم المرؤوسون بواجبهم الاخلاقى فى خدمة ودعم البلاد، وليس فى اخلاص الابناء الذين يحترمون آباءهم ويجلونهم اى مخالفة للقواعد الاخلاقية. نحن نعارض استغلال هذه المفاهيم الاخلاقية فى تبرير النظام الاجتماعى السياسى الاقطاعى واجبار الشعب على عدم المقاومة والخضوع الأعمى، ولكننا لا ننكر مطلقا المبادئ التى تتضمنها تلك القواعد الكونفوشية التى تضفى رونقا على الاساس الاخلاقى للطبيعة الانسانية.

من المؤكد ان الروابط التى قامت بين تشانغ وى هوا وبينى لم تكن علاقات بين الملك ورعيته أو بين الآباء والابناء. واقدامه على التضحية بنفسه لانقاذى، لا يمكن اعتباره انه انطلق من شعور الرعية بالواجب تجاه الملك كما هو وارد فى "القواعد الاخلاقية الثلاث". بل كان تعبيرا نموذجيا للشعور بالواجب الاخلاقى الشيوعى – وهو شعور مختلف عن ذلك الواجب الوارد فى القواعد الثلاث – ، تجاه مصلحة الثورة وكذلك تجاه شخصى بالذات فى وقت لم اكن فيه سوى رفيقه فى الثورة. ان عظمة مأثرة تشانغ وى هوا وقيمتها العظيمة تكمن فى نقاء ونبل شعوره بالواجب الاخلاقى.

فى ذلك اللقاء، اهدانى تشانغ جين تشوان ومرافقوه، بالنيابة عن اهالى فوسونغ

وعائلته، ساعة فى اطار خشبى كتب عليه : "تنينان يلهوان بحبة لؤلؤ"، ولوحة رسم صينى تقليدى بعنوان "دوشووتو" أى "خوخ العمر المديد". وتظهر فى اللوحة صورة طفل فى بيت ريفى يحمل فى يديه سلة مليئة بحبات خوخ ضخمة، وقد فسر تشانغ جين تشوان ذلك بانه تعبير عن التمنيات لى بالصحة الطيبة والعمر المديد.

وردا على هذا، وضعت فى معاصم تشانغ جين تشوان وتشانغ جين لو وتشانغ تشى ساعات ذهبية نقش عليها اسمى.

واثناء وجوده فى بيونغ يانغ، أخضع تشانغ جين تشوان لفحص طبى عام، وتم استبدال اضراسه المنخورة باخرى اصطناعية من الذهب.

وكان لقائى الثانى معهم فى قصر الضيافة بمدينة سينويزو الحدودية. وكانوا حينئذ فى طريق العودة الى وطنهم. وقد أقمت لهم وليمة غداء وتبادلت الحديث معهم لثلاث ساعات.

وقبل لحظات من الوداع، اهديت كلا منهم آلة تصوير، وقد تأثروا بذلك جدا. كنت قد قررت تقديم تلك الهدايا اليهم بعد تفكير جدى. فعندما كان تشانغ وى هوا يدير "استوديو سيونغدى للتصوير"، ارسل لنا فى احدى المرات آلة تصوير. فكانت هديتى ردا على تلك اللفتة من تشانغ وى هوا، وتعبيرا عن رغبتى فى ان يقتدى انجاله بمثاله فى تكريس النفس للثورة. وكنت قد علمت فى ذلك الوقت ان تشانغ جين تشوان يعمل فى فوسونغ فى مجال التصوير مثل ابيه.

وعند الوداع قلت لهم :

"غدا سأغادر سينويزو للذهاب الى بيونغ يانغ. ارجو ان تعملوا جيدا وأن تكونوا اعضاء ممتازين للحزب الشيوعى. لا تطمعوا بالمناصب العالية ولا تقترفوا الاخطاء! لقد ترعرعتم منذ صغركم دون أب، ولكننى سأكون اباكم منذ الآن."

فى سنة ١٩٨٧، زار تشانغ جين تشوان بلادنا مرة اخرى، وقد جاء مع زوجته وانغ فينغ لان، وابنه الثانى تشانغ ياو، وحفيدته تشانغ مينغ مينغ. والتقيت بهم آنذاك سبع مرات. وهذا ايضا تخطى اطار القواعد والاعراف المعمول بها. كانت تشانغ مينغ مينغ البالغة من العمر خمس سنوات اصغر صديقة بين الضيوف الاجانب الذين

توافدوا الى بلادنا لتهنئتى ببلوغى الخامسة والسبعين من العمر. وكانت تمثل الجيل الخامس من عائلة تشانغ.

فى مساء الثالث عشر من نيسان، دعوت الطفلة تشانغ مينغ مينغ مع جديها وعمها الى مسرح بونغهوا الفنى لمشاهدة العرض المشترك الذى تقدمه مختلف الفرق الفنية القادمة من مختلف البلدان للمشاركة فى "مهرجان نيسان الربيعى الفنى للصداقة". وقد رأيتها للمرة الاولى فى ذلك المسرح. فعند خروجى من قاعة الاستراحة توجهت الى مكانى، ورأيت حينئذ تشانغ جين تشوان وزوجته جالسين فى الصف الاول قرب الممر الأوسط الذى كنت أسير فيه. سلمت عليهما وعانقت الطفلة تشانغ مينغ مينغ ورفعتها بين ذراعى. ولم تبد الصغيرة اى ارتباك، بل ألصقت خدها بخدى وهى تبتسم بسعادة.

فى اللحظة ذاتها، صفق لنا آلاف المتفرجين فى الصالة. وحتى الضيوف الاجانب الذين لا يعرفون شيئا عن العلاقة التى تربطنى بعائلة تشانغ صفقوا لنا طويلا وهم سعداء لانهم كانوا شهود عيان لذلك المشهد.

اجل! يا عزيزتى مينغ مينغ! انا جد والدك. وانى اذ احملك بين ذراعى، أشعر بغصة فى حلقى وأنا اتذكر جد والدك. لقد كان يحب الاطفال كثيرا. وكم كان سيتعلق بك لو انه كان على قيد الحياة! ولكنه ضحى بحياته من أجلى. ولم يعش حتى سن الثلاثين. لست ادرى كيف استطيع الرد على صنيعه. انت زهرة الجيل الخامس للصداقة الكورية الصينية. ان جد جدك وابنه، ووالدى وأنا قد كرسنا حياتنا لهذه الصداقة. انت زهرة ظهرت فى تربة روتها دماؤهم وجهودهم. فازدهرى بكل الجمال من اجل الصداقة بين بلدينا، ولكى ينظر اليك العالم كله باعجاب.

هذه الافكار تملكتنى فى تلك اللحظات القصيرة وسط عاصفة التصفيق المدوى. عانقت تشانغ مينغ مينغ بشدة. وأحسست بقلب الصغيرة يخفق بقوة وحماسة قرب قلبى. هذا التقارب بين القلبين يمكن له أن يعنى لحظة تواصل مهيبة – من خلال الجيل الخامس – للاخوة بينى وبين تشانغ وى هوا.

أجل، لقد كان الامر كذلك. فرغم مرور الزمن الحافل بالعواصف العاتية،

تتواصل أواصر الاخوة بين اسرتينا، من خلال تشانغ وان تشينغ، تشانغ وى هوا، تشانغ جين تشوان، تشانغ تشى وتشانغ مينغ مينغ للجيل الخامس على التوالى، متغلبة على الكثير من الانهار الكبيرة والصغيرة التى تفصل بيننا. ان هذه الاخوة تمثل فى الوقت نفسه الصداقة بين البلدين والشعبين. ولهذا السبب بالذات، وصف تشانغ جين تشوان فيما بعد هذه الصداقة بانها "محبة قديمة تتدفق مع الزمن".

من رؤونى وأنا احمل تشانغ مينغ مينغ بين ذراعى أيقنوا بان الصداقة الكورية الصينية ستكون خالدة، عبر الاجيال.

فى ذلك اليوم كتبت لهم اهداء على نسخة من الصورة التى يظهر فيها تشانغ وى هوا واخى الصغير تشول جو. وقد أكد جين تشوان انهم سيحتفظون بالصورة ككنز عائلى.

اثناء اقامة تشانغ جين تشوان وعائلته فى بلادنا، وضعنا تحت تصرفهم طائرة وقطارا مع عدد كبير من المستخدمين. واحطناهم بمعاملة تليق بكبار ضيوف الدولة، لأنهم ذرية تشانغ وى هوا.

فى نيسان ١٩٩٢، زاروا بلادنا مرة اخرى لتهنئتى بعيد ميلادى الثمانين. وكانت تلك هى زيارتهم الثالثة الى بلادنا. وقد جاء منهم الى بيونغ يانغ اثنا عشر فردا من العائلة، منهم تشانغ جين تشوان وزوجته، تشانغ تشى وزوجته، تشانغ ياو، تشانغ مينغ مينغ وكذلك تشانغ جين لو وزوجها يوى يو بين وابنتهما يوى تشى يون وابنهما يوى تشى سيانغ الذين يعيشون فى بكين. ومع تواتر الزيارات كانت مشاعر المحبة تزداد تأججا وعمقا بينى وبين ابناء واحفاد تشانغ وى هوا.

وعلى ذكر الزيارة الثالثة، اهدانى تشانغ جين تشوان نسخة من كتاب "محبة قديمة تتدفق مع الزمن"، وهو عبارة عن مذكرات مطولة، يروى فيها باسلوب بسيط ودون مبالغة أو زخرفة، قصة الاخوة بين العائلتين التى بدأت بالعلاقات الحميمة بين أبى وتشانغ وان تشينغ. صحيح ان اسلوب الكتاب بسيط، ولكن كل سطر منه ينضح بمشاعر الاخوة والمحبة الصادقة والصافية. وقد خلف هذا الكتاب اثرا عميقا فى نفسى. وعندما امتدحته، احمر وجه تشانغ جين تشوان خجلا مثل طفل، وأبدى قلقه

وهو ينادينى بالعم الكبير، من أن يكون ثمة تقصير فى وصف الرعاية الدافئة التى أحيطهم بها.

وردا على ذلك، اهديته المجلدين الاول والثانى من مذكراتى "فى دوامة القرن" الصادرين باللغة الصينية.

"لقد كان تشانغ وى هوا وى . ت . نوفيتشينكو هما الاجنبيان اللذان دافعا عنى بحياتيهما. ان نوفيتشينكو مايزال حيا بالطبع، ولكنه لو لم يكن مستعدا لتقديم حياته لما كان ابدى روح التضحية التى اقدم عليها. فليس من السهل الاقدام على ما قام به، دون التوقف لحظة للتفكير فى النفس."

هذا ما قلته لتشانغ جين تشوان عند زيارته الثالثة لبلادنا مع جماعة من أفراد عائلته.

وبعد الاستماع الى كلامى، قال تشانغ جين تشوان وتشانغ جين لو ان مأثرة نوفيتشينكو، بمعنى ما، كانت اكبر بكثير من مأثرة والدهما، وسألانى بصراحة عما كان سيحدث لو لم يتدخل نوفيتشينكو.

"لقد كان فى حياتى حتى الآن اناس لا حصر لهم هرعوا لحمايتى. وهناك كثيرون لا يمكننى نسيانهم سعوا لحماية حياتى فى لحظات شديدة الحرج وقدموا لى المساعدة. أحد هؤلاء هو الكاهن سون زونغ دو، والد السيد سون وون تاى الذى يقوم معكم برحلة فى ربوع كوريا، وهناك آخرون ... ولهذا، فاننى افكر أحيانا بان السماء ترى من يفعل الخير للبلاد، فيأتيه دائما لمساعدته اناس لا يقدرون بثمن فى لحظات الخطر. وهذا ليس مثالية. فمن هو مستعد لتكريس حياته كلها من اجل الشعب، سيمد له الشعب دائما يد المساعدة. وهذه حقيقة وديالكتيك."

وأوصيتهما بالحاح انه يجب عليهما ان يتخذا من أبيهما قدوة ليكونا خير ابن وخير ابنة للشعب وان يخدماه ويكرسا حياتيهما له.

اهدتنى تشانغ جين لو كنزة صوفية ذات لون أحمر داكن حاكتها بنفسها. وقد قالت انها هيأت شيئا يمكننى أن استعمله يوميا، لانها تعرف اننى لن استعمل أى هدية اخرى، وستحفظ فى معرض الصداقة الدولية الدائم. لقد كان لفتة عميقة

المغزى. ولهذا تقبلت الهدية شاكرا، ولبستها فى الحال كى أسعدها، ثم التقطنا صورة تذكارية معا.

وآنذاك قال تشانغ جين تشوان انهم يفكرون فى وضع لوحة تذكارية جديدة على قبر والده بمناسبة مرور ٥٥ سنة على وفاته، وأعرب عن رغبته فى أن اضع بنفسى نص الكتابة التى ستنقش على اللوحة.

أحسست بالامتنان لانه طلب ذلك بشكل طبيعى تماما ودون مجاملات. ورأيت فى طلبه دليلا على انه يعتبرنى عمه الاكبر بكل صدق، ومن صميم قلبه.

"أتقول ٥٥ سنة؟ لقد توفى والدك فى الشهر العاشر حسب التقويم القمرى، واذا لم اكن مخطئا..."

واستغرقت فى افكار متجهمة، مستحضرا فى ذا كرتى ذلك الخريف المكفهر من سنة ١٩٣٧.

"اجل، ايها العم الاكبر. فى الثانى من الشهر العاشر عام ١٩٣٧ حسب التقويم القمرى، وفى ٢٧ تشرين الاول من هذه السنة حسب التقويم الشمسى."

"لنفعل التالى : بدلا من كتابتى على اللوحة التذكارية التى تريدون نصبها على القبر، لنقم نصبا تذكاريا باسمى. ما رأيكم؟"

وامام هذا الاقتراح المفاجئ، لم يستطع الاخوان تشانغ قول شىء للوهلة الاولى، واكتفيا بتبادل النظرات. فهما لم يطلبا منى شيئا بمثل هذا الحجم. لقد صرحا لى بما كان يدور فى خلديهما لانهما يعتبراننى كبير العائلة، ولكنهما ارتبكا عندما اقترحت فجأة وبشكل غير متوقع اقامة النصب.

فسارع جين تشوان الى القول :

"هذا كثير جدا، فنحن لا نريد ان نتسبب لك بكل هذا الازعاج ايها العم الاكبر. كل ما نريده منك هو كتابة عبارة تكريم، ثم نتولى نحن نقشها على اللوحة التذكارية."

"هذه فكرة جيدة أيضا. ولكن، كما يقول المثل : اذا كان الثمن واحدا، فمن الافضل اختيار التنورة الحمراء. سنهيئ نصبا تذكاريا هنا ونحفر عليه كتابتى، ونرسله لكم بواسطة رجالنا ولا يبقى عليكم غير نصبه. ما هو الوقت الذى ترونه مناسبا؟"

"اذا كان الحال هكذا، فنحن نشكرك جزيل الشكر. ولكننا نشعر بالاسف الشديد لما سببناه لك من ازعاج ايها العم الكبير، رغم مشاغلك الكثيرة. اظن ان طلبى كان متهورا. ..."

وارتبك تشانغ جين تشوان وتشانغ جين لو ولم يعرفا ما يقولان.

"اعداد النصب لا يتطلب وقتا طويلا. ولكن بما انه تقرر اقامته، سيكون من المستحسن عمل ذلك فى احتفال فى ذكرى وفاة والدك."

وافق تشانغ جين تشوان واعضاء عائلته على اقتراحى بارتياح. واكدوا لى انهم سيعجلون الاستعدادات بعد العودة الى فوسونغ من اجل اقامة النصب، وسيبلغون الهيئات المعنية فى بلادهم بذلك.

هكذا تقرر ان يقام باسمى نصب تذكارى على قبر تشانغ وى هوا، رفيقى القديم فى الثورة.

نقل عاملونا فى معهد تاريخ حزب العمل الكورى النصب التذكارى من بيونغ يانغ الى فوسونغ. وارسل الحزب والحكومة فى الصين موظفين الى جسر رينتشيانغ لاستقبال مندوبينا بحفاوة، واتخذوا الاجراءات اللازمة لكى يقام فى ٢٧ تشرين الاول الحفل المهيب لاقامة النصب على قبر تشانغ وى هوا فى فوسونغ. وقد اولت الاذاعة ووسائل الاعلام الجماهيرى فى الصين اهمية كبيرة لهذا الحدث، ونشرت عنه معلومات واسعة.

"المأثرة الثورية التى اجترحها الشهيد تشانغ وى هوا تشكل رمزا باهرا للصداقة بين الشعبين الكورى والصينى. ان روحه الثورية السامية ومآثره الثورية ستبقى حية الى الابد فى قلوب الشعوب.

كيم إيل سونغ

٢٧ تشرين الاول ١٩٩٢"

هذا هو النص المحفور على النصب التذكارى بخط يدى.

بعد عودة وفدنا الى بيونغ يانغ، شاهدت شريطا مسجلا عن الاحتفال، وقد ادهشتنى ضخامته. فقد كان لوحة حية للصداقة والشعور بالواجب الاخلاقى اللذين يمتلكهما شعبا كوريا والصين ومناضلوهما.

هل تستمر مشاعر المحبة بين انسان حى وآخر ميت؟

كلما طرح على هذا السؤال، كنت اجيب بنعم. والآن ايضا اجيب هكذا. وعلاقاتى الحميمة مع الجيل الثالث والرابع والخامس من عائلة تشانغ، وحفل اقامة النصب فى فوسونغ تشكل ادلة دامغة على صحة تلك الاجابة.

على الاحياء ألا ينسوا الاموات. وفى هذه الحال فقط، يصبح شعور الاخوة بينهم وطيدا وصادقا وخالدا. اما اذا حدث العكس، ونسى الاحياء موتاهم، فان ذلك الشعور يزول فى اللحظة نفسها حتما. وانا أرى ان تذكر الموتى بكثرة، ونشر مآثرهم على نطاق واسع، واحاطة ذريتهم بالعناية الدافئة، وتنفيذ وصاياهم بامانة يشكل واجب الاحياء الاخلاقى حيال الاجيال السابقة، وحيال الشهداء والرفاق الثوريين الذين سقطوا شهداء. وبدون هذا الشعور بالواجب، لا يمكن ان توجد الاستمرارية الحقيقية فى التاريخ والتقاليد.

بعد ارسال النصب التذكارى، احسست بعزاء أكبر بكثير من ذى قبل. ولكننى لو أقمت آلاف وعشرات آلاف النصب، فلن استطيع مطلقا مكافأة ما قام به تشانغ وى هوا الذى ضحى بحياته من اجلى!

والآن، بناء على رغبة والدى تشانغ ياو، يتعلم حفيد تشانغ وى هوا وحفيدته من ابنته يوى تشى يون فى معهد العلاقات الدولية العالى فى بيونغ يانغ.

حين يتملكنى الحنين الى تشانغ وى هوا، ازور مسكنهما الجماعى. فى التوقيت المتوتر ليوم عمل رئيس الدولة الذى تعز عليه كل دقيقة، ليس من السهل انتزاع الوقت للقاء مع الطلاب الاجانب الذين يتعلمون فى بلادنا. ولكن معاونى يجدون الوقت لكى يلتقى الرئيس مع احفاد تشانغ وى هوا. وانا لا ابخل بالوقت عليهما.

وعندما هنأنى تشانغ ياو ويوى تشى يون بمناسبة العام الجديد بلغة كورية سليمة، لم استطع اخفاء غبطتى. انهما يتكلمان لغتنا جيدا. واتمنى ان يتقنا بأسرع ما

يمكن معرفتهما الكاملة باللغة الكورية، وأن يستسيغا طعامنا ويقتربا من شعبنا.

ان اوضاع العالم الذى يقترب من القرن الحادى والعشرين قاسية ومعقدة جدا، ولكن المشاعر القديمة التى ربطت بينى وبين تشانغ وى هوا مازالت على حالها.

لقد أعربت منذ زمن عن رغبتى فى زيارة فوسونغ. ومازلت أشعر بهذه الرغبة حتى الآن. اريد الذهاب الى فوسونغ لزيارة قبر تشانغ وى هوا فى نانديانجى، ولكنى اخشى ان تبقى هذه الرغبة مجرد حلم. فاذا لم تتحقق رغبتى، فاننى سأذهب الى رفيقى القديم فى السلاح حتى ولو فى الحلم.

٥ـ جمعية استعادة الوطن

مع تعزيز وتطوير القوة الرئيسية للجيش الثورى الشعبى الكورى اثر ولادة الفرقة الجديدة، انفتحت امامنا آفاق جديدة لتوسيع وتعميق الحركة من اجل الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان، واجراء الاستعدادات التنظيمية والايديولوجية لتأسيس الحزب. وشكل ظهور تلك الفرقة الجديدة نشوء قوة دافعة جبارة تدعم الشيوعيين الكوريين فى نشاطاتهم العسكرية والسياسية من اجل توسيع نطاق النضال المسلح ونقله الى اعماق اراضى كوريا وجمع شمل القوى الوطنية من كافة الفئات والطبقات فى كتلة واحدة، وفتحت آفاق واسعة لاحداث تحول حاسم فى حركة الجبهة المتحدة التى طورناها بهمة بعد اجتماع كارون.

فبعد اجتماع نانهوتو ركزت هذه الحركة جهودها على النشاطات لانشاء منظمة متحدة على مستوى الامة كلها. وكان انشاء هذه المنظمة ذات الطابع الدائم وحشد اوسع قطاعات القوى الوطنية المناهضة لليابان، يطرح نفسه كمهمة ملحة لا تحتمل التأجيل، سواء لجهة تطور ثورتنا أو بالنظر الى متطلبات الوضع داخل وخارج البلاد.

لقد دافعنا منذ وقت مبكر عن الفكرة القائلة ان السبيل المضمون لبلوغ السيادة والاستقلال هو المقاومة التى تشمل الامة كلها بالاستناد الى الوحدة الوطنية الكبرى، وان مسألة الوحدة تشكل مفتاحا حاسما يتوقف عليه النجاح أو الاخفاق فى التوصل الى الاستقلال بقوانا الذاتية. فقد كانت الجبهة المتحدة جنبا الى جنب مع اقامة زوتشيه، احد أهم المثل العليا التى تمسكنا بها منذ الفترة الاولى للنضال الثورى المناهض لليابان.

وانطلاقا من مبادئ الوحدة الوطنية الكبرى والجبهة المتحدة، بذلنا جهودا

متفانيـة لتوحيـد القـوى القوميـة مـن مختلـف الاتجاهـات والمشـارب والقـوى الوطنيـة المعاديـة لليابـان. وبمـا اننـا كنـا نخـوض النضـال علـى الارض الصـينية، فقد طورنـا بنشـاط العمليـات المشـتركة مـع قطاعـات واسـعة مـن القـوى المناهضـة لليابـان ومـع الشيوعيين فى تلك البلاد. ولم تكن النجاحات والخبرات التى حصلنا عليها فى هذا المجال قليلة، وقد شكلت رصيدا ثمينا من أجل تطوير واسع لحركة الجبهة المتحدة. واستفادة من تلك النجاحات والخبرات، كرسنا كل طاقاتنا لتهيئة الظروف المؤاتية لتوسيع حركة الجبهة المتحدة على نطاق الامة كلها، وشرعنا فى الوقت نفسه فى التهيئة السريعة للنواة والقوى الذاتية القادرة على تنفيذ هذه المهمة.

لقد كانت هناك محاولات قبل عقد الثلاثينيات من اجل توحيد كل قوى الامة فى كتلة واحدة.

ففـى تـاريخ كوريـا المعاصـر، ومنـذ منتصـف العشـرينات، بـدأت مناقشـة مسـألة الوحدة الوطنية الكبرى بغض النظر عن الافكار والتطلعات. فى ذلك الحين، كانت توجـد قوتـان علـى حلبـة نضـال التحـرر الـوطنى فـى بلادنـا، وكانـت هاتـان القوتـان ممثلتـين بالتيـار القـومى والتيـار الشـيوعى. وكلمـا اشـتد قمـع الامبرياليين اليابـانيين ونهبهم، كلما ازداد احساس رواد حركة التحرر الوطنى بالضرورة الحيوية للوحدة الوطنيـة الكبـرى وحشـد طاقـات القـوى الوطنيـة. وانطلاقـا مـن هـذا الشـعور، بحـث الشيوعيون الاوائل عن امكانيات التحالف مع القوميين الذين حاولوا بدورهم التعاون مع القطاع الشيوعى.

وبفضل الجهود المشتركة لقادة الاتجاهين اللذين كانت لهما مصلحة مشتركة فى تحرير الامة واقرار سيادتها الوطنية، انشئت جمعية سينكان فى سيؤول فى شباط عام ١٩٢٧، وكانت اول جبهة متحدة فى تاريخ بلادنا. وكانت جماهير الشعب تعلق آمالا وثقة كبيرة على تلك الجبهة لدرجة ان الشخصيات الوطنية والمؤرخين سموها فـى ذلـك الحـين حـزب الامـة الوحيـد. وقـد رحبـت الجمـاهير بحـرارة بانشـاء جمعيـة سينكان، لانها كانت مستاءة من اجواء العداء وعدم الثقة بين القوة الشيوعية والقوة القوميـة. وقـد شـكل انشـاء الجمعيـة حـدثا سـعيدا يسـتجيب لرغبـة الشـعب ومتطلبـات

المرحلة، بحيث ادرك انصار الحركة الشيوعية والقومية المتنازعون بسبب اختلاف افكارهم واهدافهم، وان بصورة متأخرة، ضرورة الوحدة والتلاحم، وخطوا الخطوات الاولى فى تشكيل الجبهة الموحدة.

وقد كان الطابع الوطنى والمناهض لليابان هو الذى ميز غايات واهداف جمعية سينكان التى يمكن اعتبارها المولود الاول للجبهة الوطنية المشتركة فى بلادنا.

ومع تحقيق الوحدة فى جبهة مشتركة للقوتين اللتين يمكن القول انهما كانتا تمثلان الامة، اصبحت جمعية سينكان منذ ولادتها المنظمة الوحيدة التى تمثل الامة الكورية كلها. وقد انعكس الهدف من تأسيسها بوضوح فى اسمها "سينكان"، فقد استلهم مؤسسوها عبارة "كوموك سينكان" التى تعنى ان جذعا جديدا ينبثق من شجرة قديمة. وكما يوحى اسمها، فقد كانت المنظمة تستهدف حشد جميع القوى الوطنية على اسس جديدة.

وكان من فكروا بتأسيس جمعية سينكان ودفعوا عملية تطورها وقادوها هم جماعة من الشخصيات التقدمية والوطنية التى تحظى بشهرة واسعة بين الشعب، من أمثال لى سانغ زاى وهونغ ميونغ هى وهو هون وكان برنامج الجمعية ذا مضمون تجديدى وثورى، يرمى الى تشجيع الوعى السياسى والاقتصادى لدى الامة وترسيخ الوحدة الوطنية ونبذ جميع اشكال الانتهازية. وكانت عضوية الجمعية متسعة ومتنوعة جدا، تضم اكثر من ٣٧ ألف شخص من مختلف المهن، بينهم العمال والفلاحون، واصحاب الفنادق، والمصورون، والصحفيون، والتجار، والاطباء، والموظفون، والمعلمون، والكتبة بالعدل، ومربو المواشى، والطابعون، وصيادو الاسماك، وعمال شركات النقل، والنساجون، والخياطون، والطلاب، والمحامون، والكتاب، وموظفو المصارف ورجال الدين.

وعلى الرغم من عظمة غايات الجمعية واهدافها فى حشد قوى الامة كلها فى جسد واحد من خلال توحيد اليسار واليمين، الا انها غابت عن الوجود فى ايار ١٩٣١.

وهناك آراء متعددة حول اسباب حلها. فقد حاول الشيوعيون العثور على تلك الاسباب فى القوميين، وكان القوميون بدورهم يلقون المسؤولية على عاتق

الشيوعيين. وفى احد الاوقات حاول بعض المؤرخين العثور على السبب الرئيسى فى انقسام الفئة العليا فى الجمعية وتوجهها الاصلاحى، ومالوا الى انكار الطابع الوطنى لهذه المنظمة ومغزاها فى التاريخ الوطنى.

وليس بوسعى ان اوافق على مثل هذا المفهوم العدمى. من المفيد بالطبع القيام بتحليل علمى لاسباب حل الجمعية واستخلاص العبر، ولكن ليس من اللائق القاء المسؤولية على عاتق الآخرين. ومن الاجحاف ذم هذه المنظمة وانكار مغزاها فى التاريخ الوطنى لمجرد ان بعض الاصلاحيين كانوا فى قيادتها.

ان أحد أسباب حل جمعية سينكان يكمن قبل كل شىء فى واقع ان الامبرياليين اليابانيين الذين تخوفوا من توحيد قوى المقاومة لدى الامة الكورية، دقوا الاسافين داخل هذه القوى لشقها وقدموا الرشاوى الى العناصر الاصلاحية فى الفئة العليا. وهناك سبب مهم آخر لحل الجمعية، هو عدم وجود قوة قيادية مركزية قادرة على قطع دابر مؤامرات العدو التخريبية والهدامة وتوجيه الجمعية بحذق ومهارة.

بعد ان استخلصنا من انحلال جمعية سينكان العبر المريرة، اتخذنا القرار المهيب بتولى مهمة التوصل الى توحيد القوى الوطنية المحبة للامة، وطرحنا مسألة الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان كتوجه مهم، وسعينا جاهدين دون كلل لتوحيد الجميع تحت راية قضية مناهضة اليابان وانقاذ الوطن. وفى هذا السياق أهلنا عناصر النواة القادرين على توجيه هذه الحركة بروح المبادرة وراكمنا التجارب المفيدة.

لقد شكل اجتماع نانهوتو نقطة تحول تاريخية اتاح التهيئة لمنعطف جديد فى حركة الجبهة المتحدة فى بلادنا باتخاذه قرار تشكيل الجبهة المتحدة على مستوى الامة كلها.

وكانت قد بدأت تبرز فى ذلك الحين أيضا على الصعيد العالمى، حركة الجبهة الشعبية لاحباط العدوان الامبريالى ومواجهة الفاشية.

ان وصول النازيين الى الحكم فى المانيا شكل صدمة كبيرة للطبقة العاملة فى فرنسا، وحين لاحظت تفاقم خطر الفاشية فى فرنسا، شعرت بالضرورة الملحة

لتشكيل جبهة متحدة ضد الفاشية. وقد ادت تطلعات الجماهير الجبارة التوحيدية الى قبول الحزب الاشتراكى باقتراح الحزب الشيوعى ووقعا معا فى تموز عام ١٩٣٤ اتفاقا للعمل المشترك ضد الحرب والفاشية. وتوحدت كذلك النقابات التى كانت تعمل بصورة منفردة فى ظل نفوذ الحزبين، وتلا ذلك تشكيل "الجبهة الشعبية من اجل العمل والحرية والسلم". وكان الوضع يتطلب ان تتوصل هذه الجبهة الى الوحدة مع الطبقة الوسطى. وفى اواخر حزيران عام ١٩٣٥، انضم الحزب الراديكالى الاشتراكى ذو التوجه البرجوازى الصغير، الى ائتلاف الحزبين الاشتراكى والشيوعى، وتم بذلك تشكيل ما سمى "الكتلة الشعبية". وفى ١٤ تموز جرت فى باريس مظاهرة ضخمة للجبهة الشعبية اشترك فيها مئات الآلاف. وسار رؤساء الاحزاب الثلاثة موريس توريز وليون بليوم وادوار دالادية معا فى مقدمة المتظاهرين. وفى كانون الثانى عام ١٩٣٦، تم الاعلان الرسمى عن برنامج الجبهة الشعبية القائمة على قاعدة وحدة المجموعات التقدمية المناضلة ضد الحرب والفاشية، وكانت القوة المركزية فيها هى تلك الاحزاب الثلاثة. واحرزت الجبهة الشعبية انتصارا ساحقا فى انتخابات مجلس النواب التى جرت فى شهرى نيسان وايار من ذلك العام. ونتيجة لهزيمة حكومة سارو، برزت حكومة الجبهة الشعبية برئاسة ليون بليوم التى حاولت تجاوز الازمة الاقتصادية برفع القدرة الشرائية للجماهير، ولكنها أخفقت فى ذلك. وعلى الرغم من انها أعلنت تأييدها لحكومة الجبهة الشعبية الاسبانية، الا انها تمسكت بما اسمته "سياسة عدم التدخل"، مما حال دون تقديمها مساعدة فعالة لها. وفى نهاية المطاف انهارت الجبهة الشعبية فى فرنسا. ولكنها حالت مع ذلك دون اقامة النظام الفاشى السافر فى فرنسا، وكانت تجربة مفيدة للحركة الشيوعية العالمية وللنضال ضد الفاشية.

وقد استخلص الكومنترن العبر القيمة من تطور حركة الجبهة الشعبية فى فرنسا، فطرح على الشيوعيين فى العالم كله قضية تشكيل الجبهة الشعبية كهدف هام جدا من اهداف النضال.

وهكذا لم تعد المهمة الملحة للحركة الشيوعية العالمية هى القيام بالثورة

العالميـة الهادفـة الـى هزيمـة الرأسـمالية، وانمـا حركـة حمايـة السـلم والديمقراطيـة، ومناهضـة الحـرب والفاشـية. ويمكـن القـول ان ذلـك كـان انعطافـا فـى خـط الحركـة الشيوعية العالميـة. وقـد رفـض عـدد مـن احـزاب الاممية الثانيـة اقتـراح الكـومنترن بانشاء الجبهة المتحدة، ولكن تقدما كبيرا تحقق مع ذلك فى حركة الجبهة الشعبية فـى فرنسا واسبانيا وبلدان اميركا اللاتينية ومناطق اخرى فى العالم.

ومـن الامثلـة علـى ذلـك كـان ظهـور حكومـة الجبهـة الشـعبية برئاسـة اثانيـا فـى اسبانيا فى شباط عام ١٩٣٦. ولكنها وجدت نفسها فـى موقـف حـرج عنـدما اضـطرت الى مواجهة تمرد فرنكو والتدخل العسكرى من جانب المانيا وايطاليا.

وكانت الضربـة القاضية التى تلقتهـا حكومـة الجبهـة الشـعبية فـى اسـبانيا هـى مـا سمى بسياسة عدم التدخل التى انتهجتها اساسا الولايات المتحدة الاميركيـة وبريطانيـا وفرنسا. فقد كانت سياسة مجحفـة باقرارهـا الحيـاد الصـارم وحظـر تصـدير الاسـلحة، مما شكل عمليا مساعدة للمتمردين. وقد تبنى الاتحاد السوفييتى فى البدء موقف عدم التدخل، ولكنـه حين تأكد بوضـوح من ان هذا الموقف يلحق ضـررا كبيـرا بحكومـة الجبهـة الشـعبية غيـر موقفـه وارسـل طـائرات ودبابـات واعتـدة حربيـة اخـرى لـدعم حكومة الجبهة الشعبية.

لقد اثـارت المصـاعب الحرجـة التـى عانتهـا الجبهـة الشـعبية الاسـبانية تعـاطف المثقفين وجماهير الكادحين فى العديد من البلدان، وتقاطر الى اسبانيا عدد غفيـر مـن المتطـوعين فـى مختلـف البلـدان. فتحولـت اسـبانيا الـى مسـرح للمواجهـة العالميـة بـين القـوى الفاشـية والقـوى التقدميـة التـى تؤيـد الجبهـة الشـعبية. وكـان ذلـك اشـبه بحـرب عالمية مصغرة.

هكـذا كـان وضـع الحركـة العالميـة المعاديـة للفاشـية قبـل وبعـد تأسيسـنا فـى دونغكـانغ لجمعيـة اسـتعادة الـوطن. كمـا ان المقاومـة البطوليـة التـى خـاض غمارهـا الوطنيون الاثيوبيون ضد المعتدين الايطاليين أمدتنا بحماسة عظيمة.

وقد استشـف الكـومنترن بسـرعة التغيـرات الحـادة فـى الوضـع العـالمى، فطـرح كمهمة استراتيجية عاجلة مسألة توحيد الطبقة العاملة والجماهير الكادحة فى كل بلد

للنضال بهدف منع الحرب وحماية السلم، ومناهضة الفاشية والدفاع عن الديمقراطية، وتولى الكومنترن الدور المنوط به كهيئة قيادية للثورة العالمية. وفى هذا تكمن المأثرة التاريخية للاممية الشيوعية فيما يتعلق بقيام حركة الجبهة الشعبية المناهضة للفاشية.

لم تكن الفاشية عدوا جديدا بالنسبة لنا. وحتى بعد بروز الفاشية على الصعيد الدولى، لم يتغير هدف ثورتنا ولا طابعها. فقبل ان تطرح الاممية الشيوعية خط حركة الجبهة الشعبية المناهضة للفاشية، كنا قد وضعنا، على طريقتنا، خط الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان، ودفعنا عجلة ثورتنا قدما الى الامام وفقا لهذا الخط.

بعد اجتماع نانهوتو، بدأ الاستعداد لتأسيس جمعية استعادة الوطن كمنظمة للجبهة المتحدة لعموم الامة. وكنت أنا وحدى حتى ذلك من عمل على انضاج الافكار بهذا الشأن. وكان بعض الرفاق من امثال كيم سان هو وتشاى هيون وباك يونغ سون وغيرهم يوجهون لى النصيحة بين الحين والآخر، ولكنهم كانوا على العموم يتخذون موقف من يريد ان يقول : "ايها الرفيق القائد، افعل ما يطيب لك". هكذا كانت الامور الى ان التقيت بمثقف متقدم فى السن فى قرية جبلية قرب يوشويتشوان بمنطقة تونهوا، فكان مستشارا ومحدثا ممتازا لى.

كان فى تلك القرية بيتان كوريان. وأقمت فى احدهما. وجاءت لمقابلتى فى اثناء ذلك وحدة صغيرة كانت تعمل فى منطقة هيلونغ. وقد ابلغنى مقاتلوها فور وصولهم بان رجلا غريب الاطوار قد تبعهم الى هناك. وكانوا قد التقوا به فى قرية نائية فى منطقة هيلونغ، وحين عرف انهم يتجهون الى مقر القيادة راح يقتفى اثرهم لانه يريد، على حد زعمه، ان يرى القائد كيم إيل سونغ. وغير مرة نصحه مقاتلو الوحدة الصغيرة بالعودة الى بيته، لانهم كانوا يعرفون انه لا يحق لهم ان يصطحبوا رجلا مجهول الهوية الى مقر القيادة.

ولكنه قال :

"اذهبوا انتم فى طريقكم وانا امشى فى طريقى ولا تشغلوا بالكم! ولنعمل على ألا نتدخل فى شؤون بعضنا بعضا."

ثم واصل مشيه بصمت وهدوء خلف الوحدة الصغيرة محتفظا بمسافة قصيرة تفصله عنها.

لقد اثار الحديث عنه فضولى قبل ان التقى به. وكان تصرفه غريبا بالفعل حين التقيته. وحين قدمنى الرفاق فى تلك الوحدة الصغيرة على اننى القائد، لم يصغ الضيف غريب الاطوار اليهم، وراح يتوسل اليهم لكى يأخذوه الى القائد كيم إيل سونغ الحقيقى ولو احتراما لكبر سنه ورغبته فى اللقاء به. فقد استقبلته وانا اقطع الحطب فى فناء البيت حيث أقيم، ويبدو ان هندامى لم يرق له. وبعد ان تأملنى متفحصا، قال بحزم انه لا يمكن للقائد كيم ان يكون شابا، وانه لا يمكن كذلك لرجل مثل القائد ان يقطع الحطب وكأنه خادم ويرتدى ثيابا مزرية.

وفى احدى المرات، اثناء وجودنا فى منشوريا الشمالية، أمضينا الليل فى العراء بالقرب من غواندى، وقد غلب النعاس يومئذ جندى الاتصال المستجد المكلف بمراقبة الموقد، فأدى ذلك الى حرق سروالى. فكان لا بد لى من ترقيع ذلك السروال المبطن الذى كان مهترئا فى الاصل. ولهذا السبب كان مظهرى مؤسفا بالفعل.

ولكن ذلك الرجل كان غريب الاطوار على كل حال. كانت له لحية شبيهة بلحية هو شى مينه. وكان فى نحو الرابعة والاربعين أو الخامسة والاربعين من عمره، ولكنه كان يبدو بمظهره كمن تجاوز الخمسين.

قال انه سمع الكثير عنى من الاهالى، وانه اراد ان يلتقى ويعرف من اكون، وكيف اكتسبت كل تلك الشهرة. وعندما اجبته بالقول الشائع بان حفلة الزفاف التى يعلن عنها بأبهة لا تجد فيها ما تأكله، وافق على قولى بايماءة من رأسه وأكد ان مجرد رؤيته ملابس القائد تجعله يتصور صعوبة الظروف التى كنا نقاتل فيها.

وعلى الرغم من الفارق الكبير فى العمر، فقد تفاهمنا بسرعة ووجدنا ان ثمة لغة وأفكارا مشتركة تجمع بيننا. وبدت طريقته فى تقديم نفسه غريبة وظريفة جدا:

"أنا انتهازى دون أى جدارة، أضعت الوقت فى الالتصاق باليسار تارة وباليمين تارة أخرى."

لقد التقيت فى حياتى بعشرات آلاف الناس، ولكنى لم أر انسانا واحدا

يقدم نفسه دون تردد منذ اللقاء الاول قائلا انه انتهازى.

ان ذوى الضمير النقى وحدهم من يستطيعون ان يكونوا صريحين دون حدود. فتلك الصراحة هى انعكاس لضمير طاهر مثل بياض الثلج وبريق لا يمكن اخفاؤه. وقد اذهلتنا صراحته فى تقديم نفسه بذلك الايجاز، ونال تعاطفى واعجابى على الفور. فتلك الكلمات الصريحة التى يحط فيها من قدر نفسه، أظهرت لى على العكس من ذلك، مدى سمو شخصيته.

كان علينا ان ننطلق فورا الى ميهونجين، ولم يكن لدينا متسع من الوقت للبقاء فى تلك القرية. لذا بقيت معه ما يكفى من الوقت لكى ارضيه قبل ان اودعه.

ولكن، حين بدأنا المسير، تبعنا. وكان يقول انه بعد ان تعرف على القائد كيم أصبح من الصعب عليه مفارقته بهذه السرعة، وتوسل الينا السماح له بمرافقتنا بضع ساعات. ولسبب لا أستطيع تفسيره لم اكن أنا ايضا راغبا فى مفارقته. فانطلقنا معا فى الطريق.

تبادلنا الحديث طوال الوقت دون ان نشعر بارهاق المسير. وكنت استغرق فى الحديث معه الى حد انى كنت اواصل المسير احيانا دون ان انتبه الى ان المقاتلين بحاجة الى الراحة.

وفى مثل هذه الحالات، كان كيم سان هو يدنو منى ويذكرنى هامسا فى اذنى بانه علينا ان نتوقف للراحة.

كان ذلك الرجل هو لى دونغ بايك الملقب "بالشيخ ذى الغليون" الذى دخل تاريخ حزبنا كاحد المبادرين الى تأسيس جمعية استعادة الوطن.

هناك كثيرون يعرفون ان دانتشون بمحافظة هامكيونغ الجنوبية هى مسقط رأس لى دونغ هوى، العسكرى الذى كان يحمل ما يعادل رتبة الرائد فى المرحلة الاخيرة من عهد سلالة لى الملكية والقائد الشهير لجيش المتطوعين الفاضلين، الذى انتقل فيما بعد الى الحركة الشيوعية. ولكن قلة هم الذين يعرفون ان دانتشون هى مسقط رأس لى دونغ بايك ايضا.

من خلال الحديث الذى تبادلناه اثناء المسير، عرفت انه درس كثيرا فى حداثته

رموز الكتابة الصينية، وانه كان للى دونغ هوى اثر كبير فى تكوينه وتطوره، وهو ما جعله يلتحق فيما بعد بالحركة الاستقلالية. والمنظمة التى انتمى اليها كانت تدعى جماعة "كونبى" وكان مقرها فى منطقة تشانغباى.

وعندما ذكر جماعة "كونبى" واسم كانغ زين كون صار الحديث اكثر حيوية ونشاطا. فقد كان يعرف كانغ زين كون جيدا مثلما كنت أعرفه. واكد لى انه كثيرا ما كان يذهب الى باتاوكو ورينتشيانغ، وكان يقوم اثناء ذلك باتصالات وثيقة مع كانغ زين كون. وكان يتولى فى جماعة "كونبى" منصب رئيس الشؤون العامة والمسؤول عن الاتصالات.

ولكن عندما امتدت دوامة العمليات "التأديبية" الكبرى الى منطقة تشانغباى فى عام كيونغسين (١٩٢٠)، انهارت جماعة "كونبى" التى كانت مرهوبة الجانب بين ليلة وضحاها. فاصيب لى دونغ بايك بخيبة أمل وانتقل الى روسيا بحثا عن لى دونغ هوى.

وقد تقابلا فى تشيتا ثم انضم الى حزب كوريو الشيوعى. وهذا يعنى ان الاستقلالى بالامس قد تحول اليوم الى نصير للحركة الشيوعية. ومع هذا التحول المفاجئ، وجد نفسه فى دوامة النزاعات الفئوية.

حين سمعته يتحدث عن حزب كوريو الشيوعى تذكرت بطاقة عضوية هذا الحزب التى رأيتها فى ووتشازى فسألته اذا كان يعرف بيون داى وو. فاجاب انهما كانا صديقين حميمين منذ زمن بعيد.

وحين حدثته عن تلك البطاقة التى اراني اياها بيون داى وو فى ووتشازى، سألنى اذا كنت قد رأيت شهادة عضوية مؤتمر الحزب الممهورة بختم البطاطا. وعندما قلت له اننى لم اسمع بهذا من قبل، روى لى قصة ذلك الختم.

فى تشرين الثانى عام ١٩٢٢، عقد فى فيرزيندينسك الواقعة فى الشرق الاقصى الروسى، مؤتمر مشترك لجماعتى شنغهاى واركوتسك. وكان كلا الطرفين يرى ان امتلاك الاغلبية فى المؤتمر هو وحده الذى يتيح له الهيمنة على قيادة الحزب بعد دمج الجماعتين، فانغمس الطرفان فى نزاع ضار وخفى وكل منهما يرمى الى زيادة عدد مندوبيه الى المؤتمر.

فصنعت جماعة اركوتسك خاتما من البطاطا، ومهرت به شهادات مندوبين مزيفة وأوصلت الى المؤتمر عددا لا بأس به من الممثلين غير الشرعيين. ولم تقف جماعة شنغهاى مكتوفة الايدى، بل لجأت هى ايضا الى ممارسات لا تقل احتيالا. وقال لى ان المؤتمر تحول الى حشد مشاغب بسبب المشاحنات الهائجة. فشعر بيون داى وو بخيبة الامل ومضى الى رينتشيانغ وفى نيته العودة الى الحركة القومية. اما لى دونغ بايك فقد ارسله لى دونغ هوى الى هونتشون.

عمل لى دونغ بايك، "الشيخ ذو الغليون"، معلما فى هونتشون حتى ربيع عام ١٩٢٥، حيث ذهب الى سيؤول. وحضر المؤتمر التأسيسى للحزب الشيوعى الكورى تحت اسم مستعار، واشترك فى السنة التالية فى مظاهرة ١٠ حزيران المطالبة بالاستقلال.

واثناء اقامته فى سيؤول التى كانت نقطة تجمع الزمر الفئوية، وجد لى دونغ بايك نفسه، دون ان يشعر، فى دوامة جديدة من النزاعات الفئوية. وعاش اياما مليئة بالمشاغل والصخب متوليا القيام بدورين أو ثلاثة ادوار فى الوقت نفسه، فقد انتمى فى اول الامر الى جماعة هوايو ثم انتقل الى جماعة م . ل ولم يعد يعرف الى اى جماعات اخرى انضم بعدها.

وقد وصلت المكائد القذرة للهيمنة على الحزب حد اقتراف اعمال شنيعة لا تصدق، مثل اختطاف أحد أعضاء اللجنة المركزية بوضعه فى كيس وضربه بعد ذلك بالهراوات وال "موكتشيم"(٠) حتى تكسير رأسه، كما اقترفوا اعمالا تراجيكوميدية محزنة ومثيرة للاشمئزاز بالوشاية بخصومهم الى الشرطة وتحريضها لالقاء القبض عليهم. ولو ان لى دونغ بايك بقى فى سيؤول، لما كان سيعرف متى وفى أى زقاق يمكن ان يجد نفسه مكبل اليدين أو مهشم الرأس دون ان يعلم احد بذلك. وهكذا عاد لى دونغ بايك من جديد الى تشينتاو الشمالية.

وكان مثل سفينة يقودها التيار، بلا اشرعة ولا دفة ولا مجداف. فكان يميل مع

---

(٠) "موكتشيم" : نوع من الوسائد الخشبية – المترجم

الريح، ويطوف على الامواج من اليسار الى اليمين ومن اليمين الى اليسار. واخيرا، بصق على عالم النزاعات الفئوية واستقر بثبات فى البر. وعمل صحفيا فى لونغجينغ مديرا ظهره للحركة القومية والشيوعية على السواء.

ولكن حركة المقاومة المناهضة لليابان التى اخذت تتأجج فى اراضى تشينتاو فى الثلاثينيات دفعت لى دونغ بايك مرة اخرى الى دوامة العواصف. فانجذب الى اشخاص غير واضحى المبادئ كانوا ينتمون الى جماعة هوايو، وشغل منصب أمين لجنة الدائرة الثالثة بمحافظة هيلونغ الى ان تمكن من النجاة حيا بمعجزة اثناء العملية "التأديبية" الكبرى فى تشينتاو. واتخذ بعد ذلك قرارا حاسما ونهائيا بالابتعاد عن ذلك العالم الى الابد، ورحل مع اسرته الى ناحية نائية من هيلونغ، حيث عمل معلما فى مدرسة خاصة، واصبح يعيش حياته فى السنوات الاخيرة فى عزلة. وقد اختتم كلامه قائلا :

"وباختصار، ماذا يمكن القول عنى سوى اننى انتهازى؟ لقد انتسبت الى جميع الفئات باستثناء جماعة سوسانغ."

وكما لو انه يريد ان يختم نهائيا على قصته المؤلمة، راح لى دونغ بايك يضغط التبغ الذى كان يحشو به الغليون. لقد كان مدمنا على التدخين وكان احيانا لا يخرج الغليون من فمه حتى هو على صهوة الجواد فكان جنود الاتصال الفتيان يلومونه على ذلك. وبدلا من ان يغضب منهم، كان يدس الغليون فى جيب معطفه وهو يهمس وكأنه يعتذر : "كم انا كثير النسيان! لقد نسيت مرة اخرى ان التدخين اثناء المسير يعنى اثارة انتباه الاعداء الكلاب من بعيد". ولم يكن يدخن السجائر الملفوفة مطلقا. بل كان يستعمل الغليون على الدوام. ومن هنا جاء لقبه "الشيخ ذو الغليون".

"شكرا لك على صراحتك. الا اننى لا اعتبرك انتهازيا. ما فعلته ليس سوى البحث فى هذا الجانب أو ذاك عن الطريق الصحيح لتطور المجتمع الكورى. لا يمكن القول بأى حال انك انتهازى لكونك التحقت بهذه الفئة أو تلك بحثا عن طريق الحقيقة."

ابدى لى دونغ بايك استغرابه من كلامى، وقال :

"هل صحيح اننى لست انتهازيا رغم انضمامى الى جماعات متعددة؟"

"ان هذا يؤكده مجرد مجيئك للقاء بى مجتازا طريقا طويلة، دون أن تهتم بانك لم تعد شابا وبانك كنت قد قررت العيش فى عزلة، وعشت تلك الحياة فعلا فى قرية نائية فى هيلونغ لعدة سنوات. فهل يمكننا اعتبار الدافع الى مجيئك هو الانتهازية؟"

"انك تقرأ افكارى وتسبر اعماق نفسى، ولا يسعنى الا ان استسلم لك بمنتهى السعادة. واذا كنت قد هجرت بيتى من جديد، فقد فعلت ذلك لاشباع رغبتى الجامحة فى لقاء (الكنز) قبل ان اموت مهما كان الثمن، وبعد ان بحثت عنه عبثا طوال عشرات السنين الماضية."

"يسرنى جدا ان التقى بك لانك تبحث عن الحقيقة بدافع من هدف نبيل. يبدو لى انه كان يوجد فى بلادنا فى وقت ما كثير من الباحثين عن الحقيقة واعضاء فى حركات ذات اهداف عادلة، كما هى حالتك؛ ولكن عددهم قليل جدا الآن، فقد زج بعضهم فى السجون، وارتد آخرون وتضرر غيرهم بشكل أو بآخر. ومن حسن الحظ انك مازلت على قيد الحياة."

استمر حوارنا الصريح والممتع الى ان وصلنا ميهونجين.

وفى اثناء ذلك احسست بالمودة نحوه.

وقد تولد لديه شعور مماثل نحونا. وكما يقول المثل "ما كادت المودة تبدأ حتى جاء الفراق". وقد كان الفراق صعبا. ولكن لم يكن بامكاننا اصطحاب رجل متقدم السن فى طريقنا الطويل المحفوف بالاخطار والمعارك المتواصلة مع العدو.

وقبل ان نغادر ميهونجين، نصحته ثانية بان يعود الى بيته. وبدلا من ان يجيبنى، راح يبحث فى جيب معطفه، وأخرج ورقة مطوية وفتحها. كانت طلبا بالانتساب الى جيش حرب العصابات مكتوبا باللغة الكورية والرموز الصينية.

ولو اننا رأينا الشمس تطلع من الغرب، لما شعرنا بمثل تلك الدهشة التى شعرنا بها فى تلك اللحظة.

"كيف لك وانت فى هذه السن ان تصاحبنا؟"

"لا تقلق بشأن سنى. لقد كان بين جنود اولزى مون دوك ولى سون سين

من هم اكبر منى سنا بمرة ونصف. فلا يمكن للسن اذن ان تكون سببا فى رفض طلبى."

"ولكن، من الذى سيعتنى بزوجتك واولادك الذين ينتظرونك بفارغ الصبر فى مكان بعيد من هيلونغ؟"

"هنالك من يقول : ان الانسان ليتألم من عدم تنفيذ رغبته، حتى ولو كانت رغبته هى الذهاب الى المنفى. وقد غادرت بيتى وقطعت هذا الطريق لاكرس نفسى لانقاذ الوطن، وها انتذا تأمرنى بالعودة الى بيتى. فهل فكرت انت نفسك بمن سيعتنى بأمك المريضة واخويك الصغيرين عندما انطلقت الى النضال من اجل استعادة الوطن؟"

كان من المستحيل اقناع "الشيخ ذى الغليون". فاضطررت الى الاستسلام. وبمناسبة انتسابه الى جيش حرب العصابات، أهديته مسدسى، سلاحى المفضل الذى كنت أحمله منذ سنتين.

وحين تقرر قبوله، شرح لى دونغ بايك بحماسة كبيرة السبب الذى دفعه الى عدم العودة الى بيته والاصرار على البقاء معنا.

"هل تعرفون ما الذى دفعنى الى البقاء معكم، ايها القائد؟ أولا، هدفك السامى؛ وثانيا، سروالك المرقع وبكاء المصابين بالحمى فى ميهونجين ... حين رأيتك تقترب منهم دون تردد وتعتنى بهم رغم انهم فى حجز صحى، امعنت التفكير بعمق فى ذلك كله. ليس من السهل، كسهولة الكلام، العناية بمصير المرؤوسين وحمايتهم، وتعريض المرء حياته للخطر من أجلهم. لقد قابلت شخصيات كثيرة تدعى انها مرموقة ولكن ايا منها لم يكن يتمتع بما تتمتع به من سمو. لقد وجدت السيد الحقيقى للثورة الكورية، السيد الفعلى والقائد الحقيقى الذى تحمل مسؤولية مصير كوريا، وهذا هو السبب الرئيسى لبقائى. انك لا تضيع الوقت، ايها القائد، فى المجادلات والانشقاقات العقيمة، وهذا المظهر الايجابى وحده كان كافيا لادهاش مثقف مبتذل مثلى."

"وهل هناك سبب ثالث ابقاك معنا؟"

"وكيف لا! انه طريقة تفكيرك الخلاقة والعملية، وايمانك الراسخ فى انتصار الثورة."

ذات يوم، انتهزت احدى الاستراحات من المسير، وتبادلت مع "الشيخ ذى الغليون" الآراء حول تنظيم الجبهة الوطنية المتحدة. فأوضح وجهة نظره بالقول انه فى بلدان مثل فرنسا واسبانيا والصين حيث توجد احزاب كالحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى والحزب القومى وغيرها، كما توجد منظمات للحركة العمالية، كان بالامكان انشاء الجبهة الشعبية بتوحيد الاحزاب السياسية والمنظمات الاخرى، اما فى بلادنا، حيث لا وجود عمليا لاى احزاب او منظمات شرعية، فاننى ارى ان انشاء الجبهة المتحدة هو ضرب من المستحيل.

اعطيته كرتين من الثلج وطلبت منه ان يجمعهما معا فى كتلة واحدة، ودحرجت أنا بدورى كرة صغيرة على الثلج الى ان أصبحت بحجم الكرة التى فى يده.

"انظر، لقد جمعت أنت كرتين صغيرتين وجعلت منهما كرة واحدة، اما انا فقد دحرجت كرة صغيرة على الثلج وجعلتها بحجم كرتك. فما عساك تقول فى هذا؟ أمازلت مصرا على انه لا بد من وجود الاحزاب السياسية لانشاء منظمة الجبهة المتحدة؟"

نظر لى دونغ بايك مليا الى الكرة الثلجية فى يدى وكأنه ينظر الى كرة زجاجية سحرية، ثم دمدم قائلا :

"انه مبدأ معقول حقا! ولكن كرة الثلج شىء والحزب السياسى شىء آخر."

"مع ذلك، ومما يثير دهشتنا، ان عددا لا يستهان به من ظاهرات الطبيعة التى نواجهها تتماثل من حيث المبدأ مع الظاهرات الاجتماعية."

ثم شرحت له بالتفصيل سياسة الجبهة المتحدة التى دعونا اليها بثبات منذ مرحلة جيلين، والخبرات التى اكتسبها الشيوعيون الشباب من الجيل الجديد فى رص صفوف القوى الوطنية المناهضة لليابان من مختلف الطبقات والفئات.

"ان انشاء الجبهة المتحدة لا يستدعى حتما تحالف الاحزاب والمنظمات الاخرى. واعتبار ذلك ضرورة مطلقة يؤدى الى الوقوع فى الجمود العقائدى.

فبالاعتماد على الجماهير والنواة القيادية يمكن انشاء الجبهة المتحدة دون اى اشكالات. اننى انطلق فى وجهة نظرى من ضرورة حشد عشرة أشخاص أو مئة شخص فى البدء، مع الاخذ فى الاعتبار اهدافهم وتطلعاتهم المشتركة كمعيار. وقد دفعنا حركة الجبهة المتحدة انطلاقا من هذا الموقف منذ زمن بعيد."

قال وهو يضرب رقبته ضربات خفيفة براحة يده : "مازال الجمود العقائدى هو المشكلة"، ثم انطلقت من فمه بعض القهقهات.

بعد ان فسر "الشيخ ذو الغليون" سبب بقائه معنا، اردف قائلا :

"لقد وجدت اخيرا ما على القيام به الى جانب القائد لكى اعيش الشطر الاخير من حياتى بجدارة. هذا يعنى اننى اكتشفت قيمة حياتى. ويمكن التأكيد ان الانسان يشعر بالسعادة عندما يدرك فائدة وجوده فى هذا العالم. اننى انسان سعيد الآن."

"اية قضية وجدت حتى تعتبر نفسك سعيدا؟"

"ما اكتشفته يشبه المهمة التى قام بها الرسام دافيد عندما رافق نابوليون. اننى اريد ان اسجل فى دفتر ملاحظاتى ما كان دافيد يسجله بريشته. ولكننى لن اسجل حركة جيوش نابوليون التاريخية، بل النشاط التاريخى للجيش الثورى الشعبى الكورى."

وقد نفذ لى دونغ بايك وعده ودون مذكرات يومية كاملة، دون أن يهمل يوما واحدا، حتى ولو فقد وجبة أو وجبتين فى اليوم، أو حتى امضى بضعة أيام دون طعام. وقد ادى على اكمل وجه مهمة مؤرخ الجيش الثورى الشعبى الكورى حتى اللحظات الاخيرة من حياته. ومنذ انتمائه الى الجيش، عمل فى مكتب امانة القيادة ثم عمل فيما بعد رئيسا لتحرير مجلة "سامئيل وولغان" لسان حال جمعية استعادة الوطن مع قيامه فى الوقت نفسه بمهمة مدير المطبعة. وقد جمع كمية كبيرة مع الوثائق والصور الفوتوغرافية، حتى اننا كنا نضطر عند انتقال الامانة الى مكان آخر ان نرسل اليه بعض الجنود لنقل اكثر من عشر جعب من الوثائق وادوات النسخ.

ذات مرة، نصحه كيم زو هيون باتلاف بعض الاوراق لتقليص حجمها ولو الى النصف، ولكن لى دونغ بايك رد عليه فى الحال :

"ولماذا؟ أانت تعتبر هذه الوثائق مثل اوراق (مينساينغدان)؟ صحيح انك قائد،

ولكنك انسان ضيق الافق. هذه الحزم هى كنز حقيقى! وهى اثمن بعشرات، بل ومئات المرات من حياة شخص مثلى. أنت آمر فوج على المستوى العسكرى، ولكنك تغدو جنديا عاديا بالمقارنة مع هذه الحزم من الاوراق. هل تعرف يا ترى كيف تتراكم الكنوز الوطنية؟"

منذ ذلك الحين، صار القادة يسهلون مهمة "الشيخ ذى الغليون" ويضعون تحت تصرفه جنودا لنقل حمولته مهما كانت كبيرة.

ولو لم تضع اكوام الوثائق واليوميات والصور الفوتوغرافية التى سجلها وجمعها وحفظها "الشيخ ذو الغليون"، لصارت اليوم، كما تنبأ، كنزا ابديا للبلاد.

حدث ذات مرة ان اطلق رصاصة بالصدفة. فقد كان يمسك مسدسه الذى انتهى من تنظيفه للتو عندما نعته احد جنود الحرس "بالعجوز عابد نابوليون" لانه كان يكثر من ذكر اسم نابوليون.

"يا لك من مغفل. سيخبرك مسدسى بمن اعبد! اسمع، تعرف!"

رفع يده التى تحمل المسدس المحشو نحو السماء، وضغط على الزناد.

اثارت تلك الطلقة المفاجئة استنفار معسكر لاومودينغجى كله. وهدد الآمرون بتوجيه انذار اليه وحرمانه من حمل السلاح لمدة شهر. طلبت منهم الصفح عنه لان ذلك كان خطأه الاول، ولكن الانضباط العسكرى كان صارما. فقام كيم سان هو بمصادرة المسدس.

يمكن القول ان وجود جوهرة نفيسة مثل "الشيخ ذى الغليون" فى وحدتنا هو ضربة حظ كبيرة بالنسبة لى، أنا المحظوظ فيما يتعلق بعلاقاتى الانسانية. لقد بدا وكأنه انسان ثمين هبط من السماء لمساعدتنا.

بعد حل المسألة المتعلقة باكثر من ١٠٠ من المتهمين بالانتماء الى "مينساينغدان" وانشاء الفرقة الجديدة وتحسين الظروف المعيشية لاعضاء رابطة الاطفال فى مآنشان، سنحت لى الفرصة لتركيز كل اهتمامى على الاستعدادات لتأسيس جمعية استعادة الوطن. كنا قد توصلنا الى حلول مرضية، مثلما كنا نبغى، لمصاعب كثيرة واخذت كل الامور تتقدم بوتيرة سريعة، وان تطلب ذلك منا جهودا مضنية.

وقد كان لى دونغ بايك مثله مثل كيم سان هو، مساعدا مخلصا وفطنا لا استغنى عنه. فما ان تم قبوله فى صفوفنا حتى ضممناه الى اللجنة التحضيرية لتأسيس جمعية استعادة الوطن. ومن بين اعضاء اللجنة ادى كيم سان هو ولى دونغ بايك اهم الادوار واكثرها حساسية. ولكن تكليف كيم سان هو بالاتصال مع المنظمات الخارجية، جعله يمضى معظم الوقت فى العمل خارج الوحدة، مما القى بهذه المهمات داخل الوحدة على عاتق لى دونغ بايك.

وقد ساعدنى كثيرا أيضا فى صياغة برنامج جمعية استعادة الوطن ونظامها الداخلى وبيانها التأسيسى. فكنت اتشاور معه فى كل بند وأطلب منه كتابة مسودات المشاريع. ولكنه رفض بذريعة ان اسلوبه قد شاخ، وانه ليس واثقا من قدرته على عكس افكارى بدقة. فرحنا نستكمل معا الوثائق واحدة بعد الأخرى، فكنت اصوغ اساس مشروع الوثيقة ويقوم هو باكماله.

وقد كان البند الاول من البرنامج هو الذى اكبر آثار الخلافات فى الرأى بيننا. وكان ذلك طبيعيا، لان ذلك البند كان يحدد بكلمات موجزة طابع جمعية استعادة الوطن ومثلها العليا واهداف نضالها كمنظمة سياسية.

اقترحت عليه ما كنت قد هيأته فى ذهنى منذ زمن طويل : تدمير السيطرة الاستعمارية لقطاع الطرق الامبرياليين اليابانيين واقامة حكومة شعبية حقيقية بتعبئة الامة الكورية بملايينها العشرين.

وبعد ان أمعن لى دونغ بايك التفكير قليلا، هز رأسه وقال :

"أشعر بان ثمة شيئا ناقصا، لانه لا وجود لعبارة واحدة عن بناء مجتمع الطبقات المعدمة. اذا كان البند الاول من البرنامج لا يعبق برائحة الشيوعية، فلن يحظى بتأييد انصار الشيوعية الكثيرين. اما عبارة (سلطة الشعب الحقيقية)، فانها غامضة فى طابعها الطبقى وقد تفوح منها رائحة القومية."

وعندما التقيت لاول مرة مع باك دال فى معسكر جبل بايكدو السرى فيما بعد، تبادلت الحديث معه حول برنامج جمعية استعادة الوطن، فكان رأيه يتطابق تماما مع رأى لى دونغ بايك بشأن البند الاول.

لا ريب فى ان المفاهيم الماركسية الزائفة كانت وقتذاك واسعة الانتشار فى بلادنا.

وكان معظم من يدعون بانهم شيوعيون يعتبرون ان ايديولوجيتهم تتناقض مع المثل القومية العليا، وكانوا يزعمون انه يجب على الشيوعيين ان يتخلصوا من المثل العليا القومية الضيقة، وان يحافظوا باخلاص على المبادئ الطبقية والمواقف الاممية لكى يتمكنوا من تحرير الطبقة العاملة والبشرية جمعاء من الاستغلال والاضطهاد.

وأحد اهم اسباب تمسكهم بهذا الرأى يكمن فى تمثلهم المبسط والآلى لما قاله ماركس فى البيان الشيوعى "ليس للبروليتاريا وطن".

لقد عاش ماركس وانجلز فى حقبة من التاريخ لم تكن قد نضجت فيها بعد امكانية انتصار الثورة الاشتراكية فى بلد واحد. فتكهنا بانها ستتحقق فى آن واحد فى عدد من البلدان الرأسمالية العالية التطور. ولو ان البروليتاريا انخدعت ببريق وزيف كلمات "القومية" و"الوطنية" التى كانت تبشر بها البرجوازية المستهدفة بالاسقاط فى كل بلد، والتى كانت تتظاهر بانها حامية المصالح القومية، لكانت قضية البروليتاريا الثورية على المستوى العالمى قد منيت بالاخفاق. فالوطن بالنسبة للبروليتاريا لا يمكن ان يكون ذاك الخاضع للهيمنة البرجوازية، فكان على البروليتاريا بالتالى ان تقف الى جانب الاممية والاشتراكية فى الصراع بين الاممية والشوفينية، بين الاشتراكية والقومية. وانطلاقا من هذا المفهوم، حذر كلاسيكيو الماركسية الطبقة العاملة من الوقوع ضحية ما يسمى بالاوهام الوطنية وعلموها ان تدافع دوما عن الاشتراكية وتتخلى عن الاوهام القومية عند طرح مسألة الوطنية والاشتراكية. وفى معرض تحليله لاسباب اخفاق كومونة باريس، اشار ماركس الى ان الكومونيين قد امتنعوا عن الزحف على فرساى، وكر الرجعية، لانهم اخطأوا فى التقدير اعتقادا منهم بان ذلك العمل هو تصرف مناف للوطنية يثير الحرب الاهلية فى الوقت الذى كانت تحاصر فيه العاصمة قوات جيش بروسيا، العدو الخارجى. وعندما تخلى محرفو الاممية الثانية عن المبادئ الثورية للطبقة العاملة عند نشوب الحرب العالمية الاولى واخذوا ينتقلون كل على حدة الى جانب برجوازية بلده، تحت

شعار "حماية الوطن"، وصم لينين تصرفهم هذا بانه ارتداد عن القضية الاشتراكية.

ان التقدم تحت راية "حماية الوطن" لمساعدة البرجوازيين المتعطشين الى الثراء الشخصى ولو ادى ذلك الى دمار الامة فى حروب النهب الاستعمارية، يشكل عملا خيانيا، ليس بحق الامة وحسب، وانما بحق الاشتراكية ايضا. لهذا، اذا كانت بروليتاريا البلدان الامبريالية تريد ان تكون مخلصة لقضية الاشتراكية، فلا بد لها من ان تخوض الحملات المناهضة للحرب رافعة راية "معارضة الحرب" بدلا من لافتة "حماية الوطن".

أما بالنسبة للبلدان المستعمرة والتابعة فالوضع يختلف كل الاختلاف. فاذا رفع الشيوعيون فى هذه البلدان راية تحرير الوطن والوطنية، فان هذا يعنى النضال ضد البرجوازية فى المتروبول، وبذلك فانهم يسهمون فى الثورة الوطنية والثورة الطبقية والثورة العالمية فى آن واحد وعلى السواء.

ان الخطأ النظرى والعملى لمدعى الشيوعية والماركسية يكمن فى عدم فهمهم هذه الحقيقة الواضحة، واعتبارهم مقولة "ليس للبروليتاريا وطن" شيئا مطلقا، وانكارهم الوطنية والقومية باعتبارهما عدوا للشيوعية.

وعلى ضوء الظروف التاريخية الجديدة التى تتحقق فيها الثورة الاشتراكية فى اطار الدولة القومية، يمكن القول انه لا وجود فى البلدان المستعمرة عمليا لهوة عميقة بين القومى الحقيقى والشيوعى الصادق. واذا كان ثمة فرق بينهما، فهو ان الاول يشدد على الناحية القومية بينما يشدد الآخر على الناحية الطبقية، ولكن يجب أن يكونا على المستوى نفسه فيما يتعلق بالموقف الوطنى القائم على معارضة القوى الاجنبية والدفاع عن مصالح الامة.

اننى اؤمن ايمانا ثابتا بان الشيوعى الحقيقى والقومى الصادق هما وطنيان حقيقيان.

وانطلاقا من هذا الايمان، كنا نولى اهتماما دائما للتعاون مع القوميين الوطنيين الحقيقيين وكرسنا كل قوانا لتوطيد التحالف معهم.

لقد اضطررنا الى تكريس وقت طويل وبذل جهود كبيرة لاقناع الناس بان

نضال الشيوعيين الكوريين فى سبيل تحرير الوطن هو حق وطنى، وان ذلك لا يتعارض مطلقا مع الاممية البروليتارية. وأظهرنا فى الوقت نفسه امام الامة كلها ان الشيوعيين هم وطنيون يحبون من اعماق قلوبهم بلادهم ومواطنيهم، واثبتنا ذلك من خلال روحنا الوطنية الثابتة وممارستنا النضال من اجل التحرر الوطنى، ولذا تصدرنا فى نهاية الامر الصفوف فى نضال التحرر الوطنى.

وقد كان انشاء جمعية استعادة الوطن ثمرة باهرة لنضالنا المتفانى خلال سنوات عديدة.

ولذا علينا ان نعلن باعتزاز ان اسمها هو "جمعية استعادة الوطن"، وان نؤكد بوضوح فى البند الاول من برنامجها اننا نريد، بقوى الامة كلها، استعادة الوطن واقامة حكومة شعبية حقيقية، مثل الحكومة التى كانت قائمة من قبل فى قواعد حرب العصابات فى منشوريا الشرقية.

بعد ان انتهيت من كلامى، ضرب لى دونغ بايك ركبته وهتف بفرح وابتهاج :

"الآن فهمت كل شىء. كنت اعمى بعينين مفتوحتين. وما تحدثنا به الآن، ايها القائد، أزال الغشاوة عن عينى. اننى موافق تماما على ما قلته."

وبصدد بنود البرنامج الاخرى لم تقع اية خلافات تقريبا.

وعلى هذا النحو طرحنا فى برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن مسألة السلطة باعتبارها المهمة الاولى للامة الكورية، وقضايا سياسية اخرى منها ضمان الحريات والحقوق الديمقراطية لابناء الشعب وتحقيق التطور الديمقراطى للمجتمع وحماية الحقوق القومية للكوريين المقيمين فى البلدان الاجنبية.

كذلك طرحنا فى هذا البرنامج ضرورة تنظيم جيش ثورى، ومهمات اقتصادية لمرحلة الثورة الديمقراطية المناهضة للامبريالية والاقطاع، منها مهمة مصادرة اراضى الامبرياليين اليابانيين والملاكين العقاريين الخائنين الموالين لليابان دون تعويض، ومصادرة جميع المؤسسات والسكك الحديدية والبنوك والسفن والمزارع ومرافق الرى العائدة للدولة والاشخاص اليابانيين، ومصادرة جميع ممتلكات العناصر الخائنة الموالية لليابان. وبل اننا طرحنا التدابير لاعانة السكان الفقراء

والتطوير الحر للصناعة والزراعة والتجارة الوطنية، وبناء الاقتصاد الوطنى.

ان الفكرة المتعلقة بضمان حرية تطور الصناعة والزراعة والتجارة الوطنية وبناء الاقتصاد الوطنى كانت تقوم على خطنا ومنهجنا الثابتين فى التمييز الدقيق بين الرأسمال الوطنى والرأسمال الكومبرادورى، وتشجيع الرأسمال الوطنى وعدم الحاق الضرر به، بل وحماية ودعم الرأسماليين الوطنيين بهدف ضمهم الى الجبهة المتحدة المناهضة لليابان. وهنا بالذات يكمن الفرق بين ادعياء الشيوعية الذين كانوا يصرون على ضرب الرأسماليين جميعهم بالهراوة ذاتها، بما فى ذلك الوطنيون المناهضون لليابان، وبين الشيوعيين الحقيقيين الذين كانوا يضعون فى عداد القوى المحركة للثورة جميع اولئك الرأسماليين الوطنيين ممن تطلق عليهم تسمية "برجوازية" الا انهم وطنيو الميول ومعادون لليابان فى الممارسة العملية.

كما تضمن برنامج جمعية استعادة الوطن المهام الاجتماعية الثقافية والدولية.

كنت اتوقع حدوث بعض الاحتكاكات فيما يتعلق برجال الدين والرأسماليين والملاكين العقاريين الوطنيين، ولكن ما ادهشنى هو ان لى دونغ بايك الذى خلص فى سياق بحث البند الاول من البرنامج الى ادراك مفهومنا عن العالم، استطاع ان يخمن وجهات نظرى. وعلى العكس من ذلك، اتخذ كيم سان هو واو بايك ريونغ وغيرهما موقفا منغلقا بشأن هذه المسألة.

وبينما كنت اضع البرنامج والنظام الداخلى والبيان التأسيسى لجمعية استعادة الوطن، كان آخرون يحضرون الرسائل والنصوص الدعائية التى ستوزع باسم اللجنة التحضيرية للجمعية. وقد كان فصل الربيع ذاك فى الواقع مزدحما بالاعمال، حيث كنا نستغل كل دقيقة وكل ثانية من الوقت الى اقصى حد.

فى بيت هو راك يو، عمدة قرية مانجيانغ، اجرت اللجنة التحضيرية المراجعة النهائية للبرنامج والنظام الداخلى والبيان التأسيسى.

وابدى "الشيخ ذو الغليون" اسفه لان الفئويين الذين كانوا يسعون فى السابق الى اقامة ما اسموه الحركة الشيوعية، كانوا منغمسين حتى الجنون بالنزاعات من اجل الهيمنة وحدها، وكانوا عاجزين عن طرح ما يمكن اطلاق تسمية برنامج عليه.

وأعلن بفرحة غامرة : "ولكن ها قد ظهر برنامج ليكون منارة جديدة تنير طريق الثورة الكورية الذى كان مظلما حتى الآن."

بعد ان انتهينا من كل الاستعدادات فى أواخر شهر نيسان، قررنا عقد المؤتمر التأسيسى فى غابة دونغكانغ وانتقلنا الى هناك.

لقد حضر تقريبا جميع المندوبين الذين وجهنا اليهم الدعوة، ولكن لم يظهر حتى انتهاء المؤتمر لى دونغ كوانغ وزون كوانغ (او سونغ ريون) المقيمان فى منشوريا الجنوبية مع انهما كانا قد اخبرانا بانهما سيحضران مهما كلف الامر. وجاء من داخل البلاد مندوبان من بيوكدونغ، احدهما ممثل للديانة التشوندوية والآخر ممثل للفلاحين، وقد وصلا عبر قناة منظمة كانغ زى ها، واستقبلنا كذلك عن طريق منظمة الحزب فى منطقة اونسونغ، ممثلا عن المعلمين وآخر عن العمال.

بدأ المؤتمر التأسيسى التاريخى لجمعية استعادة الوطن اعماله فى اول ايار. وبالرغم من ان تفتح الازهار لم يكن قد بلغ اوجه بعد، الا ان روائح الربيع كانت تعبق فى كل مكان فى الجبال.

وعشية المؤتمر كان جميع المندوبين فى غاية الانفعال والابتهاج.

استمر المؤتمر الذى يسمى عادة اجتماع دونغكانغ، مدة ١٥ يوما.

فى البدء قرأ لى دونغ بايك رسائل التهنئة الموجهة الى المؤتمر ثم قدمت انا التقرير.

وقد طرحت فى التقرير مهمة توحيد الامة كلها فى قوة سياسية موحدة تحت راية استعادة الوطن ومهمات اخرى تتعلق بالتقدم نحو المناطق الحدودية والوطن، والعمل بنشاط لنشر حركة الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان، وانشاء قاعدة بالقرب من الحدود لتكون نقطة استناد للجيش الثورى الشعبى الكورى من اجل تطوير وتوسيع النضال المسلح ضد اليابان. وقد نشر هذا التقرير فيما بعد فى كراس بعنوان : "لنعمل على توسيع وتطوير اكبر لحركة الجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان من اجل نهوض جديد للثورة الكورية بمجملها".

وأخيرا، طرحت مشروع برنامج النقاط العشر لجمعية استعادة الوطن وبيانها التأسيسى على بساط البحث فى المؤتمر.

وقد حددنا فى البرنامج طابع الثورة الكورية ومهامها ومبادئها الاستراتيجية والتكتيكية على اساس التحليل الصائب للوضع الثورى فى الثلاثينيات والظروف الاجتماعية الاقتصادية وعلاقات القوى الطبقية فى بلادنا، واوضحنا بكل جلاء آفاق الثورة الكورية آخذين كليا بالحسبان مصالح العمال والفلاحين وجميع الجماهير الكادحة والمصالح المشتركة للسكان الوطنيين من مختلف الطبقات والفئات.

وافق المشتركون فى المؤتمر على البرنامج كليا واعربوا عن سعادتهم لانه صار بامكانهم اخيرا التقدم بخطوات واثقة نحو انتصار الثورة الكورية، مسترشدين باهداف واضحة للنضال، واعربوا عن عزمهم الراسخ على تحقيق المهام الواردة فى البرنامج بنشاط.

ولم تكن حماسة المندوبين وتأثرهم عند مناقشة البيان التأسيسى أقل من تلك التى اظهروها عند بحث البرنامج.

فقد استحوذ النص منذ الفقرة الاولى على افئدة الحاضرين، وخصوصا القسم الذى يحض جميع ابناء الامة على النضال بالانضمام الى جمعية استعادة الوطن، معربا عن الثقة باستقلال كوريا المحتم اذا اتحد ابناء الامة الكورية العشرون مليونا وشاركوا بقوى واعمال موحدة فى الجبهة المناهضة لليابان من اجل استعادة الوطن، وساهم كل فرد منها حسب امكانياته، سواء بالمال او المؤن الغذائية او المواهب او الكفاءات.

بعد اقرار البيان التأسيسى لجمعية استعادة الوطن، جرت مناقشة مسألة باسم من يجب اعلانه.

اقترح جميع مندوبى المؤتمر اعلان البيان باسمى. واكدوا على ان ذلك هو المفروض والمنطقى والطبيعى لانى كنت اول من طرح فكرة تأسيس الجمعية وترأست عمل اللجنة التحضيرية، ووضعت مشروعى البرنامج والبيان التأسيسى.

أما أنا فكان لى رأى آخر. فحيث ان الجمعية التى نزمع تأسيسها تصبو الى حشد جميع قوى الشعب الكورى المناهضة لليابان، فلا بد لها من ان تتخذ شكلا وطنيا. وانطلاقا من هذا، كنت اعتقد انه يجب ان يكون المبادر الى انشائها شخص

وطنى مشهور ومتقدم فى السن، وان يكون قد اشترك بصورة فعالة فى حركة استقلال كوريا منذ مرحلة نشاطات جيش المتطوعين الفاضلين او انتفاضة اول آذار الشعبية.

وعمليا، كنت اعتقد اننى لم اكن معروفا بين اوسع فئات الشعب فى البلاد، لان الجيش الثورى الشعبى الكورى كان يعمل اساسا فى اراضى منشوريا. ولم يصبح اسمنا معروفا على نطاق واسع بين سكان كوريا الا بعد ان انشأنا القواعد السرية الجديدة فى جبل بايكدو وبدأنا نوسع النضال المسلح فى اعماق اراضى كوريا. وانى اتذكر ان جريدة "مايل سينبو" كتبت للمرة الاولى فى عدد من اعداد شهر ايلول من عام ١٩٣٦ عن اعمال قواتنا الرئيسية ونضالها. كانت الجريدة تشير حينذاك الى ظهور وحدة مؤلفة من ١٥٠–١٦٠ رجلا فى محافظة تشانغباى، واضافت بشكل عابر الى ان "زعيم الوحدة هو كيم إيل سونغ". وكانت تلك هى نقطة البداية التى أصبحت الصحف فى كوريا تنشر بكثرة عن نشاطاتنا.

قلت لمندوبى المؤتمر بصراحة :

"جميعكم تصرون على ان ينشر البيان باسمى لاننى كنت المبادر والمسؤول عن اللجنة التحضيرية وواضع البرنامج والنظام الداخلى، ولكن لا أهمية لذكر اسمى وحده بسبب هذه الوقائع. يبدو لى انه من الافضل والاكثر فعالية اصدار البيان باسم شخص يعرفه مواطنونا العشرون مليونا، لحضهم على الانضمام الى جمعية استعادة الوطن. ويكفينى ان يعتبرونى ابنا للامة يخدمها ويبذل جهوده بصمت." وطلبت منهم نسيان الامور الصغيرة من اجل الاهداف العالية واختيار شخصيات من الوطنيين المعروفين، والمتقدمين فى السن كمبادرين مشتركين. ثم اقترحت اعلان البيان التأسيسى باسم لى دونغ بايك وريو وون هيونغ بصفتهما مبادرين.

وكان لى دونغ بايك هو اول المعارضين. واكد انه لا شأن هنا للعمر والشهرة فى الماضى، وأصر على انه من المستحيل اعتبار رجل مثله هو المبادر، والتغاضى عن الواقع الجلى بانه ليس هناك داخل البلاد وخارجها ممثل فعلى للامة كلها سوى القائد كيم إيل سونغ الذى يقود العمل العظيم لاستعادة الوطن، واضاف قائلا انه من المنطقى

ان يكون القائد كيم، لا غيره، رئيسا لجمعية استعادة الوطن والمبادر الى انشائها. ونظرا لما كنت قد قلته، اقترح اعتبارى انا وريو وون هيونغ مبادرين مشتركين.

وبعد مناقشة جدية، وافقت على ان اكون أحد المبادرين المشتركين شرط ان استعمل الاسم المستعار كيم دونغ ميونغ. وبعد تنازلى هذا، وافق لى دونغ بايك، هو الآخر، على ان يكون احد المبادرين.

وهكذا تم اعلان البيان التأسيسى لجمعية استعادة الوطن فى ٥ من ايار باسم ثلاثة اشخاص هم كيم دونغ ميونغ ولى دونغ بايك وريو وون هيونغ بصفتهم مبادرين مشتركين.

كان لى دونغ بايك هو الذى اعطانى الاسم المستعار كيم دونغ ميونغ. وحين اعربت عن موافقتى شرط ان استعمل اسما مستعارا، لم يعد بامكانه مواصلة الاصرار، وبعد ان فكر قليلا، قال انه من المناسب استخدام اسم "دونغ ميونغ" مع الاحتفاظ بكنيتى الاصلية "كيم". ومعنى كلمة دونغ "الشرق" وكلمة ميونغ تعنى "النور". وحسب رأيه فان اسم "كيم دونغ ميونغ" هو اسم مناسب من عدة نواح فى التوجه لتمثيل الامة. وقد اعرب جميع الحاضرين عن موافقتهم بتصفيق حار. وهكذا، كما ترون، اعطانى آخرون الاسم المستعار "كيم دونغ ميونغ" كما اعطونى اسمى "كيم إيل سونغ".

بعد اعلاننا البيان التأسيسى لجمعية استعادة الوطن، جرى توزيعه فى مختلف المناطق داخل كوريا وخارجها. وكانت هناك مناطق استنسخوا فيها البيان ونشروه باسماء شخصيات نافذة ومعروفة فيها. وقد سمحنا بالعمل بمرونة وفقا للظروف الخاصة بكل منطقة. وبالنتيجة كانت تسمية الجمعية تختلف حسب المناطق. ففى منشوريا الشرقية، مثلا، سموها جمعية استعادة الوطن للكوريين المقيمين فى منشوريا الشرقية، وفى منشوريا الجنوبية عرفت باسم جمعية استعادة الوطن للكوريين فى منشوريا. وهذا ما يفسر ان بعض نصوص البيان التأسيسى التى جمعها معهد تاريخ الحزب تحمل اسماء مختلفة لاشخاص آخرين مثل او سونغ ريون، اوم سو ميونغ، لى سانغ زون (لى دونغ كوانغ) وآن كوانغ هون.

وباتفاق رأى جميع مندوبى المؤتمر التأسيسى، توليت منصب رئيس جمعية استعادة الوطن.

هكذا، رأت النور للمرة الاولى فى تاريخ نضال التحرر الوطنى المناهض لليابان فى بلادنا منظمة دائمة للجبهة الوطنية المتحدة المناهضة لليابان.

وقد شكل تأسيسها حدثا استثنائيا فى توطيد القاعدة الجماهيرية للثورة. فبفضل تشكيل هذه المنظمة، استطاعت الجبهة الوطنية المتحدة بالتلاحم الوثيق مع النضال المسلح المناهض لليابان ان تتطور بسرعة فى عموم البلاد بطريقة اكثر تنظيما ومنهجية، كما استطاعت ان تعبئ بنشاط جميع القوى المناهضة لليابان فى النضال من اجل تحرير البلاد.

كانت مسألة حشد جميع قوى الامة فى جبهة استعادة الوطن اكثر المهمات التى طرحناها أهمية منذ بداية النضال، وقد عملنا بصبر ودأب طوال عدة سنوات لتحقيق هذه المهمة.

وكان تأسيس جمعية استعادة الوطن نتيجة جبارة تمخضت عنها الجهود المبادرة والدؤوبة التى بذلها شيوعيونا الشباب بلا كلل لاعداد القوى الداخلية للثورة. وقد كان تأسيسها مناسبة تاريخية لكى يعلن شعبنا بمهابة من جديد عن ارادته فى شن النضال بقواه الذاتية وبمزيد من الجرأة ضد الامبريالية اليابانية كما كان نقطة انعطاف اعطت دفعة جديدة لمجمل الثورة الكورية ومحورها المتمثل فى النضال المسلح المناهض لليابان.

وقد قوبل هذا الحدث بالتأييد الشامل وكانت له أصداء واسعة داخل البلاد وخارجها لانه يستجيب لمتطلبات تطور الثورة الكورية وتيار العصر. وتعالت اصوات التأييد الحار فى كل انحاء كوريا وخارجها. وقد ظهرت اولى ردود الفعل المرحبة فى صفوف وحدات جيش الاستقلال.

فور اعلان تأسيس جمعية استعادة الوطن، ارسل الينا يون ايل فا، رئيس هيئة اركان الجيش الثورى الكورى رسالة تهنئة أعرب فيها عن رغبته فى توثيق علاقاته معنا فى الجبهة المناهضة لليابان. وقام أحد نشطاء الحركة القومية، ويدعى باك،

برحلة طويلة من مكان عمله فى شنغهاى الى منشوريا لمقابلة ممثلى جمعية استعادة الوطن فى منشوريا الجنوبية. وكان له نفوذ كبير بين انصار الحركة القومية لانه كان وطنيا عمل سنوات عديدة لتطوير حركة الاستقلال فى شنغهاى وبكين وتنتسن وغيرها من مناطق الصين الداخلية. وقد وعدنا بتطوير عمل جمعية استعادة الوطن على نطاق واسع داخل كوريا وخارجها، وكرس وقتا طويلا فى دراسة السبل لانشاء "جيش الاستقلال الثورى" كقوات مسلحة للامة كلها.

ونشر لى دونغ بايك مقالة فى العدد الاول من المجلة الشهرية "سامئيل وولغان" بعنوان "الزعيم الاكبر لطائفة تشوندو الدينية يزور ممثل جمعيتنا لاستعادة الوطن". وكان كاهن طائفة تشوندو باك اين زين قد جاء الى معسكرنا السرى فى جبل بايكدو والتقى معنا بعد ان بلغه الخبر السار عن تأسيس جمعية استعادة الوطن. وفى ذلك اللقاء بالذات وعدنا بضم مليون عضو فى حزب شباب تشوندو الدينى الى جمعية استعادة الوطن.

وتوافد للقاء معنا دون توقف أشخاص كثيرون، منهم لى تشانغ سون ولى زاى سون وباك دال وقدموا مساهمات فعالة فى توسيع منظمات جمعية استعادة الوطن.

ولن تكفى عدة مجلدات ضخمة لاستعراض تاريخ تطور جمعية استعادة الوطن التى اتسعت فى فترة وجيزة وتحولت الى منظمة لعموم الامة تضم مئات آلاف الاعضاء.

كانت ولادة جمعية استعادة الوطن فى شهر ايار عام ١٩٣٦ عند السفح الشمالى لجبل بايكدو حدثا تاريخيا دشن مرحلة جديدة فى تطور الثورة الكورية، وبشر بانبلاج فجر استرجاع الوطن. وعند سفح ذلك الجبل بدأ بالبزوغ فجر اليوم المشرق الجديد للثورة الكورية.